المستودع والمستحضر

في أسباب النزاع بين
مبارك الصباح ويوسف الإبراهيم

(١٨٩٦ - ١٩٠٦)

دراسة أكاديمية مجازة
منقحة ومعدلة

خلف بن صغير الشمري

2006

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

نشاط الطرفين في فترة التسابق الدولي على الكويت

الفصل الرابع

الصراع ما بين عام ١٣١٨ - ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٠-١٩٠٦

الملاحق

مقدمة

لا أدري هل هي صدفة أم مفارقة في أن يكون تاريخ إجازة رسالة الماجستير، التي بين أيديك، عام ٢٠٠٦، هو مرور مئة عام على رحيل أحد قطبي هذه الدراسة، الشيخ يوسف بن عبد الله آل إبراهيم عام ١٩٠٦. هذه الشخصية التي لعبت دوراً محورياً في تاريخ الكويت وتخومها، ولم تُعط حقها في ما كتبه معظم المؤرخين. لذا فأن هذا البحث هو أول محاولة أكاديمية تعاطت مع الحدث، وكشفت الكثير من المستور، واستحضرت المستودع. وكما قال الفيلسوف الألماني نيتشه في مقدمة كتابه "أفول الصنم"، عام ١٨٨٨: "إن قراء هذا الكتاب يحتاجون إلى شجاعة للممنوع، وعيون جديدة لرؤية أشياء عن بُعد". فالبحث هذا من بدايته وحتى نهايته ماهو إلا إعادة النظر إلى ما سبق كتابته.

لقد شهدت الكويت عند بداية القرن الرابع عشر الهجري، أواخر القرن التاسع عشر الميلادي توتراً في العلاقة بين أفراد الأسرة الحاكمة آل صباح، وقد وصل التوتر إلى حد خطير سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦ عندما استولى الشيخ مبارك الصباح على السلطة بإمارة الكويت، بعد اغتيال شقيقيه: الشيخ محمد الصباح، وهو شيخ الكويت آنذاك، والشيخ جراح الصباح. ونتيجة لهذا الحدث ظهرت معارضة قوية ضد الشيخ الجديد، تزعمها أحد أكبر الأعيان والأثرياء في الكويت، آنذاك، الشيخ يوسف آل إبراهيم، والذي تربطه صلات عميقة قوية ونافذة بالشيخ المغدور محمد الصباح.

دخلت الكويت، في تلك الفترة، مرحلة من التوتر والاضطراب، صاحبها نشاط محموم، خصوصاً بعد مغادرة الشيخ يوسف آل إبراهيم الكويت. فقد عمل كل طرف، بكل ما أوتي من قوة عسكرية ومهارة سياسية، للقضاء على الآخر، فدخلت المنطقة فترة من النزاع استمر عقداً من الزمن. ومع تطوره وتوسع دائرته انجذبت إليه قوىً إقليمية مثل إمارة قطر، وإمارة الرشيد، وإمارة عربستان، وآل سعود، حُكام نجد المنفيين، وبعض اللاجئين من أعيان نجد، ومنهم آل سُليم، وآل مُهنا، وجملة من القبائل النجدية، وقبائل المنتفك

بجنوب العراق. كذلك انجذبت إليه قوىً دولية مثل الدولة العثمانية، وبريطانيا العظمى. لقد أسهمت تلك القوى، كلاً من موقعه، في تصعيد النزاع وإحداث تغيير في مجرياته.

انعكس التنافس الدولي الشديد، بين الدولة العثمانية وبريطانيا، وبدرجة أقل ألمانيا وروسيا وفرنسا في دول الخليج، على النزاع بين الشيخ مبارك الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم مباشرة، حيث سعت تلك الأطراف إلى الاستفادة منه، وتحقيق موطئ قدم لها في الكويت. علماً أن النزاع استمر بين الطرفين، الشيخ مبارك الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم، حتى وفاة الأخير سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٦. إلا أنه لم ينته من دون أن يترك آثاراً عميقة ومتغيرات سياسية على مستقبل المنطقة، وتغييراً جذرياً في وضع الكويت السياسي.

على ضوء ما تقدم، تكمن أهمية هذه الدراسة في جوانب عدة، ولعلَّ من أبرزها معالجة فترة مهمة وحرجة من تاريخ أمارة الكويت، قررت مستقبلها السياسي لأكثر من نصف قرن.كذلك أعطى فرصة سانحة لبريطانيا لحسم التنافس حول الكويت لصالحها. إضافة إلى ذلك ثبّت النزاع الحكم في الكويت للشيخ مبارك وذريته. هذا، وستكشف الدراسة أيضاً علاقة الأطراف الإقليمية، ومدى تأثرها وتأثيرها في تطورات الأحداث خلال تلك الفترة.

لاشك أن أهمية البحث، في مثل هذا الموضوع، تكمن في معرفة شطر هام من تاريخ إمارة الكويت، وعلاقاتها مع القوى الإقليمية والدولية، قبل فترة الصراع، أي خلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي. ومعرفة جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، التي تجذرت في عمق تاريخ الكويت. والكشف عن كيفية استيلاء الشيخ مبارك الصباح على السلطة، وردود الفعل التي واجهته، وتفصيل أسباب تبني الشيخ يوسف آل إبراهيم قضية الثأر لأبناء القتيلين الشيخين محمد وجراح، وموقف الدولة العثمانية من النزاع بين الطرفين في مراحله الأولى. ثم تتبع مفاصل النزاع المسلح الذي اتسعت دائرته لتشمل قوى إقليمية عديدة في المنطقة كما أسلفنا. ولا يفوت الدراسة إماطة اللثام عن موقف الدول الكبرى، والقوى الإقليمية من الكويت، خلال هذه الحقبة الدقيقة.

إن الصعوبات التي تواجه الباحث في مثل هذا الموضوع عديدة، وتأتي في مقدمتها ندرة الدراسات العربية الأكاديمية، وصعوبة الحصول على المصادر المخطوطة الخاصة، وعدم وفرة الوثائق العثمانية، التي تتحدث عن أحد طرفي النزاع، وإن وجدت تأتي صعوبة ترجمتها لقلة المتمكنين من اللغة العثمانية قبل استبدال الأبجدية التركية. وما زاد الأمر صعوبة أيضاً أن المصادر العربية على ندرتها كانت تركز على أحد طرفي النزاع، وهو الشيخ مبارك الصباح، مهمشةً الطرف الآخر، وهو الشيخ يوسف آل إبراهيم، فعندما يأتي للأخير من ذِكر يكون عابراً في سياق الحديث عن الشيخ مبارك.

حاولنا سد ثغرة ندرة المصادر، إلى حد ما، من المكتبات العامة المصرية، والمملكة العربية السعودية، ودولة قطر، ودولة الأمارات، وكانت مراكز الأخيرة العلمية نعم المعين في رفدنا بوثائق بريطانية وعثمانية، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها أفادت البحث كثيراً. كذلك ما حصلنا عليه من معارض الكتاب الدولي بالقاهرة، والرياض، والكويت، والأمارات العربية المتحدة، والبحرين. ولأهمية الكويت في موضوع الدراسة، فقد قمنا بزيارتها، ولمرات عديدة، لمعرفة طبيعة المنطقة، وهي مكان الحدث، وقد ساعد ذلك على فهم مجريات الأحداث، وكشف اللبس حول المسميات. إذ زرنا قصر السيف القديم المبني في موقع نقعة آل إبراهيم التي ردمها الشيخ مبارك الصباح (الديوان الأميري حالياً)، ومنطقة بهيته فريج الشيوخ (مكان حادث القتل)، وفريج ال بن الابراهيم وبنيد القار، والصَبيَّة، والجهراء، والمناطق التي وقعت فيها اصطدامات ومعارك كالصريف والحفر والمناطق الحدودية.

شكلت الوثائق العثمانية، غير المنشورة، واحدة من أهم مصادر الكتاب، ومنها المتوافر في مركز الوثائق والدراسات في ديوان الرئاسة/أبو ظبي، وفي دارة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض. وكانت تلك الوثائق تندرج في الأرشيف العثماني ضمن تصنيفات عديدة، ومنها أوراق (يلدز)، ودفتر العينيات والإرادات (الداخلية والعسكرية...)، وقد أمدت البحث بمعلومات مهمة في ما يتعلق بعلاقة الكويت بالدولة العثمانية. كذلك كان لتقارير ورسائل ولاة بغداد والبصرة حول الصراع أثر كبير في الإغناء بمادة وثائقية. وقد ركزت هذه الوثائق على التنافس الأوروبي، وخصوصاً بريطانيا حول الكويت.

وقد وصلنا إلى قناعة بوجوب تقسيم المراجع وتوزيعها كما يلي:

١ – المؤرخون، الذين عاشوا الأحداث، وكتبوا عنها من أهل البلد، واعتمدوا على الروايات في تسجيل الأحداث، وهم:

– القناعي، "صفحات من تاريخ الكويت"، مختصر مفيد بدون وثائق، صدر عام ١٩٥٠.

– الرشيد، "تاريخ الكويت"، توسع محدود لتاريخ الكويت عموماً، بدون وثائق أو تواريخ خصص حوالي نصفه للاهتمامات الأدبية والفكرية، ونقد بعض العلماء التقليديين، مما حدا بكثير من كبار السن، وحافظي التاريخ عدم التعاون، ما شكل خسارة كبيرة.

– الذكير، "العقود الدررية" (مخطوطة)، شاهد عيان لحوادث هذا البحث أحتوت مخطوطته وثائق مهمة، وهي رسائل من قطبي النزاع.

٢ – المؤرخون الأجانب، الذين زاروا الكويت خلال تلك الفترة أو بُعيدها:

– ويكم، "المشكلة الفارسية"، كتاب هام لصحفي بريطاني له نشاط استخباري أحتوى فصلاً عن الكويت، التي زارها العام ١٩٠١، وكتب عنها عن كثب. ولم يتطرق الباحثون لهذا الكتاب أثناء اعداد بحثنا، فكان العثور عليه سابقة نفخر بها.

– الأنطاكي، "السيرة العطرة بين الكويت والمحمرة"، من كُتاب المديح، لا قيمة تاريخية لكتابه، فهو لم يتعاط مع الموضوع أصلاً، وإن وجدت بعض الإشارات عن الحياة الشخصية للشيخ مبارك وعلاقته بالشيخ خزعل.

– زويمر، من أوائل المبشرين المسيحيين في الخليج، زار الكويت وكتب عن الشيخ مبارك باختصار.

– مليري، كسابقه..

٣ – المؤرخون، الذين جاءوا بعد الحوادث بفترات متفاوتة واعتمدوا على المصادر والتقارير الرسمية البريطانية:

– لوريمر، "دليل الخليج".

– ساندااينا.

– بدوول.

- آدموف وكرغلوف، من قناصل روسيا القيصرية في البصرة وبغداد، اعتمدا على الوثائق الاستخباراتية الروسية، وبعض مصادرهم، وما يدور من اشاعات محلية بحكم عملهم. ويمكن أن يُقال في ذلك المبالغة والتهويل.
- الريحاني، "ملوك العرب"، و"تاريخ نجد الحديث"، إشارات عن الحوادث بدون تفاصيل.
- وهبة، "جزيرة العرب"، و"خمسون عاماً في جزيرة العرب" أكثر قرباً من سابقه، التقى الكويتيين في الهند، واقام بضيافة آل إبراهيم فيها، حينما طاردته السلطات البريطانية انتقل إلى أملاكهم في الدورة بولاية البصرة آنذاك، ودرس في مدرستهم الخاصة فيها، ثم عاش في الكويت أبان حكم الشيخ مبارك، ودرس في المدرسة المباركية، ثم انتقل إلى البحرين وبعدها التحق بخدمة الملك عبد العزيز آل سعود منذ أوائل العشرينيات.

٤ - المؤرخون من أهل المنطقة، ممَنْ كتب في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن المنصرم:

- سيف الشملان، "من تاريخ الكويت"، اعتمد على المرويات، وبعض المقابلات، لمن عاشوا الأحداث.
- حسين خلف، "تاريخ الكويت السياسي"، خمسة أجزاء، جمع معظم مواد كتابه من خلال عمله في مديرية الإرشاد بالكويت، وأخذ الكثير من معلوماته من التحفة النبهانية، وتاريخ الكويت للرشيَد، ومن مكتبة محمد أحمد خان بهادر في البصرة، ولم ينسب مصادره لأصحابها. أظهر دور جده لأمه الشيخ خزعل، ونشر بعض المصادر المتبادلة مع الشيخ مبارك. ويتضح تحيزه وميله إلى الشيخ مبارك بصورة جلية: فأفعال الشيخ مبارك شجاعة، وأعمال الشيخ يوسف دسائس. شابت كتابه أخطاء متعددة في التواريخ وتعيين الأحداث.
- راشد الفرحان.

٥ - المؤرخون الدعائيون المتحيزون بوضوح من أجانب وعرب، وقد ظهرت

كتبهم في فترة الخمسينيات (فورة البترول)، وهم على العموم صحفيون واعتذاريون، وكان عملهم لقاء فوائد ومصالح. ولهذا يُحذر الباحث من مغبة الاعتماد عليها، لأنها تتجنب الحقيقة في معظم الأحيان:

- ديكسون، "عرب الصحراء"، و"الكويت وجيرانها"، وقد تناول بحثنا التحليل والنقد لهما كما سنرى.
- زهرة فريث، "الكويت بلدي"، والمؤلفة هي ابنة دكسون، وسارت على خطا أباها.
- سلمان، "الكويت حاضرها وماضيها".
- الشرباصي.
- القلعجي، "أضواء على تاريخ الكويت"، "الخليج العربي".

٦ - إصدارات حكومية، مثل مؤلفات لجنة كتابة تاريخ الكويت:

- أبو حاكمة، "تاريخ الكويت".

٧ - الكتب الأكاديمية والرسائل الجامعية، التي كتبها كويتيون اعتمدوا على البحث المكتبي فقط، ولم يأتوا بجديد، وكان جُل اعتمادهم على المصادر البريطانية المتوفرة آنذاك:

- المنصور، "الكويت وعلاقاتها في عربستان" و"التطور السياسي في قطر".
- الخترش.
- ميمونة الصباح.
- حسن إبراهيم الراشد.

٨ - الكتب التي ظهرت في التسعينيات من القرن المنصرم، والألفية الجديدة:

- سلوى الغانم، "عهد مبارك الصباح"، أول دراسة جريئة تصدر من جامعة شهيرة (لندن)، ولكنها اعتمدت على المصادر الإنكليزية فقط في مجمل العمل.
- انسكومب، "الخليج العثماني"، أول باحث أوروبي يعتمد على الوثائق العثمانية، وجاء كتابه ليسد فراغاً طال انتظاره.
- كورشن، "العثمانيون في قطر"، تركي أستاذ تاريخ في جامعة

مرمرة، ساعدته معرفته بالعثمانية والعربية، استفاد من الأراشيف العثمانية كافة.

- القاسمي، "بيان الكويت"، تكمن قيمته في نشره لبعض الوثائق العثمانية، ويؤخذ عليه بأنه اعتذاري بلا داعي، لا يعرف المنطقة أرضاً وبشراً، وقد اساء لفظاً لبعض الشخصيات فابتعد عن الحيادية والأمانة التاريخية، ويستشف منه عدم معرفة واقع الحال، ففقد مصداقيته. راجع رد يعقوب الإبراهيم عليه تحت عنوان "التبيين.. رد ورأي".
- سلوت، "مبارك الصباح مؤسس الكويت الحديثة"، صدر بالإنكليزية، واعتمد في تأليفه على التقليل من قيمة كتاب سلوى الغانم، وقد صدر بمساعدة مالية من مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- بونداريفسكي، "الكويت في الوثائق الروسية"، كسابقه كان كتاباً اعتذارياً، وصدر بمساعدة مالية من مركز البحوث والدراسات الكويتية. واعتمد على المصادر الروسية.
- زكريا، "الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات". إشارات عن الموضوع دون إسناد أو وثيقة.
- فاسيليف.

وبعد تبيان المصادر والمراجع لابد من كلمة تحذر من العواطف والميول السياسية بأنواعها، التي يخضع لها هذا المؤرخ أو ذاك، ويبقى الصادق وحده القادر على التمييز والتجرد للوصول إلى الحقيقة. وبالقدر نفسه نذكّر بالحرص على المستوى المعلوماتي، لأحداث هي في جوهرها امتداداً لما يحدث في أيامنا الحاضرة. ونحن هنا لا ندعي تقديم الحقيقة خالية من المؤثرات، لأنها مهما كانت تبقى الضحية الأولى دائماً. لكن، نقول حاولنا استقصاء طريقها، عبر البحث الموضوعي وإظهار المتناقضات، والجهل المتواتر في قضية شائكة، حاول الكثيرون اهمالها. ومن حق الباحثين والقراء علينا هنا أن نحذرهم ونتيح لهم الفرصة للوقوف على واقع التجني والإساءة، وعدم احترام العقل للإفادة والإستفادة، فالسر يكمن لامحالة وراء هذه، وما حدث على أرض الواقع وحرفها عن الوقائع التي حصلت فعلاً، والرغبة في الوصول الى بحث حريص

لا يضل ولا يشقي. وما لاشك فيه، أن التخندق لايترك للبحث طريقاً، ولايرجع حقاً مسلوباً طال موعد استحقاقه.

ومما يزيد الطين بلة، في التاريخ وخصوصاً في قضية النزاع التي نقدمها في هذا الكتاب، هو الاعتماد على البحث المكتبي، وذلك لسهولته، وهو ما استمرئه الكثيرون، فتورطوا بأكاذيب ومختلقات لاعد لها، ارتكنوا في تثبيتها على ادعاءات ومزورات، هي في واقعها حاولت تبسيط حوادث هامة وفاصلة في التاريخ، والغالب منها جُمع من ثرثرة المجالس والمخبرين، لذا أتى المكتوب خلاف ما حصل بالفعل. كذلك أتت الأوصاف والتسميات للشخصيات والأحداث غير مسؤولة، والمبالغة فيها كانت مفضوحة، وقد تراوحت رواياتها بين قاصد الكذب والإساءة ومحرف للحقائق، وبين جاهل بحقيقة الأحداث من الكُتاب أو الموظفين الأجانب، هرفوا بما لم يعرفوا، وجاءت كتاباتهم على مبدأ: "الحسن والحسين ابنتا معاوية"!

وأبرز هؤلاء كان هارولد ديكسون، الذي امتهن كتابة التقارير السرية بحكم عمله في دوائر الاعتماد البريطانية في العراق والبحرين وأخيراً في الكويت حتى نهاية عمله في ظروف غامضة ١٩٤١. وعُرف عنه عدم معرفته بالتاريخ، وهذا ما اتفق به الكثيرون من علية المؤرخين، ومنهم علامة الجزيرة حمد الجاسر، في نشر سلسة من المقالات نشرتها صحف عدة، وما نشرته المجلة العربية الصادرة في الرياض بين ربيع آخر ١٤١٩هـ وجمادي أول ١٤٢٠هـ. وما كتبته عنه الدكتورة سلوى محمد أحمد الغانم في أطروحتها التي قدمتها في جامعة لندن، ثم كتابها "حكم الشيخ مبارك ١٨٩٦-١٩١٥). وكما كتب عنه خَلفه في المعتمدية البريطانية في الكويت الميجر دي جوري، وبعد إطلاعه على المراسلات والأوراق الخاصة فأطلق عليه لقب "عبد ديكسون الذي لايتجاوز طوله بندقيته".

ولم تكن أكاذيب هارولد ديكسون مستغربةً، في ما كتبه عن حوادث النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف الإبراهيم، بعد أن تطاول على العديد من الشخصيات الأحياء منهم والأموات، وعلى عوائل وعشائر وقبائل، ولم يسلم منه حتى رفاقه في العمل، ومواطنيه البريطانيين. وقد وصلت الكثير من أكاذيبه إلى مسامع الملك عبد العزيز، في ما تعلق بشخصية مهمة في البحرين، وقد

استاء الملك من هذا التصرف الهابط. نكتفي بهذا الذي ذكرناه على سبيل الاستطراد وسوف نعود للتفاصيل في الفصل الأول.

أما الشخصية الثانية التي حاولنا النئ عنها فهي كتابات الصحفي المأجور عبدالمسيح الانطاكي وسوف نكشف ما ذكره الباحثين المعنيين عنه في الفصل المتعلق بالشيخ مبارك.

ورغبة في تحاشينا الاستعانه بما كتبه ديكسون وابنته والانطاكي فقد اخذنا في دراستنا رسالتين أحدها لباحث غربي هو جاكوب غولدبيرج وهو استاذ زائر لعدة جامعات أمريكية ومن ضمنها جامعة هارفرد. وآخر شرقي من الهند رام تاندن كومار استاذ التاريخ في جامعة دلهي سابقاً ورئيس قسم التاريخ في جامعة بتنا في الهند حالياً.فعلى الرغم من وجود خيط رفيع مما كتبه ديكسون عن الحوادث، لانهم لم يجدوا من المصادر المحلية ما يفيدهم، أما لعدم وجود ترجمة بالانجليزية لهذه الاعمال من جهة أواستحالة توفر دراسة مخصصه مستفيضه عن الفترة هي موضوع بحثنا. ولكن لسوء الحظ وقعوا في مستنقع هو حصيلة خيال، وحينما نستعرض ما كتبه نرى مدى خطورة الانسياق في الارتكان لمصدر كهذا ونقله بدون تحليل أو تدقيق وهو أجتراء على التاريخ وتجني عليه.

إن كتابة التاريخ بعيداً عن الأهواء، له فائدة وأثراء للموضوع المبحوث، وكسر حواجز الوجل وإظهار الجوهر، لتعكس تجلياته في مسيرة الوقت الحاضر. فقصة النزاع كما هي أراها تُثبت استقلالية الكويت بصورة واضحة، وتبين خطل القائلين بتابعيتها لولاية البصرة. فعلى الرغم من تدخلات الدولة العثمانية في النزاع، ألا أن الأحداث عكست أن الوضع آنذاك لم يكن شأناً عثمانياً، ضمن تابعية الكويت للبصرة، بل كان شأناً كويتياً بحتاً، تطور إلى شأن إقليمي، ثم تدرج إلى صراع دولي، دخلت حلبته الدول الكبرى، فإضافة إلى الدولة العثمانية دخلته: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، وإن كانت الأخيرة بأقل فاعلية. كذلك كان نظام الحكم شورياً مستقلاً، على خلاف الدولة العثمانية نفسها بتراكمتها التاريخية الفردية.

قسم الكتاب إلى أربعة فصول وخاتمة: تناول الفصل الأول جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وفيه شرح الأثر المباشر لهذا

الخلاف على تاريخ الكويت الحديث، مبيناً أصوله وجذوره في تاريخها منذ نشأتها، واستعرضت الدراسة تاريخ الكويت: النشأة وطبيعة السلطة وعلاقاتها بالقوى ذات الأثر في هذا الصراع. كما ركز على أهم الأحداث ذات الصلة - المباشر وغير المباشر - فتحدثت الدراسة عن سلطة الحاكم في الكويت ونفوذ التجار، وأبرز الملامح التاريخية لشخصيات الصراع وتطرقت الدراسة للمحة حول مسرح الأحداث وزمانه في عهد الشيخ محمد الصباح.

وتضمن الفصل الثاني مناقشة أسباب الصراع، وكيفية استيلاء الشيخ مبارك على السلطة، وردود الفعل الداخلية والخارجية لذلك. ثم ذكر تبني الشيخ يوسف آل إبراهيم لقضية الثأر وأسبابها، ومناقشة بداية الصراع والحرب السياسية، بتوجه طرفي النزاع للدولة العثمانية وأثره. ثم الدخول في تفاصيل قضية النزاع على الأملاك، التي كانت من القضايا المهمة في هذا الصراع، من دون إغفال بيان محاولة الوساطة لإنهاء النزاع.

ويأتي الفصل الثالث مناقشاً النزاع المسلح بين الشيخ يوسف آل إبراهيم والشيخ مبارك، وأثر القوى الكبرى، وخصوصاً الدولة العثمانية في توجيه هذا النزاع، وأثر القوى الإقليمية في توسيع دائرته. كذلك تتبع مواقف القوى الكبرى والقوى الإقليمية تجاه الكويت في هذه الحقبة التاريخية الدقيقة، وعلى المواقف التي كان يتمحور حولها الصراع، سواء أكان لها أثر واضح في هذا الصراع أم في توجيه بعض المواقف الدولية حول الكويت، وأثر ذلك على مجرى الصراع وتوجه طرفي الصراع إلى بريطانيا ونتائج هذا التوجه.

أما الفصل الرابع فتتبع نشاط طرفي الصراع بعد عقد معاهدة الحماية البريطانية على الكويت، وأثر القوى الإقليمية، وخصوصاً إمارة الرشيد في تطور مراحل الصراع خلال هذه الفترة، وما ترتبت عليه من أحداث، وأولى مراحله كانت قبيل معركة الصريف، والتي امتازت بانجذاب القوى الإقليمية المحيطة إلى حلبة الصراع. بينما تمثلت المرحلة الثانية والثالثة في معركة الصريف، وأثر القوى الإقليمية والدولية فيها، وفي محاولات الشيخ يوسف آل إبراهيم بعد موقعة الصريف للإغارة على الشيخ مبارك لتنحيته. وكانت خاتمة هذا الفصل بالحديث عن وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم، ونهاية الصراع وأثره.

ونود هنا أن نشير أن هذه المادة العلمية للدراسة موزعة ومتنوعة بتنوع الاراء والاتجاهات التي تناولت تاريخ الكويت، والخطة التي انتهجناها في جمع مصادرها الاولية والثانوية هي دراسة تلك المادة وتحليلها والمقارنه فيما بينها ونقدها وإعادة صياغتها ليبرز المنهج التحليلي القائم على ربط حلقات الصراع بالحقائق التاريخية.

وفي الختام يتقدم كاتب البحث بجزيل الشكر ووافر التقدير ومزيد الامتنان الى الاستاذ د. عبداللطيف ناصر الحميدان الذي ساندني مشكوراً بالاشراف على إعداد هذه الدراسة وما قدمه من مساعدات كبيرة وتوجيهات سديدة كان لها الاثر الكبير في الوصول الى الشكل النهائي.

أرى الواجب يدعوني أن اجزل الشكر والتقدير الى أساتذتي في هذه المرحلة في قسم التاريخ بكلية الاداب - جامعة الملك سعود- الرياض وهم الدكاترة الافاضل: عبدالله السيف، علي الخليف، عزالدين موسى، عبدالرحمن الشملان، عبدالله العثيمين، عبدالله السبيعي، عبدالله البكر، مفيد العابد وأحمد العدوان.

ولا أنسى من قدم لي التوصية لدراسة الماجستير الدكتور عمر العقيلي والدكتور فهد السويكت فلهما مني الشكر على ثقتهما وأشكر أيضا الاستاذ محمد القرني- سكرتير قسم التاريخ - والدكتور سليمان خاطر - الاستاذ اللغة العربية - كلية المعلمين - حائل الذي تفضل مشكوراً بمراجعة الرسالة لغوياً والشكر موصول لمن قدم لي العون والمساعدة في المراكز العلمية في المملكة العربية السعودية واخص دارة الملك عبدالعزيزو مكتبة الملك فهد الوطنية ومركز الوثائق والدراسات في ديوان الرئاسة بأبوظبي على حسن المعاملة وسعة الصدر لتحمل أمثالي من الباحثين.

وأقدم شكري ووافر تقديري للصديق الصدوق سالم بن غانم الحربي على مواقفه الاخوية معي حيث كان طيلة فترة انتقالي من مدينة الرياض ملبياً احتياجاتي الدراسية التي تصلني وأنا في مدينة حائل وأقدم شكري وعرفاني الى الاستاذ دايل بن علي الخالدي على نصائحه وتوجيهاته وأشكر الاخ فهد بن محمد الشمري في قطر الذي لم يألو جهداً في تسهيل أمور البحث من مجموعه كتب قيمه تبحث في تاريخ قطر.

كما لا انسى أن اقدم شكري وتقديري للاخ الاستاذ يعقوب يوسف الإبراهيم الذي زودني بالوثائق والخرائط من بداية القرن الرابع عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، والتي أثرت البحث وأفادت الباحث بتفهم طبيعة المنطقة وكان مرشداً لي خلال فترة إقامتي في الكويت مما ساعدني على تفهم طبيعة المنطقة واقدم شكري وتقديري لآل إبراهيم جميعاً في الكويت على حسن الضيافة والحفاوة طوال إقامتي فيها.

وأخيراً كل الشكر لاسرتي التي وفرت لي المناخ المناسب للدراسة.

هذا واسأل الله التوفيق والسداد للجميع.

خلف بن صغير الشمري

جامعة الملك سعود

كلية الآداب – قسم التاريخ

الرياض – المملكة العربية السعودية

الفصل الأول

الكويت النشأة وطبيعة السلطة

١ - نشأة الكويت.

٢ - صلات الكويت بمحيطها.

٣ - صلات الكويت بالدولة العثمانية.

٤ - سلطة آل صباح ونفوذهم في الكويت.

٥ - السلطة في عهد الشيخ محمد آل صباح.

٦ - نفوذ التجار في الكويت.

٧ - الشيخ يوسف آل إبراهيم.

الفصل الأول
الكويت النشأة وطبيعة السلطة

نشأة الكويت

تقع إمارة الكويت في شمال غربي الخليج العربي، بين خطي عرض ٢٨ و٣٠ شمالاً، وخطي طول ٤٦ و٤٨ شرق خط غرينتش[(١)]. وتملك الكويت موقعاً استراتيجياً على الخليج العربي، فميناء الكويت صالح لرسو السفن[(٢)] مما ساعد على انتعاش حركة النقل البحري، وأوجد اهتماماً كبيراً بحرفة الغوص للبحث عن اللؤلؤ، فأدى ذلك لازدهار ميناء الكويت البحري[(٣)]. ومما يميز موقع الكويت هو قربها من شط العرب وارتباطها القريب بنجد، إذ تعد منفذاً تجارياً لنجد وشمال الجزيرة العربية[(٤)]. وبعد هجرة آل صباح[(٥)] ومن

(١) سيف مرزوق الشملان، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥، ١ص٩٩.هـ، ب ديكسون، الكويت وجاراتها، ترجمة فتوح الخترش، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٥، ص١٣. غانم سلطان وآخرون، جغرافية الكويت دراسة في الظروف الطبيعية والسكان، (ط٢)، دار المعرفة بالإسكندرية، ١٩٩٧، ص٢٦. عبد العزيز المنصور، ، الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة، ١٨٩٦ – ١٩١٥ (ط٢)، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٠ ص٢١.

(٢) الشملان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ١ص٩٩. ميمونة الصباح، الكويت حضارة وتاريخ، الناشر المؤلف، الكويت ١٩٨٩، ١ص٢٦٢.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت (د – ت) ٢ص٦٦٧. سلطان، مرجع سابق، ص ٢٠٨ المنصور، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق، ص٢٢. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥، ٧ص٢٣١.

(٤) ارنولد ويلسون، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمه وقدم له عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، (د – ت) ص ٤٠٠، عبدالله السبيعي، الأمن الداخلي في الإحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ – ١٣٣١/ ١٨٧١ – ١٩١٣ (دراسة وثائقية)، مطبعة جمعة الخالد، الرياض ١٤٢٠/ ١٩٩٩ص ١٥٥.

(٥) آل صباح: ينسب آل صباح أنفسهم إلى فخذ الدهامشة من عشيرة العمارات، التي ترجع إلى قبيلة عنزة العريقة، وكان موطنهم الأول الهدار بالأفلاج بنجد، ومنها هاجروا إلى قطر، وهناك تعلموا ركوب البحر. وبعد استقرارهم فترة نزحوا من قطر لخلاف مع حكامها آل مسلم، فاتجهوا نحو الكويت، ولا يجزم مؤرخ بتحديد تاريخ هجرة آل صباح والعتوب إلي الكويت (سيف بن مرزوق الشملان، من تاريخ الكويت، ذات السلاسل الكويت (ط٢) ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ ص١٤، أحمد أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠ – ١٩٦٥ ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٤ ص٢٢. عبد =

جاء معهم من العتوب[(١)] من نجد في أواخر القرن الحادي عشر، وبداية القرن الثاني عشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي تقريباً، استقر هؤلاء في البداية بمنطقة المخراق[(٢)]. ونزح العتوب بعد فترة من الزمن إلى أم قصر[(٣)] أولاً ثم إلى الصبية[(٤)]. وأخيراً اتجهوا إلى القرين[(٥)] "الكويت"[(٦)]، الذي كان ضمن ممتلكات بني خالد[(٧)]، حيث شيد ابن عريعر كوته هناك[(٨)]، ويقع على مرتفع "ربوة" في المنطقة المعروفة

= العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨ ص٣٤. ديكسون مرجع سابق، ص٢٤).

(١) العتوب: مجموعة من الأسر العربية المختلفة النسب، وإن كان أكثرهم من قبيلة عنزة، وتسمى هذه الأسر بني عتبة أو العتبيين أو العتوب، فتلك التسميات ترجع إلى الأصل الثلاثي (عتب)، أي أكثر من الترحال من مكان إلي آخر. (ديكسون، مرجع سابق، ص٢٤. أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٢٢).

(٢) المخراق: تقع على الضفة الغربية من شط العرب بولاية البصرة العثمانية (يعقوب آل إبراهيم، التبيين، رد ورأي علي بيان الكويت، غير منشور ص١٠).

(٣) أم قصر: تقع جنوب العراق على الحدود الكويتية الشمالية، وتعتبر منفذ العراق البحري على رأس الخليج العربي، وهي مرسى للسفن الكبيرة والصغيرة، وسميت بهذا الاسم نسبة لقصر هناك، قيل بناه محمد بن أحمد بن رزق.

(٤) الصبية: تقع على جون الكويت في الجهة الشمالية الشرقية في مقابل الجهة الجنوبية الغربية من جزيرة بوبيان. وسميت بالصبية نسبة لسكناها من قبل الصابئة، وقد أخرجهم العرب منها. واتخذ الشيخ يوسف آل إبراهيم من الصبية منتجعاً له يروح به عن نفسه في بعض فترات فصلي الربيع والصيف، وبنى فيه قصوراً، وغرس بها النخل وبعض الأشجار في زمن الحاكم الخامس للكويت الشيخ عبد الله الصباح ١٢٨٣ – ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ – ١٨٩٢. (الشملان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ١/٢٢١، راشد الفرحان، مختصر، تاريخ الكويت وعلاقاتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، راجعه عبد الله زكريا الأنصاري، دار العروبة، القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠ ص ٢٠؛ مشاهدات الباحث خلال زيارته للكويت).

(٥) القرين: مصطلح متعارف عليه يطلق على الكويت، وكان موجوداً تقريباً على أغلب الخرائط التي رسمها الأوربيون عن الجزيرة العربية (ب – ج سلوت، نشأة الكويت: ترجمة مركز البحوث والدراسات الكويتية، قدم له عبد الله الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٣، ص ١٢٤).

(٦) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٣٦. الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٠٨. يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٢.

(٧) قبيلة بني خالد من أعرق القبائل العربية التي استقرت شرقي الجزيرة العربية، وشكل آل حميد، زعماء بني خالد، إمارة قوية في منطقة الإحساء والقطيف، وأثروا تأثيراً كبيراً في الجزيرة العربية منذ القرن الحادي عشر هجري، الموافق السابع عشر الميلادي (الصباح، مرجع سابق، ١ص ١٢٤).

(٨) كوت ابن عريعر: أول بناء في الكويت شيده عقيل آل حميد، وأتم بناءه أخوه براك آل حميد أمير الإحساء العام ١٠٧٩هـ، وقيل إنه محمد بن لصكة آل حميد، ووضع زعماء بني خالد فيه جماعة من عبيدهم وأتباعهم، وأتخذ مستودعاً للأسلحة لتجهيز قواتهم أثناء غزواتهم الشمالية جنوب =

ببهيته[١]. واستقر العتوب برئاسة آل صباح وآل خليفة[٢] والجلاهمة[٣] قرب الكوت. وفي أثناء استقرار العتوب قرب الكوت انضمت إليهم أسر غير عتبية[٤]. كأسرة آل إبراهيم[٥]. ومن الأسر العتبية، التي استقرت هناك أسر "الزايد، والرومي، والخالد، والسيف، والمعاودة"[٦].

= العراق، (عبد الله الحاتم من هنا بدأ الكويت – ط ٢ – دار القبس، الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ ص١١. عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٣٣. الفرحان، مرجع سابق، ص٤٥).

(١) بهيتة: تقع في قلب الكويت على ساحل الخليج العربي، ويقع بها قصر السيف، وبيوت آل إبراهيم، ومسجد ابن إبراهيم، والسجن القديم، وشُق أول شارع بالكويت عرف باسمها (الحاتم، مرجع سابق، ص١٦٢. الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٠٢؛ مشاهدات الباحث خلال زيارته للكويت).

(٢) آل خليفة من الأسر العتبية التي ترجع إلي قبيلة عنزة، وقد هاجروا مع العتوب من الهدار بالأفلاج من نجد، واستقروا بالكويت فترة من الزمن. ثم هاجروا إلى قطر مع رئيسهم علي بن خليفة. واستقروا بالزبارة، وعملوا في مجال التجارة، وبدأوا يشكلون قوة كبرى هناك، وبعد ذلك استولوا على البحرين، وطردوا حكامها من آل مذكور السنة ١١٩٧هـ (الشملان، المرجع السابق، ص١٢١).

(٣) الجلاهمة: تعتبر أسرة الجلاهمة من أبرز الأسر العتبية، ومن الأوائل الذين مارسوا الحياة التجارية البحرية، وكان جابر بن رحمة رئيس أسرة الجلاهمة أول شخصية من الأسرة يأتي له ذكر في كتب التاريخ، ولما حدث خلاف بين الجلاهمة وآل صباح نزحوا عن الكويت في القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. واتجهوا نحو آل خليفة في الزبارة، وهناك مارسواحياتهم التجارية والسياسية (حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٢ الجزء١ ص ٤٢ – ٤٧).

(٤) يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٧.

(٥) آل إبراهيم: أبناء محمد بن إبراهيم بن ريمان العنقري، هاجر محمد بن إبراهيم بعد مقتل جده ريمان رئيس (ثرمداء)، التي تبعد عن الرياض حالياً ١٥٠كيلو، فاتجه إلى جهة الكويت في حدود ١١٢٠/١٧١٨. وبعد فترة من الزمن استقر مع العتوب في المخراق، ومنها اتجهت جماعته إلى الكويت، وقاموا بوضع اللبنات الأولى للكويت مع بقية قبائل العتوب (إبراهيم بن صالح بن عيسى، بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ)، ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦ ص ٢١٥. عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي، شركة المختلف، الكويت ٢٠٠٠ ص ٣٩٧. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط ٥ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ الجزء ١/١٢٦. أحمد عبد العزيز المزيني، أنساب الأسر والقبائل في الكويت، ط١ ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ ص ٣٣. فاديه الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مقابله مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم، مجلة الرجل، لندن، يناير ٢٠٠٥ العدد ١٤٣ ص٨٣. نجدة فتحي صفوة، الشيخ يوسف آل إبراهيم من أبرز رجالات الكويت، مجلة ثقافة، الدوحة، السبت ١٥/١/١٩٩٧ العدد ٦٦٣٣ ص١٦).

(٦) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٠٩.

لقد اختلف المؤرخون حول تاريخ استقرار العتوب في الكويت[١] رجح مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد أنها ما بين ١١٠٠ – ١١٢٥هـ/١٦٨٨ – ١٧١٣[٢]. وبعد استقرار العتوب في الكويت بدأت الهجرات تأتي إليها، وأخذت بالتوسع، وقد رأى سكانها أنه من الضروري اختيار رجل منهم ينتخبونه أميراً لهم، لحل مشكلاتهم وفض نزاعاتهم، والنظر في أمورهم العامة، فوقع الاختيار على صباح بن جابر (صباح الأول) ت ١١٩٠هـ/١٧٤٣ جد أسرة آل صباح[٣]. ولم تكشف كتب التاريخ هل أن هذا الاختيار كان بين أهل الكويت وصباح فقط أما انه كان مع الاسرة جميعها.

وكان اختيارهم لصباح الأول نتيجة إقامته الدائمة في الكويت، فهو لم يعمل في المجال البحري على عكس أكثر عتوب الكويت، الذين اتخذوا البحر وسيلة لكسب الرزق، ومنه الغوص على اللؤلؤ والتجارة به، فكان هؤلاء يتغيبون لفترات طويلة من جراء ذلك؛ فتم الإجماع لتنصيبه فوافق صباح الأول بعد أن أخذ العهد منهم بالسمع والطاعة للحق واتباع الشورى[٤].. وذكر الشملان أن من أسباب اختيار صباح الأول حاكماً عليهم أنه كان لوالده الزعامة على قبيلته في نجد[٤]. ولم نجد ذلك في كُتب الأنساب. وحيث

(١) أشار مدحت باشا في مذكراته عند زيارته للكويت السنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١: أن آل صباح قدموا قبل خمسمائة عام إلى الكويت، أي بحدود العام ٧٨٨هـ، وهذا الرأي عله بعيد عن الواقع، بينما ذكر مبارك الصباح أن أجداده قدموا إلى الكويت العام ١٠٢٢هـ، ويذكر آخرون أنها السنة التي تعرف بطفي الماء أي ١٠٨٣هـ (يوسف حتاتة، وآخرون، مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٢/ ١٤٢٤هـ. الحاتم، مرجع سابق، ص٩. الشملان، المرجع السابق، ص١١٤).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٣١.

(٣) عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، ط٣ (د – ن) الكويت ١٩٦٠ ص١٤. عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٩٠؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٤٥. الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١١٦.

(٤) الشملان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١١٦.يذكر راشد بن فاضل آل بن علي في كتابه "مجموع الفضائل في النسب وتاريخ القبائل" ص ٦١: أن الشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة كان يُعيّر الصباح حُكام الكويت بحطب العرفج. وكذلك جاء في تاريخ الكويت الحديث لأبي حاكمة، ص ٢٧: "يبدو أنه لم يكن لصباح شهرة كبيرة قبل تسلمه شؤون المدينة، فوالده جابر مثلاً لم يرد له ذكر في الروايات المعاصرة. وكذلك فأن اسم الصباح لم يرد في رحلات الرحالة الأوربيين، على الرغم من أنهم أشاروا إلى الكويت، وأوضحوا أنها تخضع لحكم شيخ عربي".

يذكر حمد الجاسر: "الجميلات من سكان الهدار، يُنسب إليها آل الصباح أمراء الكويت. ولم أقرأ عنها عما طالعته في الكتب سوى أخبار في مؤلفات حديثة"[١]. وهكذا يتضح، من خلال ما سبق، أن اختيار صباح الأول تم بطريقة شورية، هي أقرب إلى نظرية العقد الاجتماعي لواضعها جان جاك روسو عام ١٧٦٢ والتي طبقت في الكويت قبل ذلك بعقد من الزمن (راجع العلاقات الكويتية الفرنسية - يعقوب يوسف الابراهيم - كتاب القبس ٢٠٠٦) مكلفاً بالنظر في شؤون المدينة الصغيرة وسكانها، واستمر حكم أسرة الصباح إلى يومنا هذا[٢].

تبع أكثر العتوب المذهب المالكي[٣]، فكان قاضيهم ومفتيهم وعلماؤهم ومدرسوهم منهم، وبدأت بلدتهم تكبر شيئاً فشيئاً، وهم يديرون مصالحهم في ما بينهم، ولم يعطوا فرصة لأحد بالسيطرة عليهم[٤]. وإن كانوا في ظل حماية بني خالد أصحاب الكوت، الذي شكل نواة مدينة الكويت، فأصبحوا بذلك تحت التبعية العامة لإمارة بني خالد[٥]. وعلى الرغم من تلك العلاقة، إلا أنهم أعطوا العتوب شبه استقلال ذاتي، فلم يمانعوا اختيارهم صباح حاكماً لهم، أو استمرار ورثته في الحكم. ومما يؤكد ذلك ما قام به سعدون بن غرير آل حميد أمير الإحساء من ذهابه للكويت ليعزي في وفاة شيخ الكويت صباح العتبى العام ١١٩٠هـ/١٧٧٦، ويبارك في الوقت نفسه للحاكم الجديد عبد الله بن صباح ١١٩٠ - ١٢٢٩هـ/١٧٧٦ - ١٨١٤[٦].

---

(١) حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأُسر المتحضرة في نجد، ج١ ص ١٢٥.

(٢) العزاوي، مرجع سابق، ٧/٢٣٢. أحمد الشرباصي، أيام الكويت، ط ١، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣ ص ٩.

(٣) محمد بن خليفة النبهاني، التحفه النبهانيه في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ ص١٩٧. الشملان، من تاريخ الكويت، ص ١١٦. يعقوب آل إبراهيم، التبيين، ص٩. وذكر العزاوي أن اهل الكويت على المذهب الشافعي (العزاوي، مرجع سابق ٧/ ٢٣١).

(٤) العزاوي، المرجع السابق ٧/ ٢٣١.

(٥) وليد حمدي الأعظمي، الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢ - ١٩٦٠ مطابع الريس، لندن (د - ت) ص٢٣. محمد حسن العيدروس، تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، دار العيدروس للكتاب، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٢/٢٠٠٢ ص٢٦. الصباح، مرجع سابق، ١/١٢٧. سلوت، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٦) عند اقتراب ابن عريعر من بلدة الكويت خرج له الشيخ عبد الله لاستقباله، وليس معه إلا عدد قليل =

لقد ساعدت هذه العلاقة على نمو الكويت، في ظل أوضاع مستقرة، والتفرغ لمباشرة أعمالهم. فبدأت قوتهم تنمو بعد أن كانوا يشكلون مجتمعاً صغيراً، بفضل حماية بني خالد التي هيأت لهم ظروف تطورهم ونماء بلدتهم. فقد شكل بنو خالد حاجزاً أمنياً للكويت من جهة نجد[١]، وخصوصاً مع ظهور الدولة السعودية الأولى، التي دخلت في الصراع مع بني خالد، خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[٢]. كما قدم عتوب الكويت مساعدات لبني خالد أثناء صراعهم مع الدولة السعودية[٣].غير أن سقوط حكم بني خالد على يد القوات السعودية ١٢٠٨هـ/١٧٩٣ أنهى الحاجز العازل بين الكويت والدولة السعودية، وفي الوقت نفسه انفصل العتوب عن تبعيتهم لبني خالد[٤].فورثوا العداء مع الدولة السعودية نتيجةً لتبعيتهم لبني خالد، كتقديمهم المساعدات لبني خالد أثناء صراعهم مع القوات السعودية، وإيواء اللاجئين من زعماء بني خالد وغيرهم، عند فرارهم من قبضة القوات السعودية[٥]. ومن الأمور التي أزّمت العلاقة بينهما إدراك العتوب للسياسة السعودية القائمة على التوسع على حساب القوى المحيطة بها[٦].

= من الرجال. أراد ابن عريعر تنبيهه إلى خطئه في إهماله استقبال زائريه، فإنه يعد ذلك من عدم التدبير وقصر السياسة، فقبض على شحمة أذن الشيخ عبد الله وهزها هزة قوية دمعت منها عيناه. وفهم الشيخ عبد الله ما أراده وما يعنيه ابن عريعر من فعلته تلك. (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢١٢؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٨).

(١) الصباح، المرجع السابق، ١/ ١٣١. أبو حاكمه، مرجع سابق، ص٦٥.

(٢) حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام، حرره وحققه: ناصر الدين الأسد، ط٣، شركة الصفحات الذهبية الرياض، ١٤٠٣هـ ١/ ١٧٠ ومابعدها. عثمان ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق محمد الشثري، دار الحبيب الرياض ١٤٢٠/ ١٩٩٩ الجزء ١ ص ١٧٩. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث (د – ن) دار الجيل، بيروت ص ٧٠. عبدالله العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، ط ٢ العبيكان، الرياض١٤١٢هـ، ص٦١. أبو حاكمه مرجع سابق، ص٧٠.

(٣) الصباح، المرجع السابق، ١/ ١٣٢.

(٤) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٦٥. الصباح، مرجع سابق، ١/ ١٣٢.

(٥) عبدالله العثيمين، مرجع سابق، ص١٠٠. الصباح، المرجع السابق، ١/ ١٣٢. أبو حاكمه، المرجع السابق، ص ٦٥. عبد الرحمن بن سعود المرشدي، من تاريخ وقصص الآباء والأجداد، تسجيلات الاستقامة، الرياض، المجموعة الثانية، شريط رقم ٧.

(٦) الصباح، مرجع سابق١ص ١٣٢. أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٦٥. المرشدي، مرجع سابق، ش٧.

وهكذا أصبح العتوب في خط المواجهة أمام القوات السعودية، التي بدأت بشن هجومها على بلدة الكويت، ودرءاً لهذه الهجمات قاموا ببناء سور حول الكويت لحمايتها من تلك الغارات(١)، والتي بدأت في العام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤ مع هجوم إبراهيم بن عفيصان(٢) الذي نزل بالشامية(٣)، ثم أغار على الكويت، فحصلت اشتباكات مع سكانها، وتمكن من هزيمتهم ولكنه عاد أثرها إلى نجد(٤). ولم تتوقف الدولة السعودية عن هذه الهجمات والاغارات على الكويت إلا عند قدوم قوات محمد علي باشا والي مصر إلى الحجاز(٥).

علاقات الكويت بمحيطها

العلاقات بآل سعود

كانت علاقة الكويت بالدولة السعودية الأولى يسودها العداء والتوتر، ولكن بعد قدوم قوات محمد علي باشا والي مصر واحتلال الحجاز ونجد ثم القضاء على الدولة السعودية السنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨، عادت منطقة نجد إلى سابق عهدها، تعيش فراغاً سياسياً لم يدم طويلاً، فقد استطاع آل سعود إحياء ملكهم من جديد مع الإمام تركي بن عبد الله(٦)، الذي أعلن قيام إمارته

---

(١) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٢١. محمد حسن العيدروس، تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، دار العيدروس للكتاب، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢ ص ٤١. الحاتم، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) إبراهيم بن سليمان بن عفيصان: أحد قادة الدولة السعودية الأولى تولى أمارة الدلم ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م. ثم تولى أمارة الإحساء عام ١٢١٩هـ/١٨٠٣م. ثم ولي أميراً لعنيزة عام ١٢٢٩هـ/١٨١٣م. (ابن بشر، مصدر سابق، ١/ ١٣٠وما بعدها).

(٣) الشامية: مورد ماء وتكثر فيها الآبار ويعتمد أهالي الكويت على أبارها حتى أمكن تكرير مياه البحر، وتعتبر في الوقت الحاضر أحد أحياء مدينة الكويت (حمد محمد السعيدان، الموسوعة الكويتية المختصرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٢م، ٢/ ٨٤١؛ الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض١٤١٩، هـ/ ١٩٩٩م، ص – ص٣٣ – ٣٤).

(٤) بن غنام، مصدر سابق، ٢/ ١٦٩؛ ابن بشر، مصدر سابق، ١/ ١٣٣.

(٥) قضى محمد علي باشا بطلب من السلطان العثماني على الدولة السعودية، وتمكن ابنه إبراهيم باشا من القبض على الإمام عبد الله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولى بعد استسلامه سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م؛ انظر (ابن بشر، مصدر سابق، ١/ ٢٦٦؛ الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، مصدر سابق، ص٧١ وما بعدها).

(٦) الإمام تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود ١٢٤٠ – ١٢٤٩هـ/ ١٨٢٥ – ١٨٣٣م: من قادة =

السنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠، وعمل على استعادة المُلك بنجد وشرقي الجزيرة العربية، وسار على نهجه خلفه الإمام فيصل بن تركي(١) ١٢٤٦ - ١٢٨٢هـ/ ١٨٣٩ - ١٨٦٥. وكان طموح الإمارة السعودية الثانية أقل بكثير من سابقتها، فاكتفت بالسيطرة على نجد وشرقي الجزيرة العربية(٢). وقد كانت العلاقة بين الدولة السعودية وإمارة الكويت، في عهد الإمام تركي بن عبد الله وابنه الإمام فيصل، ودية(٣).

بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥ تولى ابنه الإمام عبد الله(٤) الحكم ١٢٨٢ - ١٣٠٧هـ/ ١٨٦٥ - ١٨٨٩(٥)، وثار عليه أخوه الإمام سعود(٦)، ودخلا في نزاع على الحكم استمر تسع سنوات ١٢٨٢ -

= الدولة السعودية الأولى وقاوم الحملة المصرية منذ قدومها للجزيرة العربية، وبعد استسلام الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. هرب جنوبي نجد، وبعد قيام محمد بن مشاري بن معمر بتكوين إمارة على أنقاض الدولة السعودية الأولى عمل تركي تحت إدارته. لكن بعد عودة مشاري بن سعود إلى نجد استلم زمام الإمارة من ابن معمر قام الأخير بالقبض على مشاري وأرسله للحملة المصرية بعنيزة وقُتل هناك. ونتيجة لذلك جمع تركي بن عبد الله قوة واتجه إلى الدرعى وقبض على ابن معمر وقتله، وأعلن نفسه حاكماً لنجد، واتخذ من الرياض عاصمة لإمارته، واستطاع أن يوحد نجدًا وشرقي الجزيرة العربية وتم اغتياله بمؤامرة دبرها مشاري بن عبد الرحمن آل سعود منه ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م بعد حكم دام عشر سنوات (انظر ابن بشر، مصدر سابق، ٢/ ١٢وما بعدها؛ الريحاني، تاريخ نجد، مرجع سابق، ص ص ٩٣، ٩٢).

(١) الإمام فيصل بن تركي: بعد وصول خبر مقتل والده عاد إلى الرياض وتمكن من القضاء على مشاري بن عبد الرحمن، في نفس العام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، ومن أبرز ما قام به فيصل بن تركي تعيين عبد الله بن رشيد حاكماً لجبل شمر، وإعطاؤه شبه استقلال ذاتي، وحكم الإمام فيصل على فترتين الأولى ما بين عامي ١٢٤٦ - ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٠ - ١٨٣٩م والثانية بين عامي ١٢٥٩ - ١٢٨٢هـ/ ١٨٤٢ - ١٨٦٥م؛ (ابن بشر، مصدر سابق، ٢/ ٧٣ ومابعدها؛ انظر الريحاني، المصدر السابق، ص ٩٣ وما بعدها).

(٢) الريحاني، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٣) ج.ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، (د.ت)، ٣/ ١٥١٧؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١١٥

(٤) لوريمر، المصدر نفسه ٣/ ١٥١٧؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١١٥.

(٥) الإمام عبد الله بن فيصل: هو الابن الأكبر للإمام فيصل وتولى الحكم بعد والده ودخل منذ البداية في صراع مع أخيه سعود وقد حكم الإمارة طوال تسع سنوات متفاوتة بينه وبين أخيه وتوفى في ربيع الأخر ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م بالرياض؛ (الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ٩٧ وما بعدها).

(٦) سعود بن فيصل بن تركي آل سعود: بعد وفاة والده الإمام فيصل سنة ١٢٨٢هـ ثار على أخيه الإمام عبد الله الفيصل ودخل معه في صراع في معارك عدة من أشهرها معركة المعتلي وجودة، =

١٢٩١هـ/ ١٨٦٥ – ١٨٧٤. تمكن بعدها الإمام سعود بن فيصل من هزيمة أخيه الإمام عبد الله، ودخل الرياض سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠[١]. وذهب الإمام عبد الله إلى جهة جبل شمر، حيث كانت تربطه بالأمير محمد الرشيد صداقة قديمة[٢].

كذلك استنجد الإمام عبد الله بوالي بغداد مدحت باشا[٣]، وطلب منه النصرة ضد أخيه سعود، فوجدها مدحت باشا فرصة لإعادة الاستيلاء على الإحساء من جديد[٤]. فأُرسلت حملة عثمانية للسيطرة على الإحساء والقطيف سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١[٥]. وطلب مدحت باشا من الشيخ عبد الله الصباح المشاركة في الحملة فجهز الأخير قوةً للمشاركة في هذه الحملة[٦]. حاول الإمام سعود ثني الشيخ عبد الله الصباح عن المشاركة في هذه الحملة لكنه فشل، فطلب الإمام سعود من بريطانيا منع الكويت من المشاركة في الحملة العثمانية.

= وأدى ذلك الصراع إلى خروج الإحساء والقطيف من الحكم السعودي وإضعاف الإمارة السعودية وتولى سعود الحكم خلال فترات متفاوتة لكنه توفى وهو على سدة الحكم سنة ١٢٩١هـ، (إبراهيم بن عبيد العبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، مطابع النور الرياض، (د – ت) ١/ ٢١٤؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٢١٤).

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، دفاتر عينات Ayniat رقم ٨٥٩ تاريخ ٢/محرم١٢٨٤هـ، العزاوي، مرجع سابق، ٧/٢٥٧، الريحاني، المصدر السابق، ص ٩٧، محمد بن علي العبيد، النجم اللامع للنوادر جامع، أخبار وإشهار من القرنين الثالث عشر والرابع عشر ص ١٠٩.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول أرادة، مجلس مخصوص، .I.MEC.MAH، رقم ٢٥٥٠/١٦٦٧، بتاريخ ٣/محرم١٢٨٨هـ؛ عبد الله البسام مصدر سابق، ص ٣٧١.

(٣) مدحت باشا ابن القاضي الحاج محمد أشرف بن علي أفندي ولد في الإستانة سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢ من رجال السياسة والإدارة في الدولة العثمانية وكان كثير التنقل في صغره بحكم عمل والده، وتولى مناصب عديدة في الدولة العثمانية وانتهى أمره بسجنه في الطائف وكتب في سجنه مذكراته وتوفى في السجن سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م ويطلق عليه لقب (أبو الأحرار) (حتاتة، مرجع سابق، ص١١؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٧٠ – ٢٧١).

(٤) الأرشيف العثماني، استنبول، أرادة، مجلس مخصوص، I.MEC.MAH، رقم ٢٥٥٠/١٦٦٧، تاريخ ٣محرم١٢٨٨هـ؛ الأرشيف العثماني، استنبول، اوراق الباب العالي B.E.O، رقم ٤٤٠٠٢، تاريخ ٨ ربيع الأول ١٢٨٨هـ؛ عبد الله السبيعي، الحملة العسكرية العثمانية على الإحساء والقطيف، دراسة وثائقية، مطابع الجمعة، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ص ٣٢؛ حتاتة، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٥) انظر حول هذا الموضوع صلات الكويت بالدولة العثمانية، ص٢٩.

(٦) الأرشيف العثماني، استنبول، إرادة داخلية I.DAH رقم ٩٦/ ٤٤، بتاريخ ٣ جمادى ألاول ١٢٨٨هـ؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٩٩

لكن، بريطانيا رأت مشاركة الكويت في تلك الحملة شأناً خاصاً بها، وأنها غير ملزمة بالتدخل بين الدولة العثمانية والكويت بأي شكل من الأشكال[١]. ونظراً لأن الكويت لم تدخل ضمن (نظام المعاهدات المانعة) المعقودة مع أكثر مشيخات الخليج[٢]. وبعد سيطرة الحملة العثمانية على الإحساء والقطيف استمر الصراع بين أبناء فيصل بن تركي، وكانت الغلبة للإمام سعود، فرحل الإمام عبد الله بن فيصل إلى الكويت، وأقام فيها في ضيافة الشيخ عبد الله الصباح، مما أثار غضب الإمام سعود بن فيصل[٣]، الذي جهز قوةً واتجه بها إلى جهة الكويت السنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣، فأغار على أطراف الكويت ووصل إلى الوفرة[٤]. لكنه لم يحقق شيئاً يذكر، فعاد أدراجه إلى نجد[٥].

وفي أثناء تواجد القوة السعودية في الوفرة، جهز الشيخ عبد الله قوة بقيادة أخيه مبارك لصد المهاجمين، إلا أنه في أثناء سير القوة الكويتية وصلت الأخبار بانسحاب المهاجمين، فعاد مبارك إلى الكويت من دون حدوث المواجهة بين الفريقين[٦]. بعدها بدأ الموقف يتغير بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، فأصبحت الكويت هي المنفى للأسرة السعودية، حيث انتقل إليها الإمام عبد

(١) جون. ب.كيلي: ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، (دت) ٢/ ٥٩٠.

(٢) المعاهدات المانعة: عقدت بريطانيا عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م اتفاقيه السلام الشامل مع ثمانية من الشيوخ المحليين في ما يعرف اليوم بالإمارات العربية المتحدة وتعهد الشيوخ "بألا يتخلوا أو يؤجروا أو يرهنوا بأي شكل من الإشكال ولأي سبب من الأسباب قسما من أراضيهم إلا بأذن بريطانيا التي تعهدت في مقابل ذلك بحماية إمارات الخليج ومشيخاته"، وأخذت بعدها تتحكم في شؤون ذلك الساحل وتفرض على مشيخاته اتفاقيات مختلفة تحت حجج متنوعة فهي تتذرع بمحاربة الرقيق مرة وتنظيم صيد اللؤلؤ مرة أخرى والمحافظة على السلام بين القبائل مرة ثالثة وعرفت تلك المعاهدات بالمعاهدات المانعة (خالد محمود السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣م، ص ٢٢ - ٢٣).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٨؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٦٨.

(٤) الوفرة: موقع يبعد٦٠ ميلاً جنوب الكويت وتقطنه قبيلة العوازم، ويكثر فيها أبار المياه. (ديكسون، مصدر سابق، ص٦٨).

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٦؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٣٨.

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٦؛ الشملان، المرجع السابق، ص ١٣٨؛ الفرحان، المرجع السابق، ص ٦٨.

الرحمن آل سعود[١] بأمر من الدولة العثمانية السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢[٢]، التي جعلت الكويت مقراً لأسرة آل سعود، بعد تمكن الأمير محمد بن رشيد من القضاء على الدولة السعودية، وسيطرته على حاضرتها مدينة الرياض عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١[٣].

ب – علاقتها بآل الرشيد

لقد بدأت العلاقات بين الكويت وآل الرشيد واضحة في أواخر عهد الأمير محمد بن رشيد ١٢٨٩ – ١٣١٥هـ/١٨٧٣ – ١٨٩٧[٤]، حيث قام الأخير السنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨بالإغارة على قبيلة العوازم[٥] بالصبيحية[٦] بالقرب من

(١) الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود عرف عنه التدين والاعتدال والشجاعة وهو آخر حكام الدولة السعودية الثانية المنتهية بعد موقعة حريملاء ١٣٠٩هـ (عبد العزيز التو يجري، لسراة الليل هتف الصباح – الملك عبد العزيز دراسة وثائقية – رياض الريس، بيروت " ط١ " أكتوبر ١٩٩٧ ص٣٠؛ ناصر الحميدي، صورة الملك عبد العزيز في كتاب، مجلة الحرس الوطني، الرياض العدد ٢١٥ السنة الحادية والعشرين، صفر ١٤٢١هـ/مايو ٢٠٠٠م، ص٨٤)

(٢) علي عبد الرحمن أبا حسين، برقية شفرية نادرة حول طلب الإمام عبد الرحمن آل سعود الإقامة في الزبير أو الكويت، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد٣٧، رمضان ١٤٢٠)؛ عبد الله بن ناصر السبيعي، التصدي السعودي للحكم العثماني للإحساء والقطيف ١٢٨٨ – ١٣٣١هـ/١٨٧١ – ١٩١٣م "دراسة وثائقية". مطابع الجمعة الإلكترونية، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ص١٣١.

(٣) الأرشيف العثماني يلديز خصوصي .Y.A.HUS رقم ٤٨/٢٥٣بتاريخ ٧ربيع الثاني ١٣٠٩هجري، إبراهيم بن صالح ابن عيسى، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مائة عام علي توحيد المملكة الرياض ١٤١٩/ ١٩٩٩م، ص١١٤؛ عبد الرحمن الناصر، عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد، مخطوطة في مكتبة أرامكو الظهران برقم N AS ٨، ٩٥٣– ورقة ٤٢.

(٤) محمد بن رشيد: هو محمد بن عبد الله آل رشيد آل خليل آل جعفر من عبدة من قبيلة شمر ويسمي محمد المهاد، مات عقيماً، تولى إمارة آل لرشيد بعد قتله لابن أخيه بندر بن طلال واستطاع أن يجعل من أمارة الرشيد أكبر إمارة في الجزيرة العربية بعد قضائه على الدولة السعودية الثانية وكانت مدة إمارته عشرين سنة ومدة ملكه ثماني سنوات لنجد كلها. (العبد المحسن، مرجع سابق، ١/ ٣١٠).

(٥) العوازم: من القبائل التي ضمت مجموعة من الناس ويمتد سكناهم في شمال شرق الجزيرة العربية، ويوجد أكبر تجمع للعوازم بجزيرة العرب في الوقت الحاضر في دولة الكويت. (الجاسر حمد: ، جمهره أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١/١٩٨١م ١/٦٤١؛ محمد عبد الله العبد القادر الحدود الكويتية العراقية دراسة في الجغرافيا السياسية/مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٠م ص١٠٥).

(٦) الصبيحية: هي مورد ماء يقطنه العربان أيام الصيف، وتعتبر الآن منطقة نفطية وتبعد اثنين وثلاثين ميلاً عن الكويت وسميت بهذا الاسم على الأغلب نسبةً لآل صبيح من بني خالد (عبد العزيز =

مدينة الكويت. وعندما علم أهل الكويت بالأمر خرجوا لمواجهته، إلا أنهم عادوا إلى الكويت بعد وصولهم منطقة ملح[(١)] وبلوغهم نبأ ارتحاله عن الصبيحية[(٢)]. ويعتقد يوسف البسام بأن ذلك كان الهجوم الأول على الكويت من قبل إمارة الرشيد[(٣)]. أشار إلى تلك الغارة أحد شعراء ابن الرشيد بقصيدة طويلة شاهدها:

حَّر شلع من قصر حايلٍ مدلي
يارب زين بالمدالي وفوقه
يشلع ويأخذ بالخضرا تعلي
وكل القبايل شبهرت بي سبوقة[(٤)]

ويعتقد أن هذه الغارة كانت رداً على إغارة مجموعة من أهل الكويت على منطقة الأجفر[(٥)] بمنطقة جبل شمر، وكسبوا غنائم من تلك الهجمة[(٦)]. لكن، على الرغم من هذا الاحتكاك فإن العلاقات عموماً كانت جيدة، ويعود ذلك لانشغال ابن الرشيد في حروبه ضد آل سعود في نجد، وقد قدم الشيخ عبد الله الصباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ - ١٨٩٢ المساعدات لابن رشيد في حربه ضد آل سعود[(٧)]. ولعل أبرز المساعدات التي قدمت لابن رشيد هو تسهيل

= الرشيد، مصدر سابق، ص٥٤؛ السعيدان: ، مرجع سابق، ٢/٩٢٦؛ دكسون، مرجع سابق، ص٥٤؛ الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية، مرجع سابق، ص - ص ١٤١ - ١٤٢)

(١) ملح: واحة تقع جنوب الكويت وفيها أبار مياه صالحة للشرب، وتكثر فيها الأشجار، وتعتبر الأن منطقة بترولية. (الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية، مرجع سابق، ص١٦٤؛ السعيدان، مرجع سابق، ٣/١٥٧٣).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٣٩.

(٣) يوسف البسام، الزبير قبل خمسين عاما مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، المطبعة العصرية، الكويت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٢٠١.

(٤) هو ناصر العنبر أحد العبيد المقربين للأمير محمد بن رشيد وله قصائد حماسية يمدح فيها الأمير محمداً (المرشدي، عبد الرحمن بن سعود، من تاريخ وقصص الآباء والأجداد، تسجيلات الاستقامة، الرياض، المجموعة الثانية شريط رقم (٨).

(٥) الأجفر: قرية تقطنها الويبار من عبدة من قبيلة شمر تبعد عن مدينة حائل ٩٠ كيلو متراً شرقاً وهي تقع في منتصف المسافة بين مدينتي حائل وبريدة؛ (حمد الجاسر، ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ/١٩٦٦، ١/٦٣؛ مشاهدات الباحث)

(٦) المرشدي، مرجع سابق، ش٧؛ مقابلة مع الراوية مفلح عماش العنيزان بمنزله بقرية ضبيعة بمنطقة حائل، بتاريخ ١٤/٨/١٤٢٤هـ

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٤٧/٤٩ تاريخ ١٦ رجب ١٣٠٨ هجري، الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. .Y.MTV رقم ٩١/٢٠بتاريخ ١٣شعبان =

شراء الأسلحة وغيرها، عبر ميناء الكويت[١]الذي تعتمد عليه إمارة الرشيد بحريا[٢]، واستمرت العلاقة الجيدة والحسنة، مع ابن الرشيد، في عهد الشيخ محمد الصباح[٣].

بيد أن هذه العلاقة أخذت منحى آخر بعد سيطرة الأمير محمد بن رشيد على نجد، وقضائه على الدولة السعودية الثانية السنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢، فأخذت العلاقة طابع الحذر والريبة من قبل إمارة آل الرشيد، ولعل السبب وراء هذا الموقف هو تزايد قوة إمارة آل الرشيد، بعد سيطرتها على أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية، مما آثار المخاوف منها[٤]. وكانت تسعى من أجل ذلك للسيطرة على منفذ بحري يربطها بالخليج العربي، ولم يكن أمامها سوى الكويت، حيث أنها تتناسب استراتيجيا مع أهدافها السياسية والاقتصادية[٥]. والأمر الآخر هو التطورات السياسية الجديدة، التي رافقت مغادرة الإمام عبد الرحمن وأسرته لنجد، واستقرارهم في الكويت، بموافقة الدولة العثمانية السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢. وعلى هذا فقد اهتم الأمير محمد بن رشيد بشؤون الكويت، وبدأ يركز على الأوضاع والتطورات الجديدة فيها[٦]، وقد تميزت العلاقة بين

= ١٣٠٨هجري، لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٢، السعدون، العلاقة بين نجد والكويت، مرجع سابق، ص٣٩.

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤٧/٤٩ تاريخ ١٦ رجب ١٣٠٨ هجري، الأرشيف العثماني؛ اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV، رقم ٩١/٢٠، تاريخ ١٣شعبان ١٣٠٨هجري؛ مقابلة مع الراوية مفلح عماش العنيزان بمنزله بقرية ضبيعة في منطقة حائل، بتاريخ ٢٦/٨/١٤٢٤هـ.

(٢) ويلسون، مرجع سابق، ص٤٠٣.

(٣) حسين حسني، الأوضاع العامة في نجد (في العهد العثماني) ترجمة سهيل صابان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض رقم ١١٤٠٤٢، ص١٥٧.

(٤) فهد المارك، من شيم العرب مؤسسة الخافقين، دمشق، "ط٤"، ١٩٨٨م ٤/٣٩٣؛ محمد القشعمي، "سليمان بن صالح الدخيل (١٢٩٠ - ١٣٦٤هـ/١٨٧٥ - ١٩٤٤م صحفياً ومفكراً ومؤرخاً " (ط١)النادي الأدبي، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ص ٢٣٢.

(٥) ألويس موزل، تاريخ بيت الرشيد، مجلة العرب، المجلد العاشر (من رجب ١٣٩٥هـ إلى جمادى الآخر ١٣٩٦هـ) ص٥٧٢؛ القشعمي، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٦) العبد المحسن، مرجع سابق، ١/٢٩٦؛ ذكر المارك أن الأمير محمد بن رشيد كان يرسل بعض رجالاته من فترة لأخرى للكويت لمراقبة ومعرفة أحوال آل سعود وأوضاعهم هناك وكان أبرز تلك السفارات، سفارة رجل يدعى علي المجراد، الذي قدم للأمير محمد ابن رشيد تقريراً حول أبناء =

الطرفين بشيء من الود المصحوب بالحذر والحيطة، ففي عهد الشيخ محمد آل صباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩٢ - ١٨٩٦ كان هناك تبادل للسفارات والزيارات عن طريق مبعوثين من قبلهما، يحملون معهم الرسائل الودية، والهدايا المتبادلة بين الطرفين، ويتم استقبال الوفود بكل حفاوة وعناية(١).

علاقتها بإمارة المحمرة(٢)

بعد استقرارهم في الكويت أخذ العتوب بدفع ضريبة مالية لبني كعب في إمارة المحمرة، لكن، تطورات استجدت أدت إلى العداء بين الطرفين، ذلك لما قام عتوب الكويت بمساعدة آل خليفة للسيطرة على جزر البحرين، وطرد حكامها آل مذكور(٣) حلفاء الكعبيين(٤). فردَ الكعبيون بمهاجمة العتوب بالكويت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ووقعت بين الطرفين عدة مواجهات أشهرها موقعة الرقة ١٢٣٠هـ/ ١٧٨٣، التي انتهت بانتصار عتوب الكويت(٥). غير أن هذه العلاقة تغيرت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، فتحولت إلى تعاون وصداقة بين المشيختين، نتيجةً لتغير سياسة عربستان بسبب الأخطار التي حدقت بها في تلك الفترة، أثر الصراع عليها بين

= الإمام عبد الرحمن، وحذر - أي المجراد - الأمير محمد بن رشيد من الأميرعبد العزيز بن عبد الرحمن. (انظر المارك، مرجع سابق، ٤/ ٩٤ وما بعدها)

(١) انظر المارك، مرجع سابق، ٤/٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) المحمرة: عاصمة مشيخة عربستان حتى عام١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥، وقام الكعبيون ببنائها قرب مصب نهر قارون "كارون" في شط العرب وهي من أهم الموانئ التجارية على الخليج العربي وتعرف اليوم بخرم شهر، وأما بالنسبة لعربستان فتقع إلى الجنوب الشرقي من العراق وسكانها كلهم من العرب ويقطنها قبائل بني كعب وأشهر مدن هذا الإقليم المحمرة وعبادان والأحواز وتقع الآن تحت السيطرة الإيرانية (انظر: المنصور، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق، ص٧٦، ٧٣).

(٣) آل مذكور: من قبيلة المطاريش التي جاءت من عمان وكان شيخها نصراً المذكور وحكموا البحرين عام١١٦٧هـ/١٧٥٣م، ودخلوا في حرب مع آل خليفة حول البحرين انتهت بانتصار آل خليفة وطردهم من البحرين، وانتقلوا بعدها أكثرهم إلى مدينة بوشهرعلى الساحل الأيراني. (العيدروس، مرجع سابق، ص٣٢).

(٤) الشملان، المرجع السابق، ص١٢١؛ عبد العزيز محمد المنصور، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٩١٦م، ط٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٥٩.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٧؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٩.

الدولتين العثمانية والإيرانية[١]. ونجد أن الكويت أصبحت ملجأً آمناً لشيوخ عربستان في الملمات والعوادي. على سبيل المثال لا الحصر لجأ الشيخ ثامر الكعبي، شيخ بني كعب، إلى الكويت أثناء سيطرة العثمانيين على المحمرة[٢]، وقامت الكويت بواجب تقديم المساعدة في زمن الشيخ عبد الله بن صباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ - ١٨٩١ لشيخ المحمرة جابر بن مرداو[٣] أثناء نزاعه مع قبيلة النصار[٤]، حيث ساعد ذلك في الانتصار عليها[٥]. وهكذا تحولت الكويت مع عربستان من العداء إلى التعاون والصداقة.

كان وراء هذا التحول عدة أمور، لعل أبرزها: المصالح الاقتصادية المشتركة بينهما، فالمحمرة والكويت تعتمدان بالدرجة الأولى على ما تدره عليهما مزارع النخيل وغيرها، في ولاية البصرة، من أرباحٍ وفيرة[٦]، فأدى ذلك إلى تقاربهما بحكم المصلحة الاقتصادية المشتركة بينهما، وقد كانت بداية العلاقة بين الشيخ مبارك آل صباح والشيخ خزعل بن جابر بن مرداو[٧] تعارفهما أثناء وجودهما في أملاكهما الزراعية بولاية البصرة العثمانية، فتطورت تلك المعرفة إلى آصرة صداقة حميمة بينهما[٨]، وإلى جانب ذلك كان هذا التعاون والصداقة بينهما نتيجة شعور الطرفين بالخطر، الذي تتعرض له التجارة في شمال الخليج، مما يؤثر على مستقبلهما التجاري خاصة، وتعتبر الموارد العائدة من التجارة البحرية من أهم الموارد لأهالي البلدين، وخصوصاً

---

(١) المنصور، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق، ص٨٣؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٠٧.

(٢) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٢.

(٣) جابر بن مرداو: حاكم المحمرة وأمير قبيلة بني كعب (الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٣٤).

(٤) قبيلة النصار: إحدى قبائل بني كعب العربية المستقرة في عربستان وجنوب فارس (ديكسون، مرجع سابق، ص٢٥).

(٥) عبد العزيز الرشيد، المصدرالسابق، ص١٣٧؛ خزعل، المرجع السابق، ١/١٠٨؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٦) الأرشيف العثماني استنبول، يلدز متنوع .Y.MTV رقم٨٣/١٩٧، تاريخ ٨ شعبان ١٣١٧ هجري؛ الأرشيف العثماني، استنبول، يلدز، متفرق، المعروضات والإخباريات .Y.PRK.AZJ رقم ٣٠/٣٧، تاريخ٢٧صفر١٣١٦هـ.

(٧) الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٩؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٠

(٨) الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٩؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٠

الكويت، فتعاونهما يعطي نوعاً من بسط الأمن والاستقرار في مياه شمال الخليج، ويساعد أيضاً على محاربة القرصنة البحرية[١].

العلاقات الكويتية العثمانية

كانت أول مناسبة ربطت العتوب بالدولة العثمانية هي هجرتهم إلى شمال الخليج العربي، واستقرارهم في البداية في منطقة المخراق، ونزوحهم منها بعد فترة من الزمن، وانتقالهم في أماكن عديدة من شمال الخليج. كان آخرها القرين (الكويت) حيث استقروا هناك في كوت ابن عريعر. ومن الطبيعي أن يكونوا موالين للسلطان العثماني على الرغم من أنهم يخضعون بالتبعية والولاء لإمارة بني خالد في الإحساء[٢].

وبعد سقوط إمارة بني خالد على يد الدولة السعودية الاولى ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣ تحرر العتوب من أي سلطة أو تسلط، مما ساعدهم على الاستقلال في التصرف في شؤونهم الداخلية من دون ضغوط خارجية[٣]. فعند حلول القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، مثلاً نجد أن تجار عتوب الكويت يحملون علماً خاصاً بهم، يرفعونه في أسفارهم وتجارتهم[٤]، بينما كان بعضهم كان يرفع العلم العثماني فوق سفنه[٥]، ولعل ذلك يرجع إلى تصور بعضهم بالولاء للدولة العثمانية كممثلة للمسلمين، وربما ليعطي التاجر نوعاً من الحماية والأمان خلال تنقلاته. إلى جانب ذلك، هناك من التجار العتبيين مَنْ يرفعون الأعلام الأجنبية كالهولندية والبريطانية فوق سفنهم، حتى يتمتعوا

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٢) سلوت، مرجع سابق، ص ١١٨؛ ويلسون، مرجع سابق، ص ٤٠٠؛ الاعظمي، مرجع سابق، ص ٢٣؛ الصباح، مرجع سابق، ١/ ١٢٧.

(٣) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١١٩؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥١٤؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣١.

(٤) العزاوي، المرجع نفسه ٧/ ٢٣١؛ حتاته، مرجع سابق، ص ٢٣٩؛ جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر... (١٨٤٠ - ١٩١٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧/ ١٩٩٧، ص ٣٠٥.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٠٩؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٢٨؛ سليمان حسن محمود، الكويت ماضيها وحاضرها، المكتبة الأهلية، الكويت، (د.ت ص١٩٨.

بالامتيازات الممنوحة للرعايا البريطانيين والأجانب عند ولاة بغداد[١]، ودفعاً لما يواجهونه من معاملة غير طيبة في موانئ الهند[٢].

أما بالنسبة لحاكم الكويت الشيخ جابر بن عبد الله آل صباح ١٢٢٧ – ١٢٧٦هـ/ ١٨١٢ – ١٨٥٩ فقد كان يميل إلى الدولة العثمانية، وذلك بحكم طبيعة المكان وقربه جغرافياً من الدولة العثمانية أولاً، وللرابطة الدينية ثانياً، فالمسلمون وخاصةً السُنَّة منهم كانوا موالين للسلطان العثماني، خليفة المسلمين. ويتضح ذلك من خلال موقف الشيخ جابر من محاولات بريطانيا التقرب منه، بعد إدراكها لأهمية الكويت في القرن الثالث عشر الهجري/نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، بعد أن كانت مهمشةً لها لوقت قريب، فلم تكن تشكل لديها أية أهمية تذكر مقارنةً بمشيخات الخليج الأخرى. تبدل الوضع تبعاً لمؤشر المصالح البريطانية الجديدة بتغير الأوضاع في المنطقة[٣].

قامت الحكومة البريطانية بالهند بإرسال وفد إلى الكويت في ٣٠ اكتوبر عام ١٨٣٩/ ١٢٥٥هـ ليتباحث مع شيخها، تحت ستار إنشاء خط بريدي صحراوي بين الكويت والبحر الأبيض المتوسط. ولكن الهدف الحقيقي هو استقصاء التواجد المصري في الكويت وكان على رأس الوفد الملازم ت. إدموندز T.Edmunds معاون المقيم السياسي البريطاني في بوشهر الكابتن صمويل هنيل S.Hennell[٤]. لكن الوفد فشل في تحقيق أي مباحثات، نتيجة لموقف الشيخ جابر وطريقة استقباله له، التي أوحت بأنهم ضيوف غير مرغوب فيهم[٥].

---

(١) حتاته، مرجع سابق، ص ٢٣٩؛ قاسم، مرجع سابق، ص ٣٠٥، العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣١.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥١٩.

(٣) منذر الموصلي، الأسرة.. الدولة.. دور الكويت وآل صباح في الخليج العربي، رياض الريس، لبنان ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٩٥؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص١١٣؛ ويلسون، مرجع سابق، ص٤٠٤.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥١٤).

(٥) عند وصول السفينة البريطانية الحربية أطلقت مدافعها بالتحية لشيخ الكويت، ولم يرد عليهم التحية، ولم يسمح لأحد من أتباعه بالتوجه نحو السفينة، وبعد إرسالهم له رسالة مكتوبة، رد عليها شفوياً، وتجاهل الوفد مدة ثلاثة أيام، وهم على ظهر السفينة، حتى أرسل إدموندز من يخبره أنه يريد مقابلته، فسمح له باللقاء، وعند دخول الوفد مقر جابر كان المكان مكتظاً بالحاضرين، ووقف فقط عند اقترابهم منه ولم يرفع من فمه الغليون الذي كان يدخنه، ورفض أي تعاون مع بريطانيا. (لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٥١٤).

من المرجح، أن هناك سبباً وراء تصرف الشيخ جابر مع وفد كان يمثل الإمبراطورية البريطانية العظمى في عز ظروفها! فلعل نغمة تغير الأوضاع السياسية في المنطقة جعلته يقدم على مثل هذا التصرف، فهو يدرك تماماً أن أي تعاون مع بريطانيا يعني مغاضبة الدولة العثمانية، التي أصبحت مسيطرة فعلياً على أكثر أجزاء الجزيرة العربية بفضل قوات محمد علي باشا، القادرة على ضرب أي قوة في الجزيرة العربية. فهو رجل الدولة العثمانية، ويدها الضاربة. لاي معارضة لها، مثلما حصل بالدولة السعودية الأولى. فأدرك الشيخ جابر أن أي محاولة تقارب مع بريطانيا هي بمثابة التحدي للدولة العثمانية المجاورة له، وذلك يعني معادته والقضاء عليه[١].خاصة تواجد الملازم عبدو محمد رفعت الملقب بمحمد افندي مأمور مشتريات الميرة للجيش المصري في الاحساء، المقيم في الكويت منذ عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٨ تقريباً[٢]. وكان الهدف الظاهري لمهمته هو شراء الإمدادات اللازمة للحملة المصرية الموجودة بالإحساء والقطيف. أما هدفه الحقيقي فهو القيام بدراسة المنطقة لفهمها وجمع المعلومات لقائد الحملة المصرية خورشيد باشا والذي استطاع تجنيد عناصر تمده بالمعلومات وقد اتضح ذلك في رسائله الى محمد علي باشا في مصر في ٢٧ مارس ١٨٣٧ ذكر فيه تعاون عبدالله الفداغ وكذلك رسالة مؤرخه ٢٨ أغسطس ١٨٣٩ ورد فيها اسم حمد بن جسار الذي كان يزوده بالمعلومات، تمهيداً للخطة المصرية بانتزاع العراق من الدولة العثمانية. وكان الشيخ جابر الصباح يعمل بكل ما في وسعه لإرضائه، وتذليل الصعاب أمامه[٣]. إضافة لما سبق فإن الشيخ جابر يدرك أن مصالح بلده مرتبطة بالدرجة الأولى بالبصرة، فجميع ما يلزمها يتم إحضاره منها، لقربها وتوفر جميع متطلبات بلده فيها[٤]. علاوة إلى املاكه من بساتين النخيل فيها والتي تشكل دخلا لا يستهان به.

---

(١) لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٥١٥.

(٢) لوريمر، المصدر نفسه ٣/١٥١٣. دار الوثائق المصرية أوراق قصر عابدين رقم الملف ٧/٢٦٧ تاريخ ١٦ يونيو ١٨٣.

(٣) لوريمر، المصدر نفسه، ٣/١٥١٣ – ١٥١٤.

(٤) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١١٩.

لكل ما تقدم من أسباب رفع الشيخ جابر العلم العثماني فوق أرض الكويت السنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٥، فقدمت له الدولة العثمانية ممثلة بوالي بغداد محمد نجيب باشا[(١)] منحه عبارة عن مئة كاره[(٢)] من التمر سنوياً، ثمن رفضه التعاون مع البريطانيين، وولائه للسلطان العثماني[(٣)].

بعد وفاة الشيخ جابر وفي عهد أبنه الشيخ صباح حدث نزاع حول ملكية بساتين النخيل في الصوفيه مع افراد من عائلة الزهير الزبيرية، فأتجه الطرفان إلى المحاكم في البصرة السنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦، فحكمت لصالح آل زهير[(٤)]. مما دعا الشيخ عبد الله بن صباح ممثل والده، شيخ الكويت، استأنف الحكم ورفع شكواه إلى والي بغداد نامق باشا ١٢٧٨ - ١٢٨٤هـ/١٨٦١ - ١٨٦٧[(٥)] الذي أصدر أمراً نقض فيه الحكم الصادر من محاكم البصرة، وأبقى البساتين لآل صباح[(٦)]. فجاء قرار نامق باشا هذا، تعديا على سلطة القضاء، واختراقاً لمبدأ استقلاليتة[(٧)]، وقد علل عبد العزيز الرشيد موقف الوالي

(١) محمد نجيب باشا: والي بغداد ما بين عامي١٢٥٨ - ١٢٦٥هـ/١٨٤٢ - ١٨٥٠م تقلد مناصب عديدة بالدولة العثمانية فكان قبل ولاية بغداد والياً بالشام وقام بإصلاحات عديدة في بغداد وهناك موقع مسمى باسمه بالأعظمية إلى يومنا هذا، وتوفى بعد عزله عن الولاية بعامين أي سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٢م (انظر العزاوي، مرجع سابق، ٧/٥٨ - ٨٤).

(٢) الكاره تساوي واحداً ونصف طن، والطن يساوي عشرين منْ، والمنْ يساوي ٨٤ كيلو (يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص١١

(٣) الأرشيف العثماني، اسطانبول، داخلية قلم مكتوب .DH.MKT. كانون الثاني ١٣١٥، وفي ترقيم دار أعلاة عبد العزيز ٢/٧/٣٦؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١١٩.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٠؛ خالد السعدون، ، أحداث في تاريخ الخليج العربي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠١م ص ٩٨.

(٥) نامق باشا: من أهل قونية وجاء إلى اسطنبول وهو صغير السن ولد سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م وترقى في المناصب العسكرية بسرعة حتى نال في شهر شعبان ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م منصب المشيرية لفيلق العراق والحجاز، ثم عين في أوائل سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥٣م والياً لبغداد وبقي فيها إلى ٢٩ شوال ١٢٦٩هـ حيث عين لمشيريه المدفعية العامرة في اسطنبول وفي ربيع الأول سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م عاد والياً للمرة الثانية لبغداد وعزل عن منصبه سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م ولقب بشيخ الوزراء وعرف بنامق باشا الكبير وكان يتقن العربية والفرنسية والإنكليزية وتوفي سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م؛ (انظر العزاوي، مرجع سابق، ٧/٨٩ - ٩٠ - ١٥٤).

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٣٠؛ لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٥١٩؛ السعدون، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٧) السعدون، مرجع سابق، ص ٩٩.

بأنه محاولة لاستمالة عبد الله بن جابر، وإقناعه بقبول لقب قائمقام(١)، ولكن الأخير اعتذر لأن السلطة بيد والده المخول الوحيد بالبت في مثل هذه الأمور(٢).

ولم تتوقف مساعي والي بغداد المذكور عند محاولته السابقة، حيث اثير الموضوع مرة أخرى ابان حكم الشيخ عبدالله بن صباح من أجل إقامة إدارة عثمانية في الكويت، لتكون قائمقامية ملحقة بولاية البصرة، وإنشاء ثكنة عسكرية فيها(٣). فتم ابلاغ الشيخ بذلك والذي بدوره قام بعرض الامر على أعيان الكويت فرفضوا الرضوخ بما يحدد من استقلالهم ويخضعهم لدفع رسوم وضرائب باهظة لم يعتادوا عليها، فتجار الكويت هم الذين يحددون الرسوم التي يدفعونها، ولم يستطع حكام الكويت، إلى عهد الشيخ مبارك، رفع الرسوم عليهم، وهو ما جرى عليه العرف ومبدأ التراضي ضد أي إجراء مالي لا يناسبهم(٤).

وحسب راوية محمد بن صالح آل إبراهيم، أنه بعد وصول خبر مخطط والي بغداد، بشأن مستقبل الكويت، جمع الشيخ عبد الله آل صباح ١٢٨٣ – ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ – ١٨٩١ الأعيان للإستشارة، فرأوا تأجيل البت في الأمر حتى يعود الشيخ عبد الله بن عيسى آل إبراهيم(٥) من موسم الحج للأخذ

---

(١) قائمقام: كانت الدولة العثمانية مقسمه في القرن التاسع عشر الميلادي إلى وحدات إدارية سميت بالولايات وتنقسم الولاية إلى سناجق (الويه)، والألوية إلى أقضيه، والأقضيه إلى نواح وكان على رأس كل ولاية والي، وكل لواء متصرف، وكل قضاء قائمقام، وكل ناحية مدير ناحية، (إبراهيم أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ – ١٩١٦ – مطابع جامعة الموصل، الموصل ١٤٠٣/١٩٨٣ ص٦٩).

(٢) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٣) حتاتة، مرجع سابق، ص٢٣٨؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣٠؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص٢٣؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣؛ عبد العزيز الرشيد، ، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٥) عبد الله بن عيسى بن محمد آل إبراهيم: والد الشيخ يوسف آل إبراهيم، من أعيان الكويت وكبار تجارها، وعرف عنه أنه صاحب مشورة ورأي؛ (الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مرجع سابق، ص٨٧). توفى في مكة في جمادي الآخر ١٢٩٢هـ ١٨ جولاي ١٨٧٠. تناولت جريد "التايمس" اللندنية، وبعض الصحف الفرنسية موضوع لقاء الكولونيل بيلي مع أبوعيسو من رجال الكويت البارزين، والمقصود هو عبد الله بن عيسى آل إبراهيم العام ١٨٦٤. وقد نوقش التقرير الذي أعده بيلي من قبل حكومة الهند، وظهر في المراسلات السرية. قال: "عند اجتماعي مع أبوعيسو ABU ESAW الذي نقل لي بأنه مخول من قِبل شيخ الكويت وأعيانها، بأن يفتح ميناء ومدينة =

بمشورته. وعند عودته اقترح عليهم كتابة رسالة للسلطان العثماني عبد العزيز خان ١٢٧٧ - ١٢٩٢هـ/ ١٨٦١ - ١٨٧٦. فحواها: أن أهل الكويت يريدون الإذن من السلطان بالرحيل عن أرضهم، لعدم رغبتهم بوجود ثكنة عسكرية فيها، فغض السلطان العثماني الطرف عن مخطط والي بغداد نامق باشا(١). هذه الرواية الموروثه تطابق التقرير الذي اعده جونسون في ٥ يناير ١٨٦٧جاء فيه: "إن الكويتيين غير مرتاحين، بل قلقين من نوايا العثمانيين للتدخل في إدارة شؤونهم الداخلية، وأن متسلم البصرة سليمان باشا طلب من الشيخ عبد الله الصباح أن يشرح ما ذكرته الصحف الأوروبية عن العرض المقدم لبريطانيا. وقد تم لقاء غير عادي، بيني (جونستون) وسالم البدر، وكيل آل الصباح في البصرة وعبد الله بن عيسى بن إبراهيم، أحد أعيان الكويت البارزين لمناقشة مستقبل الكويت. وقد وضعت ثلاثة تصورات: ١ - أن يسمح للعثمانيين السيطرة، على أن تعطل فعالية الاقتصاد الكويتي بالكامل، لتصبح البصرة هي المركز، فتكون الكويت آنذاك لا تُشكل فائدة للعثمانيين فيتركونها. ٢ - أن يسمح للعثمانيين الدخول، ونقل نشاط الكويت إلى عبدان. وبالتالي انتقال السكان تدريجياً، حتى تصبح البلاد خاوية. ٣ - مغادرة الكويت كلياً. اقترح جونسون أن يُدعى نامق باشا إلى البصرة لاستلام مهام إدارة الكويت. كان هذا العمل لجس نبض الحكومة البريطانية، ومدى تعاونها. وقد أرسل كمبول رسالة في ٢٣ يناير ١٨٦٧ إلى وزارة الخارجية في كلكتا بهذ الخصوص(٢). وامام هذا الاصرار غض نامق باشا النظر عن خطته.

= الكويت حرة للتجارة. ويرفع العلم البريطاني. فأجبته بأني لم أفكر في هذا الأمر، ولم يُطلب مني ذلك. علماً بأن إدارة الكويت هي الأكفئ والأغناء في الخليج. وهي ميناء مهم لتصدير الخيّل، وموقع يمكن أن تختاره بواخرنا في يوم ما، عوضاً عن ميناء البصرة النهري" نيودلهي، مراسلان خارجية، أغسطس ١٨٦٦، رقم çÇÁNEW DELHI NA1 FOREIGN CONSULTATLON AUGUST 1866 NO: 55.

(١) الأرشيف العثماني، استطنبول، مجلس الوكلاء .BB/36 M.V بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ، مقابلة مع الراوية، محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله في الفنطاس بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مرجع سابق، ٨٧. كتب المعتمد السياسي البريطاني في تركيا العربية - بغداد، في نهاية نوفمبر ١٨٦٦ بأن شيخ الكويت تلقى مطالبات نامق باشا بفتح مركز كمرك في الكويت.

(٢) NEW DELHI ANI FOREIGN POLITICAL (A) MARCH 1867, NO 30-31 وقد ذكر أبو حاكمة في تاريخ الكويت، ص ٢٢١ بالمعنى نفسه.

وهكذا استمرت الأوضاع على ما هي عليه حتى تعيين مدحت باشا والياً لبغداد ١٢٨٧ – ١٢٩٢هـ/ ١٨٦٩ – ١٨٧٤. وقد عمل مدحت باشا على تنظيم العلاقة بشكل يضمن سيادة العثمانيين على الكويت، وظهر ذلك سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠، حيث أصدر فرماناً يقضي بإعلان الكويت قضاءً عثمانياً. ونص الفرمان على جعل الكويت قائمقامية تابعة للبصرة، بموجبه يحمل الشيخ عبد الله آل صباح لقب قائمقام، ويستقل بتنظيم شؤونه الداخلية دون تدخل عثماني. وتضمن الفرمان أيضاً رفع العلم العثماني على السفن الكويتية، وإلغاء الأعلام الأجنبية مقابل الإعفاء من الضرائب، وإعفاء المقاطعات الزراعية لشيخ الكويت في ولاية البصرة من الضرائب، وصرف راتب سنوي له يتسلمه من خزينة البصرة[١]. وقد تركت أكثر الوظائف الرسمية كما كانت عليه، كالقضاء والافتاء، لكن باعتراف رسمي من قبل الجهات العثمانية[٢]. وبالأجمال مُنحت الكويت حكماً ذاتياً[٣]. وبطبيعة الحال، عارضت بريطانيا هذا الأمر في البداية، لرفضها وجود مثل تلك العلاقة في المنطقة، لكنها لم تجد في النهاية بُداً من الاعتراف بالأمر الواقع، حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري/ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي[٤].

آثر قرار السلطان العثماني عبد العزيز بإرسال حملة عسكرية، للسيطرة على الإحساء والقطيف ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١، فطلب مدحت باشا والي بغداد من شيخ الكويت الشيخ عبد الله ١٢٨٣ – ١٣٠٩هـ/ ١٨٦٦ – ١٨٩١ المشاركة في الحملة، فجهز الأخير قوة عسكرية للمشاركة في هذه الحملة[٥]. وبعد مرور

---

(١) حتاتة، مرجع سابق، ص٢٣٩؛ الشملان، من تاريخ الكويت مرجع سابق، ص١٣٦؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٠٦؛ مصطفى النجار، التاريخ السياسي لعلاقة العراق بالخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، البصرة ١٩٧٤م ص٦٧؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٢) العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣١؛ حتاته، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٣) حتاتة، المرجع السابق، ص٢٣٩؛ السبيعي، الأمن الداخلي، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ حتاته، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٤) كورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ص١٤٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص٣٠٦؛ منسي، عبد الله، المواجهة العثمانية البريطانية في الخليج العربي ١٨٦٩ – ١٩١٤م (د ن) (د ت)١٩٩٤ ص ٣٩.

(٥) الأرشيف العثماني، استنبول، إرادة داخلية I.DAH، رقم ١٦٦٧، تاريخ ٣ محرم ١٢٨٨؛ السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص٣٨.

الحملة العثمانية بقيادة نافذ باشا[١] بالكويت، انطلقت منها براً وبحراً إلى الإحساء[٢]، وشاركت بقوتين برية وبحرية، وكان على رأس القوة البحرية الشيخ عبد الله، وعلى رأس القوة البرية الشيخ مبارك الصباح[٣]. وقدر هربرت Harbert[٤] في العام ١٢٨٨هـ/٢٨ أبريل ١٨٧١ حجم المشاركة الكويتية في الحملة بثمانين سفينة.

جاء تقرير الكولونيل لويس بيلي إلى سكرتير الحكومة ببومبي (رقم ٤١٦/ ١٠٤ تاريخ ٢٢ أبريل ١٨٧١) كالآتي: تكونت لجنة بالبصرة لاستئجار سفن أهلية لنقل ٥٠٠ بغل إلى القطيف، من خليل أفندي وسالم بن بدر، وذلك ١٢٨٧ أبريل ١٨٧١. ووصلت الحملة العثمانية إلى الكويت في ربيع الأول ١٢٨٨هـ، واستقبلت استقبالاً حاراً، ومن ثم تحركت براً وبحراً، فوصلت طلائع الحملة البحرية، وهي أربع سفن كويتية، وثمان عثمانية، ورست في رأس تنورة، وكان من أوائل الواصلين من الكويتين هو حمد بن ضويان ومجموعته.

وبعد نجاح الحملة العثمانية على الإحساء كان للشيخ عبد الله بن صباح

---

(١) نافذ باشا: قائد الحملة العسكرية على الإحساء وعين متصرفاً على نجد (الإحساء) في ٢١ شوال ١٢٨٨/ ١٨٧٢هـ وبقي فيها أقل من سنة وعزل وعين في عام ١٣٠٥/ ١٨٨٧م على ولاية البصرة وكان مشيراً للجيش العثماني (سهيل صابان، ، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ص٢٢٢).

(٢) الأرشيف العثماني، استنبول، إرادة داخلية I.DAH رقم ٩٦/ ٤٤ تاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ، كورشون، العثمانيون وآل سعود، مرجع سابق، ص١٦٨؛ السبيعي، الحملة العسكرية...، مرجع سابق، ص٨١.

(٣) الأرشيف العثماني استنبول، اوراق الباب العالي B.E.O رقم٤٤/ ١٩٦، بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ؛ كورشون، المرجع نفسه ص١٦٨؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٣؛ فيصل الكندري والحملة العثمانية على الإحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ من خلال الوثائق العثمانية، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت ٢٠٠٣ ص٥٢. "تواصلت استعدادات العثمانيين لتسيير الحملة العسكرية بدءً بإرسال طاقم بحري من بغداد لاحضار سفينة عسكرية، كما عهد مدحت باشا في ١٢٨٧هـ أبريل ١٨٧١ إلى لجنة مكونة من خليل أفندي، وسالم بن بدر القناعي باستئجار سفن أهلية لنقل حوالى ٥٠٠ بغل من البصرة إلى القطيف" (تقرير لويس بيلي إلى سكرتير الحكومة السياسي بومباي، رقم ٤١٦/ ١٠٤ في ٢٢ أبريل ١٨٧١.

(٤) هربرت: العقيد س هربرت هو المعتمد السياسي البريطاني العام، في بغداد من ١٤جمادى أول ١٢٨٥هـ إلى ١٢ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ١سبتمبر ١٨٦٨م إلى ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤م (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٧/ ٣٧٣٩).

دور في إقناع شيخ قطر الشيخ محمد بن ثاني[١] بالدخول تحت التبعية العثمانية، فوافق على ذلك بعد أن شجعه ابنه قاسم[٢]، وقد كان محرضاً لوالده من أجل الاستقلال عن البحرين، وذلك بقبول الحماية العثمانية ورفع العلم العثماني[٣]، وبوجود حامية عثمانية بأرض قطر اتخذت من قلعة آل مسلم[٤] مركزاً لها سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١[٥]. وفي ٢٨ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ وبناءً على اقتراح مدحت باشا، صدرت إرادة سُنيَّة بتكريم الشيخ عبد الله آل صباح برتبة أصطبل عامره مدير لكي بايه سي[٦]، كذلك مُنح أخواه محمداً ومباركاً آل صباح نيشاناً مجيدياً، مقابل ما قدموه من خدمات في الحملة على الإحساء[٧].

---

(١) محمد آل ثاني من بني تميم استطاع أن يسيطر على السلطة في قطر بعد أن تمكن ومعه أهالي قطر من إخراج نائب آل خليفة من قطر وهزيمته في معركة الوكرة سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، وتدخلت بريطانيا لفض النزاع بين قطر والبحرين بأن تدفع الأولى جزية سنوية للبحرين ووقع الطرفان على هذه الاتفاقية سنة ١٢٨١هـ/ ١٦٨٤م (الكندري، مرجع سابق، ص٧٢؛ سيف الشملان، الغوص على اللؤلؤ في قطر، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية الدوحة مارس ١٩٧٦، ٢/ ٥٥٧، القشعمي، مرجع سابق، ص٣٠٧).

(٢) قاسم "جاسم" آل ثاني: ١٢١٦ - ١٣٣١هـ/ ١٨٠٠ - ١٩١٣م عاش مائة وخمس عشرة سنة، وكان حكيماً وشجاعاً وكريماً، وهو مؤسس إمارة قطر، كان إذا سار في موكب يركب معه ستون فارساً من ذريته، وكان من أكبر تجار اللؤلؤ في الخليج فقد كان يملك خمساً وعشرين سفينة للغوص. (انظر الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ص ١١٣ و١١٤). وألتجأ إليه الإمام عبد الرحمن الفيصل وعائلته، بعد خروجهم من الرياض، وقبل إقامتهم في الكويت.

(٣) السبيعي، الحملة العسكرية...، مرجع سابق، ص٦٧ - ١٧١.

(٤) قلعة آل مسلم: آل مسلم من قبيلة بني خالد وكان آل مسلم متنفذين؛ في قطر وقاموا ببناء قلعة الدوحة التي كانت تعرف سابقاً بقلعة آل مسلم (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق، ٤/ ١٦٢٤).

(٥) كور شون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص٢٦؛ صلاح العقاد، حملة مدحت في شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م وصداها في منطقة الخليج، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ٢١ - ٢٨ مارس ١٩٧٦، ٢/ ٩٣١، المنصور، التطور السياسي، مرجع سابق، ص١٦٢؛ يذكر الكندري أن جاسماً آل ثاني استطاع أن يقنع والده بالموافقة على هذه التبعية من أجل الاستقلالية التامة عن البحرين (الكندري، مرجع سابق، ص٧٢).

(٦) اصطبل عامره مدير لكي بايه سي: هي رتبة عسكرية وإدارية رفيعة تمنح لمن يقدم خدمات متميزة للدولة العثمانية (السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص ١٩٥).

(٧) الأرشيف العثماني، استنبول، اوراق الباب العالي B.E.O، رقم ٤٤٢٣٠، بتاريخ ٢٨جمادى الأولى ١٢٨٨هـ؛ السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص ٨٣. مذكرة مدحت باشا إلى الصدر الأعظم عالي باشا ٤ جمادي أول ١٢٨٨هـ "تكريم شيخ الكويت وشقيقه محمد الصباح لِما قاما به من =

بعد وفاة الشيخ عبد الله آل صباح تولى الحكم أخوه الشيخ محمد الصباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/ ١٨٩١ - ١٨٩٦، استمرت العلاقة الجيدة مع الدولة العثمانية، حيث منحت الشيخ محمد لقب قائمقام كسلفه(١).ولم يتردد الشيخ محمد من المشاركة في الحملة العثمانية على قطر السنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢، وكانت بقيادة محمد حافظ باشا والي البصرة(٢). كان هدف الحملة ردع الشيخ جاسم آل ثاني، فاشتركت الكويت بإرسال حملة برية بقيادة الشيخ مبارك الصباح بطلب من أخيه الشيخ محمد الصباح. قامت خطة الشيخ محمد الصباح على إبداء الطاعة للدولة العثمانية بتحرك القوة الكويتية، لكن ببطء بما يحول دون اشتراكها الفعلي في ملاقاة القوة القطرية(٣). عسكرت القوة في سلوى(٤) إلى أن جاءتها الأخبار بهزيمة القوات العثمانية، فعادت أدراجها إلي الكويت(٥). ويبدو أن جذور العداء بين قطر والكويت تعود إلى اشتراك الكويت في هذه الحملة، على الرغم من أنها لم تسفر عن أي تصادم مباشر بين الطرفين.

وهكذا تتضح العلاقة الوثيقة مع الدولة العثمانية، وخاصة في عهد الشيخين عبد الله ومحمد الصباح، فعلى الرغم من قرب الكويت الجغرافي من

= جهود ووضعهما أنفسهما في خدمة الحملة العسكرية العثمانية بسفنهما، التي زادت عن مئة سفينة".

(١) الأرشيف العثماني: إرادة مادية I.MA. ٥/ ٢٤٠ بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ؛ النجار، مرجع سابق، ص٧٠.

(٢) محمد حافظ باشا: عمل والياً علي البصرة وكان على خلاف مع الشيخ جاسم آل ثاني وعمل على إقناع السلطان العثماني بالقضاء عليه وفعلاً أخذ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بآرائه، وقرر القضاء على الشيخ جاسم آل ثاني وقام بتكليف محمد حافظ باشا بقيادة الحملة على قطر، لكنه أقيل من منصبه لفشله في هذه المهمة، (صابان، مرجع سابق، ص ١٧٧).

(٣) المنصور، التطور السياسي، مرجع سابق، ص١٦٢؛ محمد عرابي نخلة، تاريخ الإحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣ ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص٢٠٢.

(٤) سلوى: تقع شرق المملكة العربية السعودية وهي منفذ المملكة العربية السعودية لدولة قطر حالياً، حيث تبعد عن الهفوف مائة وخمسين كيلو متراً، وعن الدوحة مائة كيلو متر. (حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية والمنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٠/ ١٩٨٠ ٢/ ٨٦٢.. مشاهدات الباحث).

(٥) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥١؛ زكرياكورشون، العثمانيون في قطر، ترجمة محمد موسى القريني، مراجعة: عبد اللطيف الحميدان، غير منشور، ص١٠٧.

العراق العثماني، اكتفت الدولة العثمانية بتبعية الكويت اسمياً ولم تعمل لوضع حاميات لها داخل الكويت، مثل ما فعلت بالإحساء وقطر على ساحل الخليج العربي. مما أعطى شيوخ الكويت شبه استقلال ذاتي في إدارة شؤونهم الداخلية، من دون تكليف الدولة العثمانية أعباء مالية. علماً أن هذه السياسة كانت متبعة منذ القدم مع المشيخات العربية والكردية، في أعطاء شيوخها الحرية في تدبير شؤونهم وفق أعرافهم، متحملين تكاليف الدفاع عن مناطقهم، بما يحصلون عليه من ضرائب داخلية لكنهم يعفون بالوقت نفسه من دفع الرسوم للدولة.

ولعل ذلك يعود إلى قناعة مدحت باشا الشخصية في مسألة الكويت، بوضعها تحت الحماية العثمانية على الطريقة البريطانية في عقد معاهدات الحماية مع مشايخ الخليج. حيث يذكر في مذكراته: "ومن عوائد الإنجليز التقرب من أمراء العرب واستمالتهم، وترك بلادهم على حالها، وحمايتهم باسم الإنسانية لحفظ وطنهم من الغارات وأتباع البلاد بعد تدريب أهلها على الخضوع للعلم الإنجليزي... جرى الإنجليز على هذا النحو في بلاد مسقط وعمان... وجزيرة البحرين، ووضعوا كل هذه البلاد تحت حمايتهم بهذه الطريقة... وكان مشايخ تلك القبائل يديرون بلادهم كما شاءوا وشاءت أهواؤهم، ولكن القول الفصل في الأمور الهامة فيها للإنجليز، ولا عجب من هذا وذاك أن القتل والإغارة والنهب والسلب وتطاحن القبائل انقطع ولم يبق للشقاق أثر"[١].

نفوذ آل صباح

لم تكن سلطة الحاكم في الكويت منذ نشأتها سلطة مطلقة، مثلما كانت سلطة شيوخ العرب في تلك الآونة من تاريخ شبه جزيرة العرب. كان شيخ الكويت يستشير قومه في كل ما يخص بلدته، لا سيما أن الأمير اختير من لدن الأسر العتبية عن طريق التشاور بين أعيانها[٢]. كُلف بالنظر في شؤون المدينة الصغيرة وسكانها، وذلك لأن العتوب عموماً أتوا منذ نزولهم الكويت تجاراً

(١) حتاته، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ١٦؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٩٠؛ الشملان، تاريخ الغوص...، مرجع سابق، ١/ ٢٦٠؛ بيتز لينهاردت، سلطة الشيوخ في الخليج لعربي، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة ١٩٨٠ ص١٢؛ .

يستقرون فترة، وبحارة يجوبون بسفنهم فترة أخرى في مناطق الخليج، ويرتاد أكثرهم بسفنهم سواحل الهند وشرق أفريقيا[١].

وعلى العموم، كان الحكم شورياً قبلياً أو ديمقراطياً إن جاز التعبير في جانبه التنفيذي[٢]، حيث كان شيخ الكويت، قبل عهد مبارك بن صباح ١٣١٣ - ١٣٣٤هـ/١٨٩٦ - ١٩١٦، لا يقدم على أمر مهم قبل أن يستشير أعيان الكويت، الذين يستشيرون الجماعات التابعة لهم، لأجل تكوين رأي موحد في كل ما يهم أمور مدينتهم[٣]. أكد هذا مدحت باشا في مذكراته مشيراً إلى أن النظام في الكويت أقرب إلى الجمهورية (REPUBLIC)، وكان يقصد فترة حكم عبد الله بن صباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ - ١٨٩١، وما قبله[٤].

هذه الشورى - كما يبدو - لم يكتب لها الاستمرار، حيث بدأت تدب فيها عوامل الضعف في عهد الشيخ مبارك آل صباح، لاستيلائه على الحكم بطريقة مغايرة لما كان متعارفاً عليه منذ تأسيس الكويت. أخذت نواة السلطة المطلقة تنمو حتى أصبحت سمة سائدة في العقد الثاني من حكمه، فقبض على زمام السلطة بيد من حديد، حتى تراجعت الشورى من الحياة السياسية في الكويت[٥]. وأياً كان نوع الحكم في الكويت، أو مستوى سلطة الحاكم فيها، فإنه يبرز اسم آل الصباح مرتبطاً بتلك السلطة منذ اختيارهم لتمثيل الكويتيين، وتولي شؤون المدينة، وما يزال أفرادها يتحملون عبء مسئولية إدارة دفة الحكم وتوجيهها في أمارة الكويت إلى يومنا هذا.

ومن المعروف أن سلطة الحاكم تتمثل في إدارة الحكم محلياً بما يضمن

---

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ١٤؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٩٠؛ الفرحان مرجع سابق، ص٤٥؛ حتاته، مرجع سابق، ص٢٣٩؛ الحاتم، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٠؛ العيدروس، تاريخ الكويت، مرجع ص٩٠؛ لينهارت، مرجع سابق، ص١٢.

(٣) القناعي، المصدر نفسه ص ١٦؛ الريحاني، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ٦٥٦/٢

(٤) حتاته، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٥) القناعي، المصدر نفسه ص ١٦؛ الريحاني، المصدر السابق، ٦٥٦/٢ - ٦٥٧؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩١.

الحفاظ على النظام، والعمل على وحدة وتماسك الوطن وخدمة شعبه والدفاع عن بلاده، وخارجياً في بناء علاقات حسن الجوار متوازنة مع الكيانات المجاورة من ناحية، وإقامة العلاقات على النطاق الخارجي من ناحية أخرى، بما يحقق المصالح العليا للبلد ففي هذين الجانبين نلاحظ نشاط حكام الكويت والتزامهم بإتباع سياسة موحدة - تقريباً - سواء في علاقاتهم الداخلية أو علاقاتهم الخارجية(١).

أما عن سياسة الكويت الداخلية، فنجدها تتمثل في مبدأ الأخذ بالشورى، التي استمرت منذ صباح الأول وسار عليها خلفه حتى الحاكم السابع، الشيخ مبارك الصباح فجعلها مطلقة، بعد أن كانت سلطة حاكم الكويت قبله محدودة النطاق، مما أفسح المجال لبعض الزعماء الكويتيين من غير آل الصباح لاكتساب صلاحيات تبرز من خلالها سلطتهم التي تفوق أحياناً سلطة الحاكم نفسه، وكان أغلب هؤلاء من التجار(٢). قال مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد حول هذه النقطة: "إنه ليس له (أي الحاكم) الرفض ولا الخيار بعد أن يقر رأيهم على أمر. لأن السلطة الحقيقية لهم (أي التجار)، وإنما يعطى اسم الرئاسة عليهم تفضلاً، بل لقد يذهب الأمر إلى أبعد من هذا المدى وهو عجزه عن أخذ الحق من بعضهم" (٣).

لم يكن في بداية حكم آل صباح دخلاً ثابتاً للخزينة بالكويت، فقد كان يعتمد على ما يقدمه التجار من مساعدات (رسوم عينية) غير إلزامية، فكان التجار يدفعون مبالغ سنوية طواعيةً كمخصصات للحاكم، ويقدمون للشيخ قرضا عند الحاجة(٤). مثلاً: في العام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠ فرضت رسوم جمركية

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٩٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص ١٤؛ لينهاردت، مرجع سابق، ص١١؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ١٤؛ الشملان، المرجع السابق، ص ١٧

(٣) من الأمثلة على ضعف السلطة أن رجل استدان سلعة وامتنع عن الوفاء بعد حلول الأجل، فاشتكى صاحب السلعة غريمه إلى الشيخ عبد الله آل صباح ١١٩٠ - ١٢٢٩هـ فصارحه الشيخ على عدم قدرته على إكراهه، وقال له الرأي أن تذهب إلى زوجة غريمك وتخبرها أنه علق طلاقها على عدم وفائه. (عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص٩٠ - ٩١)

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٥؛ الشملان، من تاريخ الكوت، مرجع سابق، ص ١١٧.

على البضائع الواردة بقيمة ١٪[١]. وارتفعت الرسوم الجمركية العام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١ إلى ٢٪ في عهد الشيخ جابر بن عبد الله الصباح ١٢٢٩ – ١٢٧٦هـ/ ١٨١٣ – ١٨٥٩[٢]. ووصلت في عهد أبنه صباح – ١٢٧٦ – ١٢٨٣هـ/ ١٨٥٩ – ١٨٦٦ – عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥ إلى ٣٪[٣]، وفي عهد الشيخ مبارك ارتفعت الرسوم الجمركية إلى ٥ ٪ في بداية عهده ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦[٤]. وإلى جانب هذه الرسوم المخفضة كانت هناك المساعدات السنوية، التي يقدمها التجار طواعيةً، والتي كانت تصل إلى ٢٠ ألف روبية سنوياً، كما ذكر لوريمر[٥] لتسيير شؤون ومتطلبات الحكم.

إن ذلك الدخل وتلك المساعدات لم تكن تسد احتياجات ومتطلبات الحاكم، فيذكر القناعي " أن المالية لم تسد حاجات الأمراء الضرورية ولهذا يستقرضون من الأهالي... "[٦].

وقد حدث تغير في عهد الشيخ جابر بن عبد الله، بعد امتلاكه بساتين النخيل في البصرة، وكان أولها الواقع بمنطقة الفاو[٧]، التي أهداها له الشيخ

---

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر نفسه ٣/١٥٠٨.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥١٠؛ الشملان، المرجع نفسه ص ١١٧؛ الصباح، مرجع سابق، ص٢٧٩؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها...، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) المنصور، المرجع نفسه ص ٦٦؛ الصباح، المرجع نفسه ص ٢٧٩

(٤) المنصور، المرجع نفسه ص ٦٦؛ الصباح، المرجع نفسه ص ٢٧٩

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥١٦

(٦) القناعي، مصدر سابق، ص٣٥

(٧) بساتين الفاو: تقع جنوب البصرة وهو آخر العمران من جهة شط العرب ويسكنها قبيلة الدواسر وسموها تيمناً بمدينة الفاو بوادي الدواسر وتنحصر الزراعة فيها على النخيل وبها في عهد مبارك بحدود ١٠,٠٠٠ نخلة ويمتلك الصباح كل أراضي الفاو الزراعية. (إبراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، مكتبة مدبولي، القاهرة، "ط ٢" ١٩٩٩، ص ١٨١، لوريمر دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق، ٢/٦٩٢ – ٦٩٨). جاء في مجلة "لغة العرب" لصاحبها الأب انستاس الكرملي (ص ١٩٧ أكتوبر ١٩٩١١ الجزء الرابع): "خط في بال الدولة (العثمانية) بيع مقاطعة الدواسر في جوار البصرة إلى بيت الإبراهيم من أغنياء الهند. والظاهر أنها عدلت الآن عن نيتها لما رأت من وراء الأكمة مارأت. وموقع الدواسر جليل الخطر، لأنه محاذٍ لجزيرة عبادان، وقريب من الكويت، ولأن المسافة بينمهما قرابة ١٢ ساعة، ولا فاصل بينهما سوى خور عبادان". وهذا يدحض ما جاء على لسان البعض من أن الشيخ يوسف الإبراهيم كان من المقربين للعثمانيين.

راشد السعدون[١] ثم البساتين الواقعة بالصوفية التي أهداها له سليمان الزهير[٢] وقد أدت هذه البساتين إلى تحسين دخل الأسرة الحاكمة. فأصبح الدخل يعتمد بجانب الرسوم على إنتاج بساتين النخيل في الفاو، والصوفية[٣].

بدأ آل الصباح يعملون على تقوية نفوذهم، وتعزيز سلطتهم في الكويت عن طريق كسب بعض العائلات والشخصيات القوية في المنطقة، فقد تزوج الشيخ صباح بن جابر من ابنة الشيخ محمد الثاقب شيخ الزبير[٤]. وأول مصاهرة لآل الصباح مع عوائل كويتية كانت مع عائلة آل إبراهيم[٥] والنصف[٦]. وكذلك صاهروا بعض القبائل ذات السطوة بالمنطقة مثل قبيلة العجمان[٧]. وهكذا عمل آل الصباح على تقوية نفوذهم بالمصاهرة مع العائلات الكويتية، ومع عوائل وقبائل من خارج الكويت.

---

(١) الشيخ راشد بن ثامر السعدون شيخ المنتفق: وقع في خلاف مع سلطات الدولة العثمانية بالعراق فلجأ إلى الكويت واستقبله الشيخ جابر استقبالاً كريماً فأهداه الفاو رداً لجميله معه. (عبد العزيز الرشيد، ، مصدر سابق، ص ١٢٠؛ الحيدري، مصدر سابق، ص٨٧.

(٢) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٠٥، السعدون، أحداث في تاريخ الخليج، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣) ستانلي هوب، الهارب إلى الله (قصة الحاج عبد الله وليا مسن) تقديم: رضوان مولوي، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٤٤

(٤) محمد إبراهيم الثاقب: شيخ الزبير، تولى مشيختها بعد والده ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م لكنه دخل في صراع مع بعض عوائل الزبير، مما جعله غير مستقر بمشيخة الزبير حيث تولاها ثلاث مرات واستقر في الكويت فترة وقتل وهو شيخ للزبير ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م وزوج صباح ابنته نورة التي أنجبت أبناءه "محمد وجراح ومبارك" (الصانع، مرجع سابق، ١/ ٧٩ خزعل، مرجع سابق، ١/ ٩٥ – ٩٦؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص٤٩

(٥) تزوج علي بن جابر آل صباح شيخة بنت علي بن محمد آل إبراهيم (مقابله مع – محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت في ١٠/٦/١٤٢٣هـ، الزعبي، عائلة ال إبراهيم الكويتية مرجع سابق، ص٨٢
(Rush Alan, Al Sabah History Genealogy Of Kuwait's Ruling Family 1752-1987, Ithaca Press, London - 1987, p246.

(٦) تزوج دعيج بن جابر آل صباح مريم بنت بدر النصف (آل إبراهيم المرجع السابق، ص ١٩)

(٧) تزوج مبارك آل صباح من ابنة سعيدان بن حثلين العجمي؛
AL Ghanim Salwa, The Reign of Mubarak Al Sabah Sheikh of Kuwait, 1896-1915, I.B.Tauris Publishers', London. New York,,p13

عهد محمد آل صباح[١]

في أثناء البحث عن جذور الخلاف بين أبناء الشيخ صباح بن جابر، محمد ومبارك وجراح، لمحنا اختلافاً واضحاً في الجوانب الشخصية والميول والاتجاهات لكلٍ منهم، حيث مثلت دوافعاً لجذور الخلاف بينهم لا يمكن أن تؤول في نهايتها إلا للصراع حول السلطة. ومما ساعد على ظهور ملامح الخلاف الحقيقي تلك الصفات التي اتسم بها كل من الأخوة الأشقاء الثلاثة محمد ومبارك وجراح. وبداية سنقوم بعرض وتحليل الصفات الشخصية لكل طرف من أطراف هذا الخلاف، ليسهل علينا بعد الوقوف عند استعدادات كل طرف، وإمكانياته الذاتية في خوض غمار الصراع حول السلطة.

مثَّل الشيخ محمد بن صباح ١٣٠٩ – ١٣١٣هـ/١٨٩٢ – ١٨٩٦، الذي ولد عام ١٨٤٠م وهو أكبر الأشقاء، محوراً رئيساً في هذا الخلاف، ففي عهده تأصلت جذوره. قال عنه القناعي: "لا أكون مبالغاً إذا قلت إن محمداً الصباح هو الرجل الوحيد في زمنه المتصف بالعفة والنزاهة"[٢]. وأثنى آخرون بالقول: كان رقيق الطباع عفيفاً، وقوراً ميالاً إلى الهدوء[٣]. أما ما وصفه بعض المؤرخين ممن لم يفرقوا بين الظن والشك واليقين ودون أن يحققوا في المقصود لكشف مطامير التاريخ: "كحاكم افتقر إلى مقومات القيادة والحنكة السياسية خلال فترة حكمه". هي خديعة اجترح سيئها نفر ممن كتب كلام غير مسؤل وهو ما سوف ندحضه ونميط اللثام عن دوافعه. وفي المأثور الشريف: "من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيراً أو ليصمت، وخير القول من يدفع بغي ويبدد جهلاً جاثماً". لكنه كان كثير الصمت قليل الكلام، متديناً يحب العلماء ومجالستهم، محباً للخير رقيق القلب سليم الصدر، محباً لقومه أشتهر بدماثة خلقه

(١) تولى الشيخ محمد بن الصباح الثاني مقاليد الحكم في الكويت العام ١٨٩٢، وكان لين الجانب، رقيق الطباع، أشرك في الحكم أخاه جراح. وكانت الكويت في عهده مزدهرة في ميدان السياسة والاقتصاد. لُقب بأسد الجزيرة لقوة شخصيته، وحمكته السياسية، وأنه حافظ على الكويت من الأخطار المحلية والخارجية، التي كانت تهددها (كتاب تاريخ الكويت يوم بيوم ١٦٥٠ – ٢٠٠٦، ص٢٥ اعداد د. صالح محمد العجيري، د. محمد محمد أحمد عيسوي، عبد العزيز بدر محمد بوهندي).

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ١٣٧؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣

ونزاهته[١].غير ميال لكسب الشهرة، قنوعاً لا يطمح إلى تحقيق أكثر مما هو بين يديه[٢].وكون صفة "الضعف في الادارة والنقص في الخبرة في الحكم الخ... من التخريجات أموراً غير صحيحه كما نوهنا لها.

لكن، من المؤسف حقاً أن يكون ماكتبه ديكسون في "عرب الصحراء" والصادر ١٩٤٩، ثم لحقه بطبعات عدة: ١٩٥١، ١٩٥٩، ١٩٦٧، ١٩٧٢، ثم طبعة مزيدة ساهم فيها ابنته زهرة فريث وروبرت ويلسون، أحد موظفي الخارجية البريطانية، هو المرجع المرتكز عليه في معظم ما كُتب وما حدث في ليلة ١٧ مايو ١٨٩٦، وهو اغتيال حاكم الكويت السادس الشيخ محمد بن صباح بن جابر، وشقيقه الأصغر جراح بيد شقيقهما الأوسط مبارك. والذي اعتبره ديكسون عملاً وطنياً، وحسب رأيه ألا تنزلق الكويت إلى المجهول نتيجة ضعف الشيخ محمد (١٨٩٢ – ١٨٩٦)، حينما نعته باطلاً جارحاً بالقول: "خامل Lazy"، وبلا شخصية Spineless. ونعت شقيقه الشيخ جراح: بالعاجز، والكسولSlothful، والبائس Helpless. وبأنهما كانا تحت هيمنة العراقي اللا أخلاقي، حسب قوله، يوسف بن إبراهيم شيخ الدورة، وقال عنه: إنه عميل عثماني مأجور، طامح بحكم الكويت! (كذا).

ومن المعلوم أن ديكسون الذي كان يتمتع بوضع وظيفي فريد في النصف الأول من القرن العشرين. حيث كان معتمداً سياسياً في الكويت لبريطانيا (١٩٢٩ – ١٩٣٦)، ثم عاد معتمداً العام ١٩٤١، ثم ترك الخدمة، بعد فترة قصيرة جداً، لأسباب مازالت غامضة. وبعدها تبناه الشيخ أحمد الجابر، حاكم الكويت العاشر، فأصبح من المقربين لديه، ثم عمل في شركة نفط الكويت، متمتعاً بمزايا غير معهودة لا يحيط بها موظف بريطاني متقاعد، حتى مات

---

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٥؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ١٣٧؛ مقبل بن عبد العزيز الذكير، مخطوطة العقود الدرية في تاريخ نجد وآل سعود، مكتبة جامعة بغداد رقم ٥٧٠، ص٩٩؛ الشملان، من تاريخ الكويت، المرجع السابق، ص ١٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١٤٨/١؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٢٦٣

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٨؛ الذكير، مصدر سابق، ص٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١٥٣/١؛ راشد بن فاضل البنعلي، مجموعة الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل، تحقيق حسن آل ثاني، الدوحة، قطر ٢٠٠١م ص ١٤٥؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٩؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ Rush, Al Sabah, op, cit, p119

١٩٥٩. فظلت أرملته بعده تحت الرعاية نفسها حتى الغزو العراقي للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، وموتها بعد ذلك بعد أن أخليت لبريطانيا.

لقد اندلق اللوم والاتهام والاساءة كما يصب الزيت على النار، والا فكيف يكون الحكم على المرحلة هذه بمثل تلك الأراجيف، وهي فترة قريبه عايشها الكثيرون ولم يصدر عن ثقاتهم ما يؤكد هذه النعوت، فكيف يحق لمن لم يكن قد عاشها إطلاقاً إصدار مثل هذه الأفتراءات. لقد تولى الشيخ محمد الحكم بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الله بن صباح في ٢٤ شوال ١٣٠٩هـ/٢٢ مايو ١٨٩٢، وقُتل في ٢٥ ذي القعدة ١٣١٣هـ/٨مايو ١٨٩٦، أي أن فترة حكمه لم تكمل أعوام أربعه. على خلاف خمسة ممن سبقه من الحكام وكان مجموع مدة حكمهم ١٣٦ عاماً، بمعدل ٣٤ سنة لكل حاكم. فكيف يحق لديكسون أو غيره الحكم عليه، وتقييمه هذا التقييم المجحف، عن فترة حكم غاية في القصر وغير مؤهلة للتقييم، لقد جعلت الأمم المتقدمة حاليًا فترات الحكم على أن لا تقل عن خمسة أعوام للحكم عليها، فما بالك عن زمن كانت وسيلة النقل فيه الإبل والسفن الشراعية، ببقعة صغيرة في ركن قصي من العالم تعيش البساطة بكل تجلياتها، ولا تقلق مضاجعها سوى الكوارث الطبيعية، بلدة حالمة لا تعرف العنف ولا تأويه، حيث، ومنذ تأسيسها، لايدخلها حامل سلاح، ولم يحدث مايُعكر صفوها قط إلاهذا الحدث الجلل. وينسب الى الكولونيل لويس بيلي، المقيم السياسي في بوشهر، والذي زار الكويت لمرتين: ١٨٦٣، ١٨٦٥: "وفي المساء يُقدم الشيخ العشاء لكل مَن يدخل مجلسه، والأمر الوحيد الممنوع هناك هو حمل السلاح، لذلك تُترك الأسلحة عند بوابة الكويت، ولا تتجاوزها إلى داخل المدينة".

وهنا لابد لنا من وقفة رصد أمام تسلسل أحداث فترة حكم الشيخ محمد وما قبلها، هي شواهد تفند ما ذهب إليه رواة الكذب والافتراء:

- ساهم في إدارة الإمارة مع أخيه الأكبر الشيخ عبد الله بن صباح، وقضى على فتنة تسببها أحد التابعين للشيخ عبد الله، بعد أن تردد الأخير في حسمها، كما سنرى لاحقاً.
- ساهم في الحملة العسكرية إلى الإحساء، ومنح نيشان المجيدي مقابل خدماته في الحملة، أسوة بشقيقه مبارك، وذلك في ٢٨ جمادي أول ١٢٨٨هـ/ ١٠ يونيو ١٨٧١م (راجع الإرشيف العثماني، وثيقة رقم

١٠٤٤٢٣٠). "راجع السبيعي، الحملة العسكرية التركية على الاحساء والقطيف وقطر."

- توسط في إصلاح ذات البين العام ١٢٨٠هـ في خلاف نشب بين شيخ البحرين محمد آل خليفة وشقيقه علي، وقد نجح بالمهمة. راجع تاريخ الكويت للرشيد.
- ساعد مادياً مواطنيه خارج الكويت، حينما تعرض التاجر الكويتي سالم بن بدر القناعي لأزمة مالية في البصرة في عهد الشيخ عبدالله الثاني. راجع من هنا بدأت الكويت، الحاتم.
- من الغريب أن من كتب عن هذه الحقبة لم يلاحظ أمراً هاماً هو أن الحكم منذ تأسيس الكويت كان وراثياً ينتقل من الاب الى الابن.ولكن الحالة الفريدة في انتقال الحكم من أخ الى أخيه هي حالة الشيخ محمد في عام ١٨٩٢م على الرغم من وجود أبناء بالغين للشيخ عبدالله بن صباح. وهذا يدل على اتفاق الجميع بأحقية الشيخ محمد لتولي الحكم. لتصبح سابقة تكررت عام ١٩١٧م بعد أكثر من عقدين بإنتقال الحكم بوفاة الشيخ جابر ابن مبارك الى اخيه الشيخ سالم بن مبارك.
- لم يحدث خلال توليه الحكم مايثبت ضعفه، ولم تُثار شكوى من تصرفاته، حيث مارس الحكم مثل سابقيه في المشاورة والشورى. وقد حزن الجميع عليه حينما قُتل، وهذا ماأجمع عليه المؤرخين من معاصريه مثل القناعي والرشيد. وقبلهم الشاعر عبدالله الفرج الذي مدحه وعتب على أخيه الحاكم آنذاك الشيخ عبدالله بقصيدة طويله منها:

اقول ما شاب المشفي سؤاله   لا والذي نزل تبارك والانفال

عينت لولا من لقيت بجواله   نخري محمد بوعلي زاكي الخال

- لم يُبعد شقيقه الشيخ مبارك إلى البادية، بل كانت إدارة البادية توافق ميول مبارك، مثلما إدارة الأمور المالية كانت توافق شقيقه الأصغر جراح.
- لم يذكر الشيخ مبارك في رسائله وأحاديثه لاحقاً أن شقيقه محمد الحاكم، آنذاك، كان ضعيفاً، أو أنه لايصلح لإدارة شؤون البلاد، ولم نعثر في سعينا على أي وثيقة تثبت ما ذهب إليه ديكسون ومن تقفى خطاه.
- استقبل في بداية عهده الإمام عبد الرحمن الفيصل السعود وأبنائه وأسرته للإقامة في الكويت العام ١٨٩١، والتي اختارها الأخير بدلاً من بقية بلدان

الخليج الأخرى، وشخصية بوزن الامام عبدالرحمن لا تلجأ الى بلد متأزم، وهل يُستجار من الرمضاء بالنار؟

- لم تفرض في عهده الضرائب، ولا نشبت الحروب، أو مورس ظلم أو وجه عسراً في المعاش ولا ما عكر صفو الحياة، ليجلب النقمه. وحادثة إغتياله في فراشه لا تدل على عدم شعبية وسخط الناس عليه فلم يدر بخلده ما يجعله يحيط نفسه بحراسة فقد عدل ونام.
- أما صلته بالشيخ يوسف الإبراهيم فهي صلة نسب، وعلاقة راسخة، ولم تأت من فراغ، ولم يكن الشيخ يوسف طارئاً على الكويت بل كان من الأُصلاء فيها، وصاحب وجاهة كبقية أعيان البلاد، ومكانته الأُسرية محفوظة من عهد آبائه وأجداده. وحسب القناعي: "من أثرى البيوت في الكويت، وحصل له من العز والإقبال"، ولم يقل من الظلم والاستبداد. فلا الإمارة هاجسه، أو الحكم ملهمه، ولا الخيانة صفته أو ديدنه. وقد اعترف الشيخ مبارك نفسه بهذه الحقيقة في أحد رسائله عندما قال: "إننا حمولة واحدة. وأفضال أبوه وجده على جابر وصباح". إلا أنه، خلافاً للود الذي كان له مع الشيخين القتيلين، كانت له جفوة مع الشيخ مبارك، تحولت إلى فجوة، وقد حاول أن يكون جزءاً من الحل لا جزءاً من المشكلة، لذا ابتعد عن ذلك الجو المكفهر، الذي فيه الحقيقة مضللة والعقل معطل عن معرفة الحق. فلا صحه في كتب اللؤم والاتهام والاساءة.

تلك كانت أبرز صفات الشيخ محمد الصباح وخصاله الذاتية، التي أثرت في فترة حكمه القصير.

أما شقيق محمد الشيخ جراح، الذي نعته باطلاً ديكسون بالعاجز والكسول، فقد عُرف عنه أنه صاحب دراية في شؤون الاقتصاد والمال، وعقليته في هذا المجال كانت متطورة قياساً بمستوى ذلك الزمان. فهو أول مَن نظم الإشراف على ميزانية الإمارة، وعمل على زيادة الدخل. ويعود له الفضل في الاهتمام بأملاك آل الصباح في الفاو، حيث زاد الريع زيادة مطردة. وشيد أسواق للحم، والسمك، وقد ساعدت إيجارات الدكاكين في تعزيز وتنويع مصادر الدخل (راجع تاريخ الكويت، ص١٣٩). ومما يدل على بعد نظره أنه استقدم معلماً متخصصاً في الحساب التجاري إلى الكويت، لتعليم الشباب وإعدادهم في

هذا المجال، (راجع عبدالله النوري، تاريخ التعليم في الكويت). وحصيلة القول كان "الشيخ جراح رجلاً محباً للمال حريصاً على جمعه، وشديد الحذر من التفريط به، ولا يلهوه عن الانصراف إلى تنميته أي سبب مهما تعالى أو سما، ولا يحول عن هذا المبدأ بأي حال من الأحوال" (تاريخ الكويت السياسي، ص ١٥٣). وقد قال القناعي في الأشقاء الثلاث، في زمن الشيخ عبد الله: "محمد يباشر الأحكام للحضر ويشاركه مبارك في ذلك، ويختص بأغلب الأحكام في بدو الكويت. أما جراح فأغلب عمله في المالية، فهو وزيرها ومباشرته للأحكام قليلة. وقبل جراح لم يكن لبيت الإمارة مالية تُذكر. فالدخل ضعيف جداً، ولا يسد حاجة الأمراء بل ربما أحوج الأمر للاقتراض من الأهالي، ولكن جراحاً التفت إلى الفاو (بساتين نخيل) وعَمره، وأخذ يؤدي الحاجة، ويزيد، وقد بنى عدد من الدكاكين سنة ١٣١٢، ومنها سوق اللحم والسمك، فصار الدخل ينمو، ويُدخر الفاضل منه" (صفحات من تاريخ الكويت، ص ٢٤).

لقد ولد الشيخ جراح بن صباح عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨، وعرف عنه شدة الذكاء والبساطة في المعيشة، والقدرة على التخطيط والتنظيم[١]. وأظهر ميلاً إلى إدارة الأموال، وحرص حرصاً شديداً على جمعها، وعدم التفريط فيها، فكان لا يشغله شاغل عن تنمية المال وإدارته مهما علا وسما[٢]. ولقدراته الاقتصادية والمالية أوكل له أخوه الشيخ عبد الله ١٢٨٣ – ١٣٠٩هـ/١٨٦٥ – ١٨٩٢ الشؤون المالية في الإمارة[٣]. وفي عهد خلفه الشيخ محمد ١٣٠٩ – ١٣١٣هـ/ ١٨٩٢ – ١٨٩٦ بقي في منصبه لإدراكه ميول أخيه، الذي أصبح واسع الخبرة شامل المعرفة بالإدارة المالية[٤]، فتنوع معه الدخل لمالية العائلة الحاكمة، وذلك بتطور شؤون المالية معه[٥]. أحب جراح التعليم، وخصوصاً في ما يتعلق بإدارة

---

(١) جمال قاسم، مرجع سابق، ص٣٠٩، المنصور، " الشيخ يوسف آل إبراهيم وعشر سنوات...، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٦٥٨/٢؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١٥٣/١؛ المنصور، عبد العزيز، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق، ص ٤١؛ السعدون، العلاقات... مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٤) القناعي، المصدر نفسه ص ٢٤؛ الشملان، المرجع نفسه ص ١٣٩؛ Rush, Al-Sabah, Op, Cir, P119.

(٥) القناعي، المصدر نفسه ص ٢٣؛ الشملان، المرجع نفسه ص ١٣٩.

الأموال[١]. ومع باعه المالي كان يفتقد للحنكة والقيادة السياسية والعسكرية، وكان مسالماً يميل إلى الدعة والسكون، ولم يكن لديه ميل للحروب وكسب الشهرة[٢]، بقدر ما كان حريصاً على جمع المال إلى درجة التقتير[٣].

عموما، ان مثل هذه الاعمال والانجازات والصفات لا تدل على ان الشيخين الشقيقين محمد وجراح مثلما نعتهما ديكسون من الضعف والخمول والكسل ! لكن، كما قال أمين الريحاني: "ومما يؤسف له في مثل هذا الحال ان لا يكون للمندوب السامي، ولا السلطان ترجمان يحسن الترجمة فأنجليزية الدكتور عبدالله (الدملوجي) مثل عربية الميجر ديكسون لا تصلح الأمم". (تاريخ نجد الحديث، طبعه ٦، ١٩٨٨، ص ٣١١).

أما الشقيق الاوسط الشيخ مبارك فقد ولد عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤[٤]. ونشأ مع إخوانه، وتعلم تعليماً تقليدياً، ويذكر حافظ وهبة، الذي كان على مقربة من الناس الذين عاشوا تلك الفترة، بالقول: "ومع أن للعلم والعلماء منزلة في نفوس شيوخ العرب، وعامة العرب، فأن الشيوخ قلما يعنون بتعليم أبنائهم، وتثقيفهم، وقلما يعنون بغير الرماية الفروسية، والصيد والقنص، وبعضهم يرى طلب العلم عيباً. لأن ذلك قرين الجمود، وانتظار الصدقات. أما الإمارة فقرينة الحركة والنشاط والتفكير" (جزيرة العرب، ص ١٣١). وأردف وهبة قائلاً: "كان طويل القامة، أسمر البشرة، قوي الذاكرة، صلب الإرادة"[٥]. بينما وصفه د.ستانلي

---

(١) استقدم جراح معلم مادة "الحساب" من منطقة الإحساء ليدرسها وينشرها بين التجار لتنظيم دفاتر حساباتهم (عبد الله النوري، قصة التعليم في الكويت في نصف قرن "ط١" ذات السلاسل، الكويت، (د – ت)، ص ٥٥)

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٨؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ السعدون، العلاقات... مرجع سابق، ص ٢٨؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤٠؛ خرعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٤

(٣) البنعلي، المصدر نفسه ص ١٤٥؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/ ٦٥٨؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص١٣٨.

(٤) خرعل، مرجع سابق، ٢/ ١١، سليمان حسن محمود، مرجع سابق، ص١٦٨؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها...، مرجع سابق، ص٤٧؛ وذكر عبدالله البسام أنه ولد سنة ١٢٥٨هـ/١٨٣٣م (عبدالله البسام، مصدر سابق، ص ٤١٣).

(٥) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة١٤٢٠، هـ/ ٢٠٠٠م، ص٨٥.

ماليري Mallery وهو في العقد السابع من عمره قائلاً: "كان مبارك الصباح نحيفاً، وعيناه ثاقبتين تخترقان محدثية، أسمراً، وكان وجهه قوياً يعكس قوة الإرادة والتصميم، كان وجهه وجه قائد بالسليقة"[(١)]. أما عن حبه للمجد والشهرة، وطموحه الزائد، وإقدامه الشجاع، فقد مثلت في مجملها صفاتٍ مشتركة بين أغلب مَنْ وصفوه.

قيل: كان الشيخ مبارك الصباح قوي الشكيمة حازماً جريئاً داهية، وكان جباراً عنيفاً مقداماً لا يهاب الموت في سبيل العلا محباً للشهرة والمجد[(٢)]. وإلى جانب ذلك ذو مطامع بعيدة يكل الطرف دون غايتها[(٣)]، بخلاف أخويه اللذان كانا يضيقان بطموحه[(٤)]، وكان كريماً لدرجة التفريط، مما أثار عليه أخويه ومنعا عنه المال[(٥)]. يتمتع بالذكاء ومسايرة الناس واستمالتهم[(٦)]، مع أنه كان قليل المخالطة[(٧)]، وله دراية واسعة بالشؤون الدولية[(٨)]،كان يلعب على كل حبل، ويبتسم لكل مقبل عليه، ويصارع دهاء هذا بدهاء ذاك[(٩)]ويُلَوَّحُ أنه من أصحاب الشخصية المزدوجة[(١٠)].

أما عن حياته الخاصة، فلم يكن منقطعاً عن الأنس والطرب، وكان إذا

---

(١) ستانلي ج ماليري، الكويت قبل النفط " مذكرات ستانلي ج ماليري الطبيب في البحرين والكويت ١٩٠٧ – ١٩٤٧م، ترجمة وتقديم محمد غانم الرميحي، "ط٢" دار قرطاس للنشر، الكويت ١٩٩٧م، ص٤٩.

(٢) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٨؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٤٢؛ فتوح الحترش، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ – ١٩٢١م " ط٢ "، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤م ص١٥؛ السعدون، خالد، العلاقات...مرجع سابق، ص ٢؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص١٧؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٣.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ ماليري، مصدر سابق، ص٤٩.

(٤) الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٤؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٨.

(٥) حسن سليمان محمود، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٦) خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٣؛ ماليري، المصدر نفسه ص٤٩؛ الحترش، مرجع سابق، ص١٥؛ الريحاني، تاريخ نجد، ص ١١٠.

(٧) ماليري، المصدر السابق، ص٥٠.

(٨) الحترش، المرجع نفسه ص١٦.

(٩) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، "ط ٧"، دار العلمين، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٢؛ الريحاني، تاريخ نجد، ص ١١٠

(١٠) الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٧

فرغ من أعماله نهاراً روَّح عن نفسه في قصوره ليلاً[١]، واشتهر بلبس الثياب الحريرية، وتدخين التبغ، والانغماس في الترف والبذخ، يقدِّم بعد حبه للمجد والشهرة نواعم العيش على كل شيء سواها[٢]. تلك كانت أبرز صفات الشيخ مبارك الصباح التي أوجزها الريحاني بالقول: "كان حاد المزاج، شديد البأس، كثير التقلب، فيه شيء من الأسد وأشياء من الحرباء، بدوي الطبع، حضري الذوق، تارة يحبه الخصم وطوراً يجامله، وكان كريماً جواداً، بل كان مسرفاً[٣].

كما لا يفوتنا التنويه عن عدم موضوعية مؤرخ آخر في كتابة تاريخ الكويت، ألا وهو عبد المسيح الأنطاكي. ونكتفي بما طرحه الشيخ يوسف القناعي في كتابه المقتطفات (الطبعة الثانية ١٩٩٨، ص ٣٥٤ - ٣٥٥) تحت عنوان "بيان حقيقة للتاريخ" يقول: "إن كتاب آيات الصباح في مدائح مبارك الصباح لعبد المسيح الأنطاكي، طبع سنة ١٣٢٩هـ، ولما وصلت النسخة إلى كمرك الكويت أطلعني المرحوم ناصر بن مبارك الصباح على نسخة منه، فقلت له: أنصح والدك في إخفاء هذا الكتاب. لأنه مهازل وأكاذيب أفتراها الأنطاكي، ليس لها صحة بتاتاً. وإذا انتشر هذا الكتاب فسيكون أضحوكة الزمان عليكم بين أهل الكويت وغيرها. فتكلم ناصر مع والده، فإمر بحبس الكتاب في جمرك الكويت، وعهدي به في صناديق مكدسة في الجمرك. ولا أعلم الآن عنه بشيء، ولعله أحرق أو أغرق".

قال الأنطاكي في مبارك الصباح: "ولد مبارك عام ١٢٦٠هـ، ولما بلغ الخامسة من عمره أحتضنه جده (حاكم الكويت الثالث ١٨١٤ - ١٨٥٩ جابر ابن عبد الله)، فجاء له بأستاذ من كبار العلماء، وعكف على تربيته وتهذيبه على آداب الدين الحنيف. ولم يبلغ الثامنة من عمره حتى حفظ القرآن على لوح صدره، وشرع يتفقه في الأحكام الشرعية. وعندما بلغ العاشرة كان لا يكتفي بتلاوة دروسه، وتلقي شروحات شيخه. بل كان يسأل عن كل شيء، مما أدهش ذلك الشيخ. وفي الرابعة عشر أنتهى من دروسه بنجاح خارق، فتصدر

---

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/١٥٣

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١٠٩؛ ماليري، المصدر السابق، ص٥٠.

(٣) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، مصدر سابق، ص ١٠٩.

مجالس الحكم، وأظهر ميلاً شديداً إلى العدل ما عهده الناس في حاكم من عهد عمر (ابن الخطاب). وما ذكرته ما هو إلا ذرة من ساحل الرمل".

ولبيان زيف ما كتبه الأنطاكي من أن الشيخ مبارك تربى تحت رعاية جده الشيخ جابر بن عبد الله، أنه حينما زار المقيم البريطاني في الخليج لويس بيلي الكويت العام ١٨٦٥، في عهد حاكمها الشيخ صباح بن جابر بن عبد الله الصباح، نقل عن الأخير قوله في والده: "حينما بلغ والدي مئة وعشرين عاماً من عمره دعاني وقال: سوف أموت قريباً، وأنا لم أجمع ثروة، ولهذا لن أترك لك مالاً، ولكني كونت العديد من الأصدقاء المخلصين فأحرص عليهم. وأعلم أنه في الوقت الذي سقطت خلاله دول أخرى من دول الخليج بسبب فقدان العدالة أو سوء الحكم، فإن حكمي استمر ودولتي تزايدت، فاستمسك بسياستي. وأعلم أنك وإن كنت محاطاً بصحراء وتواجه أعداءك، ومازالوا يتجولون في المنطقة فإنك تواصل الازدهار" (بحوث مختارة من تاريخ الكويت، مركز البحوث الدراسات الكويتية ٢٠٠٥، ص ٤٠). وهنا تأتي الحقائق الداحضة لما كتبه الأنطاكي: أولاً، كان سن الجد حين وفاته (١٨٥٩) مئة وعشرين عاماً (حسب رواية الشيخ صباح بن جابر الآنفة). وإذا كان الحفيد قد ولد عام ١٨٤٤ فإن عمره عند وفاة جده كان ١٥ عاماً فقط. وأن الجد حين ولادة الحفيد كان عمره ١٠٥ عام، فعندما بلغ الحفيد (الشيخ مبارك) إلى سن التربية والتعليم، أي خمسة أعوام، أصبح عمر الجد ١١٠ سنة. وحينما أصبح عمر الحفيد ١٢ عاماً، واختيار أحد العلماء لتعليمه، أصبح عمر الجد ١١٧ سنة. فهل يُعقل أن رجلاً بلغ هذا العمر قادر من رعاية وتربية أطفال؟ ومن المعروف بأن الشيخ جابر بن صباح (الحاكم الثالث) قد ترك الحكم لأبنه صباح في سنواته الاخيرة لكبر سنه وضعفه، والذي وضح جلياً عند لقائه المقيم البريطاني في الخليج هنيل وتوقيعه معاهدة الالتزام بالهدنة البحرية نيابة عن أبيه في ٢٤ أبريل ١٨٤١م.

اتضحت من خلال دراستنا للصفات الشخصية للشيخ محمد، وأخويه الشيخين مبارك وجراح، طبيعة العلاقة القائمة بينهم على التفاوت في المبادئ، والتباين في الميول والطباع، مما أدى إلى التباعد، ومن ثم التصادم في النهاية بينهم[١]. ومع أن الرواية المحلية لتاريخ الكويت لم تؤكد أن الشيخ محمد آل

(١) خزعل، مرجع سابق١/ ١٣٥

صباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩١ - ١٨٩٦قد انفرد بالحكم دون أخويه الشيخين مبارك وجراح الصباح، فهي كثيراً ما أشارت إلى أن الشيخ محمداً قد أشرك جراحاً معه في تصريف أمور الحكم، وولى أخاه مباركاً شؤون حفظ الأمن في البادية[(١)]، وكأن الدور الذي كلف به الشيخ محمد أخاه مباركاً قُصد من ورائه الإقصاء من الحكم[(٢)]. لكن، أكدت المؤشرات التاريخية في عهد الشيخ عبد الله الصباح ١٢٨٣ - ١٣٠٩هـ/١٨٦٥ - ١٨٩٢ أن توزيع السلطة على النحو الذي استعرضناه[(٣)] لم يكن سبباً أصلاً في نزاع الأخوة حول السلطة، ناهيك أن يكون هو السبب المباشر في رأي هؤلاء الكتاب. وفي ما يلي نأتي الأعمال وأهم الأدوار التي مثلها كل من الأخوة الثلاثة: الشيخ محمد وجراح ومبارك الصباح، قبل عهد الشيخ محمد الصباح.

قام الشيخ محمد بعدة أعمال كلفه بها أخوه الشيخ عبد الله الصباح، ففي العام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨، فقد بعث الشيخ عبد الله الصباح بأخيه الشيخ محمد في مهمة رسمية إلى البحرين، وأرسل معه رسالة إلى الشيخ علي بن خليفة[(٤)]يحذره فيها من عاقبة إزاحة أخيه عن الحكم، وينصحه بتسليم مقاليد الحكم لأخيه[(٥)]. وهناك رواية تشير إلى ذهاب الشيخ عبد الله الصباح بنفسه

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص٢٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٤٨؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٧؛ حسن سليمان محمود، مرجع سابق، ص ١٦٧؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥.

(٢) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٧؛ غيورغي بوند آريفسكي، الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة: ماهر سلامة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٤م، ص ٩١؛ فريز، زهرة ديكسون، الكويت كانت منزلي، ترجمة فتوح الخترش، ذات السلاسل الكويت ص ٤١؛ ؛المنصور، الكويت وعلاقاتها بعربستان...، مرجع سابق، ص ٤١؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣١٠؛ السعدون، العلاقات، مرجع سابق، ص ٢٨؛.
Rush, Al Sabah, Op, Cit, P119; Al Ghanim OP, CIT,P10

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٠؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك (دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين) ترجمة: فتوح الخترش، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٣١.

(٤) علي بن خليفة: استولى على الحكم في البحرين بعد هروب أخيه محمد منها لخوفه من البريطانيين وطالب محمد أخاه علياً بالحكم لكنه رفض مما أدى لقيام حرب بينهما قتل علي في هذه الحرب سنة ١٨٦٩م (الكندري مرجع سابق، ص٨٦).

(٥) الحيدري، مصدر سابق، ص١٨٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٣٥؛ الحاتم مرجع سابق، ص٣١؛ خزعل، مرجع سابق١/١٣٥

للبحرين[١] واصطحب معه أخاه الشيخ محمداً في هذه المهمة[٢]. وبهذا تكون مهمة الشيخ محمد الصباح مبعوث سلام بين الأخوين المتخاصمين في البحرين، أول وساطة خاصة يقوم بها أحد أفراد آل صباح.

وأشترك الشيخ محمد الصباح في حملة مدحت باشا للاستيلاء على الإحساء والقطيف، حيث سافر إليهما في أواخر العام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١، وكان وجوده هناك أمراً ضرورياً، حيث كانت مركزاً للإمدادات العسكرية وتموين الجند. أما الشيخ عبد الله، والشيخ مبارك فقد صحبا الحملة منذ انطلاقها في ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١[٣]. وساهم ثلاثة من آل صباح في إنجاح هذه الحملة[٤].

ومن أهم الأعمال التي قام بها جراح بن صباح، في عهد الشيخ عبد الله ابن صباح، هي تنظيم مالية الأمارة، التي أحرز فيها نجاحاً ملموساً، وبذل في سبيل تنميتها وأعمارها جهدا مقدراً، فأثبت كفاءته في الإدارة المالية في وقت لم يكن للكويت مالية منظمة. ذلك لضعف الدخل الذي قد يضطر الشيوخ أحيانا إلى الاستدانة من الأهالي، لسد حاجتهم الضرورية[٥]. وما أن بدأ جراح في إصلاح بساتين النخيل بمنطقة الفاو والصوفية[٦]في عهد الشيخين عبد الله ومحمد، حتى أصبحت تدر ريعاً جيداً[٧]. كذلك عمل على إيجاد موارد دخل جديدة للمالية، فقام ببناء عدد من الدكاكين في سوقي السمك واللحم وتأجيرها[٨]، ووضع الخطط الاقتصادية لتشجيع التجارة،

---

(١) الحاتم مرجع سابق، ص٣٠.

(٢) عبد العزيزالرشيد، المصدر نفسه ص١٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٣٥؛ الحاتم مرجع سابق، ص٣١؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٣٧

(٣) الأرشيف العثماني، استنبول، أوراق الباب العالي، رقم BEO ٤٤١٩٦ بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ، صلاح العقاد، مرجع سابق، ٢/ ٩٤٢؛ كورشون، العثمانيون وال سعود، مرجع سابق، ص١٦٨؛ السبيعي، الحملة العسكرية، مرجع سابق، ص ٨١

(٤) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٢٦٢؛ السبيعي، المرجع نفسه ص ٨١؛ الأرشيف العثماني، استنبول، أوراق الباب العالي، رقم BEO، رقم ٤٤٢٣٠ بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ.

(٥) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣.

(٦) القناعي، المصدر نفسه، ص٢٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٢؛ الحيدري، مصدر سابق، ص ١٨١.

(٧) القناعي، المصدر نفسه، ص ٢٣؛ العيدروس، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٨) القناعي، المصدر نفسه، ص ٢٣.

واعتنى عناية خاصة بالتجارة والتجار، حتى أخذت الكويت تنمو نمواً اقتصادياً زاهراً[(١)].

عندئذ بدأت بوادر الخلاف تظهر لامور يكفي التلويح بها ليصبح الشيطان حاضراً بين الشيخين جراح ومبارك، وذلك لحرص الأول وإسراف الثاني[(٢)]. إلا أن ملامح الخلاف بدأت تتكشف للعيان عقب وفاة الشيخ عبد الله الصباح العام ١٣٠٩هـ/١٨٩١[(٣)]. أي مع بدايات عهد الشيخ محمد الصباح، فأخذ الشيخ جراح يتقرب إلى أخيه الشيخ محمد، حتى نال ثقته وشاركه في حكمه مشاركة فعلية، حتى أصبح صاحب النفوذ الأكبر لدى شقيقه محمد[(٤)] لتتبلور بذلك بوادر الخلاف التي نشأت في عهد الشيخ عبد الله، ثم لتستفحل وتبرز إلى العيان متمثلة في معارضات جراح الصباح لآراء وأعمال مبارك، يدعمه في ذلك نفوذ الشيخ يوسف، الذي اكتسبه عن طيب خاطر من شيخ الكويت محمد[(٥)].

أما نصيب الشيخ جراح في الأعمال العسكرية، في عهد الشيخ عبد الله، فقد تمثل في تلقيه الأوامر بالاشتراك ضمن القوة، التي أرسلها الشيخ عبد الله لمناصرة الحاج جابر بن مرداو شيخ المحمرة، بعد أن ثارت عليه قبيلة النصَّار. وكان ذلك العام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨[(٦)]، وكان اختيار جراح لتولي هذه المهمة نتيجة إقامته فترات طويلة بالفاو، وبحكم معرفته للمنطقة[(٧)].

شارك الشيخ محمد في تقديم الدعم، وتنظيم الإمدادات في حملة مدحت باشا، في عهد الشيخ عبد الله من ناحية، وكلف الشيخ جراح بالاشتراك مع القوات التي أرسلها الشيخ عبد الله لنصرة الحاج جابر بن مرداو من ناحية

---

(١) القناعي، المصدر نفسه، ص ٢٣؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٨.

(٣) البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٠٩.

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص ٩٩؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٥؛ الريحاني، المصدر السابق، ٢/٦٥٧.

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص ٩٩.

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٢؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٣٣.

(٧) خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٣.

أخرى. إلا أن نصيب مبارك كان النصيب الاكبر في الأعمال القتالية، وخوض المعارك، فهو قائد الحملة البرية الكويتية التي انطلقت من الكويت مع حملة مدحت باشا ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١، وقاد جميع الحملات والمعارك في عهد الشيخ محمد الصباح[(١)].

وعندما اشتد الصراع بين ابني الإمام فيصل بن تركي آل سعود، عبد الله وسعود، كانت نتيجة المعارك بينهما أن رحل الإمام عبد الله بن فيصل إلى الكويت، وأقام بها في ضيافة الشيخ عبد الله. مما أثار غضب الإمام سعود بن فيصل فقرر الهجوم على الكويت السنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣. ولما وصلت قواته إلى الوفرة[(٢)] كان الكويتيون على أهبة الاستعداد لملاقاته بقيادة الشيخ مبارك، لذا تراجع الإمام سعود عن قرار الهجوم، عائداً إلى نجد[(٣)].

توزعت إمارة الكويت، (عقب وفاة الشيخ صباح الثاني ابن جابر في عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦)[(٤)]، في عهد الشيخ عبد الله، على الاخوان الأربعة. وهم: عبد الله، ومحمد، وجراح، ومبارك. تولى الشيخ عبد الله مركز الأمارة ووزع الوظائف على أشقائه الثلاثة الآخرين، فكان الشيخ محمد يباشر شؤون الحضر، والشيخ جراح يشرف على الشؤون المالية، بينما أختص الشيخ مبارك بشؤون البدو[(٥)].

هذا وقد ربط صاحب مخطوطة "العقود الدرية" بين عهدي الشيخ عبد الله والشيخ محمد، في ما يخص طبيعة وميول مبارك، وموقف الشيخين عبد الله ومحمد منه، وحجم المسؤولية التي كانا يكلفانه بها في إسنادهما قيادة القوة الكويتية إليه وخوضه المعارك[(٦)]. وبحكم طبيعة هذه المسؤولية، كان

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر نفسه ص ١٣٢

(٢) الوفرة: منطقة حدودية بين الكويت والسعودية وأكثر سكانها من العوازم وتبعد عن الكويت العاصمة ٦٠ ميلاً (ديكسون مرجع سابق، ص٦٨؛ نوريه الصالح، مرجع سابق، ص٢٩)

(٣) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٦؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٣٨؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٦٨.

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ البنعلي، مصدر سابق، ص ١٤٤.

(٥) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ قاسم، جمال، مرجع سابق، ٢/ ٣٠٩؛ الذكير، المصدر نفسه ص١٠٠؛ سلدانيا، تاريخ الكويت...، مرجع سابق، ص٣١.

(٦) الذكير، المصدر نفسه ص ١٠٠.

الشيخ مبارك يقضي معظم أوقاته في الصحراء، مما جعله في حاجة دائمة إلى المال، فضلاً عن طبعه السخي، فقد أدرك أخوه الشيخ عبد الله طبيعة عمله وطبعه بسد حاجته بانتظام، وقد استمرت الأمور في مجراها الطبيعي حتى وفاة الشيخ عبد الله سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢.

لم يطرأ أي تغيير في السياسة المتبعة في عهد الشيخ محمد ١٣٠٩ – ١٣١٣هـ/١٨٩١ – ١٨٩٦، في ما يخص إدارة الحكم في الكويت، وتوزيع السلطة بين الأخوة. بل بقي كل منهم في منصبه، لا بل إن سلطات الشيخ مبارك في قيادة القوه العسكرية إزدادت من حيث أهميتها واستراتيجيتها، وهذا ما يدعونا لتأكيد أن سياسة الشيخ محمد ما كانت إلا استمراراً لسياسة الشيخ عبد الله في تولي الشيخ مبارك قيادة القوة العسكرية، حيث كلف الشيخ محمد أخاه مبارك بالتوجه إلى قطر على رأس قوة عسكرية السنة١٣١٠هـ/١٨٩٢، وذلك بطلب من السلطات العثمانية لردع الشيخ قاسم آل ثاني شيخ قطر[(١)].

لقد رأى البعض بأن تكليف الشيخ محمد لأخيه مبارك، بتولي أمر القوة العسكرية، قصد منه إقصاء الأخير عن الحكم، أو رغبة في التخلص منه[(٢)]. ولا ندري، هل قصد الشيخ عبد الله حينما جعل قيادة القوه البرية في حملة مدحت باشا السنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١ لأخيه مبارك التخلص منه؟ أو أنه منحه السلطة المطلقة لثقته به؟ وعلى أية حال، ليس لهذا التساؤل من إجابة لعدم وجود الدليل، فالسلطة كانت موزعة بين الأخوة الأربعة: عبد الله ومحمد وجراح ومبارك، وليس الثلاثة كما هو الحال في عهد الشيخ محمد هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الشيخ عبد الله بنظرته الثاقبة رأى في الشيخ مبارك صفات

---

(١) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص١٠٧؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥١؛ المنصور، التطور السياسي، مرجع سابق، ص١٦٢؛ نخلة، مرجع سابق، ص٢٠٢؛ السبيعي، الأمن....، مرجع سابق، ص١٨٧.

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/١٠٩؛ السعدون، العلاقات... مرجع سابق، ص٢٨؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٧؛ غيورغي بوندا ريفسكي، الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوئل القرن العشرين، ترجمة ماهر سلامة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت١٩٩٤، ، ص ٩١؛ زهرة فريز ديكسون، مصدر سابق، ص٤١؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها....، مرجع سابق، ص٥١؛
Al Ghanim, op, cit, p14; Rush, Al Sabah, op, cit, p 109.

القائد، فأوكل إليه ما يناسب قدراته، كما هو الحال مع أخويه الشيخ محمد والشيخ جراح[١].

ومن الأحداث المهمة في عهد الشيخ محمد الصباح، وأثبتت قدرة الشيخ مبارك، أن خيم ماجد الدويش[٢]بالقرب من الكويت العام ١٣١٠هـ/١٨٩٢، بغرض الهجوم على قبيلتي عريب دار[٣]والعوازم التابعتين للكويت، وقدم له الشيخ محمد واجب الضيافة، لعدم معرفته بنوايا الدويش، وظنه قد حلَّ ضيفاً عليه. ولما نفذ الدويش هجومه المباغت وقام بنهب ممتلكات القبيلتين عريب دار والعوازم، أمر الشيخ محمد الصباح بتشكيل قوة يقودها الشيخ مبارك الصباح، فتم لها النصر واسترداد ما استولى عليه الدويش[٤].

وعن الحديث حول المهام الحربية التي أداها الشيخ مبارك في عهد الشيخ محمد الصباح، استمر الأخير في إسناد قيادة القوة العسكرية إلى أخيه الشيخ مبارك، ففي أواخر سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣ حدث خلاف بين آل صميد[٥]وابن سويط[٦]، وعندما أفضى الخلاف إلى النزاع المسلح بينهما، طلب ابن سويط النجدة من الشيخ محمد، فجهز الأخير قوة أسند قيادتها إلى الشيخ مبارك، تعادلت بموجبها موازين القوى لصالح ابن سويط[٧]. وفي العام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣ اعتدت جماعة السعيد[٨] على أطراف الكويت، وعندما علم الشيخ محمد بخبر الاعتداء أمر أخاه مباركاً بملاحقتهم، فتمكن الأخير من

---

(١) الذكير، مصدر سابق، ص٩٩.

(٢) ماجد الدويش: من رؤوساء وزعماء قبيلة مطير. خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٠

(٣) عريب دار: من العشائر غير المنسوبة إلى جد معلوم ولا يعرف لها أصل ولم تتعرض لها كتب الأنساب فهي غامضة النسب وهذه العشيرة مستقره بأطراف الكويت (خزعل، مرجع سابق، ١/ ٣٥).

(٤) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٤٨، محمود، حسن، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٥) آل صميد: من قبيلة الظفير العريقة في الجزيرة العربية ويرجعون لبني لام من قبيلة طيء القحطانية وشيخ آل سميط أبو ذراع ويسكنون في شمال المملكة العربية السعودية والكويت وجنوبي العراق (عبد الله علي الظفيري، تنوير المستنير عن تاريخ الظفير، دراسة تفصيلية لقبيلة الظفير من عام ٦١٢هـ الى ١٣٥٠م (ط٢) الناشر المؤلف، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ص١٢٩.

(٦) ابن سويط: زعيم وشيخ قبيلة الظفير، وهو من أشهر زعماء وشيوخ القبائل ويعرفون بأهل البويت (الظفيري، مرجع سابق، ص٢٥).

(٧) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥١؛ محمود، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٨) طائفة السعيد: من أكبر فخوذ قبيلة الظفير وشيخهم ابن حلاف وموطن أغلب جماعة السعيد مدينة حفر الباطن والكويت. (الظفيري، مرجع سابق، ص١٠٥).

هزيمتهم[١]. وهكذا تتلاحق انتصارات الشيخ مبارك عاماً بعد عام، وتزداد خبراته العسكرية، ويعظم دوره في حماية الأراضي الكويتية. ففي العام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤ اعتدت بنو هاجر[٢]على بعض السفن الكويتية، ونهبوا ما كان فيها من أموال وممتلكات، فلما علم الشيخ محمد بذلك أعدَّ قوةً أسند قيادتها للشيخ مبارك، برفقة قوة من قبيلة العجمان[٣]بقيادة زعيمها راكان بن حثلين[٤]، فقاموا بمطاردة الغزاة حتى أدركوهم في منطقة تقع بين الإحساء والقطيف، فانتصروا عليهم، واستردوا كامل الممتلكات[٥].

وفي العام نفسه، طلبت الدولة العثمانية من الشيخ محمد مطاردة الشيخ سليمان المنصور، شيخ المنتفق[٦]، فأصدر أوامره للشيخ مبارك بالتوجه بجيشه لإتمام تلك المهمة، فامتثل الأخير لأمر أخيه، على الرغم من عدم اقتناعه بخوض معركة لا تحقق فائدة ترتجى للكويت. إلا أنه أنهى الأمر من دون مصادمة، حيث أرسل رسولاً إلى سليمان المنصور يطلب منه الابتعاد عن المنطقة فابتعد عنها[٧]. عموماً، إذا تتبعنا المهام التي كُلف بها الشيخ مبارك، نجده قد نجح في خوضها منذ ريعان الشباب، وهي حسب تسلسلها الزمني كالآتي: ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١

---

(١) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥١.

(٢) بنو هاجر: قبيلة عربيه قحطانية تستقر في شرقي الجزيرة العربية، وينقسم بنو هاجر إلى آل محمد "آل مخضبة" وال حمراء " ومن شيوخهم آل شافي وال عايد. (عبد الله البسام/مصدر سابق، ص٢٣٧).

(٣) العجمان: من قبيلة يام الكبيرة العدد استقرت شمال غرب الإحساء، وهم ذو عصبية وقوة ونخوة وشجاعة، ويتفرعون لقبائل عدة (سليمان صالح الدخيل، تحفة الألباء في تاريخ نجد والإحساء، (ط٢) الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٩٥؛ محمد الالوسي،، تاريخ نجد، تحقيق محمد الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة (د – ت) ص٨٨.

(٤) راكان بن حثلين: زعيم قبيلة العجمان وأشهر فرسانها قاوم الحملة العثمانية ١٨٧١م على الإحساء وقبض عليه وأرسل إلى الآستانة وسجن هناك وبعد ذلك نفي إلى إقليم نيش وشارك في الجيش العثماني ضد الصرب والروس بمعارك عديدة وصدر قرار سلطاني بالعفو عنه وقام الأمير محمد بن رشيد بالتوسط لدى السلطان العثماني فأطلق سراحه سنة ١٨٧٧ واتجه إلى حائل ومنها اتجه إلى منطقة الإحساء، (سلطان بن حثلين، وزكريا كورشون: تاريخ قبيلة العجمان دراسة وثائقية، (ط٢) ذات السلاسل الكويت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ص٧٤، ٧٠، ٦٦).

(٥) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥١؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص١٤؛ الرشيد، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٦) سليمان المنصور السعدون المنتفق: شيخ قبائل المنتفق دخل في صراع مع ولاة الدولة العثمانية في البصرة عام ١٣٢١هـ (محمد بن خليفة النبهاني، التحفه النبهانيه في تاريخ الجزيرة العربية دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ص٤٢٢.

(٧) خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٢.

حملة مدحت باشا للاستيلاء على الإحساء، في عهد الشيخ عبد الله الصباح. ١٢٩٠هـ/١٨٧٣ إرسال قوه بقيادة مبارك لصد هجمة الإمام سعود الفيصل بأمر من الشيخ عبد الله الصباح. ١٣١٠هـ/١٨٩٣ الهجمة على ماجد الدويش، بأمر من الشيخ محمد الصباح. وفي العام نفسه سُيرت الحملة العثمانية على قطر بطلب الدولة العثمانية المساعدة من الشيخ محمد الصباح. وفي العام نفسه تمت المشاركة مع ابن سويط، بطلب الأخير المساعدة من الشيخ محمد لمهاجمة آل صميد. ١٣١١هـ/ ١٨٩٤ الهجمة على طائفة السعيد، بأمر من الشيخ محمد الصباح. وفي العام نفسه تمت الهجمة على بني هاجر، بأمر من الشيخ محمد الصباح، عندما طلبت الدولة العثمانية المساعدة من الشيخ محمد الصباح في مطاردة الشيخ سليمان المنصور شيخ المنتفق.

نفوذ التجار في الكويت(١)

شجع موقع الكويت الجغرافي الكويتيين على الاشتغال بالأعمال التجارية المختلفة، المتمثلة في النقل البحري، واستخراج اللؤلؤ(٢)، وصيد الأسماك. إضافة إلى الأنشطة الاقتصادية المصاحبة كصناعة السفن، ومستلزمات الشحن والتفريغ(٣). فأهل الكويت تجار بطبعهم(٤). لذا فقد كان لهم القدح المعلى في تجارة الخليج العربي(٥). وقد أشاد وليام بالجريف W.Palgrave(٦) بالكويت عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠ بالبحارة الكويتيين قائلاً: "بين كل التجار

---

(١) للاستزادة راجع مقال "النخبة التجارية ضمير الكويت التاريخي"، مجلة "الزمن" لصاحبها الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح (نجل أمير الكويت الحالي) العدد ٣٤ المؤرخ في ٢٩ مايو ١٩٩٩ ص ١٢ – ١٦.

(٢) كان موسم الغوص للبحث عن اللؤلؤ يحكم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكويت، ويبدأ موسمه من أول أبراج الجوزاء ٢٣ مايو، وينتهي بنهاية برج العذراء ٢٣ سبتمبر (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٧٣ (Al Ghanim, op, cit, p26).

(٣) الحاتم، مرجع سابق، ص١٠٤؛ الشملان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ١/ ٢٦١؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٢٩.

(٤) ويلسون، مرجع سابق، ص٤٠٦؛ العزاوي، المرجع نفسه ٧/ ٢٢٩؛ سيد نوفل، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، "ط ٢"، دار المعرفة – القاهرة، ص ١٦٣.

(٥) حسن علي إبراهيم الراشد، الكويت دراسة سياسية، (ط٣)مؤسسة دار العلوم – الكويت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص١٠٩.

(٦) وليم بالجريف من الرحالة البريطانيين الذين جابوا وسط الجزيرة العربية وشرقها، فقام بزيارة لمناطقها استمرت مدة عام كامل. وإجادته للغة العربية ساعدته على نجاح رحلته التي وضعها في =

الذين يجوبون الخليج الفارسي – العربي – يأتي البحارة الكويتيون بالدرجة الأولى في القدرة على التحمل، وفي الكفاءة وفي الجدارة والثقة في صفاتهم "(١).

بيد أن نجاح التجارة في الكويت يكمن بأخذ العتوب برئاسة آل الصباح بأسبابها، منذ استيطانهم الكويت(٢). وكان للسياسة التي اتبعها حكامها في ما يتعلق بأنشطتها المتنوعة الأثر الكبير في نموها وتطورها، وقد تمثلت تلك السياسة في عدة أمور منها: تشجيع العمل التجاري من خلال وضع الرسوم المخفضة، وتطور أساليب العمل التجاري المتمثل في حرية التجارة(٣).

وتشجيعاً للتجارة أعفى الشيخ جابر بن عبد الله آل صباح، الحاكم الثالث ١٢٢٩ – ١٢٧٦هـ/١٨١٢ – ١٨٥٩، آل إبراهيم من الرسوم الجمركية، وعدم مساواتهم مع بقية التجار، والحكمة من ذلك إذا احتاجت الكويت إلى سند ودعم مادي فإن ما تملكه أسرة آل إبراهيم يكون تحت تصرف الكويت وشيخها(٤). وقد صدقت هذه الحكمة عندما قام الشيخ عبد الله بن محمد آل إبراهيم بجلب أكياس عملة معدنية من قران أبودبيلة(٥)، وقام بثنيها لتستعمل بدلاً من الذخيرة، التي نفذت في إحدى حروب الدفاع عن الكويت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر/القرن التاسع عشر الميلادي(٦).

يمثل العمل التجاري في الكويت النشاط الاقتصادي الرئيس، الذي يعد

= كتاب جمع مادته من خلال المشاهدة والسمع والملاحظة الشخصية (وليم بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة صبري محمد، المجلس الأعلى للثقافة، دمشق ٢٠٠١م (جزأين))

(١) بالجريف، المرجع نفسه ١/٦٥

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٦١.

(٣) ميمونة الصباح، مرجع سابق، ١/٢٧٧.

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٤؛ يحيى الربيعان، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، جريدة الطليعة، الكويت، العدد ١٢٧٠، الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٩٧م، ص ٧.

(٥) قران أبو دبيلة: عملة فارسية من المعدن تساوي أربعة قروش أو "٠,٤من الروبية" كانوا يضعونها بالدفق "البارود" بدل الذخيرة، وأحضرها عبد الله بن محمد آل إبراهيم بزبلان (مقابلة شخصية مع الراوية محمد الصالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس في تاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ الربيعان، ، المرجع السابق، ص ٧؛ عبد الله السبيعي، اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ – ١٣٣١هـ/١٨٧١ – ١٩١٣م (دراسة وثائقية) مطبعة الجمعة الالكترونية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩م، ص ٨٠)

(٦) مقابلة شخصية مع الراوية محمد الصالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس في تاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ الربيعان، المرجع نفسه ص٧؛ الزعبي، عائلة آل إبراهيم، مرجع سابق، ص ٨٣.

مصدراً للغنى بالنسبة للكويتيين من جهة، ومورد دخل حيوي مهم للحكام من جهة أخرى[١]، يوم كانت الكويت تفتقر لمقومات مصادر الثروات الطبيعية الأخرى، كالزراعة والصناعة وغيرهما[٢]. وقد بدأت تظهر الصناعات في الكويت منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري/نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، نتيجة لمارسة الحياة التجارية والاختلاط بالثقافات الأخرى. ولعل أبرز تلك الصناعات كانت صناعة السفن الشراعية الكبيرة، التي ترتاد سواحل الهند وأفريقيا[٣].

وملخص القول، أن التجارة في الكويت كانت تمثل عصب الحياة، وأساس التقدم والازدهار، والسبب الأقوى في استمرار آل الصباح في الحكم، حيث مثلت أنشطتها المتنوعة قوة اقتصادية تدعم وجود الكويت السياسي إقليمياً، وتعمل على توجيه دفة الحكم داخلياً. لذا أهتم فيها حكام الكويت جُلَّ الاهتمام، وأولوها عظيم الرعاية[٤]. وعلى العموم، كان الحكم الشوري غير المطلق، إضافة للسياسة الاقتصادية المتمثلة في حرية التجارة وتشجيعها، من أهم العوامل التي أتاحت للتجار فرصة المشاركة في الحياة السياسية بصورة غير مباشرة أحياناً، بينما كانت تبدو السلطة الحقيقية في حوزتهم في معظم الأحيان[٥]، كما سنرى لاحقاً.

إن لسلطة التجار في الكويت علاقة واضحة المعالم بجذور النزاع الذي كان قائماً بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. لاسيما وأنَّ أحد طرفي النزاع كان من أبرز تجار الكويت، وقد تمتع بسلطة واسعة في عهد الشيخ محمد[٦]. فعندما زار الكولونيل لويس بيلي Pelly[٧] الكويت، السنة ١٢٨٢هـ/

(١) ميمونة الصباح، مرجع سابق، ١/ ٢٧٧.

(٢) الحيدري، مصدر سابق، ص ١٥٦؛ا عبد العزيز لرشيد: ، مصدر سابق، ص ٦١؛ ديكسون، – ، مصدر سابق، ص ٤١؛ ويلسون، مصدرسابق، ص٤٠٤؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣١.

(٣) الحاتم، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٤) ميمونة الصباح، المرجع السابق، ١/ ٢٧٧.

(٥) عبد العزيز الرشيد: ، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٦) الحاتم، مرجع سابق، ص٣٥٢.

(٧) لويس بيلي ولد سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م والتحق بالقوات المسلحة لحكومة الهند في بومبي اشترك في الحرب الفارسية ١٨٥٧م وكلف بالكثير من المهام السياسية، حيث عمل سكرتيراً في المفوضية =

١٨٦٥، لم ينزل في ضيافة شيخ الكويت بل حلَّ ضيفاً عند أحد التجار، وهو يوسف البدر[١]وفي منزله بالكويت[٢].

أما وقوف التجار صفاً واحداً، في وجه شيخ الكويت، فيبدو واضحاً في رفضهم لقرار دفع الضرائب على البضائع المارة بالجمرك، عندما حاول الشيخ صباح الثاني ١٢٧٦ - ١٢٨٣هـ/ ١٨٥٩ - ١٨٦٥ فرضها عليهم. وكان رفضهم لهذا القرار فيه من القوة ما دعا الشيخ المذكور النزول عند رأيهم[٣]، حيث صارحوه بالقول: "لا نقبل أن تجعل على أموالنا ما لم يجعله أبوك ولا جدك من قبل، وكلنا تحت أمرك وطوع إشارتك، وأموالنا وقفٌ على ما ينتابك من التكاليف، وما تحتاج إليه"[٤]. نجد في العبارة الأخيرة إشارة إلى سلطة التجار الاقتصادية، ومن ثمَّ السياسية، فبينما قدموا خلالها أسباب الطاعة والولاء، وعرضوا أموالهم لدعم سلطة الحاكم، نجدهم قد رفضوا فرض النزر اليسير عليهم ضريبة إلزامية تقلل من شأنهم على الصعيدين الاقتصادي والسياسي[٥]. وكذلك رفضوا مشروع والي بغداد نامق باشا حول وضع الكويت بجعلها قائمقامية تابعةً للبصرة. وكان وراء موقفهم رفض دفع التكاليف العالية[٦].

وعند قيام الشيخ مبارك ١٣١٣ - ١٣٣٤هـ/ ١٨٩٦ - ١٩١٥برفع

= البريطانية بطهران، ثم عين مقيماً سياسياً بزنجبار، ثم أصبح مقيماً سياسياً في بوشهر وبقي في منصبه حتى سنة ١٨٧٣م، وأصبح عام ١٨٨٣م عضواً في البرلمان البريطاني وتوفى سنة ١٨٩٥م وقام برحلته الشهيرة من الكويت لنجد في عهد الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٥٦٥م (انظر، لويس بيلي، رحلة إلى الرياض، ترجمها وحققها وقدم لها عبد الرحمن الشيخ وعويضة الجهني، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض).

(١) يوسف بن عبد المحسن البدر: ولد في المجمعة عام ١٢١٧هـ ١٨٠٢ من أسرة كريمة، وعمل يوسف في تجارة الخيول العربية الأصيلة، فجنى من ورائها ثروة وصلت إلى ١٢٠ ألف ريال، وكانت له اليد البيضاء في سنة الهيلق، فقد خصص داراً للضيافة وإطعام الناس طوال تلك الأزمة، وتوفى سنة ١٢٩٧هـ (القناعي، مصدر سابق، ص٦٨، سلسلة محسنون من بلدي، أصدار بيت الزكاة، الكويت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م "قيد النشر" ١/ ١٦٧ وما بعدها).

(٢) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١١٣؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٢٩.

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٣

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٢٥.

(٥) حتاتة، مرجع سابق، ص٢٣٨؛ العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ٢٣١.

(٦) الأرشيف العثماني، محاضر مجلس الوكلاء M.V رقم BB/36 بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ؛ حتاتة =

الرسوم الجمركية[(١)]قام ثلاثة من كبار التجار بالهجرة من الكويت: هلال المطيري[(٢)]، وإبراهيم المضف[(٣)]، وشملان ابن علي[(٤)]، مما جعل الشيخ مبارك يحرص على إعادتهم إلى الكويت، ولما رفض هلال المطيري العودة نجد الشيخ يذهب بنفسه لإقناعه بالعودة، وملبياً له جميع شروطه[(٥)].

وعلى الرغم من أن الكويت، حتى عهد الشيخ مبارك، كانت بلدة بسيطة صغيرة لا يوجد فيها منشآت أو قصور، إلا أن لمسات التجار واضحة على الأعمال الخيرية، ذلك لعدم قدرة حكام الكويت من القيام بأي أعباء بناء، وتطوير لبلدتهم، فالتجار هم الذين وفروا الأموال والمواد لبناء سور الكويت، وبنوا المساجد والمدارس الخاصة[(٦)]وكان لهم الفضل في بناء أول مدرسة حكومية العام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١، ولم يشارك في بنائها سوى التجار. ولم يكن لحاكم الكويت الشيخ مبارك أي مساهمة فيها[(٧)]، وعلى الرغم من ذلك سميت تيمناً باسمه المدرسة المباركية[(٨)]. واتضح موقف التجار جلياً أثناء السنة التي

= ص٢٣٨، العزاوي ١٢/ ٢٣١، مقابلة شخصية مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنطاس بدولة الكويت بتاريخ ٢/ ٥/ ١٤٢٣هـ.

(١) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٥٢؛ الصباح، مرجع سابق، ص٢٧٩.

(٢) هلال المطيري: لم يكن له شأن في البداية ويعرف باسم "هليل" وعمل بالتجارة حتى أصبح أكبر تاجر لؤلؤ (طواش) في زمنه ليس في الكويت فحسب بل في الخليج كله، وبلغت ثروته ما يربو على سبعة ملايين روبية، وتبرع للمدرسة المباركية بمبلغ خمس آلاف درهم (القناعي، مصدر سابق، ص٤٤ – ٦٧؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٨)

(٣) إبراهيم بن مضف المضف: ولد عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٤٩م بالكويت من أسرة ميسورة الحال عمل رباناً للسفن التجارية ثم تاجر في اللؤلؤ حتى أصبح من كبار تجار الكويت، ضرب أروع الأمثلة في صبره على قضاء الله وقدره بعد مقتل عدد كبير من أبنائه، وكان يستقبل المعزيين بابتسامة تعبر عن ثقة مؤمن بربه، ويعرف عنه أنه أول من تبرع للمدرسة المباركية بمبلغ مائة روبية ثم زادها بخمسمائة روبية، وأسندت له مهمة الفصل في منازعات وقضايا التجار بالكويت، وتوفي سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م (القناعي، مصدر سابق، ص٤٤؛ انظر محسنون من بلدي، مرجع سابق، ص – ص١٩ – ٢٢

(٤) شملان بن علي: من عائلة القناعي، من أكبر تجار الكويت في عصر الشيخ مبارك وعمل في تجارة اللؤلؤ وشارك في بناء المدرسة المباركية بمبلغ خمس آلاف روبية (القناعي، مصدر سابق، ص٤٤؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص١٦١)

(٥) الشملان، المرجع السابق، ص١٥٣.

(٦) الحاتم، مرجع سابق، ص١٤.

(٧) القناعي، مصدر سابق، ص٣٦ – ٤٤.

(٨) المدرسة المباركية: سميت بهذا الاسم تيمناً بالشيخ مبارك حاكم الكويت بنيت سنة ١٣٢٩هـ/ =

عرفت بالهيلق[١]، فهب أمثال يوسف البدر ويوسف الصبيح ، وبيت آل إبراهيم وغيرهم من تجار الكويت[٢]، لتفريج كرب المعوزين والمحتاجين بما يبذلونه لهم من المال والطعام. قال الأخرس[٣]:

إن الكويت حماها الله قد بلغت
باليوسفين مكان السبعة الشهب
ويوسف البدر في سعد وفي شرف
بدر الأماجد لم يغرب ولم يغب
فخر الأكارم والأمجاد قاطبة
وأقة الفضة البيضاء والذهب
من كل ما بسطت في الجود راحته
صوب المكارم من أيديه في وصب[٤]

كما أثبت التجار مكانتهم، وصدق وعدهم، إثر عجز مالية الإمارة في عهد الشيخ عبد الله بن صباح (١٨٦٦ - ١٨٩٢). وتحديداً العام ١٨٧٧ لتجهيز الفيلق السادس، ومركزه بغداد، الذي أُرسل إلى جبهة الحرب ضد روسيا، حينها فرضت الدولة العثمانية أتاوة قدرها تسعة آلاف ليرة ذهبية[٥]، وقيل

= ١٩١١م وبدأ العمل فيها في محرم سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م وعين يوسف بن عيسى القناعي أول مدير لها وعمل بها مدة ثلاث سنوات وعزل وعين يوسف المحمود بدلاً منه (انظر، القناعي، مصدر سابق، ص٤٣ وما بعدها).

(١) الهيلق: كلمة مشتقة من هلاك وينطقها العامة بالقاف وهي أزمة حلت بالمنطقة بسبب الجفاف والقحط أهلك معه الزرع والضرع وانتشرت مجاعة في المنطقة بشكل عام فأصابت جنوب العراق والكويت ونجداً والإحساء وبلاد فارس استمرت ثلاث سنوات من عام ١٢٨٥ إلى ١٢٨٨هـ. (القناعي مصدر سابق، ص٦٣؛ سلسلة محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/ ١٦٤ و١٦٥).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٩٥؛ القناعي، مصدر سابق، ص٦٣.

(٣) عبد الغفار الأخرس: من أشهر شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر الهجري، وكتب قصائد عديدة من ضمنها قصيدة في نامق باشا والي بغداد، يثني عليه ويطالبه بإصلاح البصرة. وله ديوان شعر، توفي يوم عرفة سنة ١٣٠٤هـ باستنبول (العزاوي، مرجع سابق، ٧/ ١٣٩ و٨/ ٢٥)

(٤) القناعي، المصدر السابق، ص ٦٨؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٩٥؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/ ١٦٥.

(٥) يحيى الربيعان، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، المرجع السابق، ص ٧، والليرة: عمله عثمانية ذهبيه تساوي ١٤ روبية هندية (يعقوب: آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص٢٥).

أربعة آلاف ليرة[١]، تقاسمها الشيخين: علي بن محمد آل إبراهيم[٢]، ويوسف البدر. ويذكر القناعي أن الامكانات المادية للحكام كانت متواضعه بعكس الثراء الذي اصابه بعض التجار.

ونروي على هذا المنوال ماذكر عبدالله النوري في كتابه "الأمثال الدارجة في الكويت" (ص ١٠٤) أن أحد الشعراء، وهو عبد الغفار الأخرس (السابق الذكر) زار الكويت في عهد عبد الله الصباح الثاني ١٨٦٦ – ١٨٩٢، والذي كان يشبه المنصور العباسي فلا يجود على شاعر لأنه كان في حالة دفاع عن البلد، ويرى في إعطاء الشاعر وضع الشيء في غير محله، ولما يأس الشاعر منه قال له: "أنت كالجوزة"، لا تؤكل حتى تُكسر. ومنها جاء المثل الشعبي: "الجوزة إلما تنكسر ما ينوكل لبها".

لا تعني لدى البعض تلك الأحداث المتفرقة في عهود مختلفة لحكام الكويت آل الصباح، سواء التي أوردناها أو التي لم نوردها لإبراز علاقة التجار بالسلطة، أحد جذور الخلاف، بقدر ما عنت ما للتجار من سلطة حقيقية في الحياة الاقتصادية خصوصاً، ومن ثمَّ الحياة السياسية عموماً، حيث بدت في عهد الشيخ محمد الصباح بأوضح صورها.

---

(١) نسب قيس البدر الرواية إلى الشيخ يوسف الإبراهيم، والحقيقة هي للشيخ علي الإبراهيم، مرجع سابق، ص ١٧؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص١٨؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١٦٩/١.

(٢) علي بن محمد آل إبراهيم: من أعيان الكويت، وله نشاط تجاري واجتماعي، وله مشاركة في بيت تجاري أنشئ في الهند ويعتبر من أقدم وأكبر البيوتات التجارية فيها، تولى ابناه محمد وعبد العزيز إدارتها، وبعد وفاتهما تولاها أبناؤهم جاسم بن محمد وعبد الرحمن بن عبد العزيز، وكما شارك مع ابن أخيه عبد الله بن عيسى آل إبراهيم "والد يوسف" في شراء معظم بساتين النخيل العائدة للعائلة في ولاية البصرة العثمانية في بداية القرن التاسع عشر، ويعتبر علي بن محمد أول كويتي طبع كتاباً على نفقته في المطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة عام ١٨٧١م وعنوانه "نيل المآرب" وتوفى ٢٩ جمادي آخر ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م في أملاكه بالدورة جنوب البصرة، ورثاه شعراء كثيرون منهم الشاعر عبد الله الفرج بقصيدة طويلة ومنها قوله:

صبراً على هذا المصاب لو أنه ... يبكي لحر مصابه الجلمود
خطب ولكن لم يسمع فيه الورى ... إلا التجلد والعزا المحمود

(الحاتم، مرجع سابق، ص٦٢؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١٢٥/١؛ هذه المعلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم وزودني بنسخة من كتاب نيل المآرب، الكويت، في تاريخ ٢٠٠٥/٣/١٦م).

ومن المواقف التي تدل على اتحاد التجار والأعيان في الكويت، في تلك الفترة، استياؤهم وغضبهم الشديد إثر اعتداء أحد عبيد آل صباح، واسمه عنبر، الذي قام بتحصيل الرسوم الجمركية[١]من عبد الله العنجري[٢]بالضرب، بعد ملاسنة كلامية دارت بينهما. ذلك عندما طلب العنجري من عنبر الإسراع في تحصيل الرسوم الجمركية على إحدى القوافل المتجهة إلى نجد، وفيها الكثير من أموال الكويتيين[٣].

لم يكن غضب التجار واستياؤهم على هذا الاعتداء عشوائياً. بل انتدبوا من بينهم ثلاثين شخصاً[٤] لعرض مطلبهم لدى الشيخ صباح (الثاني) بن جابر آل صباح ١٢٧٦ - ١٢٨٣هـ/١٨٥٩ - ١٨٦٥، ويتلخص في نفي عنبر من الكويت. إلا أنَّ الشيخ صباح رفض مطلبهم، ووعدهم بنقله من وظيفته[٥]. ثم قال إرضاءً لهم: لكم عليَّ أن أفصله من عمله وأضربه وأسجنه. فقالوا: لا يرضينا إلا نفيه، وإذا لم تستجب لطلبنا فسوف نغادر الكويت غير آسفين[٦].

لم يتنازل التجار عن مطلبهم، مقابل تصميم الشيخ صباح على موقفه، فهمَّ التجار في تنفيذ قرار الهجرة، وعندما أحس الشيخ محمد بن صباح، الذي حضر تلك الجلسة، صدق عزمهم، وشروعهم في الهجرة، فقام بفض الخلاف بين الطرفين برصاصة أسكتت صوت عنبر إلى الأبد، وكان ذلك السنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣[٧]. نخلص من هذا الموقف إلى أهمية التجار في نظر الشيخ محمد الصباح ١٣٠٩ - ١٣١٣هـ/١٨٩١ - ١٨٩٦، حيث تتضح نظرته إلى دورهم في بناء الكويت، ودعمهم سلطة الحاكم، ولا يمكن فصل سياسة الإمارة عن اقتصادها: آل صباح القوة السياسية والتجار القوة الاقتصادية.

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢) عبد الله العنجري: وهو من عائلة العنقري التي تعود لقبيلة تميم وتنطق باللهجة الكويتية "العنجري" وموطنهم الأصلي ثرمداء بنجد وهاجر قسم من العناقرة إلى الكويت واستقروا بها، ويعتبر عبد الله العنجري أحد وجهاء الكويت وتجارها (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٧؛ هذه المعلومات زودني بها الراوية محمد بن صالح ال إبراهيم، الفنطاس الكويت ١١/٦/١٤٢٣هـ).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ٢٧.

(٤) خرعل، مرجع سابق، ١/١٢٨.

(٥) خرعل، مرجع سابق، ١/١٢٨

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ٢٧.

(٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٧؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٢٩.

الشيخ يوسف آل إبراهيم

أسهب مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد في كتابه "تاريخ الكويت" في الحديث عن يوسف آل إبراهيم، وصوره أحد الأبطال القلائل الذين دخلوا التاريخ بجلائل أعمالهم. قال فيه: "مثَّل الشيخ يوسف آل إبراهيم روايات لا تقل في غرابتها عن كثير من الروايات التي تذكرنا بأولئك الأبطال، الذين يقومون بجلائل الأعمال والناس في غفلة عما يعملون"(١). لقد أبدع الشيخ يوسف آل إبراهيم في دهائه، حتى دخل سجل التاريخ من أوسع الأبواب، شأنه شأن: حافظ نجيب المصري(٢)، وبطل المقامات الحريرية أبو زيد السروجي(٣). إلا أن شهرته لم تصل مداها الذي تستحقه اسماً لامعاً في عالم الدهاء، كما هو الحال مع غيره من النابغين في شتى المجالات، الذين لم ينصفهم التاريخ، فانغمروا لإغفال المؤرخين أعمالهم، وخاصة في عالمنا الشرقي(٤).

تلك العبارات، والكلمات التي صاغها عبد العزيز الرشيد حول دهاء الشيخ يوسف آل إبراهيم كانت دافعاً في تحمل مشاق البحث، وجمع المعلومات الموثقة عن هذه شخصية متميزة، خطت بأعمالها صفحة مهمة من تاريخ الكويت، امتدت منذ أن كانت أمور الكويت في يده تقريباً في عهد الشيخ محمد الصباح، وعشر من السنين بعدها، قضاها في حرب بلا هوادة ساعياً خلالها لإزاحة الشيخ مبارك الصباح عن كرسي الحكم في الكويت.

هو الشيخ يوسف بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم بن ريمان ابن إبراهيم بن خنيفر العنقري من بني سعد بن زيد مناة من بني تميم(٥) ولد

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٢) حافظ نجيب المصري: أحد دهاة العرب في العصر الحديث، حارب الاستعمار الإنجليزي في مصر، توفى في ٢ نوفمبر١٩٤٦ (الشيخ ممدوح، اعترافات حافظ نجيب، مغامرات جريئة مدهشة وقعت في نصف قرن، (ط١) دار الحسام، بيروت ٢٠٠٣م ص٢٥)

(٣) أبو زيد السروجي: من أهل البصرة وكان شيخاً شحاذاً أديباً بليغاً فصيحاً وهو بطل المقامات الحريرية لأبي القاسم الحريري والتي تبلغ خمسين مقامة.(ياقوت الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، (ط١) دار العرب الإسلامي بيروت ١٩٩٣م ٥/٢٢٠٣).

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٩.

(٥) إبراهيم بن صالح ابن عيسى؛ بعض الحوادث الواقعة في نجد مصدر سابق ص ٢١٥؛ عبد الله البسام، مصدر سابق، ص ٣٩٧؛ كحالة، مرجع سابق، ١/١٢٦.

في الكويت العام ١٢٦١هـ/١٨٤٥[١]، وكان جده الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم[٢] هاجر في حدود العام ١١٢٠هـ/١٧٠٨ إلى الكويت في بداية تأسيسها. وأسرته إحدى الأسر المؤسسة التي وضعت لبنات الكويت الحالية[٣]، وهي من البيوتات الرفيعة بالكويت وأثراها، وحصل ليوسف من العز والإقبال ما لم يحصله أحد من قبله منذ تأسست الكويت[٤]

سبقت الإشارة إلى دور التجار عموماً في بناء الكويت اقتصادياً وسياسياً، أما الحديث عن أسرة آل إبراهيم فأنها لم تكن من الأسر الغنية فحسب، بل من الأسر التي سيطرت على تجارة الكويت[٥]، وامتلكت أسطولاً كبيراً من المراكب الشراعية التجارية، وبساتين واسعة من النخيل في ولاية البصرة العثمانية[٦]. وتعتبر من أقدم وأكبر العائلات الكويتية التي انتقلت إلى الهند، وعملت في مجال التجارة، وخصوصاً تجارة اللؤلؤ في القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، فأصبحت ممسكة بزمام التجارة بالكويت، مما جعلها صاحبة كلمة مسموعة عند حاكم البلاد، ومن ثم حتمية الزعامة للشيخ يوسف آل إبراهيم، الذي كان من أغنى أفراد تلك العائلة[٧]. ويملك نصيباً كبيراً من بساتين النخيل ورثها عن والده واشترك فيها مع أبناء جده لوالدته (أخواله) في البصرة، التي كانت تدر عليه أموالاً

---

(١) نجدة فتحي صفوت، ، الشيخ يوسف آل إبراهيم من أبرز رجالات الكويت، مجله ثقافة، الدوحة ٥، السبت ٢٥/١/١٩٩٧م، العدد ٦٦٣٣ ص١٦.

(٢) ابن عيسى، المصدر سابق، ص ٢٣٢؛ عبدالله البسام، تحفة المشتاق، مصدر سابق، ص ٣٩٧؛ المزيني، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) سرجي كوتلوف، تكوّن حركة التحرر الوطني في المشرق العربي منتصف القرن التاسع عشر إلى ١٩٠٨م، ترجمة سعيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨١م ص ١٧٥؛ صفوت، مرجع سابق، ص ١٦.

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٩، صفوت، مرجع سابق، ص ١٦؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٧٧؛ عبد العزيز الرشيد، ، مصدر سابق، ص ١٢٤؛ Rush, Al Sabah, op, cit, p246

(٥) كوتلوف: مرجع سابق، ص١٥٧؛ يحيى الربيعان، عندما تلتقي، مرجع سابق، ص ٧؛ فادية الزعبي، الشيخ جاسم آل إبراهيم ودعم حركات التحرر والتنمية العربية، الرأي العام الكويتية، الخميس٢٨، سبتمبر، العدد، ١٢١٥٢، ص١٤

(٦) لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/١٥٢٥؛ كوتلوف، مرجع سابق، ص١٥٧؛ ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣٤؛ قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٨٠؛ عبد العزيز المنصور، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ – ١٩١٦م (ط١) المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٥م، ص١٦٣؛ Rush, Al Sabah..., op, cit, p120

(٧) القناعي، مصدر سابق، عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٤؛ الفرحان، مرجع سابق، =

ضخمة[١]، بالإضافة لكونه من أكابر تجار الكويت آنذاك[٢]، وخاصة تجارة اللؤلؤ[٣]، فهو مشهور بثرائه، وبتقديم حمايته الكريمة للمحتاجين[٤].

هذا من ناحية أما إذا انتقلنا للحديث حول دهائه ونفوذه، الذي بدأ منذ عهد الشيخ عبد الله الصباح[٥]،١٢٨٣ – ١٣٠٩هـ/١٨٦٦ – ١٨٩١، فمن المؤرخين مَنْ جمع بينه وبين غناه الواسع. مثل المؤرخ الكويتي راشد الفرحان الذي قال: "كان آل إبراهيم في زمن الشيخ يوسف أثرى بيت في الكويت، وقد حصل ليوسف بن إبراهيم من العز والسؤدد والاحترام عند حكام الكويت في وقته، ما لم ينله أحد من قبله منذ تأسيس الكويت، حيث كان وجيهاً للبلاد وزعيماً مسموع الكلمة مهاباً مطاعاً...[٦]" ومن المؤرخين من جعل السيطرة الفعلية لحكم الكويت – في عهد الشيخ محمد الصباح تحت تصرفه[٧]. وقيل إنه يدير ويشار في شؤون البلاد، وأوجز لنا الحاتم كل ذلك بالقول: "هو حاكم الكويت الخفي، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة، والخصم العنيد للشيخ مبارك ومرعبه. هذا واقع الحال بالنسبة للشيخ يوسف آل إبراهيم دون أي مبالغة أو تهويل..." [٨].

= ص٧٧؛ المنصور، عبدالعزيز، الشيخ يوسف آل إبراهيم عشر سنوات من عمر الكويت، مجلة البيان، الإمارات العربية المتحدة، السبت ١/٧/١٩٩٦ العدد ٣٢٥٣ ص ٣٧.

(١) ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/١٥٢٥؛ كوتلوف، مرجع سابق، ص١٥٧؛ قاسم، مرجع سابق، ص ٢/ ٣٨٠؛ المنصور، عبد العزيز، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٦٣؛ Rush, AlSabah..., op, cit, p120

(٢) ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣٤؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٧؛ السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١ – ١٩٠٨م، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص١٤٠؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٧٧؛ القناعي، مرجع سابق، ص٢٩؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٤؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٦.

(٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٦؛ صلاح الدين المختار، مرجع سابق، ص ٢٠؛ العبد المحسن، مرجع اسبق ٢/ ٣٠٥؛ سليمان بن صالح الدخيل، القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (دت)، ص١٥٢.

(٤) ستانلي، مرجع سابق ص١٣٤؛ خالد محمود السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية٢٠٠١، م ص١٢٥

(٥) الفرحان، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٦) الفرحان، المرجع نفسه ص ٧٧.

(٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص٣٥٢.

(٨) الحاتم، مرجع سابق، ص٣٥٢.

نال الشيخ يوسف قسطاً من التعليم على الطريقة التقليدية آنذاك، على أيدي رجال العلم والدين المشهورين آنذاك ومنهم بن جسار في المدرسة الخاصة بعائلة آل إبراهيم في حي الوسط (بهيته) التي كان يدرس فيها أبناء الأسرة والأقارب[١]وأصدقاء الأسرة من داخل الكويت وخارجها[٢]، فكان مؤهلاً ليشغل مركزاً مرموقاً على الصعيد الاجتماعي، وإضافة إلى إجادته للغة الإنجليزية، وبعض اللغات الهندية، كان واسع الخبرة والمعرفة، ويحسن تنظيم أعماله والتخطيط لها، بما يملك من المال والدهاء. وبهذا تبوأ مكانة راقية على الصعيد الاقتصادي والسياسي[٣].

ولم تنحصر سلطة الشيخ يوسف آل إبراهيم في قوة المال والنفوذ. وحسب، في مرحلة النزاع بينه وبين الشيخ مبارك الصباح – عندما فجر الأخير الموقف بقتل شقيقيه (محمد وجراح الصباح) بل ألقى بكل ثقله في عين العاصفة – فاشتعلت حرب الصراع على السلطة في أوسع نطاق وبكل اتجاه. وفي هذه المرحلة جاء وصف الريحاني للشيخ يوسف بما يناسب طبيعة تلك المرحلة الحرجة. قال: "كان يوسف آل إبراهيم بنفسه ثورة، ودولة، وحرباً على الشيخ مبارك، استمرت عشر سنين، فوقف ثروته، ووقته، وحياته للأخذ بالثأر. أجل، قد كان هو الباذل للمال، وهو القائد للرجال، وهو رسول قضيته إلى الدولة العثمانية العلية، وإلى أمراء العرب..."[٤]. وقد أكد عبد العزيز الرشيد مقومات قدرة الشيخ يوسف، التي حسب لها الشيخ مبارك الصباح ألف

(١) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/ ١١٩. ذكر الذكير أنه قدم إلى الكويت من عنيزة للدراسة في مدرسة خاصة بمجلس آل إبراهيم وعمره أربعة عشر عاماً وصادف طلبة علم في المدرسة ومنهم حمد عبد الله الخنيني من أهالي القصيم كان يدرس معه هناك (انظر الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠ – ١٠١). كان يُدّرس فيها الجسار، وجملة مَنْ درس فيها المبعوث الأول إلى مصر ماجد بن سلطان بن فهد، واحمد السنان وآخرون.

(٢) ذكر الذكير أنه قدم إلى الكويت من عنيزة للدراسة في مدرسة خاصة بمجلس آل إبراهيم وعمره أربعة عشر عاماً وصادف طلبة علم في المدرسة ومنهم حمد عبد الله الخنيني من أهالي القصيم كان يدرس معه هناك (انظر الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠ – ١٠١)

(٣) ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣٤. صفوت، مرجع سابق، ص١٦؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص١٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١١؛ يحي الربيعان، عطاء الرواد بين المحذور والميسور، جريدة الطليعة، الكويت، الأربعاء ٥مارس ١٩٩٧م، العدد ١٢٦٧، ص٧

(٤) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، مصدر سابق، ص٦٦٠٣

حساب، فبالإضافة إلى ما يملك يوسف من ثروة مادية. كان يتمتع بالشجاعة والإقدام، والتصميم في يده ورقة الثأر لأبناء القتيلين الشيخين محمد وجراح الصباح، وفي دمه صلة القرابة التي تربطه بالأبناء(١)، فهو يعتبر خال لهم(٢). وتلوح في ذكرياته أواصر الصداقة الحميمة، التي كانت تجمعه بالشيخ محمد الصباح قبل وبعد تولي الأخير الحكم(٣).

لقد أثر الشيخ يوسف آل إبراهيم أثناء زعامته للكويت بصورة غير معلنة على حكام البلدان، الذين بنى معهم علاقات متينة في: الهند، والدولة العثمانية، ونجد، وقطر، وقبائل جزيرة العرب، وغيرهم، حتى اشتهر أمره، وذاع صيته في بلاد الخليج العربي شهرة الملوك والأمراء(٤). ومن مظاهر صلات الشيخ يوسف آل إبراهيم بآل سعود، مع الإمام عبد الرحمن وابنه الأمير عبد العزيز، موحد المملكة العربية السعودية، أثناء إقامتهما بالكويت منذ عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢(٥) أنه قدم ما يلزم لتجهيز مستلزمات زواج الأميرعبد العزيز، وذلك فور علمه بالأمر بعد عودته إلى الكويت، التي كان غائبا عنها خلال تلك الفترة. وقد تم ذلك مع أن الإمام عبد الرحمن قد حلَّ ضيفا على شيخ الكويت محمد الصباح، إلا أن إعانة الزواج كانت هدية الشيخ يوسف له ولنجله(٦).

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٢) علي بن محمد آل إبراهيم: له ابنتان: مريم، وشيخة، حيث تزوجت الأولى من عبد الله بن عيسى بن محمد آل إبراهيم، فأنجبت يوسف، أما شيخة فتزوجت من علي بن جابر بن عبد الله الصباح، وأنجبت منيرة زوجة جراح الصباح، وهيا زوجة محمد الصباح (مقابلة مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت في ١٠/٦/١٤٢٣هـ، الزعبي فادية: عائلة آل إبراهيم الكويتية مرجع سابق، ص ٨٢، Rush, Al Sabah, op, cit, p246.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨؛ الفرحان مرجع سابق، ص٧٧.

(٤) الفرحان مرجع سابق، ص٧٧؛ المنصور، الشيخ يوسف آل إبراهيم وعشر سنوات مرجع سابق، ص١٦،

Jacob Goldberg, The Foreign Policy of Saudi Arabia, The Formative Years, 1902 - 1918, Harvard University, Press Cambridge, Massachusetts and London England, 1986, p10.

(٥) علي أبا حسين، برقية شفرية نادرة، مرجع سابق، ص ٦؛ ابن عيسى، عقد الدرر، مصدر سابق، ص١١٤؛ الناصر، مصدر سابق، ص٤٢

(٦) فؤاد حمزة: ، قلب جزيرة العرب، (ط ٢)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ، ص ١١؛ الربيعان، حينما تلتقي، مرجع سابق، ص ٧؛ عبد الله المحارب، الملك عبد العزيز وعشر سنوات في الكويت مقتطفات من منهج شبابه وقصة زواجه، جريدة الشرق الأوسط، لندن، الخميس ١٨/٢/ ١٩٩٩م، ص ١٥.

كما ساعد الشيخ يوسف آل إبراهيم الكثيرين ومنهم الحاج وليمسون[(١)] الذي استقل الباخرة بانكورا هارباً من بومبي لاعتناقه الدين الاسلامي، مما أدى الى ملاحقة السلطات البريطانية له[(٢)] في منتصف العام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣[(٣)]، وتعرف على الشيخ خلال تلك الرحلة حتى أصبح من مرتادي مجلسه. وقصة ذلك أنه لما وصلت الباخرة المذكورة ميناء بوشهر[(٤)] كانت قد سبقتها برقية مرسلة من قبل السلطات البريطانية في الهند تطلب إرساله مخفورا إلى بومباي، وبسبب القرار الذي اتخذه وليمسون وعزم على تنفيذه، وهو الهروب إلى أي بلد إسلامي يكون فيه بمأمن من قبضة البريطانيين، بعد أن أصبح مطلوباً لدى حكومة الهند، واختار أن تكون وجهته العراق، حيث الدولة العثمانية المسلمة. وعندما علم وليمسون بمضمون البرقية التي مفادها عدم سماح ربان الباخرة له من مغادرتها في أي ميناء ترسو فيه، وإعادته على ظهرها مخفوراً، طلب وليمسون من الشيخ يوسف آل إبراهيم مساعدته، فقام بتسهيل إدخاله إلى الكويت أثناء رسو الباخرة، واستضافته مانحاً إياه حمايته[(٥)]. وعندما طلب وليمسون مغادرة الكويت والرحيل إلى البصرة، أمنَّ له الشيخ يوسف ما أراد من لوازم الرحلة، وزوده بتوصية إلى فهد البسام عميد الاسرة هناك[(٦)]، ممن تربطه به صداقة حميمة[(٧)].

---

(١) وليام ريتشارد وليمسون، بريطاني الجنسية، ولد في مدينة برستيل البريطانية، وانتقل إلى بلاد عدة ومر بالهند وأسلم على يد مسلمين هنود، بعدها قرر التوجه إلى البلاد العربية لتعلم اللغة العربية، وتعاليم الدين الإسلامي، وعرف بالحاج عبد الله فاضل وليمسون، ويلقبونه بالمسلماني (أنظر ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣ - ؛ يعقوب آل إبراهيم، هذه القصة الكاملة للحاج وليمسون، المجلة العربية، الرياض، ربيع الآخر ١٤٢١هـ يوليو ٢٠٠١ العدد٢٧٩، ص ٣٤؛ أحمد المبارك: وصاحبني إلى العراق إنجليزي أعلن إسلامه، المجلة العربية الرياض شوال ١٤٢٠هـ ص٢٧).

(٢) بانكورا: سفينة تعود ملكيتها إلى الشركة البريطانية الهندية للملاحة، صنعت عام ١٨٨٠م، وقد عملت على خطوط الشرق الأقصى، ثم الخليج العربي؛ لنقل الجنود بين إفريقيا والهند، وتم الاستغناء عن خدماتها عام ١٩٠٦م. (يعقوب آل إبراهيم، شركة المراكب العربية، من الشراع إلى البخار، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت (د ت)، ص ٥٤، ٥٥)

(٣) ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣٠؛ آل إبراهيم، يعقوب، المرجع نفسه ص٥٤

(٤) بوشهر: الميناء البحري الرئيس في إيران، والمدينة الرئيسة على الجانب الشرقي من الخليج العربي. (لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، مصدر سابق، ٤١٨/١).

(٥) ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣٢؛ آل إبراهيم، يعقوب: المراكب العربية، مرجع سابق، ص٥٥.

(٦) عائله تجارية ترجع أصولها لبلدة عنيزة في نجد وانتقلت للبصرة وبعض أفراد العائلة انتقل للهند للمتاجرة، (يعقوب آل إبراهيم، ، هذه القصة الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٥)

(٧) ستانلي هوت، مرجع سابق ص١٣٠؛ المقصود هو فهد البسام وكيل إمارة حائل في البصرة (يعقوب آل إبراهيم، هذه القصة الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٥).

يكفي هذا العرض السريع لمعرفة ملامح ومقومات شخصية وقدرة الشيخ يوسف آل إبراهيم، إذ كان قوة اقتصادية، وقوة عسكرية وقوة لوجستية في تجنيد الرجال، ولشن الحملات وقيادتها بنفسه، وقوة سياسية في مطالبته بدم الشيخين محمد وجراح الصباح، واستعادة حقوق أبنائهما، وفوق كل ذلك يجب ألا نغفل أهميته في تسيير أمور الكويت والتي كانت بين يديه تقريباً، وسلطة الحكم قريبة منه صاغية له. إضافة إلى ما له من علاقات في الداخل والخارج أقلقت الشيخ مبارك الصباح، وكدرت صفو مبايعته، وأنقصت من نشوة استيلائه على السلطة لعقد من الزمان تقريبا.

ربما كان تقارب سني العمر واختلاف المشرب بين الشيخين، الصباح وآل إبراهيم، عاملا مهماً في استمرار الخلاف بينهما، حتى تحول إلى صراع دامَ حوالى عقد من الزمان، فالشيخ مبارك يكبر الشيخ يوسف آل إبراهيم بعام واحد تقريبا، فقد ولد الأول عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤[(١)]، والثاني بعد عام واحد ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥[(٢)]. كما نال كلاهما قسطاً من التعليم الديني، ولعل يوسف كان أكثر اهتماماً بالدراسة لوجود مدرسة خاصة، هي مدرسة آل إبراهيم، التي توافد إليها طلبة العلم من داخل الكويت وخارجها[(٣)].

وتمتع كل منهما بدهاء ومكر، قد يتفوق فيه أحدهما على الآخر بالتبادل في بعض المواقف. إلا أن الشيخ يوسف آل إبراهيم، إضافة الى غناه الواسع، كان واسع السلطان، مستحوذاً على ناصيتي الاقتصاد والسياسة في عهد الشيخ محمد الصباح، مما حال دون وصول المال إلى يد الشيخ مبارك الصباح. إلا أن الأخير اكتسب خبرة عسكرية كانت بدايتها رغبته بأمور الحرب وشؤون الفروسية، كما أشرنا سابقاً، وتدربه في مجالس الحكم والقضاء في سني عمره المبكرة. وإن وصل الشيخ يوسف آل إبراهيم بنفوذه الاقتصادي إلى تولي المهام السياسية، فالشيخ مبارك الصباح عمد إلى ما يملك من قوة عسكرية للوصول إلى رأس السلطة. وإلى جانب ذلك تمتع كل منهما

---

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١١؛ محمود، مرجع سابق، ص١٦٨. لحافظ وهبة رأي آخر، راجع جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٣١.

(٢) صفوت، مرجع سابق، ص١٦.

(٣) الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/ ١١٩.

بخبرات واسعة اكتسباها من احتكاكهما بالعالم الخارجي عبر رحلاتهما وأسفارهما، واختلاطهما بأهل السياسة وأهل الحل والعقد[١].

(١) الفرحان، مرجع سابق، ص٧٠؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٠؛ الريحاني، تاريخ نجد، ص ١٢٠؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها؛ ص٥٠؛ ينوا ميشان، عبد العزيز آل سعود.. سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتاح ياسين، دار الكتاب العربي، بيروت (د - ت) ص٧٥.

الفصل الثاني

استيلاء مبارك على السلطة
وتزعم الشيخ يوسف آل إبراهيم المعارضة

١ - الخلاف بين مبارك وإخوته

٢ - ردود الفعل المباشرة على الحدث.

٣ - بروز دور الشيخ يوسف آل إبراهيم وتبنيه المعارضة.

٤ - التوجه نحو العثمانيين.

٥ - النزاع على الأملاك.

٦ - محاولات الشيخ مبارك الصلح مع خصومه

الفصل الثاني
سلطة مبارك آل صباح ومعارضة يوسف آل إبراهيم

الخلاف بين مبارك وأخوته

مثلما اختلفت الآراء حول جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، اختلفت أيضا حول أسباب تطور هذا الخلاف بينهما إلى صراع، وما أسباب الصراع إلا امتداد لجذور الخلاف التي ناقشناها آنفاً. ونجد الصراع بين الأخوة الاشقاء، الشيخ محمد وجراح ومبارك، سبباً مهماً في الخلاف ثم الصراع الدامي بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، كما سنرى.

نحن الان في عام ١٣١٣هـ ١٨٩٦م وفي مارس تحديداً والذي لم يكن شهراً عادياً. ففي إيران إغتيل ناصر شاه إيران وفي أوروبا إكتشف دواء الاسبرين. أما الاحداث في الكويت فالتاريخ لم يترك لنا كوة نستطلع منها، فليس معروفاً على وجه الدقة، ما الذي حمل الشيخ مبارك على قتل أخويه ليلة ٢٥ من ذي القعدة ١٣١٣هـ/مايو ١٨٩٦[١] فالأسباب ما تزال مجهولة. سوى ما لمحت به بعض التفسيرات التي لاقت رواجا بين المؤرخين البريطانيين والعرب، ألا وهو أن الشيخ محمد الصباح لم يكن حاكماً قوياً، إضافة إلى قبوله لقب قائمقام الذي منحته له الدولة العثمانية من قبل[٢]. ومن ثمَّ سلمَّ مقاليد السلطة للشيخ يوسف آل إبراهيم، إذ كان الأخير موالياً للدولة العثمانية، وعازماً على إتباع سياستها في حكم الكويت[٣]. وإن كان الشيخ يوسف آل

---

(١) القناعي، مصدر سابق ص٢٧؛ الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٥؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣٠٥؛ عبدالله البسام، مصدر سابق ص٣٠٥؛
Fredrick Anscombe, The Ottoman Gulf and the Creation of Kuwait, Saudi Arabia and Qatar, 1817-1914, p133

(٢) حسن آلإبراهيم، مرجع سابق، ص ٤٤؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ زهرة فريز ديكسون، مصدر سابق، ص ٤٣؛ الموصلي، مرجع سابق، ص ١٣٦؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٢/ ٣١٠،
Fredrick Anscombe, op, cit, p133

(٣) ديكسون، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ زهرة فريز ديكسون، مصدر سابق، ص٤٣؛ العبد المحسن، =

إبراهيم له صلة قرابة بالشيخ محمد فلا يحق له تولي الحكم المتوارث في أسرة آل الصباح. فمن هذا المنطلق لم يقبل الشيخ مبارك تدهور الأوضاع السياسية، على هذا النحو، في الكويت، فاضطر للجوء إلى استخدام العنف[١].

يبدو هذا التفسير غير مقبول، لأنه جعل العامل السياسي هو السبب المباشر للصدام المحتوم ما بين سلطة آل صباح وسلطة الدولة العثمانية. وهذا لم يحدث ونفته الأحداث القادمة. فبعد عملية القتل نجد الشيخ مبارك، خلال الشهور الأولى قد استخدم جميع الوسائل من أجل التقرب والتعاون مع العثمانيين[٢]. ومن التفسيرات الأخرى في دوافع الشيخ مبارك لقتل أخويه، ما كتبه الكابتن وايت Captain Whyte المعتمد السياسي البريطاني في البصرة من أن الشيخ مبارك عمد إلى الاستيلاء على السلطة والأموال، اللتين كانتا بيد الشيخ محمد الصباح[٣].

لكن، عبد العزيز الرشيد، الذي استشهد بقول السيد خلف النقيب[٤] وكان الأخير أحد الوسطاء في هذا الصراع، ذهب إلى أن كلاً من الشيخ محمد والشيخ جراح والشيخ يوسف آل إبراهيم قد بخلوا بالمال، عندما كان الشيخ مبارك في حاجة ماسة إليه[٥]. وهذا ما أكده معاصرو الرشيد مثل عيسى القناعي ومقبل الذكير[٦]. بينما أشار آخرون، مثل ارمسترنج وينوا ميشان، في

= مرجع سابق ١/ ٣٠٥؛ بوندآريفسكي؛ مرجع سابق ص ٩١؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص٣٠٨، قاسم، جمال مرجع سابق ٢/ ٣١٠.

(١) Fredrick Anscombe, op, cit, p133

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٥١؛ الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ أبو حاكمه، مرجع سابق/ ٣١٠؛ Fredrick Anscombe, op, cit, p133

(٣) Fredrick Anscombe, op, cit, p133.

(٤) خلف النقيب: من أهل العلم والفضل ومن علماء الكويت ومصلحيها يرجع نسبه إلى أسرة النقيب في البصرة وهو من رجالات الكويت الذي عملوا من أجل توحيد الصف الكويتي، وكان (ديوانية) خلف النقيب في الحي القبلي لمدينة الكويت منبراً من منابر العلم وكان يرتاده كل علماء الكويت والوافدين عليها، ومن أشهر مرتادي مجلسه الشيخ مبارك والأمير عبد العزيز آل سعود – أثناء إقامته بالكويت، وحافظ وهبة وغيرهم من آل صباح وعلماء الكويت. توفي سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م. (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٠؛ الحاتم، مرجع سابق ص٢٢٦)

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٠

(٦) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٥؛ الذكير مصدر سابق ص١٠٠

تفسيرهما لأسباب الخلاف بأنه كان نتيجة لسيطرة الشيخين محمد وجراح الصباح على الموارد المالية، وحرمان مبارك منها. علاوة على تعرضه للإهانة من قبلهما، مما دعاه إلى مغادرة الكويت والاستقرار بالهند لسنوات عدة، خسر خلالها جميع أمواله هناك، مما اضطره لبيع حلي والدته ليسدد الديون التي تراكمت عليه، فعاد إلى الكويت معدماً لا يملك شيئاً[(١)].

غير أن، ومن تتبع لأعمال مبارك في فترة حكم الشيخ محمد ١٣٠٩ – ١٣١٣هـ/ ١٨٩٢ – ١٨٩٦، نجده كان مكلفاً بأعمال عسكرية قام بها خلال السنوات ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢، و١٣١١هـ/ ١٨٩٣، و١٣١٢هـ/ ١٨٩٤. وبما أن عملية القتل قد تمت السنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦ فمن المحتمل أن خروجه للهند كان في أواخر السنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤، وقدومه كان في منتصف العام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥[(٢)]. وإن توجهه إلى الهند، حسب ينوا ميشان وارمسترونج، كان نتيجة للضغوط التي مارسها أخواه، الشيخ محمد وجراح، ضده بسبب الاختلافات المادية وحرمانه من حقوقه، وعدم إعطائه سلطة قيادية، بعد أن أصبح للشيخ جراح والشيخ يوسف آل إبراهيم النفوذ الأكبر على الشيخ محمد، مما دعاه – أي مبارك – إلى الابتعاد عن أجواء المشاحنات والخلافات، التي بدأت تتزايد وتيرتها وتتطور أحداثها[(٣)].

ومن المحتمل أن يكون سفره إلى الهند بداعي التجارة كسائر تجار مناطق الخليج العربي والبحر الأحمر، المرتبطة تجارتهم بالدرجة الأولى بتلك البلاد. ولعل الحظ لم يحالف الشيخ فخسر جميع أمواله، وعاد أدراجه إلى الكويت لا يملك شيئاً[(٤)]. ومن المحتمل أيضاً، أن يكون سفره بغرض معرفة النشاط التجاري العام في الهند وأهميته، وحجم التجارة الكويتية وأهميتها بشكل عام، وتجارة آل صباح وآل إبراهيم هناك بشكل خاص. فتجارة آل إبراهيم كان مقرها بومباي، التي قصدها مبارك عند ذهابه إلى الهند، ولقوة العلاقة بين آل

---

(١) هـ. س. أرمسترنج، عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم يوسف عوض، مطابع الأهرام، مصر، (د ت)، ص ٥٠؛ ينوا ميشان، مرجع سابق ص ٧٠

(٢) انظر جدول الحملات التي كلف بها الشيخ مبارك ص٤٤

(٣) ينو ميشان، مرجع سابق ص ٧٠؛ ارمسترنج، مرجع سابق ص ٥٠

(٤) ارمسترنج، مرجع سابق ص ٥٠.

صباح وآل إبراهيم، فإنه من المرجح إن ذهابه إلى عائلة آل إبراهيم هناك، ليتمكن من التعرف على تجارتهم عن قرب هناك، وكذلك معرفة حصة وثروة آل صباح الموجودة كأمانة لدى آل إبراهيم في بومباي، في عهد الشيخ محمد آل صباح[١] ولكننا لم نجد دلائل تثبت ذلك.

قدم بونداريفسكي إحصاءً لثروة آل صباح في بومباي، من خلال وثائق وتقارير القناصل الروس في اسطنبول وبغداد والبصرة، وكانت موجودة في أحد بنوك بومباي باسم الشيخ محمد وولديه[٢]، وليس باسم آل صباح كما هو متعارف عليه، وتصل إلى ١٢ مليون روبية[٣]. إن ذهابه إلى هناك يعني وضع تصور كامل لمطالبته أخوته بجميع مستحقاته من ثروة وأملاك آل صباح الموجودة داخل الكويت، أو بأملاكهم الواقعة بولاية البصرة العثمانية، والتي يعرفها بحكم تردده عليها[٤]. أكد ذلك قول الشيخ مبارك لخلف النقيب، بعد إطلاعه على الورقة التي كتبها الشيخ محمد بحساب مبارك وحقوقه المالية،

---

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٤؛ رسالة من الشيخ مبارك بن صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم يبين فيها الشيخ مبارك جميع الأموال التي كانت أمانة عند آل إبراهيم في عهد الشيخ محمد آل صباح بتاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد حصل الباحث على نسخة منها).

(٢) لم يحدد لنا بونداريفسكي من هم ولدا الشيخ محمد بن صباح مع العلم أن عددهم خمسة وهم علي (ولد ١٨٦٠)، "الأخ غير الشقيق"، وصباح (ولد ١٨٧٥)، وسعود (ولد ١٨٧٧)، وخالد (ولد ١٨٨٣)، وعذبي (ولد ١٨٨٥) (بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص ٩٦). أما الشيخ جراح فله ولد وحيد، وهو حمود (ولد ١٨٨٣).

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق ص٩٦، كان هذا المبلغ الكبير قد جاء في تقرير روسي أعتمد عليه بونداريفسكي كمرجع له، لكن هذا المبلغ كبير ولا يمت للواقع بصلة، فالمؤرخ القناعي المعاصر والمدرك لواقع حال آل صباح في تلك الفترة يقول "إن أدنى تاجر من أهل الكويت هذه الأيام يملك أكثر مما يملك الأمراء في ذلك الوقت، والدليل على ذلك أن مباركاً قتل أخويه وتولى على المالية ولم يجد فيها سوى ٧٠٠ريال في الخزينة و٧٣٥٠٠ روبية أمانة في بيت آل إبراهيم في وبمبي" وما يؤكد مقولة القناعي هو المبلغ الذي دفعه آل إبراهيم لمبارك الصباح والذي كان أمانة عندهم ويصل إلى "٧٦٨٥٥ روبية". القناعي، مصدر سابق ص ٢٤؛ رسالة من الشيخ مبارك بن صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم يبين فيها الشيخ مبارك جميع الأموال التي كانت أمانة عند آل إبراهيم في عهد الشيخ محمد آل صباح بتاريخ ٩ محرم ١٣٢٥هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد حصل الباحث على نسخة منها)؛ وثيقة باسم عبدالرزاق الخالد الخضير باستلامه من الشيخ عبد العزيز بن علي ال إبراهيم مبلغ وقدره "٧٦٨٥٥" روبية بتاريخ ١١/ذي الحجة/١٣٢٥هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد حصل الباحث على نسخة منها)

(٤) الحاتم، مرجع سابق ص ٢٥٩.

بعد احتدام الخلاف بينهما: "إن بلع الأمواس أهون من بلع هذا الحساب"[(١)]. ومن المحتمل أيضاً أن ذهابه كان لأغراض سياسية بحتة للاطلاع على القوة البريطانية المسيطرة والمستعمرة للهند، والتي استطاعت فرض سيطرتها على أكثر القوى في الخليج العربي[(٢)]. ولعل نظرة مبارك المستقبلية جعلته يحاول معرفة النظرة البريطانية حول مستقبل الكويت السياسي، والسياسة البريطانية في الخليج العربي بشكل عام، وأهمية ومكانة موظفيها هناك، وهذا ما ستوضحه الأحداث خلال فترة النزاع بين مبارك آل صباح والشيخ يوسف آل إبراهيم، أثناء لجوئهما لبريطانيا[(٣)]. ولعله أيضاً أراد أن يُعرف بنفسه لدى السلطات البريطانية في الهند خلال وجوده هناك.

ومن جانب آخر، أشارت أصابع الإتهام إلى أن المصلحة البريطانية كانت تهدف إلى إزاحة الشيخ محمد الصباح، محرضةً الشيخ مبارك لقتل أخويه، وقام بذلك التحريض مقيمها السياسي في الخليج (١٨٩٧١٨٩٤) الكولونيل جي.أي.ويلسون LT.COL.J.A.Wilson. وذلك لرفض محمد الصباح، شيخ الكويت، للعروض البريطانية لإقامة علاقات تحالف معه، وجاء رفضه بتوصية من الشيخ يوسف آل إبراهيم في العام ١٣١٣هـ/١٨٩٦[(٤)].

لابد من وقفه عند هذه النقطة، التي دائماً ما كانت تثار حول موقف الشيخ محمد الصباح برفض أي علاقة مع بريطانيا، وبتوصية من الشيخ يوسف آل إبراهيم. إن المتتبع لسيرة الشيخ يوسف آل إبراهيم يجده ينتسب إلى أكبر الأُسر التجارية في الكويت، وتجارتها مرتبطة بالهند، فهي من أوائل العائلات الكويتية التي استقرت بالهند، وعملت في مجال التجارة هناك، في بداية القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، أي أبان حكم الشيخ جابر

---

(١) الذكير، مصدر سابق ص١٠٢

(٢) كيلي، مرجع سابق ص٢٩، السعدون، العلاقات، مرجع سابق ص٢٢؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٣٠٦/٢؛ منسي، مرجع سابق ص٢٣؛ فرج الله، مرجع سابق ص٤٦.

(٣) الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ الريحاني، ملوك، مصدر سابق٦٥٩/٢؛ سلدانيا، الكويت السياسي، مصدر سابق ص ٤٢

(٤) لوريمر، دليل التاريخي، مصدر سابق ١٥٢٨/٣؛ السعدون، العلاقات..، مرجع سابق ص٢٩؛ النويصر، مرجع سابق، ص١٥؛ خزعل مرجع سابق١٥٢/١؛
Jacob Goldberg, Op, Cit, P6 Rush, Al-Sabah, Op, Cit, P120.

ابن عبد الله[١]. ومارست هناك نشاطاً تجارياً مرموقاً، خاصة في حقل تجارة اللؤلؤ، حتى أُطلق على الشيخين عبد الرحمن[٢] وجاسم أو قاسم[٣] آل إبراهيم لقب ملوك اللؤلؤ[٤]. بل يعتبر الشيخ يوسف آل إبراهيم من أكبر تجار عصره وتربطه بالهند علاقات تجارية كبيرة، وكان دائم السفر إليها، يجيد اللغة الهندية والإنجليزية بحكم متطلبات عمله ومصالحه التجارية. مما وطد علاقة جيدة مع البريطانيين[٥] هناك. والدليل، أن أول باخرة أجنبية وصلت الكويت كان على متنها الشيخ يوسف آل إبراهيم، واسمها بنانغ العام ١٢٨٥/ ١٨٦٧[٦] والتي كانت قاصدة البصرة ولكن الشيخ يوسف أقنع القبطان بتغيير خط سيره متوقفاً في الكويت لمدة يوم كامل، وفي الوقت نفسه، كان امتلاك المقاطعات والأراضي الزراعية في العراق العثماني لا تقارن من حيث الأهمية مع نشاطه التجاري المرتبط بالهند[٧]، وكانت بريطانيا هي القوة المستعمرة للهند والمسيطرة على الطرق التجارية في الخليج العربي. فهل من

---

(١) بدر خالد البدر، رحله مع قافلة الحياة، الناشر المؤلف، الكويت ١٤٠٨/١٩٨٧، ١/١٢١؛ يحيى الربيعان، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، جريدة الطليعة، الكويت، الأربعاء ٢٦، مارس ١٩٩٧م، العدد ١٢٧٠ ص٧؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق ١/ ١٢٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبد العزيز آل إبراهيم "أبو عوف": من التجار الكويتيين المستقرين في الهند وكان له تجارة كبيرة وخاصة في مجال اللؤلؤ، وقام بأعمال خيرية كثيرة أشهرها بمساهمه في بناء المدرسة المباركية وقد أعلن إفلاسه في نهاية سنه ١٣٣١هـ. (محسنون من بلدي مرجع سابق ١/ ١٣١؛ يعقوب آل إبراهيم، نفائس الخبايا من تاريخ الكويت، جريده القبس، الكويت الأربعاء ٢٨/ ٦/ ٢٠٠٠م العدد ٩٧٠٦ ص٣٣.

(٣) قاسم (جاسم) بن محمد آل إبراهيم: ولد سنه ١٢٦٨ في منطقة بهيته في الكويت وانتقل إلى بومباي واستقر بها وكان من أكبر التجار في بومباي وكان أول من أسس شركة مساهمه عربية في الهند وعرف بأعماله الخيرية التي خدمت الإسلام والمسلمين في بلاد العرب وتوفى في الهند وعمره ٨٧ عاماً سنة ١٣٥٧هـ (محسنون من بلدي، مرجع سابق ١/ ١٢٩ – ١٣٠ – ١٣١ – ١٣٢؛ الزعبي، الشيخ جاسم آل إبراهيم ودعم، مرجع سابق، ص١٤). راجع نبذة عنه في هامش زيارته للكويت العام ١٩١٤ ص ٢٠٣.

(٤) ضاري الرشيد، نبذه تاريخية عن نجد، كتبها وديع البستاني، دار اليمامة الرياض، ١٩٦٦م، ص٢٧.

(٥) نجده صفوت، مرجع سابق، ص١٦.

(٦) نجده صفوت، مرجع سابق، ص١٦.

(٧) أ لوشر، مع النجمة والهلال، ترجمة عبد الله الصانع (د – ت)، الكويت، ١٩٥٨م، ص٢٣؛ يعقوب آل إبراهيم، المراكب... مرجع سابق ص٦٧؛ الحاتم مرجع سابق ص١٢٠ لكن الحاتم لم يحدد الاسم الذي على متن السفينة واكتفى بقوله "على متنها تاجر كويتي".

المعقول أن يقف الشيخ يوسف آل إبراهيم ضد مصالح بريطانيا في الخليج، وهو الرجل الاقتصادي والمرتبط ارتباطاً كبيراً بالهند. حتى وصفه السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته بأنه يميل إلى الإنجليز[١]؟ فمن خلال ما ذُكر لا يمكن الميل إلى الرأي القائل برفض الشيخ محمد الصباح للطلب الإنجليزي أنه كان بتوصية، أو ضغط، من الشيخ يوسف آل إبراهيم. فالشيخ محمد عرفت عنه صفة التدين والنزاهة والمحافظة على مسيرة أسلافه، لذا اعتقد أن رفضه جاء نتيجة طبيعية لصفاته هذه، وهي السير على نهج من سبقه من آل صباح بالتبعية والولاء للسلطنة العثمانية لأسباب أكثرها دينية.

على أية حال، سنواصل تتبع أسباب الصراع الذي كثرت حوله الأقاويل، واختلفت حوله التكهنات، سواء من قِبل المؤرخين العرب أو البريطانيين أو غيرهم، فمنهم من قال: إن الشيخ محمد الصباح لم يكن محبوباً بل كان مكروهاً من جانب القبائل[٢]. ولم يكن على وفاق مع سائر أشقائه، ما عدا شقيقه جراح[٣]، فكانت النتيجة تدبير مؤامرة اغتيال الشقيقين من قبل الأشقاء الآخرون في ١٨٩٦/١٣١٣[٤]، فتقدم الشيخ مبارك لشغل المركز الشاغر، ولم يكن لهذا الحادث في الكويت إلا صدى ضئيل. لكن، ثمة تقرير سياسي حول ماجرى، ربطه بمؤامرة بريطانية[٥].

كما أننا لا نتفق مع تبسيط ردة الفعل لما حدث من مقتل الشيخ محمد الصباح، "فقد كان لهذه الحادثة رنة أسى وحزن عميق في الكويت"[٦]. وحسب عبد العزيز الرشيد "ما كاد ينتشر الخبر في أرجائها، حتى ضجت من

---

(١) عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١ – ١٩٠٨م، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص١٤٠.

(٢) سلدانيا، تاريخ الكويت...، مصدرسابق ص٢٩؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٢٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص٩٧.

(٣) سلدانيا، المصدر السابق، ص٢٩ (ذكر سلدانيا أن الأخ جابر ولعله خطأ مطبعي) والحقيقة أن محمد ليس له أشقاء سوى "مبارك وجراح" وأمهم لولوة بنت محمد الثاقب أما بقية أخوته من الأب فهم عبد الله الأكبر ثم جابر وعذبي وأحمد وحمود ". (الرشيد، عبد العزيز، مصدر سابق ص١٣٢.

(٤) سلدانيا، المصدر السابق، ص٢٩.

(٥) سلدانيا، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٦) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤١.

أقصاها إلى أقصاها، وارتفع العويل من صغيرها وكبيرها لهذا الحدث الجلل، والمصيبة التي لم يحدث لها نظير من قبل في الكويت"[١]. ولكن بعض المؤرخين البريطانيين من يسعى لإلصاق تهمة المؤامرة بالدولة العثمانية، من خلال الإيحاء بأن الدولة العثمانية قد مكنت الشيخ يوسف آل إبراهيم من السيطرة على زمام الأمور، ضمن مخطط إزاحة آل الصباح عن الحكم[٢]. وكأنهم بذلك ينفون فكرة المؤامرة البريطانية المشار إليها سابقاً دون التصريح.

لا يختلف هذا الأسلوب عما فعله الشيخ مبارك، إذ سعى إلى إلصاق تهمة القتل بخصمه، الشيخ يوسف آل إبراهيم، بوثيقة قدمها إلى الدولة العثمانية تحمل توقيع شهادة جمع من أعيان الكويت[٣]. ومن التفسيرات المشوهة، حول حادثة القتل، ما قاله غولدبيرج Jacob Goldberg: "كانت نقطة التحول في تاريخ الكويت قد حدثت في مايو العام ١٨٩٦، عندما قُتل الحاكم وأخوه من قبل أخيهما "غير الشقيق" الشيخ مبارك، الذي نصب نفسه، في ما بعد، شيخاً على الكويت، فهرب العراقي - كذا - الشيخ يوسف آل إبراهيم، الذي كان أحد عناصر الانقلاب إلى البصرة"[٤]. أما عن أسباب الخلاف فيرى غولدبيرج أنه كان عائليا، بقدر ما كان حركة مناوئة للعثمانيين، وقد جعل تلك المناوأة بعيدة عن مصالح بريطانيا، فينسبها إلى الشيخ مبارك. قال: "كان مبارك دائم الغضب بسبب ضياع استقلالية الكويت، وكان دائم التحذير من تعاظم النفوذ العثماني[٥].

وهنا لم يوضح غولدبيرج قوله: " كان دائم التحذير..."، إلى مَنْ كان يوجه مبارك تحذيره هذا! وما مظاهرتزايد النفوذ العثماني؟ إننا لا نسعى لإلصاق تهمة المؤامرة ببريطانيا، إذ لا نملك الدليل، ولكن التفسيرات الواهية لغولدبيرج قد تفرض الميل إلى ذلك الاتجاه. قال: "كان تخلي أخيه عن الحكم الفعلي، وتسليمه زمام الأمور للأجنبي "الشيخ يوسف آل إبراهيم"، وطمع الأخير في إزاحة آل الصباح، كان ذلك كله بمثابة التحدي الأصعب أمام الشيخ

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٥.

(٢) Jacob Goldberg, Op, Cit, P23.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٥١؛ الذكير، مصدر سابق ص١٠٢.

(٤) Jacob Goldberg, Op, Cit, P23

(٥) Jacob Goldberg, Op, Cit, P23

مبارك"[١]. والواقع، أن الشيخ مبارك هو الشقيق الأوسط لمحمد وجراح، وأمهم لولوة بنت محمد الثاقب، ويطلق عليها أم محمد فهو شقيق الشيخ محمد وليس أخوه.

ثم إن الشيخ يوسف آل إبراهيم لم يكن عراقياً، مثلما ذكر غولدبيرج وليته إطلع على ما كتبه مواطنه مايكل كوك Michael Cook الأستاذ في جامعة برنستون في بحثه الموسوم"توسع الدوله السعودية الاولى" حالة الوشم. في كتاب العالم الاسلامي The Islamic World من ص٦٦١ الى ص٦٩٩ ففيه سرد واف، إضافة إلى أن النسبة البلدانية لم تكن متداولة في تلك الفترة، حيث يتداخل الناس بدون عوائق. كان الشيخ يوسف من عائلة آل إبراهيم، التي قدمت جهداً كبيراً في وضع لبنات الكويت الأولى، مع بقية العتوب، بعد قدومهم من نجد في بداية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

وهل هناك دليل أدق عن ما قاله الشيخ مبارك فيه، كما جاء في رسالته إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم المؤرخة في ١٠ شوال ١٣٢٥هـ: "إذا يصير طاري يوسف في محضر رجال أكابر، أقول لهم مساويه معي يفسدها محسنات أبوه، ومحسنات علي وأبو علي محمد مع جابر وصباح، ولكن يا أخي جرى المقدر، وأنتم منا، ولا لنا منكم براءة"[٢]. ومن التفسيرات الغريبة والمشوهة أيضاً، ما ذكره ماشكوف، القائم بأعمال القنصل الروسي في بغداد، من أن عملية القتل كانت نتيجة الاتصالات القائمة بين الإنجليز، والشيخ محمد والشيخ يوسف آل إبراهيم، مما جعل كبار آل صباح وأعيان الكويت يعقدون اجتماعاً سرياً في ١٦ مايو ١٨٩٦ - قبل عملية القتل بيوم واحد - قرروا من خلال الاجتماع الإطاحة بالشيخ محمد[٣] ولم يعرف آنذاك بكتلة لها هذا الاتجاه إطلاقاً.

ومن التفسيرات المتضاربة حول هذه الحادثة - حادثة القتل - ومناقضة للرواية الروسية، ما حرره مستر ستافريدس Mr.Stravrides مستشار السفارة

---

(١) Jacob Goldberg, Op, Cit, P 23.

(٢) رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١ شوال١٣٢٥هـ، (مكتبة يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم الخاصة، لندن)

(٣) أرشيف السياسة الخارجية الروسية "الأرشيف السياسي" الملف رقم ٣٤٩ ورقة ٦١ (نقلاً من كتاب بونداريفسكي ص ٩٧).

البريطانية باسطنبول، في مذكرته المؤرخة في ٣٠ يونيو ١٨٩٦ جاء فيها: "تم مؤخراً اغتيال الشقيقين الشيخين، محمد وجراح، ووصلت إلى الباب العالي أنباء تفيد بأن الشيخ مبارك وبعد شهر من إقامته في بوشهر، استبقاه خلاله الكولونيل ويلسون المقيم السياسي في الخليج، فقتل شقيقيه لدى عودته، لأنهما اعترضا على التحالف مع الأمير محمد بن رشيد شيخ شمر صاحب السلطان على نجد، ومع جاسم آل ثاني شيخ القبائل المقيمة حول قطر"[١].

وقد وفر الكولونيل ويلسون علينا مناقشة أغلب ما جاء في مذكرة مستر ستافريدس، حيث جاء تقريره المؤرخ في ٣ أكتوبر ١٨٩٦ نقضاً لأغلب ما جاء فيها، خاصة حول علاقته بمبارك، وإقامته معه في بوشهر، أو عن التحالف المقترح الذي أشار إليه مستر ستافريدس في مذكرته الآنفة الذكر. ففي هذا الصدد نذكر بعض ما حمله تقرير الكولونيل ويلسون: "القصة كما جمعها مستر ستافريدس، وفي ما يتعلق بهذه المعتمدية ليست صحيحة، وبدون أي أساس على الإطلاق. بل إنها كذلك مرجحة على نحو مضحك، ومليئة بالتناقضات..."[٢] إلى قول: "وليست هناك أية معلومات من أي نوع في هذه المعتمدية عن التحالف المقترح بين شيخ الكويت وابن رشيد وجاسم آل ثاني[٣].

كذلك جاء تفسير محمد حسن الحجي "أبن كاتب الأمير عبدالعزيز بن رشيد"[٤] مناقضاً أيضاً لتفسير مستر ستافريدس، بإنه بعد لجوء آل سعود إلى الكويت بدأوا يوغرون صدر مبارك ليتوسع على حساب إمارة آل رشيد بنجد، وعمل مبارك على إقناع أخويه اللذين رفضا طلبه لعدم قدرتهما وضعف إمكاناتهما وقلة طموحهما، فنتيجة لرفضهما ذلك قرر اغتيالهما[٥]. أما

---

(١) مستر ويلسون المقيم السياسي في بوشهر بالخليج العربي، وقنصل صاحبة الجلالة – ملكة بريطانيا – (سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت مصدر سابق ص٣١)

(٢) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٣) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق ص ٣٢.

(٤) حسن محمد الحجي، كاتب الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد الخاص وقتل مع الأمير عبد العزيز في موقعة روضة مهنا (مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن الصالح الجار الله، في مكتبة الصالح بحائل بتاريخ ٢٩/٢/٢٠٠٤).

(٥) الحجي: حسن، صدى الحرب (فظفر الأمير بن رشيد بالنجاح على الخائن للدين والدولة مبارك بن صباح)، مطبعة اللواء، القاهرة، ١٣٢٠هـ ص ص ٣و ٤.

الكوماندر بيكر Baker قائد السفينة البريطانية سفنكس Sphinx، الذي زار الكويت في شهر يوليو، فقد أبى إلا أن يدلو بدلوه في هذا الأمر، فيؤكد تقريره اغتصاب الشيخ مبارك للسلطة، لكنه يعتقد أن ذلك جرى بموافقة الأهالي[١]. ومن جانبه قدمَ الكابتن وايت، المعتمد السياسي البريطاني في البصرة، فور وصوله اسطنبول مذكرة إلى اللورد فيليب كوري Philip Currie[٢] السفير البريطاني في الآستانة، كانت عبارة عن تحليل ونقد لمذكرة ستافريدس التي تقدم ذكرها ويهمنا منها الآتي:

يصف مستر ستافريدس، مستشار السفارة البريطانية باسطنبول، الكويت بأنها مستقلة تمام الاستقلال. لكن، يبدو أن قبول الشيخ محمد الصباح لتعيينه قائمقاماً، من قبل السلطان العثماني، يحول دون إمكانية اعتراف أي دولة أجنبية باستقلاله في ظل الوضع الراهن[٣]. وكأن مستر ستافريدس أراد القول: بإمكانية استقلال الكويت تحت ظل العلم البريطاني أو الحماية البريطانية.فبريطانيا لا يمكن أن تعترف بدولة ما لم تقم باحتلالها. ويصف وايت المعتمد البريطاني في البصرة الأنباء التي استقاها مستر ستافريدس، من مصادر الباب العالي، بأنها غير دقيقة على الإطلاق، في ما يخص أسباب اغتيال الشيخ مبارك لأخويه. قال: إن الغرض الوحيد للشيخ مبارك من قتل شقيقيه، لا يعدو اغتصاب المشيخة، وتملكه للثروة التي يقال إنها كبيرة جداً، والتي جمعها الشيخ محمد الصباح[٤]. كذلك ينفي وايت في تقريره التحالف الذي أشار إليه مستر ستافريدس بقوله: "لم أسمع عنه شيئا" [٥].

ففي ظل تتبع لتكهنات الروايات المختلفة، سواء من المؤرخين الكويتيين، أو العرب، أو البريطانيين، أو غيرهم نجد لا مانع من عرض الرواية التالية،

---

(١) سلدانيا، مصدر سابق ص ٣٢؛ الخترش، مرجع سابق ص ٢٦.

(٢) اللورد فيليب كوري سفير بريطانيا في الاستانة وكانت مدة سفارته من ١يناير ١٨٩٤م إلى ٣٠ يونيو ١٨٩٨م (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٧/ ٣٩٢٤؛ الخترش، مرجع سابق ص٣٢)

(٣) سلدانيا، مصدر سابق، ص ٣٩

(٤) سلدانيا، المصدر نفسه ص ٤٠.

(٥) سلدانيا، المصدر نفسه ص ٤٠.

وتفسيرها لأسباب الصراع. قال صلاح الدين المختار: كان الشيخ مبارك يتمتع بمواهب جمة، منها حسن معشره، ومراعاته لأفراد شعبه على اختلاف ميوله ونزعاته ودرجاته. مما جعل أبناء الكويت يفكرون بانتزاع الحكم من الشيخ محمد وتقديمه هبة هينة لينة إلى أخيه الشيخ مبارك، وكان الشيخ مبارك يشعر تماماً بما يخالج أفئدة الشعب الكويتي، فاستغل الظروف المواتية(١).

سبق أن قللنا من أهمية قول مَنْ ذهب إلى أن انتزاع السلطة، على النحو الذي تم به، كان بموافقة الأهالي. إن كان مثل هذا التفسير مقبولاً فماذا يمنع قبولنا لمبدأ التفكير الجماعي، الذي جعل الكويتيين يفكرون في انتزاع الحكم، وتقديمه هبة، بينما قال الآخر: كان المركز شاغراً. إن شعور الشيخ مبارك بما كان يخالج أفئدة الشعب الكويتي، ربما حركه شيطان أكبر، فوسوس إليه بقتل أخويه. إننا أمام جريمة من أكبر الكبائر، والكل يعلم بعاقبتها، فهذا أمر لا يجوز تجاوزه، وإن تغافله البعض، سواء مَنْ حمَّل الشعب الكويتي وزر الجريمة حين وافق عليها، أو التفكير بالشهادة زوراً على الشيخ يوسف آل إبراهيم بأنه القاتل. لقد صمم الشيخ مبارك على التضحية بأخويه على مذبح الغضب والانتقام، وتقدم لقتل أخويه مدفوعا بيد الحنق، الذي غيب عقله، وقد سهل عليه ذلك شغفه بالحكم واستماتته في سبيله(٢).

وخلاف ما تقدم، إن دواعي الشقاق وأسباب الخلاف، التي أدت إلى الصراع بين مبارك وأخويه الشيخ محمد وجراح، تعود أساسا إلى التفاوت في المبادئ والتباين في الميول، والاختلاف في الطبائع والأخلاق. مما جعل هوة الخلاف بينهم تزداد اتساعا(٣). لقد طمع كل من جراح ومبارك في الشيخ محمد، فتقرب الشيخ جراح من الأخير حتى أصبح شريكه الفعلي بالحكم. لذا اشتدت المنافسة بين الشيخ مبارك وأخويه الحاكمين، وكان لها أسباب أخرى غير السبب السياسي.

كان الشيخ مبارك أبعدهم طموحًا، وأشدهم بأساً، وأحدَّهم طبعا. وكان الشيخ جراح صاحب النفوذ الأكبر في السلطة إلى جانب الشيخ يوسف آل

---

(١) المختار، مرجع سابق ص ١٩/١.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٤.

(٣) خزعل، مرجع سابق، ١٥٣/١.

إبراهيم، وجراح يحب المال بقدر ما يحب الشيخ مبارك المجد والشهرة[١]، بخلاف أخويه اللذين كانا يضيقان بطموحه، فضيقا عليه في النفقة، ليحرماه من الاشتراك في تدبير الأمور[٢]. كان النفوذ الأكبر في شؤون البادية للشيخ مبارك، فنزع إلى الحروب، لهذا كانت حاجته إلى المال دائمة، وكان أخواه يسيئان معاملته في هذا الجانب، فيمسكان عنه ما تقتضيه نفقاته، حتى الخصوصية منها أحيانا[٣]، فصبر على ذلك سنيناً، ولكن لم يدم صبره إلى الأبد.

فيروى أن الشيخ مبارك اشترى أثناء مطاردة لبني هاجر إبلاً للمعركة، فحوَّلَ البائع على الشيخ محمد الصباح. لكن الأخير امتنع عن سداد المبلغ، فلما بلغ ذلك الشيخ مبارك كظم غيظه. ثم حول البائع إلى ناصر البدر، فأبدى الأخير تعاونه، وحاول إصلاح ما أفسده الشيخ محمد، فطلب منه أن يكون السداد باسمه أمام الناس، لئلا يكثر منهم القيل والقال بعد أن شاع بين الناس الخلاف بين الأخوة، فسدد ناصر البدر المبلغ، واقتنع الشيخ محمد بتمثيل دور المسدد أمام الجميع[٤].

وكي لا تكون روايات التاريخ كالأحاجي والقصص، علينا العودة إلى أحداث آخر هجمة قادها الشيخ مبارك في عهد الشيخ محمد الصباح، وهي مهاجمة أو مطاردة بني هاجر. كان بنو هاجر هم المعتدين على السفن التجارية، فنهبوا الأموال والممتلكات، وأما من أعد الجيش، وأصدر الأوامر، وأسند القيادة إلى الشيخ مبارك، فهو الشيخ محمد. وقد اشتركت إلى جانب القوة الكويتية، قوة من قبيلة العجمان يقودها زعيمهم راكان بن حثلين. ويصعب تصديق الروايتين في الوقت نفسه. وإذا كان الشيخ محمد هو الذي أعد القوة، وهو الذي أمر الشيخ مبارك بمطاردة بني هاجر، فلربما كانت هذه القصة، شراء الإبل ورفض السداد من قبل الشيخ محمد، حدثت في غارة من

(١) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٨؛ القناعي، مصدر سابق، ص٢٦

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٣٨؛ الذكير، مصدر سابق، ص ٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/١٥٣؛ ارمسترنج، مرجع سابق ص ٥٠؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ٦٥؛

(٣) Rush. Al-Sabah, Op, Cit, p119

(٤) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص ١٣٩؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١١٤.

غارات الشيخ مبارك، التي قرر القيام بها بنفسه ولمصلحته الشخصية، ولم يذكرها المؤرخون. كانت المعارك التي خاضها الشيخ مبارك، وتولى قيادتها، بأمر من شيخ الكويت في عهد الشيخ عبد الله أو عهد الشيخ محمد الصباح، سواء تلك التي كانت تخص شؤون الكويت الداخلية، أو تلك التي شاركت فيها الكويت لدعم ومساعدة القوى المختلفة.

وإذا سلمنا بصحة الرواية الأخرى، ففيها نجد العذر لمن ادعى أن أهل الكويت كانوا يفكرون بانتزاع الحكم من الشيخ محمد الصباح، وتقديمه هبة هينة لينة إلى الشيخ مبارك، ففي الرواية الأخيرة دلالة على تراخي الشيخ محمد الصباح في حماية الكويت، وتجاهل منه صريح لاسترداد أموال الكويتيين، التي سلبها بنو هاجر. وهي أيضا تحمل الدلالة على أن الشيخ مبارك كان يجهز القوات بنفسه، ويقودها بقرار منه مجاهداً في سبيل استرداد أموال الشعب الكويتي.

لكن، هذه الهجمة أو المطاردة تحديداً لم تحتمل زمناً كالذي يستغرق في عملية اختيار الإبل. ثم تحويل البائع، ثم رفض السداد، ثم تحويل آخر للبائع..الخ. إن هذه الهجمة التي كانت مطاردة رُدت بها الأموال والممتلكات كاملة، تدل على أن القوة كانت جاهزة، فأصدر الشيخ محمد الصباح أمره بالمطاردة، مسنداً قيادتها للشيخ مبارك، بمشاركة قوة مساندة من قبيلة العجمان. وهنا يحق لنا إعادة تساؤلنا السابق: لماذا لم يمتنع الشيخ مبارك من قيادة القوة طالما امتنع الشيخ محمد من تسديد قيمة تجهيز القوة بالإبل؟! لقد مرت بنا في روايات أخرى: إن القصد من تكليف مبارك بقيادة الحملات، كي يسقط قتيلاً، وهذا ما كان يأمله أخويه الشيخان. لكن، لا توجد أي دلالات تشير إلى إعداد قائد بديل، يكون قادراً على حماية الكويت من مثل تلك الهجمات والغارات المتكررة، مثلاً: تعيين مَنْ يثقون به مرافقاً للشيخ مبارك، حتى يحل محله حال قتله المؤمل من قبل أخويه.

أما مَنْ ذهب إلى أن المال هو السبب الرئيس، فلا أظن أن أحداً أشار إلى أن الشيخ مبارك قد أحب المال بدرجة أكثر من حب الشيخين محمد وجراح له. فحب جمع المال لدى الأخيرين لم يدفعهما لقتل أخيهما مبارك، ولربما لو قتلاه لبررنا ذلك بدافع المال، طالما كانا على رأس السلطة. وبالمثل كان حب مبارك

للسلطة أكبر من حبه للمال، فلو مُنح المال لظل طلبه للسلطة قائما. والدليل على ذلك ما اتصف به من الإسراف والتبذير، فإن كان المال يعني له شيئاً، لجمعه ونماه كما فعل أخواه. ولكنه كان على يقين بأن السلطة سوف تجلب له المال، وليس العكس. لذا نجده قد انهمك في حملاته، وبنى علاقاته، ودبر في صمت، ونفذ في جنح الليل بما يشبع طموحاته. أجل، لقد كان المال أحد العوامل التي أثارت غضب الشيخ مبارك، وتحليلنا السابق لهذا العامل، سواء في جذور الخلاف، أو أسباب الصراع، لا يعني التقليل من شأنه. إلا أننا لا نقدمه سبباً مباشراً في الصراع، مما قد يفهم منه أن الصراع كان حول الثروة.

غير أن هذا العامل قد ظهرت أهميته، وأخذ يتعاظم تأثيره عندما تدخل الشيخ يوسف آل إبراهيم، كطرفٍ ثالثٍ في الخلاف الأول بين الشيخ مبارك وأخويه الشيخ محمد وجراح، وطرفٍ رئيسٍ في الصراع بينه وبين الشيخ مبارك، الشيخ الجديد للكويت، فعمق بتدخله هذا جذور الخلاف بينه وبين الشيخ مبارك، حسبما أفادت الرواية التالية: طلب الشيخ مبارك من أخويه الاعتراف له بقسطه من الأملاك، فامتنعا عن إجابته، ولم يصغيا لطلبه، حتى كاد الأمر يفضي إلى ما لا تحمد عقباه. إلا أن سالم البدر(١)، وثلة من أعيان الكويت توصلوا لإقناع الأخوين بالنزول إلى طلب مبارك. وأن يكتبا ثلاث أوراق إحداها خاصة بإحصاء بعدة الحرب من أسلحة وذخيرة، واثنتان فيهما الاعتراف له بما أراد، وأن تبقى إحداهما عنده والثانية بأيديهما(٢).

توصل الجميع إلى حل هذا الخلاف بهذا الاتفاق، الذي كتب أوراقه الشيخ يوسف آل إبراهيم بخطه طائعاً مختاراً، وبهذا رجعت المياه إلى مجاريها، وصفا الإخاء. ويمكن القول بأن الخلاف المالي بين الأشقاء قد حسم وانتهت

---

(١) سالم البدر: من عائلة القناعي وهو من الثقات وعمل في البداية (نوخذة) ثم ترك هذه المهنة واستوطن البصرة من اكبر تجار الكويت وكانت له مقاطعات زراعية كبيرة في البصرة وساهم في حملة مدحت باشا على الإحساء ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وكان له من أعمال الخير الكثير من بناء مساجد وإطعام المحتاجين ومساعدة المعوزين، ويعتبر من أعيان البصرة وسراتها، وتوفي في البصرة سنة ١٣١٢هـ (الحيدري، مصدر سابق ص ١٦٤؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٠؛ السبيعي، الحملةالعسكرية...، مرجع سابق ص ٥٥؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٨٢).

(٢) الذكير، مصدر سابق ص ٩٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٠؛ القناعي، مصدر سابق ص ٢٥.

مبرراته[١]، ليبدأ الخلاف بوجهه الجديد بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وذلك عندما احتاج الشيخ مبارك بعد فترة من الاتفاق السابق إلى شيء من المال، لقضاء ديونه بعد تراكمها. إلا أن طلبه قوبل في هذه المرة بالرفض والإعراض والصدود من قبل أخويه، فثارت العاصفة بعد سكونها، لتهد جانب الولاء، وتعكر صفو الإخاء[٢]، فسارع أعيان الكويت ثانية لإقناع الشيخ محمد بضرورة مرور هذه العاصفة بسلام. وبدوره ما خيب لهم رجاء، وأمر في الحال فهد الخالد الخضير[٣]بقضاء ديون الشيخ مبارك، التي بلغت ستة آلاف وستين ريالا[٤].

لقد كان الشيخ محمد الصباح، طيب القلب، سليم الطوية، وكان مثلما كان عليه حكام الكويت الذين سبقوه يستشير ويتناقش، ويقتنع برأي العقلاء من الأعيان. لم يرفض رأياً في فترة حكمه ملوحاً بالسلطة المطلقة. وبهذا أوشكت الأمور أن تنتهي بسلام، لولا الدور الذي مثله الشيخ يوسف آل إبراهيم، مما أحكم عقدة البغضاء، وشيد أركان العداء. إذ منع فهد الخالد من إعطاء الشيخ مبارك شيئاً، وبعث بعبد العزيز السميط[٥] إلى الشيخ مبارك طالباً منه تسليم الورقة التي بقيت بيده من الاتفاق السابق[٦].

أحس الشيخ مبارك بالمكيدة، فامتنع من تسليم الورقة التي تحفظ حقوقه، فقد كان الأمر كما ظن، حيث صارح الشيخ يوسف آل إبراهيم السيد خلف النقيب بمصير تلك الورقة، التي هي حجة مطالبة الشيخ بحقوقه مرة

---

(١) الذكير، المصدر نفسه ص ٩٩؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٢) الذكير، المصدر نفسه ص ٩٩؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٣) فهد الخالد الخضير آل خالد: يرجع نسب أسرته للعتوب وهو من بيت عز وجاه وعلم وأدب فكان من كبار تجار الكويت وأعيانها (الذكير، مصدر سابق ص٩٨؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق ١/ ٢٣).

(٤) الذكير، المصدر نفسه ص ٩٩؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٥) عبد العزيز السميط: وهو من عائلة السميط والتي يرجع أصلها إلى بلدة حرمه في سدير بمنطقة نجد وهاجرت في القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي إلى الزبير، وبعد استقرارهم بالزبير دخلوا في نزاعات مع بعض عوائل الزبير نتج عنه في النهاية خروج أكثر آل سميط منها واستقروا بالكويت، فأصبح من تجار الكويت وأعيانها ووقف إلى جانب مبارك أثناء صراعه مع الشيخ يوسف آل إبراهيم وكان من رواد مجلس خلف النقيب بالكويت (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٠؛ الحاتم، مرجع سابق ص٢٢٦؛ خزعل، مرجع سابق ١/ ٨٨).

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٠؛ الذكير، مرجع سابق ص٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٥.

أخرى[١]. فلما بلغ الأخير ما أكد ظنونه حول تلك المكيدة، وعلم بمدى مراوغة الشيخ يوسف آل إبراهيم له، أخذ غيظه يتعاظم، فأنهال بالشتائم على الشيخ يوسف آل إبراهيم[٢]، ومع ذلك لم ييأس من إمكانية الحل السلمي، فطلب من أعيان الكويت التدخل أيضا لتقديم النصح لأخيه الشيخ محمد الصباح، فلبوا طلبه، وأجابوا رجاءه، على الرغم من علمهم السابق، بأن الحل أولاً وأخيراً بيد الشيخ يوسف آل إبراهيم[٣].

وهنا تبرز أمام الشيخ مبارك الحقيقة بصورتها الكاملة، بأن الشيخ محمد الصباح لا يملك حق التصرف في المال، فما بالك بالسلطة! كما نما لعلمه أن الشيخ يوسف آل إبراهيم لا يمكن أن يكون طرفاً في حل هذا الخلاف، طالما أنه كان سبباً فيه. لذا انتدب السيد خلف النقيب، وعبد العزيز الزبن[٤]، وفهد الخالد، وعبد العزيز السميط، وفهد الدويرج[٥] إلى أخيه الشيخ محمد، يرجونه تصفية الحساب الذي بينهما، فلبوا طلبه[٦]، وتوجهوا إلى دار أخيه فأكد لهم الشيخ محمد الحقيقة التي جاءت على لسانه واضحةً صريحة، وأحالهم إلى المختص بالأمر الشيخ يوسف آل إبراهيم، حيث يكون هناك الملتقى. إلا أن هذا اللقاء لم يسفر عن شيء، بسبب المراوغات التي أبداها الشيخ يوسف آل إبراهيم، كما لم تنتج المشاورات التي تلته عن حل يرضي الشيخ مبارك[٧].

وحول أسباب حادثة اغتيال الشيخ مبارك لأخويه الشيخين محمد وجراح الصباح، التي اتفق عليها أغلب مؤرخي الكويت، نجد أن الشيخ يوسف آل إبراهيم كان ضمن العوامل أو الأسباب الثلاثة التالية، التي قال بها كل من: عبد العزيز الرشيد، وخزعل، والشملان، وغيرهم، وهي بإيجاز على النحو التالي:

---

(١) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٤٠؛ الذكير، المصدر نفسه ص٩٩.

(٢) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص١٤١؛ الذكير، المصدر نفسه ص٩٩.

(٣) الذكير، مرجع سابق ص٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٥.

(٤) عبد العزيز الزبن: من تجار الكويت وأعيانها وكان صديقاً مقرباً إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٠؛ معلومات زودني بها بخط يده الأستاذ يعقوب آل إبراهيم في منزله بالكويت بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠٠٥م).

(٥) فهد الدويرج: من أعيان الكويت وكان مقرباً لدى الشيخ مبارك (الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص ١٤٠).

(٦) الذكير، مصدر سابق ص٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٥.

(٧) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤١؛ الذكير، مرجع سابق ص٩٩.

أولاً: أن الشيخ مبارك كان ذا نفس عالية طموحة، فدفعه ذلك إلى تقديم مشاريع توسعية لا حد لها، وكان ميالاً إلى الحروب، باذلاً كل ما يملكه من مال وقوة في سبيل تحقيق مطامحه. بينما كان أخواه الشيخان محمد وجراح يميلان إلى الدعة والسكون، لذا كانا لا يشجعا إندفاعه الطموح، ويحدَّان من سلطته ويضيقان عليه[١].

ثانياً: إن القول "بأن الشيخ محمد قد سلم مقاليد الحكم والسلطة لصاحب الكلمة العليا الشيخ يوسف، فلمعت شخصيته حتى طغت على كافة شخصيات آل الصباح، الذين لم تكن تسمع لهم كلمة دون موافقة الشيخ يوسف. فعمل الشيخان محمد وجراح على إبعاد الشيخ مبارك، ومضايقته من ناحية، كما كان الشيخ يوسف لم يخفي مضادته بعد أن صارت السلطة الحقيقية في قبضته"[٢].هو قول يعتريه الكثير من المبالغة، فأذا كانت أمور المدينة والحضر بيد الشيخ محمد وأمور البادية والعسكر من أختصاص الشيخ مبارك أما الامور المالية فهي للشيخ جراح فماذا يبقى للشيخ يوسف لتكون: "بيده مقاليد الحكم والسلطة"؟. كما أن من سوقوا هذا الادعاء والحكم بالمطلق لم يأتوا بأي دليلا أو اثبات.

ثالثاً: الحصار المالي الذي فرضه عليه أخواه بمعاونة الشيخ يوسف أحيانا، كما سبقت الإشارة، في خطوة للحد من توسيع نفوذه، برفضهما حوالاته التي كان يحتاجها لتزويد هجماته التوسعية بالمؤن، إضافة إلى منعهما عنه المال حتى في مصاريفه المعيشية وحوائج بيته. ثم التدخل المباشر من قبل الشيخ يوسف آل إبراهيم في منع وصول المال اللازم لقضاء ديونه[٣].

إذا أمعنا النظر في هذه العوامل والأسباب التي قال بها أغلب مؤرخي

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ خزعل، المصدر نفسه، ١/ ١٥٤؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص ١٤٠؛ الحجي، المصدر نفسه ص٤ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق ٢/ ٦٥٨؛ الحجي، مصدر سابق ص٤؛ وهبه، مصدر سابق ص٨٥ الشرباصي، مرجع سابق ص١٤؛ البنعلي، مصدر سابق ص١٤٥؛ Rush. Al-Sabah, Op, Cit, P119

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١/ ١٥٤؛ الشملان، من تاريخ الكويت، المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٣٩؛ خزعل، المرجع نفسه، ١/ ١٥٤؛ الشملان، من تاريخ الكويت، المرجع نفسه، ص ١٣٩

الكويت، نجدها قد استندت إلى دلائل تاريخية تؤخذ بنظر الاعتبار، يمكن الاعتماد عليها في شرح أسباب الصراع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وتأكد بأنه لا وجود لأطراف أخرى، كالدولة العثمانية أو بريطانيا، أي دور في عملية الاغتيال. أشارت تلك الأسباب إلى طبيعة شخصية الشيخ مبارك الطموحة، فهي عامل من عوامل سعيه للاستيلاء على السلطة، إضافة إلى عامل الضغط المالي الذي مارسه ضده أخواه، وعدم اهتمام من الشيخ يوسف آل إبراهيم، الذي كانت بيده مقاليد الأمور. ويصح القول: إن جذور الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، وتطوراته في المراحل المختلفة، كانت نتيجة الصراع حول السلطة بشقيها السياسي والمالي. فبينما كان الشيخ يوسف صاحب السلطة الحقيقية في عهد الشيخ محمد الصباح، بما يملك من نفوذ اقتصادي، ودهاء سياسي، كان الشيخ مبارك حامل لواء القوة، وهي السلطة العسكرية. بل صاحب الخبرة فيها، بما يملك من جرأة، ويتمتع بطموح، ولم تضع عملية استيلائه على السلطة حداً للصراع بينهما، كما سنرى لاحقاً.

استيلاء مبارك على السلطة

وصل الشيخ مبارك الصباح إلى سدة الحكم على دماء شقيقيه الشيخين محمد وجراح، وتنصيب نفسه شيخاً على الكويت، بعد اغتيالهما مباشرة، وتسلم زمام السلطة فيها[١]، وذلك في يوم الجمعة ٢٥ من ذي القعدة عام ١٣١٣هـ الموافق ٨ مايو١٨٩٦[٢]. تمت عملية القتل كما رواها القناعي على لسان الشيخ جابر بن مبارك الصباح، أحد منفذيها والمشاركين فيها[٣] بالقول: "رأيت مبادئ الحركة عند خدم الوالد تلك الليلة (ليلة ٢٥ ذي القعدة)، ولكني

(١) القناعي، مصدر سابق، ص٢٧؛ عبدالله البسام، مصدر سابق، ص٣٠٨؛ العبد المحسن، مصدر سابق، ١/ ٣٠٥.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص٢٥؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ ابن عيسى، عقد الدرر، مصدر سابق، ص١١٥؛ عبدالله البسام، مصدر سابق، ص٣٨٠؛ بن ناصر، مصدر سابق، ورقة٤٦؛ الريحاني، ملوك العرب..، مصدر سابق ٢/ ٦٥٨؛ وهبة، مصدر سابق، ص ٨٥.

(٣) جابر بن مبارك الصباح: الحاكم الثامن للكويت "١٣٣٤هـ - ١٣٣٥هـ" تولى الحكم بعد والده مبارك الصباح وأول عمل قام به هو أنها ضريبة الثلث عن الكويتيين التي تؤخذ على العقار والبيوت (الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص١٨١).

لم أجزم بأن المراد هو القتل، فبت في بيتي. ولما مضى أغلب الليل خرجت إلى محل الوالد فإذا هو وسالم[١] وجميع الخدم على أهبة الهجوم، فأمرت خادمي أن يأتي بسلاحي من البيت. ولما طلع الفجر خرج صباح بن محمد[٢] للمسجد، وصار البيت مفتوحاً فحينئذ دخلنا البيت والكل نيام، فأمرني الوالد أن أتوجه لجراح وتوجه الوالد إلى جهة محمد، ووقف سالم بالباب كي لا يدخل علينا أحد. ولما صعدت على سطح البيت وتوجهت إلى عمي جراح رأيت باباً صغيراً مغلقاً بين سطحين، فحركته فانفتح ودخلت عليه، فإذا هو قاعد على سريره وزوجته بقربه، فصوبت عليه البندقية فلم تصدق (أي لم تطلق النار) فتأخرت إلى الخلف، وأمرت الفداوية[٣] فصوبوا بنادقهم وهو يقول: عمك، عمك (أي أتق الله في عمك)"[٤] انتهى.

أما قتل محمد، فحسب رواية الرشيد، تم بدخول مبارك عليه وهو نائم، ولما أيقظه وشعر بنيته استغاث به، وذكره بماله من الحق والحرمة فما وجد ذلك الصوت المحزن ولا ذلك الاستعطاف الحار سبيلاً إلى قلب مبارك، الذي امتلأ حقداً وغضباً[٥]. ويتضح من خلال عملية القتل هذه طبيعة وأحوال إمارة الكويت، حيث كان الحاكم ينام في بيته من دون حراسة، وبالبساطة التي

---

(١) سالم بن مبارك: أكبر أبناء مبارك وهو صهر عمه جراح (القتيل) حيث تزوج مريم بنت جراح قبل الحادثة بعام ١٣١٢هـ/١٨٩٥م "وهي أم عبد الله السالم الحاكم الحادي عشر للكويت "وهو الحاكم التاسع "١٣٣٥ - ١٣٣٩" تولى الحكم بعد وفات أخيه جابر فكان عفيفاً تقياً محارباً للفسق والفجور أثناء حكمه وقام بتخفيض الرسوم الجمركية (الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص١٨٣).

(٢) صباح بن محمد: الابن الأكبر للشيخ محمد وكان رجلاً متديناً محباً لعمل الخير محافظاً على صلاة الجماعة في المسجد فلا يتركها طوال العام لأي سبب كان ويذكر وليمسون أن صباحاً يخرج قبيل صلاة الفجر ويترك الباب الصغير (الخوخة) مفتوحاً ولا يعود من المسجد لا بعد شروق الشمس، فاختار هذا الوقت لتنفيذ مخططه. (ستانلي هوب، مرجع سابق ص ١٤٥؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٤).

(٣) يتضح أن جابر بن مبارك كان متوتراً حينما حاول تصويب بندقيته، ولم يفلح فعاجله عمه بالقبض عليه، ساعدته زوجته، وكادا يتغلبا عليه لولا مبادرة خادم اسمه متعب الشلاش، الذي صوب بندقيته فأرداه قتيلاً، وهو من العجمان. وكان المذكور ممَنْ اعتمد عليهم الشيخ مبارك لنقل رسائله المهمة (راجع القاسمي، بيان الكويت، ص ١١٩).

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص - ص ٢٦ - ٢٧.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٥

كان يعيشها، والثقة المتبادلة بين الحاكم وشعبه، يسقط مبدأ التحسب للغدر أو المفاجآت.

انفرد في صبيحة ذلك اليوم الشيخ مبارك الصباح بالحكم، فضجت الكويت وارتفع العويل من أقصاها إلى أقصاها[١] لحادثة لم يشهد تاريخ الإمارة مثيلاً لها، حيث أول مرة يتم الوصول إلى سدة الحكم عن طريق سفك الدماء، وقد وصف مؤرخ الكويت القناعي، وهو من المعاصرين للحدث، ردة فعل أهل الكويت بقوله: "قُتل الأخوان بذلك اليوم النحس، الذي لم تشهد الكويت منذ تأسست مثله.فلا ترى إلا عيناً دامعة، وقلوباً خاشعة"[٢]ومما يزيد المأساة عمقاً أن القتيلين أشقاء القاتل وأعمام المشتركين، إضافة إلى أن سالم بن مبارك متزوج حديثاً من ابنة عمه القتيل جراح قبل عام من هذه المأساة"[٣].

لكل ما تقدم على الباحث عن الحقيقة أن يحذر مما كتبه ديكسون حول حوادث ١٨٩٦، ففيها ما فيها من مغالطات. ولنأخذ عينه من ذلك على سبيل المثل لا الحصر.

قال ديسكون: إن مبارك "نادى الخدم المتجمهرين في الشرفة، وأمر سعود ابن محمد، فقال له: يا بُني أذهب وأغسل أبوك وعمك وإدفنهما، فإن الله كتب موتهم ليلة البارحة، وقدر أن أحكم مكانهما وشكراً لله. ولما وجد مبارك أن الفتى سعود قد أصابه الذهول لسماع الخبر نظر إليه مبارك برهة وسقطت من عينيه دمعتان كبيرتان على خديه، وسُمعت منه همهمة: إخوتي، إخوتي" (عرب الصحراء، ص٦٥).

ولنا تدحيض فيما ورد بالاتي: إن الحادث وقع في بيت يتألف من دور واحد، ويقع في سكة ضيقة، بفريج الشيوخ، في بهيته، وهو البيت الذي سكنه المغدوران، وأمامه ديوانية الشيخ جابر بن عبد الله، وربما جرى الحوار فيها، وهي من طابق واحد أرضي لاغير، ولا مقصورة فيه، والمقصورة كما يعرفها

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٤٥.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص٢٧.

(٣) الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص١٨٣. مريم بنت جراح والدة الشيخ عبد الله السالم الصباح، مواليد ١٨٩٥.

الجميع هي الشرفة، التي تطل على فضاء مفتوح. ولجهل ديكسون بالموقع جعل اعتقاده أن الحادث وقع في قصر السيف، والذي تحف طابقه الاعلى المقصورات من كل جوانبه، فهو مبني من طابقين، ويطل على فضاء من جميع جوانبه، والبحر من شماله، غير أن ما يفند رواية ديسكون أن قصر السيف شُيد العام ١٩٠٧ أي بعد ١١ سنة من حادث قتل الشيخين.كما اعتقد خطأً بأن البيت المطل على البحر، أنه بيت الشيخ مبارك والحقيقة انه بيت الشيخ يوسف الإبراهيم، والذي سكنه الشيخ مبارك لاحقأ بعد واقعة الصريف ١٩٠١م.

أما الشيخ سعود فأن رواية شاهد العيان عبد الله وليمسون (المعروف بالمسلماني) في كتاب "المغامر العربي" لمؤلفه ستانتن هوب، وترجمه رضوان مولوي تحت عنوان "الهارب إلى الله": أن سعود بن محمد حينما تلقى نبأ مقتل والده وعمه أسرع إلى أسطبل آل إبراهيم قرب دروازة العبد الرزاق، وسط الكويت، وامتطى فرساً واتجه إلى قصر الشيخ يوسف الإبراهيم في الصَبية، وكانت المسافة تقارب مئة كيلومتر، وقد نفق الفرس تحته، وهذا يعني أن الشيخ سعود لم يلتق بعمه بعد مقتل والده إلا بعد سنوات. وقد أورد المؤرخ عبد العزيز الرشيد من أن مبارك قام بدفن المقتولين، ثم دعا وجهاء البلد وأشرافها (تاريخ الكويت، ص ٢٤٤). ولا نعتقد تظلع ديكسون بحكم الشرع: في أن الشهيد والمقتول ظلماً، فهو لا يُغسل، ويجب بقاء دمه عليه، ويدفن بثيابه التي قتل فيها. هذا ماجاء في الفقه في حكم القتيل. وهو ما اتفقت عليه المذاهب الإسلامية كافة.

ردود الفعل المباشرة

لا يوجد فاصل زمني بين حادثة القتل وتولي السُّلطة من قِبَل الحاكم الجديد، الشيخ مبارك الصباح، سوى ما تبقى من ساعات تفصل بين ليلة وفجر يومها التالي، وكان إيذاناً ببداية عهد جديد، ورسم خُطى الكويت على الخارطة السياسة في المنطقة. فإذا اعتبر البعض أن حادثة القتل شأن داخلي في الكويت، فإن ردود الفعل لاستيلاء الشيخ مبارك على السُّلطة قد تنوَّعت، ويمكن تقسيمها إلى ردود فعلٍ داخلية، وأخرى خارجية. لقد ضجت الكويت

لهذه الحادثة، التي ربما كانت مألوفةً في مناطق الجزيرة العربية، أما بالنسبة للكويت فغير مسبوقة لكون أهل الكويت يميلون إلى الاستكانة، ويستهجنون العنف بأشكاله[١]، حيث أوجدت عملية الاغتيال خصوماً كثيرين لمبارك في الداخل والخارج كراهةً لما قام به[٢].

كما أنَّ ردة فعل الكثيرين من أهل الكويت المعاصرين لهذا الحدث سواء امتعاظهم لعملية القتل، على النحو الذي جرى، أو إبداء التعاطف مع قضية أبناء القتيلين فذلك أمر طبيعي، ولا يجوز بحال من الأحوال قبول مذهب مَنْ يحاول إقناعنا بأنَّ عملية القتل أمرٌ عادي ومقبول في مجتمعاتنا[٣]. وقد فندنا من قبل على قول من ذهب إلى أن هذا الحدث تم بموافقة أهل الكويت، وعلى النقيض جاءت مخطوطة الذكير: إن أهل الكويت أنفسهم كانوا يميلون إلى الأولاد - أبناء الشيخين محمد وجراح - ويتمنون نجاح قضيتهم[٤]. ويتعذر بمكان ثبوت هذا الميل وذاك التمني من قِبل أهل الكويت عامةً، لنجاح قضية أبناء الشيخين، ولذلك تكون عملية التعميم هذه مرفوضة. إنَّ المقبول في هذا الأمر هو أنَّ لكل طرف من أطراف هذه القضية أنصاره ومؤيديه والمتعاطفين معه، والمعارضين له، ويجب ألا ننسى من هم في الحياد من البسطاء والعامة، الذين لا ناقة لهم ولا جمل في هذا الأمر خاصة، وفي معظم الأمور عامة.

وكما أسلفنا وفور وقوع الاغتيال تمكن سعود بن الشيخ محمد الصباح[٥] من الهرب، قاصداً قصر الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصَبيَّة. ويذكر الحاج عبد الله المسلماني وليمسون Willimson، الذي كان ضيفاً في

---

(١) Whigham, Op, Cit, p96

(٢) الذكير مصدر سابق، ص١٠٢؛ Whigham, Op, Cit, P104

(٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ٦١؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٢.

(٥) سعود بن محمد آل صباح: الابن الثاني للشيخ محمد الصباح ولد بالكويت سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م وكان أكثر أبناء الشيخ محمد معاداة لعمه مبارك وكان ذا همة ونشاط وحيوية وارتبط بيوسف طوال فترة الصراع ضد عمه مباركاً، وكان أول الخارجين من أخوته بعد الاغتيال، زوجه مبارك لاحقاً اثنتين من بناته، وعاش معظم حياته لحين وفاته فقد عاش معظم حياته لحين وفاته سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٣م بأملاكه في كوت الزين جنوبي البصرة (يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق ص ١٤، ١٥).

تلك الفترة عند الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصَبيَّة: "لقد وصلت أخبار الاغتيال إلى مقر الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصَبيَّة، وقد جاء بها سعود ابن أحد القتيلين، والذي أمتطى حصان نفق من أثر التعب عند وصوله لنا من الكويت..."[١]. بينما لم يتمكن بقية أبناء الشيخين محمد وجراح من الفرار[٢].

وبعد دفن القتيلين، عمد الشيخ مبارك إلى السيطرة على الوضع الداخلي مباشرة، حيث اجتمع مع وجهاء الكويت وأشرافها، فمسح دموعه[٣]ثم باغتهم بكلمته الموجزة قائلاً: "قُضِيَ الأمْرُ، ولا مَرَّد لما قضاه الله، والآن فما رأيكم[٤]؟ وماذا أنتم عازمون عليه؟ فما كانوا يملكون سوى مبايعته[٥]، فعاهدهم على إقامة العدل والسعي في الإصلاح وأن لا يقطع أمراً بدون مشورتهم"[٦]. وتمت المبايعة دون إرادة مختارة فاستلام الحكم جاء عنوة فافتقد الشرعية السياسية وقتها وحول مسار الحكم نحوه ومن ثم ذريته.لكن، لم يهنأ الشيخ مبارك بهذه المبايعة، فلا يزال هناك ما يعكر صفوها، مما هو ماثل أمام ناظريه من جهة أبناء أخويه القتيلين، الشيخين محمد وجراح، ومن جهة الشيخ يوسف آل إبراهيم[٧]. هذا بالإضافة إلى ما أفرزته عملية الاغتيال من ردود فعل مختلفة، أفرزت خصوماً من الكويتيين، وذلك بغضاً لفعلته وتعاطفاً مع أبناء القتيلين[٨].

---

(١) ستانتن هوب، مرجع سابق، ص – ص ١٤٦ – ١٤٧. كانت المسافة من اصطبل الإبراهيم قرب دروازة العبد الرزاق إلى قصر الصَبية براً حولى مئة كيلو متر.

(٢) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ القناعي، مصدر سابق، ص٢٩؛ الفرحان مرجع سابق ص ٢٩، أبناء الشيخ محمد من زوجته هيا بنت علي بن جابر وهم (صباح وسعود وعذبي وخالد، ولهم أخ من الأب اسمه علي أما جراح فابنه حمود من زوجته منيرة بنت علي بن جابر (مقابله مع السيد محمد صالح آل إبراهيم بمنزله في الفنطاس بدولة الكويت في تاريخ ١٤٢٣/٦/١١هـ (Rush Al-Sabah, Op, Cit, P246).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٤) كانت مقولة الشيخ مبارك بالحرف الواحد: "يسراي قصت يمناي وصار ألي صار وشل الراي".

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١، عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٤٨.

(٦) عبد العزيز الرشيد: مصدر سابق ص ١٤٨.

(٧) الذكير، المصدر نفسه، ص١٠٢؛ الشرباصي، مرجع سابق، ص ١٥.

(٨) الذكير، المصدر نفسه، ص١٠٢؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

عندها، أدرك الشيخ مبارك صعوبة القبض على الشيخ يوسف آل إبراهيم، وهو بالصَبيَّة، فبادر إلى طمأنة خصمه على حياته وماله ومركزه[١]، عِبْر سيل من الرسائل المعسولة، وأرسل له رسلاً من أجل استقدامه، وتقديم جميع الضمانات على سلامته[٢]. وبالمقابل، لم تكن ردة فعل الشيخ يوسف آل إبراهيم سوى مقابلة دهاء الشيخ مبارك بدهاء أدهى، فتظاهر يوسف بعدم الاهتمام وأنه سيعود إلى الكويت قريباً[٣]. وقد كان على يقين بأن نقمة الشيخ مبارك عليه لم تكن لتقل عن نقمته على أخويه، الشيخين محمد وجراح، وأن القتل مبيت ما أنْ تطأ قدماه مدينة الكويت[٤]. فقد مثّل الشيخ يوسف آل إبراهيم قاعدة مثلث القوى، التي حاصرت الشيخ مبارك قبل استيلائه على كرسي الحكم، فطالما بقيت هذه القاعدة قويه تكون عمليه إعادة بناء هيكل القوى الثلاثية من جديد أمراً ممكنا، من الناحيتين النظرية والعملية، ذلك لوجود أبناء الشيخين محمد وجراح.

لذا صاحبت عملية الاستيلاء على السلطة محاولات متكررة، قام بها الشيخ مبارك، لكسب ثقة أبناء أخويه القتيلين، وجهوده المتواصلة في مواساتهم، وإظهار عطفه ومودته نحوهم، بُغْية إزالة ثورة الغضب، ومسح موجة الحزن عن صدورهم[٥] لضمان عدم مطالبتهم بالثأر. وقد حاول الشيخ مبارك أن يحصل على وكالة عامة من أبناء أخويه، بذريعة المحافظة على حقوقهم، مستخدماً في ذلك أسلوب الملاطفة. لكنه لم ينجح في تحقيق غرضه[٦]، فأجَّلَ الأمْرَ مفضلاً عدم اللجوء إلى إتباع سياسة الإجبار، وبعد

---

(١) الذكير، المصدر نفسه، ص١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، المصدرالسابق، ص ١٤٩؛ خزعل، مرجع سابق، ١٤/٢.

(٢) الذكير، المصدر نفسه ص؛ ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٩؛ ستانلي هوب، مرجع سابق، ص١٤٧

(٣) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٤؛ مقابله مع الأستاذ عبد الرزاق بن إبراهيم بن صالح آل إبراهيم في منتجعه على ساحل العقيلة بالكويت في ١٦/ ٣/ ٢٠٠٥م

(٤) الذكير، المصدر نفسه ص١٠١؛ الرشيد، المصدر نفسه ص ١٤٩؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ١٤.

(٥) خزعل، المرجع نفسه ٢/ ١٥.

(٦) الذكير، مصدر سابق ص ١٠١؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ١٥.

أيام حاول ثانيةً، إلا أنه لم يجِد الوقت مناسباً أيضاً، لعدم صفاء نفوس الأبناء بالدرجة التي تسمح له بمفاتحتهم في مثل هذه الأمور[١].

تحكم الشيخ مبارك في شأن أبناء أخويه بإبقائهم تحت الإقامة الجبرية، وتحت سيطرته كرهائن يحِدُّ بهم من التحركات المتوقعة من قِبَل الشيخ يوسف[٢]. ومع هذا فقد نجح أبناء الشيخين محمد وجراح في تنفيذ خطة الهرب من الكويت بمساعدة حمد بن عبدالمحسن الغرير، أحد كتاب الشيخ محمد وجراح، ومن المقربين من الشيخ يوسف آل إبراهيم، ووصلوا بأمان إلى حمى الشيخ يوسف في الصبية[٣].

لقد رجحت قضية الشيخ يوسف ضد الشيخ مبارك، بوصول أولاد الشيخ محمد الصباح: صباح وخالد وعذبي وعلي أخاهم غير الشقيق، حمود بن جراح الصباح، وقد غادروا الصَبيَّة ومن ثم إلى البصرة[٤] والزبير[٥]، فشكل بذلك أكثر الأخطار أثراً على حكم الشيخ مبارك.

وقبل ذلك وعقب حوالى أسبوعين من حادثة القتل، أي في ليلة عيد الأضحى من سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦، قرر قسم من عائلة آل إبراهيم ترك الكويت، فخرجوا على دفعات من بيوتهم في بهيتة، وركبوا البحر واتجهوا إلى الدورة[٦]، ومعهم

---

(١) الذكير، المصدر نفسه، ص١٠١.

(٢) الذكير، المصدر نفسه، ص١٠١.

(٣) الذكير، المصدر نفسه، ص١٠١؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢/١٥؛ معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب آل إبراهيم بدولة الكويت في تاريخ ١٧/٣/٢٠٠٥م

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص٢٩، معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن آل إبراهيم بدولة الكويت في تاريخ ١٧/٣/٢٠٠٥م.

(٥) الزبير: تقع غرب البصرة على أطراف البادية وتبعد عن سفوان "٤٥" كيلومتراً وعن مدينة الكويت "١٣٠" كيلومتراً وسميت بهذا الاسم لوجود ضريح الصحابي الجليل الزبير بن العوام فيها، وهي محطة لاجتماع القوافل المتجهة من البصرة إلى الشام، وهي من أقرب المدن البرية إلى الكويت، وسكانها من أهل نجد هاجروا إليها في عهد الدولة السعودية الأولى ومن العوائل المشهورة في الزبير "البسام والمنديل والمشري والزهير والوطبان والغملاس والصالح والحميدان والذكير والبراهيم والبشر..ألخ" وأهلها كلهم من أهل السنة والجماعة (الحيدري، مصدر سابق، ص١٥٥؛ انظر عبد الرزاق الصانع، ، وعبد العزيز العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٣٤٢هـ، "ط١" مطابع المقهوي، الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١/٤٥ وما بعدها؛ خزعل، مرجع سابق، ١/٨٣ - ٨٤ - ٨٥).

(٦) الدورة "دورة بن إبراهيم": تقع شمال بلدة الفاو جنوب منطقة الدواسر عند مصب شط العرب من =

عائلاتهم، والتي يبلغ عددها عشر عوائل[(١)]، وعائلتا الشيخ محمد وجراح، اللتان كانتا موجودتين في منزل أمهم شيخة بنت علي آل إبراهيم[(٢)]، وابنتيها هيا زوجة الشيخ محمد، ولولوة زوجة الشيخ جابر بن فاضل. وكان يصحبهم ابن أخيها[(٣)] مشاري بن أحمد آل إبراهيم[(٤)]. فقام الشيخ يوسف بشراء ثلاثة بيوت في الزبير[(٥)]، لاسكان العائلات، حتى تم بناء مساكن لهم في الدورة،

= الجهة الغربية وهو مكان التفاف دورة ومجرى الشط فأطلق عليها (الدورة) ويزرع فيها النخيل والأرز والعنب والجوافة والبرتقال ويوجد فيها أملاك كبيرة لعائلة آل إبراهيم، وقد قام بشرائها علي بن محمد آل إبراهيم، وعبد الله بن عيسى آل إبراهيم " " والد يوسف "وأصلح آل إبراهيم أرضها المهملة وزرعوا النخيل والأرز فأصبحت من الأملاك القيمة وعرفت بجودة وكثافة إنتاج تمورها وعددها - ١٢٠٠٠ - نخلة فاشتهرت وحملت اسم صاحبها فأُطلق عليها" دورة بن إبراهيم كما اشتهرت بصناعة الطابوق الأحمر لكنها توقفت بعد حملة يوسف آل إبراهيم البحرية الأولى ضد الشيخ مبارك عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م نتيجة لنفقات النقل إلى البصرة، وعدد ساكنيها - ١٥٠٠ - من العتوب وقبيلة عيدان وفيها ١٢ قرية (لوريمر دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق ١/١٤٧ - ١٤٨؛ الفرحان، مرجع سابق ص٧٨؛ انظر يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ١٥ - ١٦ - ١٧).

(١) مقابله مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ.

(٢) شيخة بنت علي بن محمد آل إبراهيم: زوجة علي بن جابر عبد الله الصباح وهي أم هيا زوجة الشيخ محمد الصباح ومنيرة زوجة جراح الصباح وهي جدة أبناء الشيخ محمد وجراح آل صباح وكانت مستقرة مع بناتها في بيوت آل إبراهيم في بهيتة، بعد وفاة زوجها علي بن جابر ١٢٧٦هـ ١٨٦١. وكانت عائلتا الشيخين محمد وجراح تقضيان عندها أكثر الأوقات، وبعد عملية الاغتيال انتقلت هيا ومنيرة وأبناءهن إلى بيت أمهن شيخة وخرجتا مع بقية عائلات آل إبراهيم (الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية..مرجع سابق ص٨٢؛ مقابله مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ Rush, Al-Sabah, Op, Cit, P206

(٣) الذكير، مصدر سابق ص١٠١. ومن تدوينات عبد الله العبد الإله القناعي مايلي: لكن عائلة عبد اللطيف وإبراهيم بن عبد الوهاب آل إبراهيم وبقية العائلة والخدم في بيت العود الكبير غادروا في ٢٢ ربيع الثاني ١٣١٤هـ ١/٢٤ أكتوبر ١٨٩٦ أي بعد أربعة أشهر من خروج بعض أفراد العائلة، وكان سفرهم على متن سفينة "بغلة" العائدة إلى شيخ خزعل، جرت صناعتها في الكويت، وكانت أول سفرة لها. ومن المرويات: "أن الشيخ مبارك لدى سماعه عزم أبناء الشيخ عبد الوهاب الإبراهيم مغادرة الكويت ذهب إلى ديوان آل إبراهيم طالباً منهم البقاء، ومحاولاً اثناءهم. وكان جواب عبد اللطيف: إن السيل يتبع مجراه، والديرة ألي ما فيها يوسف صعب البقاء فيها".

(٤) مشاري بن أحمد بن علي آل إبراهيم: ابن خال الشيخ يوسف آل إبراهيم وهو المسئول عن عائلات آل إبراهيم أثناء تواجدهم في الزبير وكان معه أثناء خروجه حمد الخنيني وتزوج من عائلة الصالح بالزبير (الذكير مصدر سابق ص١٠١؛ الصانع، مرجع سابق ١/٥٦؛ مقابله مع السيد عبد الرزاق بن إبراهيم بن صالح آل إبراهيم في منتجعه على ساحل العقيلة بدولة الكويت في تاريخ ١٦/٣/٢٠٠٥م)

(٥) اشترى يوسف ثلاث بيوت في حي الرشيدية بالزبير وأصبحت فيما بعد بيوت لآل صباح حتى عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م (مقابله مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت =

وانتقلوا لها عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧[١]. ذلك لأن الدورة كانت لا تصلح دار سُكنى نتيجة الفيضانات التي ضربت ولاية البصرة، خلال سنة ١٣١٣هـ، واستمرت سبعة أشهر، وغمرت كل بساتين النخيل، واتلفت ما كان مغروساً منذ عشر سنين[٢]. ومما يُذكر من فداحة الخطب أن أهل الكويت لم يحتفلوا بعيد الأضحى تلك السنة، الذي صادف كذلك يوم الدشة (مغادرة السفن للغوص). فلم يخرجوا كالعادة سنوياً، وربما كانت تلك أول سنة لم يخرج فيها الكويتيون للغوص.

تمخض موقف بعض أهالي الكويت، ومن هؤلاء الشيخ مبارك بن عذبي الصباح عن أمر جديد[٣]فبعد أن علم بالاغتيال، وهو مقيم في بادية الكويت بمهمة، قرر الوقوف ضد الشيخ مبارك[٤]، والتحق بصديقه الشيخ يوسف آل إبراهيم في موقفه ضد الشيخ مبارك الصباح[٥]. ويذكر الذكير أن الشيخ محمد الصباح كان قد أرسل يطلب عودة مبارك العذبي إلى الكويت قبل حادثة الاغتيال، فلما علم الشيخ مبارك بذلك أسرع بالاستعداد والتأهب لاغتيال أخويه قبل عودة مبارك العذبي من الصحراء[٦]. وجاء توقيت عملية الاغتيال أيضاً نتيجة عدم تواجد الشيخ يوسف آل إبراهيم ومبارك العذبي، إذ حالما علم

= بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣هـ؛ معلومات زودني بها كتابياً السيد يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم، بتاريخ ٥/٥/٢٠٠٥م؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٨٦).

(١) وتنقل ال إبراهيم بعد خروجهم من الزبير في مناطق عدة، فاستقروا في قطر مدة ثم انتقلوا إلى جزيرة موسى في الخليج العربي ثم اتجهوا إلى مكة المكرمة فترة عادوا بعدها إلى الدورة. (الزعبي، فاديه، عائلة آل إبراهيم الكويتية مرجع سابق ص٨٢؛ مقابله مع السيد محمد صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت في يوم ١٠/٦/١٤٢٣هـ)؛ ويذكر وليمسون ان خروج عائلات الشيخين محمد وجراح وعائلات ال إبراهيم إجباريا وبأمر من مبارك (ستانلي، هوت، مرجع سابق ص١٤٧)

(٢) عبدالله البسام، مصدر سابق ص٣٨٠.

(٣) مبارك بن عذبي بن مبارك بن جابر بن عبد الله بن صباح ولد عام ١٨٤٥م وعرف عنه الشجاعة والإقدام ولم يكن على وئام مع مبارك الصباح وتزوج من سبيكة بنت صباح (أخت مبارك)، وبعدها منيرة بنت علي بن جابر أرملة الشيخ جراح بن صباح (يعقوب آل إبراهيم، التبيين مرجع سابق، ص٥٥).

(٤) البنعلي، مصدر سابق، ص١٤٦؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق ص٥٤.

(٥) القناعي، مصدر سابق ص٣٠؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق ص٥٥.

(٦) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠.

الشيخ مبارك باستدعاء الشيخ لمبارك العذبي للكويت عجل الأمر، وحسم الموقف. فوصوله مع رجاله ورجال يوسف سوف يحبط مخطط الشيخ مبارك آل صباح. وقد أثبت جابر بن مبارك ذلك بالقول: "رأيت بداية الحركة عند خدم الوالد تلك الليلة، ولكني لم أجزم بأن المراد هو القتل...". وفي الوقت نفسه هرب بعد حادثة القتل بعض أهالي الكويت، الذين كانوا على صله بالشيخ محمد الصباح، أمثال حمد العبد المحسن الغرير(١) الذي ساعد في هروب أبناء القتيلين كما سنرى(٢)، والسيد عبد الوهاب الطباطبائي(٣)، والعلامة محمد بن رابح(٤)، وماجد بن سلطان بن فهد، كما التحق بهم عدد من أبناء العوائل الكويتية، ممن تربطهم علاقة ومصالح بعد فترة بالشيخ يوسف آل إبراهيم، وشاركوا في هجماته على الكويت(٥)، كما سنرى لاحقاً.

---

(١) حمد بن عبد المحسن الغرير: أصله من الإحساء وانتقل إلى الكويت وعمل بها وكانت وظيفته "سر كاتب" قائمقام الكويت في عهد الشيخ محمد الصباح، (سلطان بن محمد القاسمي: بيان الكويت "سيرة حياة الشيخ مبارك بن صباح"، (د.ن)، الشارقة، ٢٠٠٤م ص٣٢).

(٢) سلطان القاسمي، مرجع سابق، ص٣٢.

(٣) عبد الوهاب بن عبد الله الطباطبائي "الطبطبائي": من أهل الفضل والعلم والنشاط والهمة والإباء فكان أديباً فاضلاً وعمل في مجال التدريس وبعد انتقاله للبصرة أصدر جريدة البصرة وأصبح مديراً لناحية الزبير أيام الحكم الوطني العراقي (الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص ١٤٦، الصانع، مرجع سابق، ١/ ٢٢٤).

(٤) وأسمه محمد بن محمد بن محمد هكذا والرابح لقب ويسمى محمد بن الرابح الشنقيطي، ولد في مكة المكرمة ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م وينسب أحفاده أصله للأدارسة الأشراف وبعد خروجه من الكويت توجه للزبير، وعرف عنه أنه رجل دين، ومن العلماء المعروفين في زمنه، وعين إماما وخطيباً ومدرساً لجامع مزعل باشا الصانع بالزبير بعد إلحاح وإصرار من أعيان الزبير على توليه ذلك الأمر. ومن أبرز تلاميذه في الزبير عذبي بن مبارك آل صباح، وله مؤلفات عدة بعضها أتلفها هو بنفسه ومن أبرز ما أتلفه محمد بن الرابح كتابه عن الوقائع التي حدثت بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم.وتوفى بالزبير عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م. (الصانع، مرجع سابق ٣/ ١٣٣ – ١٣٤؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٤٦).

(٥) من هؤلاء أحمد الغانم وخليفة المسلم القناعي وماجد السلطان ومنصور بن عيسى واحمد العبد المحسن وعلي بن خميس وحسين بن عيسى القناعي، وأحمد بن محمد العسعوسي، وبعض أفراد عوائل الغرير والخشني. والقطامي وأبو عركي وآخرين قد غادروها والتحقوا بالشيخ يوسف آل إبراهيم (الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٣٠٠؛ الصانع، مرجع سابق١/ ٢٢٥؛ القاسمي مرجع سابق ص ٣٢ – ٣٤١ – ٣٤٢؛ معلومات استقيتها كتابياً من السيد يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠٠٥). وهنا يقصد بزوجة العذبي هي سبيكة بنت صباح بن جابر بن عبد الله بن صباح، أخت مبارك وزوجة مبارك العذبي بن مبارك بن جابر بن عبد الله بن صباح. أما زوجة محمد، هيا بنت علي بن جابر بن عبد الله بن =

كانت خطة الشيخ مبارك مباغتة الشيخ يوسف آل إبراهيم وهو في الصَبيَّة، والذي لم يبد أي ردة فعل تجاه مبارك حتى ينجلي الأمر. ولما علم بما يُدبر له، قرر المغادرة ومَنْ معه إلى الدورة[١]. وبإيجاز يمكن الإشارة إلى ردود الفعل الداخلية لاستيلاء الشيخ مبارك على الحكم في محورين رئيسيين: الأول توالي ضربات الشيخ مبارك، وسرعة تحركه في سبيل إحكام الأمور دون إضاعة الوقت في انتظار أو استقبال ردود فعل الآخرين. وبهذا يواجه معارضيه بمشكلات جديدة تلهيهم عن تنظيم ردود أفعالهم المتأخرة، حول القضية الرئيسية، قَتْلٌ أتبعه دفن، واجتماعٌ أعقبته مبايعة، وملاطفةٌ لنيل وكالة عامة، ومساومةٌ للخلاص من خصم عنيد، ومحاولة قبض على خصمه قبل أن يخرج عن منطقة سيطرته.

أما المحور الثاني فيدور حول ردود فعل المعارضين، ونجاتهم من تلقي المزيد من تلك الضربات، وذلك بعملية هروب كبرى، بدأت منذ اللحظات الأولى لعملية القتل بهروب سعود بن الشيخ محمد إلى الصَبيَّة. ثم خروج عائلة آل إبراهيم وعائلتي الشيخ محمد وجراح إلى الدورة. ثم هروب أبناء الشيخين محمد وجراح[٢]بمرافقة حمد العبدالمحسن الغرير واتجاه الشيخ مبارك العذبي إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بالصَبيَّة، ومنها الخروج مع الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى الدورة، ومغادرة عدد من العوائل الكويتية تضامناً.

ولخشية من ضياع الوقت عجل الشيخ يوسف في تجهيز حملة من أتباعه ومن أهل الزبير. حيث يذكر عبد الله بن إبراهيم الغملاس في تدويناته: "قام الشيخ يوسف برشوة الوالي في سجن عبدالله بن إبراهيم الراشد لأنه لم يتعاون معه في إرسال جيش إلى الكويت من الزبير. وكان المتضامنون مع

= صباح، فلم تكن آنذاك في الكويت، فقد غادرتها مع والدتها في ١٠ ذي الحجة ١٣١٣هـ والمقصودة هنا هي شقيقتها منيرة زوجة جراح، التي بقيت في الكويت.

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٩. ويذكر المؤرخ عبد الله بن إبراهيم الغملاس في حوادث السنة ١٣١٤هـ: "وفيها في ربيع الأول حط عبد من عبيد محمد الصباح سماً في دلة القهوة وفر من الجهراء. ففطن القهوجي حين ذاقها وغشى عليه. أخبر مبارك فلحقوا العبد وأتو به، وأقر أن ذلك من أكر أختنك زوجة العذبي وزوجة محمد الصباح، فأمر بقتل العبد ولا نعلم ما فعل بالنساء" (تاريخ الزبير والبصرة، تحقيق عماد عبد اليلام رؤوف، ص٨٨.

(٢) تمت تدابير خطة الهروب من قِبل حمد بن عبد المحسن الغرير، الكاتب الأول للشيخ محمد بن صباح حاكم الكويت السادس. أما مغادرة السيد عبد الوهاب الطبطبائي والشيخ محمد بن رابح وماجد بن سلطان بن فهد ورجال علم آخرون فقد زامنت تلك الفترة، وليس مع أبناء الشيخين محمد وجراح.

الشيخ يوسف شخصيات زبيرية، منهم: إبراهيم الزهير، وإبراهيم المنديل، وأهل حَرمه، فكتبوا مضبطة إلى السلطان عبد الحميد ضد الشيخ مبارك في ٢٢ صفر ١٣١٥" (تاريخ الزبير والبصرة والكويت، الصفحة ٨١) تحقيق د. عماد عبد السلام رؤوف، عمان: دار الخزامى (٢٠٠٦). كذلك راجع القاسمي في (بيان الكويت، الصفحة: ٥٩ - ٦٠).

هذا، وجاءت ردة الفعل الخارجي، ضد عملية اغتيال الشيخين محمد وجراح، واستيلاء مبارك على السلطة، مواكبة للتطورات الجديدة التي شهدتها المنطقة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري/نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، والمتمثلة في مرحلة التنافس الأوربي على المنطقة العربية خاصة، على نحو لم يسبق له مثيل[١]. فقد قامت الدول الغربية بتطبيق سياسة تسويق لمنتجاتها الصناعية[٢]. مما أدى إلى دخولها منافسة في ما بينها، للبحث عن أسواق جديدة لتصريف الفائض من إنتاجها[٣]، وحصولها على المواد الخام بأسعار رخيصة لصناعاتها[٤]، وبحثها عن مواقع جديدة لاستثمار رؤوس أموالها الضخمة خارج بلدانها[٥]. فدخلت هذه الدول الصناعية تنافساً مضطرداً للسيطرة على المستعمرات[٦]. فكانت منطقة الشرق الأوسط مجالاً

(١) حدث هذا التنافس نتيجةً للثورة الصناعية التي عمت أكثر أجزاء القارة الأوربية فأدت لزيادة في الإنتاج المحلي ورؤوس الأموال وعدد السكان لتلك الدول الصناعية، وبدأت هذه الثورة في بريطانيا عام ١٧٥٠م ومنها انتقلت في القرن التاسع عشر الميلادي إلى الدول الأوروبية حتى ظهرت بأوروبا بما يعرف بالدول الصناعية كبريطانيا وألمانيا وفرنسا وروسيا وغيرها، ومن أوروبا صدرت هذه الثورة إلى بلدان أخرى كاليابان والولايات المتحدة الأمريكية (فرج الله: سمعان، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين (ط٢)، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٠م ص١٣؛ أحمد خليل مرجع سابق ص٢٧٥؛ الدوسري: نادية وليد، محاولات التدخل الروسي في الخليج من ١٢٩٧ - ١٣٢٥هـ، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٢هـ ص٢١؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٣؛ الخترش مرجع سابق ص٣٩).

(٢) فرج الله، المرجع السابق، ص١٢؛ السعدون، المرجع نفسه، ص٢٣؛ الخترش، المرجع نفسه، ص٣٩.

(٣) السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٣؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٥.

(٤) السعدون، المرجع نفسه، ص٢٣؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٥.

(٥) فرج الله. المرجع السابق، ص١٥؛ الدوسري، مرجع سابق، ص٢٢؛ السعدون مرجع سابق، ص٢٣؛ رياض الأسدي، النشاط الألماني في الخليج العربي ١٩٠٠ - ١٩١٤، مراكز دراسات الخليج العربي، البصرة، دت ص٢١٩.

(٦) فرج الله، المرجع نفسه، ص١٥؛ الأسدي، المرجع نفسه، ص٢١٩؛ السعدون، المرجع نفسه.ص٢٣.

خصباً للتنازع والصراع للسيطرة على المنطقة. مما أدى لتفاقم أزمة دولية حولها[(١)].

وقبل الدخول في تفاصيل أكثر لردود الفعل الخارجية، لابد من الإلمام بأوضاع الدول التي اتخذت من الكويت مسرحا للتنافس في ما بينها، وكان لذلك أثر ملموس على مجريات الصراع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. كانت اسطنبول تواجه ضغوطاً شديدةً، نتيجةً لتقدم الأساطيل البريطانية في البحر الأبيض المتوسط جنوب مضيق الدردنيل[(٢)]، وتواجه في الوقت نفسه محاولات الروس من أجل السيطرة على مضيق البسفور[(٣)]، وظهور الحركات القومية المطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية كثورات الأرمن في السنة نفسها ١٣١٣هـ/١٨٩٦[(٤)].

وبطبيعة الحال، حرصت الدول الاستعمارية، بين الحين والآخر، على تغذية هذه الثورات بهدف استغلالها لصالحها وامتصاص خيرات الدولة العثمانية، بحصول هذه الدول على المواد الأولية اللازمة لصناعتها بأسعار رخيصة، وتوفير أسواق جديدة لتصريف فائض إنتاجها، فكانت الدولة العثمانية بحق تمثل حقلا خصبا لأطماع تلك الدول[(٥)]وبأختصار، كان وضع الدولة العثمانية، في بداية القرن الرابع عشر الهجري/ونهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تفكك من الداخل وضعف اقتصادي وعسكري وركود فكري وسياسي، حتى إنها سميت بالرجل المريض، الذي يتربص به الطامعون لسلبه قدر المستطاع[(٦)]،

---

(١) فرج الله، مرجع سابق، ص٥٨؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣٢٣ Jacob Goldberg, op, cit, p33

(٢) بوندار يفسكي، مرجع سابق ص٩٧؛ حسون، مرجع سابق ص٢٣٢؛ مضيق الدردنيل يصل بين بحر مرمره وبحر إيجة

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق ص٩٧؛ حسون، مرجع سابق ص٢٣٢؛ مضيق البسفور يصل بين بحر مرمره والبحر ألأسود

(٤) الأسدي، مرجع سابق ص٢١٩؛ الخترش، مرجع سابق ص٣٩؛ فرج الله، مرجع نفسه ٢/٥٨.

(٥) الأسدي، مرجع سابق، ص٢١٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٩؛ فرج الله، مرجع نفسه، ٢/٥٨.

(٦) فرج الله، مرجع سابق ٢/٥٩؛ عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية – دولة مفترى عليها، القاهرة ١٩٨١ ١/٤٩٠ – ٤٩١؛ حسون، مرجع سابق ص١٣٥ – ١٤٦؛ حسن الضيقة الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي بيروت ١٩٧٧ ص٩٩؛ محمد رجائي ريان، الاقطاعات العسكرية في العصرين المملوكي والعثماني مجلة الدارة العدد ٨ السنة ١٤ العام ١٤١٨هـ ص٣٤ – ٣٥.

فأصبحت أملاك الدولة العثمانية ومناطق نفوذها هدفاً للقوى الاوروبية، والكويت كانت إحدى هذه الميادين المتصارع عليها. وان كانت السيادة العثمانية اسمية لفترة زمنية، امتدت منذ عهد الشيخ عبد الله الصباح "١٢٨٣هـ/ ١٨٧٠، وحتى بدايات عهد الشيخ مبارك الصباح ١٣١٣هـ/١٨٩٦[١].

لقد أصبحت الكويت نتيجة لتلك الاحداث شأناً للتنافس، بين مجموعة من القوى الأوروبية الاستعمارية، وأبرزها بريطانيا، التي كانت بحق محور السياسة العالمية والقطب الاكبر والامبراطورية الاعظم ذات السيطرة على خطوط الملاحة في كل البحار ساعدها امتلاكها أكبر أسطول بحري عسكري في العالم مما مكنها من بسط نفوذها على الكثير من المستعمرات[٢]. وقد نهجت بريطانيا بدايةً على حماية الدولة العثمانية، والمحافظة على تكاملها السياسي[٣]، ولكنها شرعت في تغيير سياستها بعد مؤتمر برلين ١٢٩٥هـ/١٨٧٨[٤]. عندما تحالفت ألمانيا مع الدولة العثمانية فأصبحت أراضي الأخيرة هدفاً تسعى بريطانيا للسيطرة على أكبر حصة منها[٥].

وكان أهم المناطق، التي ركزت عليها بريطانيا، هي منطقة الخليج العربي، التي ترتبط معها بالكثير من المصالح التجارية، بالإضافة إلى أن منطقة الخليج تسهل النفوذ إلى لأسواق الفارسية والعثمانية لتسويق منتجاتها[٦]. وإلى جانب ذلك سعت بريطانيا بكل الطرق للقضاء على تجارة السلاح والرقيق المنتشرة في مناطق عدة، منها منطقة الخليج، خشية من استخدامه ضد مصالحها في الهند وافغانستان[٧]. فقامت بربط مشيخات الخليج العربي بسلسلة معاهدات

---

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٢٧؛ جمال قاسم مرجع سابق ٢/٣١١.

(٢) فرج الله، مرجع سابق ص٤٥.

(٣) بندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٨؛ حسون مرجع سابق ص٢٣٨؛ Al Ghanim, op, cit, p41

(٤) مؤتمر برلين: عقد في برلين عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م وحضرته الدول الكبرى بعد إيقاف الحرب الروسية العثمانية وخسرت الدولة العثمانية كثيراً من أرضيها بعد توقيعها على هذه المعاهدة. فخرج أكثر القسم الأوربي عن سيطرتها. (حسون، مرجع سابق ص ٢٣٥).

(٥) حسون، مرجع سابق، ٢٣٨ Al Ghanim, op, cit,p41

(٦) حسون، مرجع سابق، ٢٣٨.

(٧) جمال قاسم، مرجع سابق٢ – ٢٣٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص ٣٤؛ ويلسون مرجع سابق، ص – ص٣١٧–٣٤٧ Al Ghanim, op, cit, p41

عرفت بـ"المعاهدات المانعة"[(١)]، مكنتها منفرده السيطرة على شؤونه خصوصا في مناطقه الجنوبية خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي[(٢)] عموماً الى أن أطل منافسون جدد سعوا لإيجاد موطأ قدم لهم في أرض الخليج العربي، فدخلوا مع بريطانيا في تنافس للسيطرة على منطقة الخليج وخاصة الكويت[(٣)].

أما بالنسبة لألمانيا فقد تهيأت – بعد تحقيق وحدتها العام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م – ، للدخول في ميدان المنافسة الاستعمارية كدولة قوية وحديثة في عهد ملكها غليوم الثاني[(٤)]. وقررت البحث عن مناطق نفوذ جديدة خارج حدودها، فأصبح الخليج العربي ضمن استراتيجياتها في الاندفاع نحو الشرق[(٥)]. بدأ نفوذ ألمانيا تجارياً في الخليج على يد رجل الأعمال الألماني فونكهاوس[(٦)] Wonchaus، العام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢. بعدها بذلت كل ما في وسعها للحصول على موضع قدم لها في الخليج، وخصوصاً الكويت. فقامت بفتح أول قنصلية لها في بو شهر العام ١٣١٤هـ/١٨٩٧[(٧)]، وعين روبرت هوك Robert Houck نائب قنصل هناك[(٨)].

كان هدف النشاط الألماني يكمن في زعزعة الوجود البريطاني، تمهيداً لتحقيق الهدف الأسمى وهو الوصول إلى الهند[(٩)]، بالاعتماد على علاقاتها

(١) إبراهيم أحمد، مرجع سابق ص٣٢٢، السعدون، العلاقات...مرجع سابق ص٢٢.

(٢) السعدون، العلاقات...، المرجع السابق ص٢٢؛ إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص٣٢٢

(٣) الأسدي، المرجع نفسه، ص٢١٩.

(٤) الأسدي، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٥) الأسدي، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٦) روبرت فونكهاوس: تاجر ألماني أسس شركه أطلق عليها اسمه على ميناء لنجه ونشاطها تجارة اللؤلؤ والسلاح والتي كانت رائجة أنذاك. (الأسدي، مرجع سابق، ص٢٢٣).

(٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٩٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٢٣؛ بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م، ٢/١٦٥؛ الأسدي، المرجع السابق، ٢٢٣.

(٨) روبرت هوك: هو طبيب ألماني عين نائب القنصل في بوشهر من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٨٩٩. (الأسدي، مرجع سابق ص٢٢٣

(٩) الأسدي، مرجع سابق، ص٢٢٣، الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٦٥

الوثيقة مع الدولة العثمانية(١). وقد رأت ألمانيا الكويت موقعاً مناسباً لإنشاء محطة فحم(٢)، ونهاية لخط السكك الحديدة الممتدة من برلين ماراً باسطنبول والأناضول والعراق منتهياً بأرض الكويت. وأكد الرحالة الإنجليزي كنث وليمز ذلك بقوله: "كانت ألمانيا في ذلك الحين تحلم بمد السكة الحديدية من الآستانة إلى الخليج، مارة بالأناضول وبغداد والبصرة، وأنَّ المهنيين والساسة الألمان كانوا يودون أن تكون الكويت نهاية الخط الحديدي" (٣)

وأما روسيا فكانت ضمن هذه الدول المنافسة، التي تعتبر من أكبر الدول الأوروبية مساحة وسكاناً(٤)، والطامحة بالوصول إلى المياه الدافئة، وبلاد الهند(٥). فأخذت تتوسع تدريجياً في آسيا الوسطى، وبلاد فارس، وأراضي الدولة العثمانية، ودخلت في منافسة مع بريطانيا للحصول على امتيازات للسكك الحديدية في بلاد فارس(٦). كذلك بدأت ضمن سعيها للوصول إلى الخليج العربي، تخطط لبدء نشاطًا توسعياً فيه وخصوصاً الكويت، ليكون منفذاً شمالياً لها، وباباً يسهل لها الولوج إلى الهند(٧). ومن مظاهر محاولاتها إنشاء محطة وقود لتزويد سفنها بمياه الخليج العربي في الكويت. وكذلك بناء خط سكك حديد تمتد من القوقاز إلى البحر المتوسط ماراً بالكويت(٨)، وهو

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز الخاصة .Y.RES، رقم ٤٠٢/٨٨، تاريخ ١٣١٦هـ؛ ارمستروا، مرجع سابق، ص٥٢؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/٥٥١؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٣٩؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٦٨؛ فسيليف، مرجع سابق ١/٢٤٥؛ إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص٣٢٣.

(٢) فرج الله، مرجع سابق، ص٥٢

(٣) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ١/٧١).

(٤) فرج الله، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٥) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣٢٣، السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٣
Al Ghanim op, cit, p68; Jacob Goldberg, op, cit, p35

(٦) السعدون، العلاقات...، المرجع السابق، ص٢٣، الخصوصي، مرجع سابق ٢/١٥٢؛
Al Ghanim, op, cit, p68

(٧) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣٢٣؛ السعدون العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٣
Al Ghanim, op, cit, p68; Jacob Goldberg, op, cit, p35

(٨) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق ٣/١٥٣٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١١١؛ ي ريزفان، سفن روسية بالخليج العربي، ١٨٩٩/١٩٠٣م، وضع مقدمته ف – فاؤ مكين، ترجمة سليم دوما، دار التقديم، الاتحاد السوفيتي، ١٩٩٠م، ص٦؛ أحمد عبد الغفور عطار، ، صقر الجزيرة =

مشروع الكونت فلاديمير كابنست[١] Kapnist للسكك الحديدية، فاختيارها الكويت جاء لموقعها الإستراتيجي ولصلاحية مينائها[٢].

وكنتيجة لتفاصيل النزاع الدولي المحموم على الخليج أنَّ اتهمت اسطنبول المقيم السياسي البريطاني في بوشهر بتدبير مؤامرة استيلاء الشيخ مبارك على السلطة في الكويت ، ذلك ما علمته وزارة الخارجية في لندن من مذكرة مستر ستافريدس المؤرَّخة في ٣٠ يونيو ١٨٩٦. وتأتي أهمية هذا التقرير كونه التقرير الذي لفت أنظار الحكومة البريطانية إلى ما حدث في الكويت[٣]. ويبدو أن الحكومة البريطانية ظلت تراقب، وترصد تحركات القوى الخارجية المتنافسة على المغانم في المنطقة كافة[٤]. لهذا لم تعر هذا الاتهام أي اهتمام يذكر[٥]. كانت تلك هي أبرز ردود الفعل البريطانية تجاه تولي الشيخ مبارك السلطة في الكويت.

كان الموقف الألماني من حادثة اغتيال الشيخين، محمد وجراح، مماثلاً للموقف البريطاني، حيث لم تعر ألمانيا أي اهتمام لعملية الاغتيال[٦]. وفضلت روسيا الحياد، على الرغم من اهتمام قناصلها في البصرة وبغداد واسطنبول بحادث الاغتيال واستيلاء مبارك على السلطة، وفسرت أسباب القتل بأنها جاءت نتيجةً لمغازلة الشيخ محمد الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم – على وجه الخصوص – لبريطانيا. وعلى العموم، أنها لمحت إلى دور بريطاني وراء عملية الاغتيال[٧]. كذلك حافظ الروس على حالة الترقب ورصد تحركات القوى

= "ط٢"، المؤسسة العربية جدة، ١/٨٦؛ المختار المرجع السابق ٢/٢٣؛ الخصوصي، المرجع السابق ٢/١٥٥ ويلسون، مرجع سابق ص٤٠٤.

(١) فلاديمير كابنست: أحد النبلاء الروس ورجل أعمال وله نفوذ في البلاط القيصري وهو ابن أخ السفير الروسي في فينا (آلإبراهيم، حسن مرجع سابق ص٥٩).

(٢) لوريمر، المصدر السابق٣/١٥٣٣؛ ريزفان، مصدر سابق ص٦؛ عطار المرجع السابق، ١/٨٦؛ المختار، المرجع السابق، ٢/٢٣؛ الخصوصي، المرجع السابق، ٢/١٥٥؛ ويلسون، مرجع سابق، ص٤٠٤؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص ٣٢

(٣) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة؛ .، مصدرسابق، ١/٧١

(٤) سلدانيا، مصدر سابق ص٣٢، Whig ham Op, Cit, P99

(٥) الزركلي، مصدر سابق، ١/٧١

(٦) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٩٧

(٧) بوندار يفسكي المرجع نفسه ص٩٦ – ٩٧ – ٩٨.

الخارجية كبريطانيا وألمانيا والدولة العثمانية حول مسألة الكويت، وذلك من خلال التقارير التي كان يقدمها قناصلهم في البصرة وبغداد واسطنبول[١].

كذلك لم يختلف رد فعل الدول العثمانية كثيراً عن ردود فعل الحكومات البريطانية والروسية والألمانية، حيث لم تتضح الرؤية في اسطنبول عمَّا حدث في الكويت لفترة من الزمن. وعلى الرغم من غموض وملابسات الحادث إلا أن الدولة العثمانية شككت في البداية أن لبريطانيا يداً في عملية الاغتيال، ولم تعط هذا الأمر أي اهتمام. لكن ذلك الوضع قد تغير كثيراً، بعد استيلاء الشيخ مبارك على السلطة، وعلى الرغم من ذلك فضلت إتباع سياسة الحياد في هذه الفترة الحرجة بين عامي ١٣١٣ - ١٣١٤هـ/١٨٩٦ - ١٨٩٧[٢] ذلك لأن استيلاء الشيخ مبارك على السلطة قد تزامن مع الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية معولة على عدم فتح جبهة جديدة.

إنَّ الدليل على غموض الوضع في الكويت، بالنسبة إلى الدولة العثمانية، يتلخص بحالة تباين المواقف، وتضارب الآراء في كل من ولايتي البصرة وبغداد، فبينما وقف حمدي باشا والي البصرة[٣] إلى جانب الشيخ يوسف آل إبراهيم، وسعى لنصرة قضية أبناء الشيخين محمد وجراح[٤]، تمكن رجب باشا مشير الفيلق السادس ببغداد[٥]من إقناع ولاة الأمر في اسطنبول بعدم

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV، رقم ٣٧/١٩٩، تاريخ رجب ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV، رقم ٥٦/ ٢١٤، تاريخ رجب ١٣١٤ه؛ الزركلي المرجع نفسه ١/٧٢، الصباح مرجع سابق ص٢٢٨.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/٥٠١؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق ص٣١؛ Fredrick Anscombe op, cit, p135

(٣) حمدي باشا: تولى ولاية البصرة معظم الفترة الممتدة من سنه ١٨٩٤م إلى سنه ١٩٠٠م كان رجلاً عملياً نزيهاً وحاول جاهداً من اجل القضاء على الفساد الإداري بالدولة العثمانية، وكان مؤيداً ليوسف ومعادياً لمبارك طوال فترة ولايته، (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٤/٢٢١٣).

(٤) الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ الفرحان، مرجع سابق ص ٧٩؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق ص ٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٧؛ . خزعل، مرجع سابق، ٢/١٦؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٤/ ٢٢١٢

(٥) رجب باشا: كان من مرافقي السلطان قدم إلى بغداد ضابطاً ثم صار مشيراً للفيلق السادس في بغداد في شوال ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م والمشيرية أعلى القطاعات العسكرية العثمانية. وعين وكيلاً للوالي حسن باشا وعطا الله باشا واستمر حتى تم نقله لقيادة فرقة طرابلس في ١٧ صفر ١٣١٦هـ/١٨٩٨م (العزاوي، مرجع سابق ٨/ ١٣١).

التدخل في الشأن الكويتي(١). أما نتائج هذه الجولة في العراق العثماني بين طرفي النزاع، وغيرها من الجولات، ذات الصفة الدبلوماسية، فقد أرجأنا مناقشتها إلى المبحث ما بعد القادم من هذا الفصل.

بعد التعرف على ردود الفعل الدولية تجاه اغتيال الشيخين واستيلاء الشيخ مبارك على السلطة، والتي تمثلت بحياد عثماني وروسي وألماني وترقب بريطاني، نأتي على ردود الفعل للقوى الإقليمية. وأولها كان رد فعل إمارة الرشيد، التي كانت تهتم بشؤون الكويت وأحداثها. بادر آل الرشيد إلى الاستنكار والاحتجاج عبر خطاب شديد اللهجة وحاد التأنيب من قبل الأمير محمد بن عبد الله الرشيد، حاكم أمارة نجد، إلى الشيخ مبارك بعد عملية الاغتيال والاستيلاء مباشرة(٢). كذلك استنكر شيخ قطر الشيخ جاسم آل ثاني عملية اغتيال والاستيلاء على السلطة(٣). واستنكرتها أيضاً إمارة المحمرة، حيث أوجس حاكمها الشيخ مزعل المرداو خيفة من أن يقوم أخوه – الشيخ خزعل وهو صديق مبارك، بالفعل نفسه(٤).

لقد أوجدت العلاقات التاريخية، قبل استيلاء الشيخ مبارك على الحكم، أثراً مهماً في توجيه ردود الفعل الخارجية الأكثر تأثيراً على الساحة الكويتية، مما وسَّع دائرة الصراع بين الطرفين لتشمل أنصار كل منهما في المناطق المجاورة للكويت. كذلك برزت أطماع القوى الأخرى لتحقيق أهدافها، ورعاية مصالحها في الموقع الإستراتيجي للكويت. ومن أهم العلاقات التي تبلورت في دائرة الأحداث اللاحقة، على خلفية ردود الفعل الخارجية، تلك الحالة من الود التي كانت قائمة بين الشيخ يوسف آل إبراهيم وحمدي باشا والي البصرة(٥)، وروابط الصداقة بين الشيخ مبارك ورجب باشا مشير الفيلق السادس في

(١) الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ الفرحان، مرجع سابق ص ٧٩؛ المنصور، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق ص ٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٧.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٩.

(٣) المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٦٣

(٤) الحاتم، مرجع سابق، ص٢٧١.

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٦.

الجانب الآخر[١]. ومن ناحية أخرى تولُّد العداء بين الشيخ مبارك وشيخ قطر جاسم آل ثاني، بسبب تولي الأول قيادة القوة الكويتية البرية، التي استعانت بها الدولة العثمانية في قمع التمرد القطري في مارس السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢[٢] وعلى النقيض من ذلك، نجد التعاون قائماً بين الشيخ يوسف آل إبراهيم والشيخ جاسم آل ثاني، نتيجة للخدمات والمعونات التي قدَّمها الأول للثاني أثناء نزاعه مع شيخ أبو ظبي[٣] السنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨[٤].

وفي خضم هذه المتغيرات، التي سبقت تولي الشيخ مبارك السُّلطة، كان الأمير محمد بن رشيد في حالة توتر وترقب مع حكام الكويت، بسبب اتخاذ أمراء البيت السعودي من الكويت مقراً ومنطلقاً لهم. بينما كان هناك حالة من الولاء والاعتراف بالتبعية للباب العالي، تظهر في نصرة الأمير محمد بن رشيد للعثمانيين على آل سعود السنة ١٣٠٩هـ/١٨٨٨[٥]. وبطبيعة الحال كان لهذه العلاقات أثرها في النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف في جميع المراحل، كما سنرى.

تبني الشيخ آل إبراهيم المعارضة

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ يوسف آل إبراهيم لم يمارس أي ردة فعل مباشرة أثناء وجوده في قصره بالصَبيَّة، على الرغم من أنه كان الأكثر تأثراً بما حدث، بل على العكس تظاهر بقبول مقترحات الشيخ مبارك، والرضا بالعروض التي قدمها إليه عبر المراسلات المتبادلة بينهما، وحركة الوفود المستمرة بينهما[٦]. وفي هذه المرحلة، التي يبدو الوُدُّ ظاهرها والبغض باطنها،

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٧؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١.

(٢) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص١٠٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٥؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ السبيعي، الأمن، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٣) شيخ أبو ظبي: هو الشيخ زايد بن خليفة (المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص١٩٦).

(٤) المنصور، التطور السياسي...، المرجع السابق، ص ١٦٣؛ السبيعي، المرجع السابق ص ٢٠٠؛ يحيى الربيعان، مرجع سابق، ص ٧؛ نخله، مرجع سابق، ص٢٠٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدرسابق، ص٢٨٦.

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/١٤٠.

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٤٩.

أَبْرَزَ خلالها كلٌّ من طرف ما له وما عليه، فبينما كان مبارك يخطط لإيقاع يوسف في شباكه، كان يوسف يفكر في تنفيذ خطة للتراجع في الوقت المناسب إلى موقع يضمن له الحركة والتصرف حيث أملاكه في الدورة.

وحصل أن وفد عليه أعيان الكويت بالصَبيَّة ليسترضوه، ويطلبوا منه العودة إلى الكويت، وتقديم التأكيدات الموثقة، بأنه آمن على نفسه وماله. إلا أن واقع الحال كان هدف الوفد هو الكشف عن ردة فعله، ومعرفة وجهة نظره وخباياه. وكالعادة أظهر الشيخ يوسف للوفد قبول طلب الشيخ مبارك بدعوته إلى الكويت، وسيلبيها حال انجاز بعض شؤونه الخاصة(١)، وقد حاول صالح آل إبراهيم(٢) إقناع الشيخ يوسف بالعودة الفعلية إلى الكويت، وأن عملية القتل شأن عائلي تخص أفراد عائلة آل صباح. إلا أن الشيخ يوسف كان يدرك تماماً ما كان يخطط له الشيخ مبارك، فهو لا يأمن شر من قتل أشقاءه.

ويعلم الشيخ يوسف أن خصمه سيرميه بتهمة تدبير قتل الشيخين محمد وجراح، وهذا ما أفصحت عنه الأحداث اللاحقة(٣) وبتهمة أقل خطورة، هي استحواذ أموال آل الصباح(٤). وهنا يكون الشيخ مبارك قد برأ ساحته من قتل أخوية وليس هناك شحة في شهود الزور، وليس أسهل من أخذ الاعترافات تحت القوة(٥). وكتحصيل حاصل، ستصادر أموال الشيخ يوسف بعد قتله بتهمة زائفة. وبعد اليأس من عودة الشيخ يوسف طواعية، بدأ الشيخ مبارك

---

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ الرشيد، مصدر سابق، ص١٤٩؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢) صالح بن صالح آل إبراهيم: (١٢٧٠هـ - ١٣٥٤هـ) ولد في حي آل إبراهيم ببهيته تولي إدارة أملاك آل إبراهيم عام ١٣٠٠هـ، عرف عنه الحزم والعدل، وقد قدم مساعدات كبيرة لحكام الكويت في معركة الجهراء وبناء سور الكويت وتبرع بسيارات للحكومة في عهد الشيخ سالم الصباح وله الأيادي البيضاء في مساعدة المتضررين في سنة "الهدامة" ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م وقام ببناء مسجد الدورة جنوب البصرة سنة ١٣١٤هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ وله أربعة أبناء " حمد - وإبراهيم - وعبد اللطيف - ومحمد (انظر محسنون من بلدي، ١/ ٧٥ - ٥٨ - ٥٩؛ مقابلة مع الراوية محمد بن صالح ال إبراهيم، وحفيده الأستاذ عبدالرزاق بن إبراهيم بن صالح ال إبراهيم بالفنطاس بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٤٢٣هـ).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٤٤؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٣٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٧.

(٤) القناعي، مصدر سابق ص٢٧؛ النجار، مرجع سابق ص٧٠؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٩٦

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٤.

يعد العدة للهجوم على الصَبيَّة، للقبض عليه[١]. لكن عيون الشيخ يوسف، المبثوثة في الكويت، جاءت له بمخطط مبارك، فقرر الخروج على وجه السرعة من الصَبيَّة، ومعه رجاله وأبناء الشيخين محمد وجراح، ميمماً شطر ولاية البصرة[٢].

ظل الشيخ يوسف محافظاً على سكونه أثناء وجوده في الصَبيَّة، ريثما يتمكن أبناء الشيخين محمد وجراح من الإفلات من قبضة الشيخ مبارك. وتم هذا بالفعل. وباجتماع الشَّمل بدأ بتحريك قضية أخذ الثأر التي تبناها من الشيخ مبارك، مما أزعج الأخير وأقلق راحته. وكانت بداية حقبة متأزمة، ويمكن تسميتها بمرحلة المواجهة السياسية، ثم تلتها المواجهة المسلحة، التي زعزعت أمْن الشيخ مبارك، وهزت موقعه، فكانت حرباً لا هوادة فيها، استمرت فصولها عقداً من الزمان .

قبل الخوض في مجريات الصراع لابد من تحري الأسباب التي دفعت الشيخ يوسف آل إبراهيم تبني قضية الثأر، وتزعم المعارضة، والصراع ضد الشيخ مبارك، ومنها:

- الوفاء والدفاع عن الشرعية، وان لا يذهب دم شيخ الكويت رخيصاً، واسترجاع حقوق أبناء المغدورين، اللذين تربطهما به صلة القرابة، والتي بسببها التجأ أبناء الشيخيين محمد وجراح إلى حمى الشيخ يوسف ومطالبتهم منه الأخذ بالثأر وإعادة ما سُلب.
- كانت العلاقة المتوترة بين الشيخين، يوسف ومبارك، من العوامل التي أدت إلى اغتيال الأخوين، وأن الاغتيال سيطاله متى ما استطاع الشيخ مبارك الوصول إليه، وأكد ذلك مقولته لصالح آل إبراهيم عندما طلب منه العودة للكويت، وأن المسألة بين أبناء آل صباح، وذكر يوسف بأنه هو المقصود بالقتل أيضاً.
- القدرة المالية والعلاقات الودية التي تربطه مع الامراء والحكام في المنطقة

---

(١) ذكر عبد العزيز الرشيد أن رجلاً من أهل الكويت يدعى "ابن دويهيس" جاء وانذر الشيخ يوسف آل إبراهيم بهجوم الشيخ مبارك، وفي نفس الوقت جاءت رسائل من بعض أهالي الكويت تخبر بما يخطط له مبارك (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٩).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٩.

هذه القدرات التي يملكها الشيخ يوسف شجعته على اتخاذ هذا الموقف من الشيخ مبارك.

- كان البعد الإنساني أحد العوامل لتوليه قضية الثأر والمعارضة، فقد كان يطالب بحق مشروع تم التطاول عليه بحق القوة وليس بقوة الحق. وهذا مبدأ مرفوض يتنافى مع معتقده وتعاليم دينه، ولا يتواءم مع أخلاقية المجتمع الكويتي، الذي كان يميل نحو الاستكانة والهدوء، والرافض لمبدأ العنف بأشكاله. فأخذت الشيخ يوسف آل إبراهيم الغيرة والنخوة ليقف في وجه هذا العنف، حتى ترك كل شيء، وبذل ثروته في تحقيق الحق وإعادته لأصحابه الشرعيين[١].
- أدراك الشيخ يوسف خسارته الكبرى لمركزه السياسي، ومكانته المرموقة بعد استيلاء الشيخ مبارك على السلطة. ومثلما تقدم كان أحد القوى التي حاصرت الشيخ مبارك قبل استيلائه على كرسي الحكم. وقد ذكر بعض المؤرخين من أن تولي الشيخ يوسف آل إبراهيم المعارضة كان نتيجةً لطموحه في الاستيلاء على الحكم، والقضاء على سلطة آل صباح بالكويت[٢]. هو راي كسيح لا يستند على دليل فالشرعية بنظره تعود الى ابناء المغدورين.
- يبرز هذا الموقف وجود راي اخر في الكويت لا يستكين اذا ما حدته الظروف بل يقف مدافعاً عن حقه في اختيار من يحكمه، وهو بذور التعددية كما تعرف الان.

التوجه نحو العثمانيين

اتجه طرفي النزاع، خلال هذه المرحلة، إلى كسب الود العثماني، باستخدام الوسائل والطرق المشروعة وغير المشروعة كافة. بدأ الشيخ يوسف آل إبراهيم إثارة القضية بصيغتها القانونية لدى والي البصرة حمدي باشا، حيث قام أبناء الشيخين محمد وجراح بتوجيه منه برفع دعوى إلى حمدي باشا، يطالبون فيها بتحقيق العدل في قضيتهم[٣]. جاء فيها: أنَّ الشيخ مبارك اغتصب إمارة

---

(١) الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢؛ يعقوب ال إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص٣٠.

(٢) العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣٠٥؛ ديكسون، مصدر سابق، ص ١٣٦؛ أبو حاكمة، مصدر سابق، ص ٣٠٨؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٠؛ الشملان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٧١.

(٣) الذكير، المصدر نفسه ص ١٠١؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢/ ١٦.

الكويت، بعد أن قتل أخويه الشيخ جراح الشيخ محمد، وأن الأخير كان يحكمها بموجب فرمان همايوني. وقيامه بهذا العمل إهانة لسلطة الدولة التي يتبعها، وأنَّ قصده من ذلك العمل هو خلع السيادة العثمانية عن الكويت، ومن ثم تسليمها إلى دول أجنبية[١].

بدأ حمدي باشا تحركاته فوراً في دراسة أركان القضية، فهو، كما يعرف عنه، كان إذا فكر في أمرٍ أقدم عليه دون تأجيل[٢]، فكلف على الفور الشيخ عبد الله بن إبراهيم الراشد[٣] شيخ الزبير بأنْ يقوم بعمل سري داخل الكويت، لاستحصال شهادة من أهل الكويت مفادها: أنَّ الشيخ مبارك هو الذي قتل أخويه محمد وجراح[٤]. أراد حمدي باشا أن يحصل بهذه الشهادة على دليل قانوني، يرفقه مع أوراق الدعوى ضد الشيخ مبارك إلى الباب العالي، ويتبنى، وفق الدعوى، الشيخ يوسف قضية أبناء الشيخين محمد وجراح، كي يحصل على إذن رسمي يخوِّل له قيادة فرقة من الجيش لتجبر الشيخ مبارك على التخلي عن السلطة، التي انتزعها بالقوة[٥].

كادت تلك التحركات التي رسم خطتها الشيخ يوسف، وسعى لتحقيقها حمدي باشا والي البصرة، أن تنجح لولا يقظة الشيخ مبارك، ومقابلة دهاء خصمه بدهاء أعظم. بادر إلى الاتصال، العام ١٣١٤هـ/١٨٩٦، بالسلطة العثمانية الأعلى في العراق، وهو المشير رجب باشا قائد الفيلق السادس ببغداد[٦]، والشيخ أبي الهدى الصيادي شيخ الإسلام المقرب جداً من

(١) خزعل، المرجع نفسه، ٢/١٦.

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٤/٢٢١٢.

(٣) عبد الله بن إبراهيم الراشد: يرجع نسبه إلى عشيرة الحسنه من قبيلة عنزة العريقة، ويرجع منبت أسرته إلى بلدة حريملاء بنجد وهاجروا منها مع من هاجر من أهالي تلك المنطقة واستقروا بالزبير عام ١١٩٦هـ، وحكم الشيخ عبد الله الراشد مشيخة الزبير – بالتعاون مع الشيخ إبراهيم عبد اللطيف الزهير بين عامي ١٢٩١ – ١٣٠٤هـ وبعدها تفرد بمشيخة الزبير حتى عام ١٣١٤هـ وشهدت فترة مشيخته عهد استقرار وازدهار لمنطقة الزبير وجاء بعده خالد باشا العون ونهج نهجه في موقفه من الصراع الدائر بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. (انظر الصانع، مرجع سابق، ١/٨١ – ١٠١ - ١٠٢)

(٤) خزعل، مرجع سابق، ٢/١٦.

(٥) خزعل، المرجع نفسه، ٢/١٦، الفرحان، مرجع سابق، ص٧٩.

(٦) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢/١٦؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٢٦؛ النجار، مرجع سابق ص ٧١

السلطان عبد الحميد[١]، للحصول على اعتراف السلطان العثماني به حاكماً على الكويت[٢]. وقام، لتفعيل الأمر، بتقديم الهدايا لرجب باشا[٣]، وفعلاً قام مشير بغداد رجب باشا بتوضيح وضع الكويت إلى السلطان العثماني، فبين أن ما حدث في الكويت ما هو إلا من الحوادث العادية التي تجري في البادية، واقترح عدم التدخل في شأن الكويت[٤]. وتمكن الشيخ مبارك في الوقت نفسه الاتصال بموظفي الدولة العثمانية باسطنبول، ومنهم شيخ الإسلام المذكور أعلاه، من خلال نقباء البصرة[٥]، وأغدق عليهم الهدايا[٦]. ثم قام بإرسال الشكاوى والتظلم إلى السلطان عبد الحميد الثاني ضد حمدي باشا، وتصرفاته السيئة معه، ومحاولته القضاء عليه من دون وجه حق. ولم يكتف بذلك بل أخذ يطلب من أهالي الكويت إرسال برقيات إلى السلطان، تتضمن الشكوى ضد حمدي باشا[٧]. في الوقت نفسه طلب من رجالات الدولة كرجب باشا وأبي الهدى الصيادي ونقباء البصرة أن يناصروه ضد حمدي باشا[٨].

---

(١) الشيخ أبو الهدى: هو الشيخ محمد أبو الهدى السيد حسن الوادي بن خير الله الصيادي الرفاعي نقيب أشراف حلب، ولد سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م وقربه السلطان عبد الحميد الثاني وقلده منصب شيخ الإسلام في اسطنبول وألحقه في رتبة قضاء العسكر وهي أعلى سلطه قضائية في الدولة العثمانية (حسين هادي الشلاة، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث (ط١) الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٤م ص١٠٣، آل إبراهيم، يعقوب، التبيين، مرجع سابق ص٣٢).

(٢) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٨، لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٢٦
Fredrick Anscombe, Op, Cit, P136

(٣) الفرحان، مرجع سابق ص٧٩، أبو حاكمه، مرجع سابق ص، ٣٠٨، المنصور، الكويت وعلاقاتها، مرجع سابق ص٥٣.

(٤) الذكير، المصدر نفسه ص١٠١، الفرحان، المرجع نفسه ص، ٧٩، المنصور، المرجع نفسه ص٥٣.

(٥) نقباء البصرة: كانت أسرة النقيب سنية يرجع نسبهم إلى السيد احمد الرفاعي "يجتمعون فيه مع أبي الهدى الصيادي" الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن على بن أبي طالب والنقيب في اللغة نقيب القوم، وكان للنقيب في العصر العثماني ادواراً ومهاماً مختلفةً ومنها دور الوسيط بين الولاة والسكان المحليين من عامة الناس، وكانوا موالين للسلطان العثماني ولهم حضور عنده. (إبراهيم احمد، مرجع سابق ص٧١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/ ٣٤٠٢؛ الشلاه، مرجع سابق ص٧٣).

(٦) بونداريفسكي، مرجع سابق ص٣٦٠

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية .I.DAH، رقم ٤٦/ ١٣١٤، بتاريخ ١٩ محرم و١٠ و١١ و٢٦ صفر ١٣١٤هـ.

(٨) الأرشيف العثماني اسطنبول، أوراق الباب العالي B.E.O، رقم١٧٤٧٩٣، تاريخ٢٧صفر ١٣٢٢هـ؛ =

وخلال هذه الجولة حرص الشيخ مبارك على كسب الموقف العثماني، وذلك لأمور عدة، لعل أهمها إضفاء الصبغة الشرعية على حكمه بتأييد السلطان العثماني له، نتيجة لتبعية الكويت للدولة العثمانية[١]. وكان وجود أملاك آل صباح الزراعية، في ولاية البصرة، من أهم العوامل التي جعلت الشيخ مبارك يحرص على كسب الموقف العثماني، ليضمن سلامة الأملاك التي تعتبر الدخل الأول لأسرة آل صباح[٢]. وخلاصة القول، أنه تمكن في هذه الجولة من النزاع تجنب مؤامرات موظفي الدولة العثمانية في العراق واسطنبول[٣]، ومنع خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم من الحصول على الدعم العثماني[٤]. ولعل للقرب بين الكويت وولاية البصرة دور في توجهه هذا، حتى يتسنى له الحصول على حليف قوي في إدارة النزاع.

وبالمحصلة، تغلب الشيخ مبارك على خصمه في هذه الجولة، ويُعْزى نجاحه فيها إلى عِدَّة أسباب:

- اتصاله المباشر بالسلطة العليا في العراق العثماني[٥]، مما عزَّز موقفه في مراجعة المراكز الكبرى، حيث تجاوز والي البصرة حمدي باشا، وكان المشير رجب باشا طريقه إلى ولاة الأمر في اسطنبول[٦] وذلك ما وقع فيه خصمه الشيخ يوسف من خطأ إجرائي، حيث جعل والي البصرة قبلته في المراجعات. يؤكِّد ذلك تلك البرقية السِّرية التي بعث بها حمدي باشا إلى

= النجار، مرجع سابق، ص٧٥؛ الصباح، مرجع سابق ١/ ٢٢١؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٢/ ٣١٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٥؛ Al Ghanim, op, cit, P 54

(١) النجار، مرجع سابق، ص٧٥؛ الصباح، مرجع سابق، ١/ ٢٢١؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٣.

(٢) السعدون أحداث...، مرجع سابق ص١٢٠؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٩؛ جمال؛ قاسم مرجع سابق ٢/ ٣١٣

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة داخلية .I.DAH، رقم ٤٦/ ١٣١٤، تاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤، أبو حاكمة مرجع سابق ص٣٠٩

(٤) القاسمي مرجع سابق ص٤١، خزعل مرجع سابق ٢/ ١٨؛ Al Ghanim, op, cit, P38

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٥١؛ أبو حاكمة، مرجع سابق ص ٣٠٨؛ الشلاة، مرجع سابق، ص ٧٧

(٦) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه ص١٥١.

رئاسة الديوان السلطاني، فنجِدهُ قد أفصح فيها بأنَّ الولاية – ولاية البصرة – ليست صاحبة صلاحية في هذا الأمر[١].

- العلاقة الوطيدة التي كانت تربط الشيخ مبارك بالمشير رجب باشا، وهي في أساسها صداقة قديمة[٢]، منشأها تلك الخدمات التي قدمها الشيخ حينما انضمت القوات الكويتية تحت قيادة المشير في مهمة تأديب القبائل العراقية الجنوبية، وذلك جنبا إلى جنب مع الجيش العثماني[٣].
- الأموال الطائلة التي أنفقها الشيخ مبارك، على بعض رجال الدولة العثمانية، في بغداد واسطنبول، خلال النصف الأول من السنة ١٣١٤هـ/النصف الأخير من عام ١٨٩٦[٤]، ونجحت نجاحاً باهراً برسم صورة لدى السلطان عبد الحميد الثاني حول الشيخ يوسف آل إبراهيم، فكتب عنه في مذكراته: بأن الشيخ يوسف آل إبراهيم يثير القلاقل في المنطقة[٥]

تلك كانت خلاصة مجريات النزاع الأولى في العراق العثماني، بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، ومن بعدها تحول إلى المجال القانوني والدبلوماسي، ثم النزاع المسلح. ذلك بعد توسع دائرته، إلى تدخل الأطراف الإقليمية والدولية ذات العلاقة كافة. أبْرَزَ خلاله الشيخ يوسف صلابة أمام كل فشل يلحق به، فيعيد الكرة متخذاً محوراً جديداً، ومستخدماً كل ما يملك من مال وقوة ودهاء، واستمر الحال زُهاء عَقْدٍ من الزمان تقريباً من دون كلل وملل أو يأس.

ومن أهم العوامل التي ساعدت على حسم النزاع لصالح الشيخ مبارك: اهتمام الدولة العثمانية بمقترحات المشير رجب باشا، قائد الفيلق السادس ببغداد، واستحسنت رأيه حول عدم التدخل في الشأن الكويتي، باعتبار أن قضية القتل شأن داخلي، وأن الأمر طبيعي في المجتمعات العربية ذات الطبيعة

---

(١) عبد العزيز الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV، رقم ٢٨/ ١٤٤، بتاريخ ٥ صفر ١٣١٤هـ.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٠.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٠؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٨؛ النجار، مرجع سابق، ص٧٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص٧٩.

(٤) عبدالعزيزالرشيد، المصدر نفسه ص١٥٠؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣٠٨؛ النجار، مرجع سابق، ص٧٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص٧٩.

(٥) السلطان عبد الحميد، مصدر سابق، ص١٤٠.

القبلية[١]. كف حمدي باشا، والي البصرة، وبأمر من الدولة العثمانية، عما عزم عليه من تحركات استنصار لقضية أبناء الشيخين محمد وجراح التي يتبنى خططها الشيخ يوسف آل إبراهيم[٢]. ثم تعيين عارف باشا[٣] والياً للبصرة، ومحسن باشا[٤] قائداً لقوة البصرة العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، وعزل حمدي باشا[٥]. وتعيين الشيخ مبارك قائمقام على الكويت[٦]. وذلك بعد مباحثات مكثفة، وتقارير متبادلة، بين رجال الدولة العثمانية أكدت أن المصلحة تقتضي ذلك[٧].

ومقابل ذلك، فشل الشيخ يوسف آل إبراهيم، وأبناء الشيخين القتيلين مع المشير رجب باشا، حيث تأخروا في عرض قضيتهم عليه، فقد سافر سعود بن الشيخ محمد آل صباح لهذه المهمة، وعلى الرغم من مقابلته للمشير عدة مرات أخيراً، وذلك حينما حل ضيفا على الشيخ حمد بن محمد العسافي[٨] زهاء ستة

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع. Y.MTV، ١٦٣/١٤٢ بتاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٥٠؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/١٧.

(٢) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص١٥٠؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢/١٧.

(٣) عارف باشا: تولى ولاية البصرة ١٨٩٦م وعمل على حل مشكلة آل صباح وعمل محسن باشا على التحريض ضده حتى تم عزله (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٤/٢٢١٣).

(٤) محسن باشا: تولى منصب الولاية بين ١٨٩٧ – ١٩٠١م وكان ذا عقليه مستنيرة وتولى منصب رئيس الأركان للفيلق السابع لليمن (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٤/٢٢١٣؛ صابان، مرجع سابق، ص١٧٤).

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ.

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية .I.DAH، رقم ٤٦/ ١٣١٤، بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV، رقم ٨٣/١٩٧، تاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية .I.DAH، رقم ٤٦/ ١٣١٤، تاريخ ١٩ محرم ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية .I.DAH، رقم ٤٦/ ١٣١٤، تاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤هـ.

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز، متنوع Y.MTV رقم ٤٨/ ١٧٠، تاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع رقم ٤/ ١٧٠، تاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ.

(٨) الشيخ حمد بن محمد العسافي: يرجع أصله إلى بني تميم، والده محمد العسافي وكانت تربطه علاقة تجارية باسرة آل إبراهيم حيث كان وكيلاً لآل إبراهيم في بغداد، ، وتوفى سنة ١٣١٠هـ وترك من الأبناء حمد وصالح وورثا عن والدهما التجارة وقاما بتقسيم الإرث بينهما وقبل وفاة الشيخ حمد بخمس سنوات ترك التجارة وانتقل إلى الزبير واختار العزلة عن الناس وحرص على تعليم أولاده وتوفى عام ١٣٢٧هـ. (العزاوي، مرجع سابق، ٨/ ٢٥٩). كانت اقامة الشيخ سعود بن محمد الصباح في بغداد خلال ذي القعدة ١٣١٤هـ، بعد سنة من مقتل والده وعمه.

أشهر، إلا أنه عاد بخفي حنين[١]، وذلك لمماطلة المشير. وسبب ذلك يعود إلى العلاقة الحميمة مع عدوهم الشيخ مبارك، وكذلك لالتجائهم في أول الأمر إلى حمدي باشا والي البصرة، فهو يرى أنه من حقه في مثل هذه القضية أن يكون المرجع الوحيد في العراق للبت في مثل هذا الأمر[٢].

النزاع على الأملاك

تعتبر أملاك آل صباح، وخصوصاً البساتين الزراعية الواقعة في ولاية البصرة، من أبرز قضايا النزاع بين الطرفين. وكانت تلك الأملاك مصدر الدخل الأكبر لخزينة آل صباح[٣]. وإلى جانب أهميتها الاقتصادية، كان يتم تجنيد العاملين فيها في الحملات العسكرية[٤]. وبعد هروب أبناء الشيخين، محمد وجراح الصباح، إلى حمى الشيخ يوسف آل إبراهيم في الصَبيَّة، كما ذكرنا، توجهوا إلى البصرة، لكسب الموقف العثماني، مثلما كان يفعل الشيخ مبارك، ومن جملة المسائل التي أثيرت مع السلطات العثمانية قضية الأملاك.

قدم الشيخ يوسف باسم الأبناء الشيخين عريضة إلى حمدي باشا والي البصرة، يطالب فيها بالحقوق المادية، والمتمثلة بإرثهم من حصة والديهم القتيلين، في أملاك آل صباح داخل الكويت: أموال، وعقارات، وثروة حيوانية، وحلي، ومستندات، ورقاب[٥]. كذلك أثارت الشكوى الحقوق بأملاك آل صباح الزراعية بولاية البصرة، والمتمثلة بالبساتين الزراعية بالفاو، والصوفية، وكوت

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/١٨.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٥١

(٣) كانت عائدات تلك البساتين عالية جداً واعتمد عليها آل صباح دخلاً ومصدراً رئيساً لهم فقد كان ريعها السنوي كما ذكر مالكوم ميد – المقيم البريطاني في أبو شهر – في حدود ٦,٠٠٠ جنيه إسترليني، وأما يعقوب بن يوسف آل إبراهيم فقد ذكر بأن ريعها السنوي في حدود ٢٨٥,٠٠٠ قرش عام ١٣٢٣/١٩٠٥م، (القاسمي مرجع سابق ١٠٢؛ يعقوب آ ل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص٤٩).

(٤) السعدون، أحداث...، مرجع سابق، ص – ص١٠٢ – ١٠٣

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول.يلدز متنوع .Y.MTV رقم ١٩٧/٨٣ تاريخ ٨/شعبان/١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول.يلدز متفرق المعروضات والإخباريات. .Y.PRK. AZJ رقم ٣٧/٣٠، بتاريخ ٢٧/صفر/١٣١٦هـ؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ١٥٥٧/٣؛ السعدون أحداث... مرجع سابق ص١٠٠.

الزين والعجيراوية[١] وكرد لان[٢] والفرحانية[٣] والتي استولى على قسم كبير منها الشيخ مبارك من دون وجه حق. وقد أبرز الشيخ يوسف والأبناء ما يثبت تلك الحقوق بمستندات. كان بعضها يتضمن اعترافاً صريحاً من قِبل الشيخ مبارك[٤]. وطالب بأن لا يقبض الشيخ مبارك شيئاً من ريع تلك البساتين حتى تبت السلطات العثمانية بالقضية[٥]، أو أن يصدر حكما من محكمة البصرة.

حينها طلب حمدي باشا، والي البصرة، من الشيخ مبارك إعادة الأموال، طبقاً لتلك المستندات المقدمة من خصومه[٦]. استنكر الشيخ مبارك هذه الدعوى، وبين أن تلك المستندات مزوره، وبالوقت نفسه لم ينكر أن لهم حقوقاً لديه، لكنها ليست كما قدروها بل هي شيء قليل لا يستحق الذكر. وقدم لحمدي باشا قائمة بمستحقاتهم المالية، مشترطاً تسليمها بصك جديد يسقط فيه الأبناء جميع حقوقهم، التي يدعونها[٧]. وعدم عودتهم الى الكويت بعدها حاول الشيخ مبارك كسب موقف والي البصرة إلى جانبه، في هذه القضية بالذات، وعرض عليه الرشاوى والهدايا، لكن الأخير رفض ما عُرض عليه من إغراءات[٨].

---

(١) العجيراوية: جزيرة تقع على الضفة اليمنى لشط العرب، جنوب البصرة وتعرف أيضا بجزيرة الكرنتين وهي عبارة عن مائه وعشرين جريب اشتراها الشيخ مبارك وسجلها باسم أبنته شريفه زوجة سعود بن محمد آل صباح. (لوريمر دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ١/٦٨؛ آل إبراهيم: يعقوب، التبيين...، مرجع سابق، ص٤٨؛ السعدون أحداث...، مرجع سابق، ص١٠٠)

(٢) كرد لان: تقع جهة شرقي شط العرب وفيها بساتين كثيرة وهي كلمة تركية تعني الأرض المرتفعة وأصبحت من أملاك آل صباح في عهد الشيخ عبد الله بن صباح١٢٨٣ – ١٣٠٩هـ (الحيدري، مصدر سابق ص١٧٢؛ آل إبراهيم: يعقوب، التبيين...، مرجع سابق، ص٤٨

(٣) الفرحانية: تقع جنوب البصرة امتلكها آل صباح عام١٢٨٧/ ١٨٧٠م في عهد عبد الله آل صباح (آل إبراهيم، المرجع السابق، ص٤٨)

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MT، رقم ١٩٧/٨٣، تاريخ ٨ شعبان ١٣١٨هـ؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ١٥٥٧/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ١٨/٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٣٩؛ السعدون، أحداث...، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول.يلدز متفرق المعروضات والإخباريات. ..Y.PRK. AZJ رقم٣٠/٣٧، بتاريخ ٢٧/صفر/١٣١٦هـ.

(٦) خزعل، مرجع سابق، ١٨/٢؛ Al Ghanim, op, cit, p38

(٧) خزعل، مرجع سابق، ١٨/٢

(٨) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٩؛ Al Ghanim, op, cit, p34

رفض الشيخ يوسف وأبناء الشيخين ما عرضه الشيخ مبارك، واستمروا بدفع قضيتهم، وقدموا شكوى جديدة ضده[١] لاقت تأييداً من والي البصرة، فقرر إنهاء القضية بتشكيل محكمة في البصرة، لإصدار حكم عاجل فيها[٢]. وقد اختار أبناء القتيلين: صباح بن الشيخ محمد وكيلاً شرعياً لدى محكمة البصرة في قضية الأملاك[٣]. فقررت لجنة المحكمة ضبط جميع أملاك آل صباح الزراعية، وحجزها حتى يتم البت في القضية نهائياً[٤]. وبطبيعة الحال، رفض الشيخ مبارك قرار محكمة البصرة، وقام برفع شكوى تظلم إلى السلطات العثمانية ضد قرارات حمدي باشا، والشكوى منه لدى العثمانيين، عبر رسائل موقعة باسمه وأسماء أهالي الكويت[٥]، واتهمه بالفساد، وأنه تلقى رشاوى من خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم[٦].

وفي الوقت نفسه عمل أصدقاء الشيخ مبارك لنصرته، وهم: السيد رجب النقيب وابنه طالب النقيب، وموظفو الدولة العثمانية، من أمثال رجب باشا قائد الفيلق السادس في بغداد، وأبي الهدى الصيادي، ومحسن باشا وغيرهم. وقد سعوا لأخذ شكاوي الشيخ مبارك بعين الاعتبار، وعملوا على تقوية موقفه. وقد نجحوا بالفعل في إلغاء جميع الترتيبات التي عزم حمدي باشا على تنفيذها حول قضية التنازع على الأملاك المتنازع عليها. وبالنتيجة نجحت المساعي مع

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٨.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع رقم ١٩٧/٨٣ تاريخ ١١ شعبان ١٣١٧هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٦ Al Ghanim, op, cit, p34

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول.يلدز متنوع .Y.MTV، رقم ١٩٧/٨٣ تاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول.يلدز متفرق المعروضات والإخباريات. .Y.PRK. AZJ. رقم ٣٠/ ٣٧، بتاريخ ٢٧/صفر/١٣١٦هـ

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV، رقم ١٩٧/٨٣ تاريخ ١١ شعبان ١٣١٧هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٣٦ Al Ghanim, op, cit, p34

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية DH.ID رقم ٤٦/ ١٣١٤ تاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV رقم ١٩٧/٨٣ بتاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية DH.ID رقم ٤٦/ ١٣١٤ تاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية I.DAH رقم ٤٦/ ١٣١٤هـ تاريخ ١١ صفر ١٣١٤هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٣٤ – ٣٥ Al Ghanim, op, cit, op,P36

(٦) القاسمي، المرجع نفسه، ص٣٤.

السلطان عبد الحميد الثاني، واصدر قراراً بعزل حمدي باشا عن ولاية البصرة[١]. ومن جديد تمكن الشيخ مبارك من وضع يده على الأملاك[٢]، ونجح في تعطيل البت في القضية[٣]. وبهدف حمايتها أناب عنه السيد طالب النقيب عليها، مقابل راتب شهري قدره سبعون ليرة عثمانية[٤]. وجعلها تحت إدارة عبد العزيز السالم البدر خلال تلك الفترة الحرجة[٥]. وقد تقدم الشيخ يوسف بشكوى للسلطات العثمانية يطالب فيها باسترداد حقوقه وأمواله، التي اغتصبها مبارك منه في الكويت، ورفع شكاوي التظلم ضده وأنه – أي الشيخ مبارك – يريد القضاء عليه[٦].

ومعلوم، أن الشيخ مبارك قام بالسيطرة على ممتلكات آل إبراهيم داخل الكويت، من تجارة، وعقارات، وأراضٍ، وثروة حيوانية، وقام بتحويل جميع مستحقات الشيخ يوسف المالية عند أهالي الكويت لحسابه[٧]، بحجة أنه سيطر على أموال آل صباح في بومباي[٨]. بل طالب الشيخ مبارك خصمه بإعادة الأموال الخاصة بالإمارة، والموجودة بحسابه في بومباي، وتصل إلى

---

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٤/ ٢٢١٣؛ القاسمي، المرجع نفسه، ص٣٥.
Bidwell Robin, THE AFFAIRS OF country-region KUWAIT 1896-1905, VOL 1, PART II, printed in Great Britain by Stephen Austin and sons Limited, Hertford, p39

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٥٥/ ٢٠٤ تاريخ ١١ ربيع الأول ١٣١٨هـ؛ Al Ghanim, op, cit, p35

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK، رقم ١٩٤٠ تاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ القاسمي، مرجع سابق ص٣٤ Al Ghanim, op, cit, p35

(٤) النجار، مرجع سابق، ص١٦٣؛ الثنيان: محمد، عبد العزيز بن رشيد والحماية البريطانية، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٠/ ١٩٩٩، ص ٤٥

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨ النجار، المرجع نفسه، ص١٦٣؛ ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدرسابق، ص١٩٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٤٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٣٤٥.

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول مضابط مجلس الوكلاء. .M.V رقم ٥/ ٩٨ تاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ الذكير مصدر سابق ص١٠٦؛ القناعي مصدر سابق ص٢٨؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٢٤٨
Bidwell, AK.VOL2 PART1, p39

(٧) الذكير، مصدر سابق ص١٠٦؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٢٤٨؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، مضابط مجلس الوكلاء رقم ٥/ ٩٨ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ
Bidwell, AK.VOL2 PART1.p34

(٨) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص٢٨؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٢٤٨. Bidwell, AK.VOL2 PART1, p39

٧٦٨٥٠ روبية[١]. وهكذا استمر النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف لكسب قضية الأملاك، وخصوصاً البساتين الزراعية بولاية البصرة. ولنا أن نتساءل: إذا منح الشيخ مبارك أبناء أخويه، الشيخين محمد وجراح، حقوقهم المالية كاملة فهل يعني ذلك نهاية النزاع، الذي دام عقداً من الزمان؟ وبعبارة أخرى هل كان جوهر النزاع حول المال أم حول السلطة؟ ستأتي الإجابة في المباحث التالية.

محاولات الصلح

حرص الشيخ مبارك، منذ استيلائه على السلطة، على عدم توسيع دائرة النزاع مع خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم، ذلك لإدراكه بأن يده لن تطول خصمه، ولن تصل إليه وهو في الصَبيَّة[٢]، لذا مال إلى مراوغته وخداعه ومحاولة استدراجه إلى الكويت، كما ذكرنا آنفاً. وباجتماع خصومه في الصَبيَّة، وخروجهم إلى ولاية البصرة، أدرك تأزم الوضع وتوسع دائرته، فاستمرت محاولاته في الاستمالة والصلح، فأوعز إلى بعض أعيان الكويت بمراسلة الشيخ يوسف يرجوه فيها الكف عن التحرش بالكويت، ويطلب منه الصلح[٣]. فأظهر لهم الشيخ يوسف عن نيته السليمة ناحية الكويت، وأنه ليزعجه جداً كل ما يقلق راحة الكويت وأهلها[٤]

استبشر الشيخ مبارك بهذا الرد، فعمل على استدراج خصمه، من جديد، إلى الكويت فجهز وفداً يضم كبار الأعيان، وكان على رأس الوفد أخوه حمود ابن صباح، فاتجه الوفد إلى الدورة، معقل الشيخ يوسف، وبعد إلحاح الوفد

---

(١) سند بتوقيع الشيخ مبارك بقيمة الأموال التي كانت عند آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ (مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة في لندن، وقد زود الباحث بنسخه من هذه الوثيقة)؛ القناعي، مصدر سابق، ص٢٤؛ وذكر بوندار يفسكي أن المبلغ كان ((١٢٠٠٠٠٠٠ روبية)) ولكن هذا الرقم كبير جداً وبعيد عن واقع حالة آل صباح الاقتصادية في تلك الفترة والتي تكلمنا عنها خلال الفصل الأول من هذه الدراسة (بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٩٦).

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٤٩؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٤.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ الذكير، المصدر نفسه، ص١٠٢؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢/ ٢١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٧٩.

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٢.

رفض الشيخ مطلبهم بالعودة للكويت[١]، وبين لهم ما يثبت تواطئهم ضده، وأخرج لهم الرسائل التي تحمل أسماءهم وشهادتهم على قيام الشيخ يوسف بقتل الشيخين محمد وجراح. وبهذا أُخفقت محاولات الشيخ مبارك[٢]. حملت الرسائل، التي كشفها الشيخ يوسف للوفد، شهادات جمع من أعيان الكويت ضده، أُكرهوا على توقيعها[٣]، ولم يمتنع منهم إلا من رحم الله. وهم: الشيخ محمد الفارس[٤]، والسيد سليمان بن السيد علي[٥]، والشيخ عبد الله الرشيد[٦]، والشيخ جبر الغانم[٧]، والشيخ أحمد الفارسي[٨].

سعى الشيخ مبارك من جديد، على الرغم من فشل أول محاولة للصلح مع الشيخ يوسف، محاولاً إقناع عائلة خصمه آل إبراهيم، كي تتوسط لإنهاء هذا النزاع، وتحاول إقناعه بإيقاف أعماله العدائية ضده، فأرسل وفداً ممثلاً بعبد العزيز السميط إلى بومباي، ليطلب من الشيخ عبد العزيز بن عليّ آل إبراهيم[٩] أحد كبار الأسرة لهذا الغرض. لكن، سفارة السميط فشلت بإقناع

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٧٩.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ الذكير، المصدر نفسه ص١٠٢؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٧٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢١.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٥٢

(٤) الشيخ محمد الفارس: عرف عنه التقوى والنزاهة والورع، قام بتعليم الصبيان ثم أشتغل بالتجارة فكان قدوة للتجار في المعاملة، توفي عام ١٣٢٦هـ.(القناعي، مصدر سابق، ص٥٣)

(٥) السيد سليمان ابن السيد علي: من علماء الكويت وسراتها وتغرب في طلب العلم فاتجه إلى الإحساء وتعلم على يد علمائها ثم عاد إلى الكويت وحصل عليه إقبال من طلبة العلم لكن المنية أخذته وعاجلته وهو في مقتبل العمر٠(القناعي، مصدر سابق، ص٥٣)

(٦) الشيخ عبدالله الرشيد: من أعيان الكويت وعلمائها (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٢)

(٧) الشيخ جبر الغانم: من عائلة الغانم وأصله من الإحساء وعرف بشغفه بالعلم وعمل في مجال التجارة (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٥٢)

(٨) الشيخ احمد الفارسي: من علماء الكويت وسراتها تغرب في طلب العلم فسافر إلى مصر ومسقط وكوهج وتغرب لمدة سبع سنوات. عاد بعدها إلى الكويت وحصل له من الإقبال ما لم ينله احد قبله من طلبة العلم (القناعي، مصدر سابق، ص ٤٨) وذكر الراوية محمد بن صالح ال إبراهيم انه من ضمن الشخصيات التي لم توقع لكن المؤرخ عبد العزيز الرشيد لم يذكره لخلاف شخصي بينهما (معلومات زودني بها الراوية محمد بن صالح ال إبراهيم بمنزله بالفنطاس بتاريخ ١٠/٦/١٤٢٣)

(٩) الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم: هو خال الشيخ يوسف آل إبراهيم من كبار تجار الكويت وكان مقر تجارته واستقراره في بومباي، ويعتبر من أكبر تجار العرب في الهند وتوفي في مدينة =

الشيخ عبد العزيز، الذي أعتذر، واعتبر الأمر شأناً خاصاً بالشيخ يوسف[١]. ورغم الفشل إلا أن الشيخ مبارك لم ييأس، فطلب من الشيخ مزعل بن جابر ابن مرداو شيخ المحمرة (عربستان) الوساطة من جديد، وسعى الشيخ مزعل للمصالحة بين الطرفين، لكن المساعي توقفت السنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧ باغتيال الشيخ المذكور[٢].

بعدها طلب الشيخ مبارك من شخصيات عربية مقربه من الشيخ يوسف، وتربطهم به علاقات ودٍ واحترام، مثل مقبل بن عبد الرحمن الذكير[٣]، والإمام عبد الرحمن الفيصل، والكاتب والمؤرخ سليمان الدخيل[٤]، ومحمد بن عبد الوهاب الداريني، وغيرهم[٥]. سعت تلك الشخصيات، وخصوصاً الذكير، في تقريب وجهات النظر، ووضع حداً للنزاع[٦] لكن الشيخ يوسف رفض طلب الصلح برسالته إلى مقبل الذكير في تاريخ ٢٥ رمضان من سنة ١٣١٤هـ. جاء فيها: "يا أخي، الصلح ما أحد يعافه، من الأول وهو خير، ولكن الصلح مع مَن يقع! هذا فاجر، ولا نأمن منه ومن غوايله، وهو ما يقف على كلامه ولو أعطاه أخلفه. والحقيقة أن هذه المصيبة ابتلينا بها ونحن ما لنا إلا الصبر، وعمل

= سورت بالهند يوم الخميس ١٨ ربيع الآخر من سنة ١٣٢٨هـ، ويعتبر عبد العزيز هذا أول من صلى عليه صلاة الغائب في الكويت (عبد الله البسام، مصدر سابق ص٤٠٩؛ الحاتم، مرجع سابق، ص٦).

(١) الذكير، مصدر سابق ص١٠٢؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨٠.

(٢) الذكير، المصدر السابق، ص١٠٢؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٥٢؛ الفرحان، المرجع السابق، ص٨٠؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/ ٢١؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/ ٦٤٨.

(٣) مقبل عبد الرحمن الذكير: أصله من عنيزه هاجر إلى البحرين وعمل بالتجارة وخاصة تجارة اللؤلؤ، وكان من المقربين للشيخ يوسف آل إبراهيم وتربطهما صداقة قديمة وعلاقة تجارية وكان يوسف يتخذ من بيت مقبل الذكير مقراً له عند قدومه للبحرين، (الذكير، مصدر سابق، ص١٠٤).

(٤) سليمان الدخيل: يرجع أصله لقبيلة الدواسر من مواليد بريده سنة ١٢٧٠هـ وترعرع بها وانتقل إلى البصرة فبغداد، واستقر عند عمه جار الله الدخيل وشجعه على الدراسة ومارس التجارة وسافر للهند للتجارة والتعلم، وانتقل للمدينة المنورة لتلقي العلوم فعاد بعدها لبغداد ومارس الصحافة فأنشأ مجلة الحياة وجريدة الرياض وعمل في الوظائف الحكومية بالعراق الجديد وله مؤلفات عديدة أهمها القول السديد بإمارة آل رشيد، وقد مات معدماً فقيراً سنة ١٢٦٤هـ في بغداد ونشرت نعيه جميع الصحف العراقية ورثاه عدد من الكتاب والشعراء وعاد أبنائه لبريده من بعده (انظر القشعمي، مرجع سابق، ص١٥ وما بعدها)

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٥.

(٦) الذكير، المصدر نفسه، ص – ص ١٠٥ – ١٠٥.

الطريق الذي لنا منه راحة لنا وله. يا اخي، الصلح نحن من أول مومنين فيه، ولكن أجزم أنه يصير علينا أكبر وبال، لأنه يمسكنا ولا نمسكه، وأنتم آخر الأمر ما تقدرون تعملون شيء معه، ولكن بقاء الأمور منا ومنهم على الحذر أوفق وننتظر الفرج من الله...[١]. وللإطلاع على المزيد من نصوص المراسلات تُراجع مخطوطة الذكير.

وأكثر من هذا، طلب الشيخ مبارك من بريطانيا أن تتوسط في الصلح، عن طريق شيخ البحرين الشيخ عيسى بن خليفة، الذي سعى في محاولات للإصلاح لكنها باءت بالفشل أيضاً[٢]. استمرت محاولات مقبل الذكير وشخصيات أخرى للإصلاح ذات البين حتى نهاية العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، فحينها توقفت مساعي الصلح بطلب من الشيخ مبارك نفسه، حال سماعه نبأ وفاة الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد نهاية العام ١٣١٥/١٨٩٧[٣]. وقصة ذلك، أن الشيخ مبارك كان متخوفاً من آل رشيد، بتبني قضية الشيخ يوسف ضده، واستقباله في إمارة حائل. ويدرك الشيخ مبارك بأنه ليس بمقدوره مواجهة خصمه بدعم وتأييد مباشر من قبل الأمير آل رشيد[٤]. لذا نجده، بعد إدراكه بتغير موازين النزاع لصالحه، يرفض أية مساع للصلح، بل أظهر أنه ليس بحاجة لصلحٍ، وقام برمي اللائمة على الشيخ يوسف، وبأنه قادر على مواجهته فأدرك مقبل الذكير، ومَنْ معه من المصلحين، بأنه لا فائدة من المساعي[٥].

---

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١١٠

(٢) سلدانيا التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص٤٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١١٠؛ Al Ghanim, op, cit, p 51

(٣) الذكير، مصدر سابق، ص١١٠.

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص١١٠.

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص١١٠.

الفصل الثالث

نشاط الطرفين في فترة التسابق الدولي على الكويت

١ - نشاط الشيخ يوسف آل إبراهيم خلال عام ١٣١٥/ ١٨٩٧م.

٢ - حملة الشيخ يوسف آل إبراهيم البحرية ضد مبارك.

٣ - الموقف العثماني من الحملة.

٤ - الموقف البريطاني من الحملة.

٥ - خطة الهجوم من قبل الشيخ يوسف وشيخ قطر ضد مبارك.

٦ - التنافس الدولي على الكويت ومعاهدة الحماية.

٧ - موقف الدول الكبرى من معاهدة الحماية البريطانية على الكويت

الفصل الثالث

سياسة الطرفين في فترة التسابق الدولي على الكويت

الشيخ يوسف آل إبراهيم

توالت ردود فعل الشيخ يوسف بقوة أزعجت خصمه، وأقلقت راحته، في أولى مراحل المواجهة بينهما، وهي مرحلة النزاع السياسي، مثلما سبق التعريف بها، تلتها مرحلة النزاع المسلح وخلالها تزعزع وضع الشيخ مبارك، وهز أساس حكمه. كانت حرباً بلا هوادة استمرت عقداً من الزمان. وركز طرفي النزاع على كسب موقف أهالي الكويت، وكان لكل طرف أنصاره ومؤيدوه والمتعاطفون معه والمعارضون له منذ البداية.

انضمت مجموعة من أهالي الكويت إلى الشيخ يوسف تأييداً له ضد الشيخ مبارك، وهم من شتى فئات المجتمع، من علماء وطلبة علم وسياسيين وتجار[١]، رفضاً لفعل الشيخ مبارك وتعاطفاً مع أبناء القتيلين سواء كان ذلك بحكم القرابة أو المصاهرة أو التابعية والعمل[٢]. وقد أسهم هؤلاء إسهاماً فاعلاً وإيجابياً خلال فترة الصراع، كل على حسب قدراته وإمكانياته، ومنهم من أسهم مادياً كعائلة آل إبراهيم، التي وقفت وراء حقوق أبناء القتليين مؤيدةً وداعمةً لهم طوال فترة النزاع.

وكما سبق أن بينا هجرة العائلة من الكويت بعد خروج الشيخ يوسف، فقام الشيخ صالح بن صالح آل إبراهيم بإدارة الاملاك بالدورة والإشراف عليها[٣]. أما الشيخ عبد العزيز بن على آل إبراهيم فهو المشرف على الأعمال

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٢؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢

(٢) الذكير، المصدر نفسه، ص ١٠٢؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ٣٠؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٧٨؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

(٣) محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١/٥٨؛ مقابلة مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزلة بالفنطاس بتاريخ ١٤٢٣/٣/٢٥هـ

والتجارة بالهند(١). وكانت موارد الشيخ يوسف المالية هي الوحيدة، التي أمدت مساعي حربه ضد الشيخ مبارك، إضافة لإسهام عائلة آل إبراهيم(٢). وتمثلت المواجهة البشرية بأبناء القتيلين محمد وجراح(٣)، كما ساهم عدد من آل الصباح، وكان في مقدمتهم الشيخ مبارك العذبي الصباح، الذي عرف بشجاعته ومهارته العسكرية، فكان الساعد الأيمن ليوسف طوال فترة النزاع، كما شارك عدد لا يستهان به من الكويتيين عسكرياً(٤).

وهناك مَنْ ساهم في مجالات أخرى من إدارة النزاع: الدعائي والإعلامي، والدبلوماسي. وأسهم بالتحريض ضد الشيخ مبارك لدى السلطات العثمانية، مثل: ماجد بن سلطان بن فهد، وحمد العبد المحسن الغرير، والسيد عبد الوهاب الطباطبائي وغيرهم(٥). وكان الأخير "يرفع الشكاة باسم أهل الزبير إلى حكومة الترك(٦)، و"أسهم بعضهم بمراسلة الصحف والمجلات لتحريض السلطات العثمانية والقوى العربية(٧). ومن أهمهم: ماجد بن سلطان بن فهد، الذي درس في مصر (قبيل ١٨٧٠) أُبان حكم الخديوي إسماعيل. وكانت له علاقة مع عدد من الصحفيين المصريين، حيث قَدم فعلاً إلى الكويت أحدهم،

(١) القاسمي، مرجع سابق ص٣٣٩. غير صحيح!كانت الأعمال شراكة بين علي بن محمد آل إبراهيم وابن أخيه عبد الله بن عيسى آل إبراهيم وابنائهم.
Rush, A.de L, Records Of Kuwait Internal Affaires 1899-1921(Selected And Edited Volume 1, ARCHIVE EDITION 1989.)P1173

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الذكير، مصدر سابق، ص٩٩؛ يعقوب آل إبراهيم المرجع السابق، ص ٢٢؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص ٣١٠

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص ٢٣؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٠٠؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٥٣؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ٢٢

(٤) الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص ٣٠٠؛ الفرحان مرجع سابق ص ٧٩

(٥) ومن هؤلاء منصور بن عيسى وعلي بن خميس وأبناءالشيخ محمد صباح خالد وسعود وحمود بن جراح (القاسمي، مرجع سابق، ص٣٤١ – ٣٤٢).

(٦) الصانع، مرجع سابق، ١/ ٢٢٥؛ وذكر الأستاذ يعقوب آل إبراهيم أن السيد عبد الوهاب الطباطبائي هو من كان يكتب المقالات ويراسل الجرائد والمجلات للشيخ يوسف آل إبراهيم، ولقد كان معروفا بقدراته الكتابية لذا كلفه يوسف بهذه المهمة (مقابلة مع الأستاذ يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم بدولة الكويت بتاريخ ١٥/ ٣/ ٢٠٠٥).

(٧) الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ القناعي، مصدر سابق، ص٣٠؛ الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص١٤٨؛ أنظر مقال "شكوى إلى أمير المؤمنين" مجلة اللواء، الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠٠م، السنة الأولى، العدد الخامس، ص ٣١٧وما بعدها؛ Al Ghanim. o p..cit.p53

وهو الصحافي بيومي إبراهيم، الذي كتب تحت اسم السائح المصري في مقالات عدة، في جريدة "الأهرام"، امتدت بين شهري سبتمبر وأكتوبر ١٩٠١. كذلك نشرت جريدة "المؤيد" قبلها مقالات تضمنت حوادث الكويت. كما استعان الشيخ يوسف بوكلاء محليين بالبصرة وبغداد واسطنبول وبومبي، من أمثال المحامي أَلياس راسم الأوقاتي، وسليمان القرطاس، وحمد العسافي. وفوض منصور بن خميس الخشتي(١) أن يتحدث باسمه لدى مندوبي القوى الإقليمية والدولية، بما فيها التفاوض مع السلطات البريطانية(٢).

أما مؤيدي الشيخ يوسف، داخل الكويت، فقاموا بأدوار مختلفة لدعمه في هذا النزاع، كنقل الأخبار والتجسس، وبث الدعاية لصالحه، وحثه بالمراسلات الكتابية لمهاجمة الشيخ مبارك، وأنهم سيقفون إلى جانبه(٣). وأكثر من هذا هناك مَنْ قام بتنفيذ مهمات خاصة بأوامر مباشرة من قبل الشيخ يوسف مثل أحمد بن محمد العسعوسي.

وبالمقابل كان للشيخ مبارك مؤيدون ومؤازرون، فقد بايعه قسم من أهالي الكويت، ورضخ له عدد من الأعيان، منذ استيلاءه على السلطة، بعد اغتياله لشقيقيه الشيخين محمد وجراح. بايعه بعضهم عن قناعة ورضا تامين، بينما بايعه البعض الآخر على مضض وإكراه(٤). وقدمت فئة من تجار الكويت الدعم المادي(٥). كذلك تولى إدارة أملاك آل الصباح من النخيل في الفاو أخوه جابر بن صباح. ومن المؤيدين مَنْ أسهم في المجال الإعلامي والدعائي والدبلوماسي، ومثّلَ الشيخ مبارك لدى القوى الإقليمية والدولية وكلاء محليون، وساهم آل نقيب بالبصرة من خلال أبو هدى الصيادي باسطنبول لما له من حظوة لدى السلطان عبد الحميد الثاني. ومن وكلائه: مصطفى خيري بالبصرة، وفهمي

(١) منصور بن خميس الخشتي: من عائلة الخشتي الكويتية، ويعتبر منصور من أحدرجال الشيخ يوسف المقربين جداً حيث كان يعتبر سكرتيره الخاص.

(٢) Bidwell, A.K. Vol 2. Part 1. p39

(٣) القناعي، المصدر سابق، ص٣٠؛ الحاتم، المرجع السابق، ص٢٥٢؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٤) الذكير، المصدر السابق ص١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٤٨.

(٥) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص١٥١؛ الذكير، المصدر السابق، ص١٠٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٣١.

أفندي المحامي (ماروك الأرمني). أما عبد العزيز السالم البدر وكيله في البصرة، فله علاقات مع كبار موظفي الولاية من العثمانيين وغيرهم[١].في هذا الصدد، حملت الوثائق العثمانية أسماء كويتية مؤيدة للشيخ مبارك ومحرضة ضد خصمه الشيخ يوسف[٢]. لما وجده الشيخ مبارك تدراكاً ما لخصمه من تعاطف وتأييد في الكويت وخارجها، جزعاً وغضباً للطريقة التي اعتلى بها كرسي الحكم[٣]، فعمل على بناء جسور للتقارب مع أهل الكويت وخصوصاً الأعيان، محاولاً مداراتهم متخذاً من سياسة أسلافه، القائمة على العدل والمساواة وتطبيق الشورى في شؤون حكمه، منهاجاً له طوال فترة العشر السنوات الأولى من النزاع، فكسب بذلك أغلب الأهالي، وخصوصاً التجار والأعيان إلى جانبه، فحقق نجاحاً في هذا الأمر. واثبات لنهج التودد حتى أنه: "ضرب أخاه جابراً لتعديه على أحد أهالي الكويت[٤].

في هذه المرحلة، من مراحل النزاع، لم يفوّت الشيخ يوسف آل إبراهيم فرصة لتجريد الشيخ مبارك من أي نوع من أنواع الحماية، فكان يعمل بسرية تامة لهذا الأمر، لا يعرف أقرب الناس من حوله بما يفكر أو يخطط. فمن خصاله ما قال فيه الذكير: "إنه أقدر خلق الله على التكتم، فكان الغموض يحيط به وبأعماله...[٥]. معتمداً على سرعة الحركة مسخرا وسائل النقل السريعة

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٤/ ١٧٠ تاريخ ٢ رجب ١٣١٥؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز الهمايوني .Y.PKR.BSK رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٥٩/ ١٦٩ تاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٧٩.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة داخلية DH.ID رقم ٤٦/ ١٣١٤، تاريخ١٠ صفر ١٣١٤هـ وتاريخ ١١ صفر ١٣١٤هـ و٢٦ صفر ١٣١٤هـ؛ القناعي، مصدر سابق ص٣٠؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٤٨.؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص٢٤٢

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص٢٧.

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص٢٧.

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص١٢٦؛ ومن الروايات المشهورة عن تحركات يوسف السرية أنه يترك عباءته (بشته) بالدايوانية (المجلس) ويدخل منزله ويخرج من باب آخر ومعه عدد قليل من رجاله، فقد كان يعتمد على مجموعة صغيرة من رجاله ومنهم منصور الخشني، وحارسه الشخصي فلاح الهاجري، ومماليكه بسر وسيف وسعد الله. وكان يلبس ملابس بالية وقديمة للتخفي ويتجه من موقع لآخر بدون أن يحس أحد بذهابه إلا بعد عدة أيام. ومن وسائل النقل عنده إذا خرج مثلاً من منطقة إلى منطقة أخرى يخرج بواسطة قارب صغير (المشحوف) ليصل إلى المكان الذي يريده بدون علم أحد.أو =

التي استخدمها في تنقلاته. حيث قام بشراء مركب بخاري جديد(١)تسهيل تلك المهام في عام ١٣١٤هـ/١٨٩٧(٢).

ومثلما علمنا، أن طرفي النزاع توجها، في مرحلة النزاع السياسي، لكسب الموقف العثماني، وأنها انتهت لصالح الشيخ مبارك، لذا قوي مركزه في حكم الكويت، لتبدأ بعدها المرحلة الثانية، مرحلة النزاع المسلح، بالاستعدادات العسكرية. وحينها بدأ الشيخ يوسف يعد العدة لمهاجمة الكويت، وانتزاعها من الشيخ مبارك، معتمداً على جهوده وعلاقاته وثروته لتوفير الأسلحة والعتاد، والرجال، ووسائل النقل، ومستلزمات المعركة الأخرى(٣). وفي الوقت نفسه نَشّط التجسس على خصمه، لمعرفة تحركاته من خلال عيونه داخل الكويت(٤).

أقلقت هذه التطورات الحثيثة، التي انتهجها الشيخ يوسف، خصمه الشيخ مبارك كثيراً فأضحت شغله الشاغل، فكانت يقظة الأخير ومراقبته الدقيقة لتحركات الشيخ يوسف ضده، عوناً لاحباط تلك المحاولات خصوصاً قبل توقيع معاهدة الحماية ١٨٩٩. وقد حرص على الأخذ بالحذر والحيطة تحسباً لأي تصرف قد يقوم به خصمه ضده وركز على الجانب الأمني لضمان سلامته من أي عمل مفاجئ قد يقدم عليه، فاحاط نفسه بحماية غير

= يلبس ملابس تركية للتمويه. (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٣٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٦٤؛ مقابلة مع الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنطاس بتاريخ ١١/٣/١٤٢٣هـ؛ وتأكد لي صحة تلك الروايات في مقابلة الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم والأستاذ عبد الرازق ابن إبراهيم في دولة الكويت بتاريخ ١١/٥/٢٠٠٥م وذكرا أنها من الروايات المشهورة والمعروفة عند كبار السن من عائلة آل إبراهيم).

(١) قام يوسف بشراء المركب البخاري من الهند بواسطة أبن خاله عبد العزيز بن علي آل إبراهيم ويعتبر هذا النوع من المراكب أول مركب بخاري يقتنيه كويتي واستخدمه مدة سنتين ثم أهداه لصديقه حمدي باشا على مواقفه الجيدة معه (انظر يعقوب آل إبراهيم، من المراكب العربية ص٦٤ – ٦٥ – ٦٦ - ٦٧؛ النوري، خالدون في تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٦٧).

(٢) يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص٦٦؛ النوري، المرجع السابق، ص٦٧.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "M.T.V." رقم ١٨/في صفر١٣١٥هـ ١٧١٩؛ معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم في مدينة الكويت بتاريخ ١٦/٣/٢٠٠٥م؛ أبو حاكمة مرجع سابق ص٣١٠؛ الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة خصوصية "I.HUS" رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ.

(٤) عبد العزيز الرشيد مصدر سابق؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٤٧٥؛ النوري، خالدون...، مرجع سابق، ص٢٧ Whigham, op, cit, p97

مسبوقة أخذاً بتغيير مكان مبيته، وعدم البقاء في مكان واحد معروف، حذراً من أي عملية اغتيال[١]، وحرص على السرية والتمويه خلال تحركاته، الداخلية أو الخارجية[٢].

حملة يوسف آل إبراهيم البحرية

بعد فشل الشيخ يوسف آل إبراهيم في الحصول على دعم عثماني لقضيته ضد الشيخ مبارك، قرر مهاجمة الكويت[٣]، والقضاء على الشيخ مبارك، معتمداً، كالعادة، على إمكاناته الشخصية[٤]. فبدأ بالتخطيط والإعداد، وقرر تجهيز حملة عسكرية لتحقيق ذلك الهدف. وكانت البداية بتوفير الأسلحة، حيث طلب من خاله الشيخ عبدالعزيز بن على آل إبراهيم في بومباي تجهيزه ببنادق من نوع مارتيني - هنري[٥]، فتم شحنها على ظهر سفينتين إلى الدورة، مقر الشيخ يوسف آنذاك، وقد أحيطت هذه العملية بسرية تامة[٦].

غير أن الشيخ مبارك أكتشف أمر شحنة البنادق، على الرغم من السرية التي أحيطت بها، وقد طلب من صديقه وحليفه شيخ المحمرة، الشيخ خزعل ابن مرداو، بمنع وصولها إلى الدورة، وقام الأخير باعتراض هاتين السفينتين أثناء عبورهما شط العرب، لكنه فشل في الاستيلاء عليهما، فوصلتا بسلام إلى

---

(١) بوندار يفسكي؛ مرجع سابق ص٤٧٥؛ أبو حاكمة مرجع سابق ص٣٠٩.
Whigham, op, cit, p97, Al Ghanim, op, cit, p57

(٢) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٤٧٥؛ النوري، المرجع السابق، ص٢٧؛
Al Ghanim, op, cit, p57; Whigham, op, cit, p97

(٣) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٣ Al Ghanim, op, cit, p53

(٤) الريحاني ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/ ٢٦٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص٣٥٣
Al Ghanim, op, cit, p53, Fredrick Anscombe op, cit, p150

(٥) المار تيني: يطلق عليها العامة (ماطلي) بندقية استعملها الجيش البريطاني عام ١٨٧١م تنسب إلى فردريك دي مارتيني (١٨٣٢ - ١٨٩٧م) وهو من أصل هنغاري هاجر إلى سويسرا ثم باعها الى هنري الاسكتلندي كان يستخدمها سكان جزيرة العرب والخليج والعراق سلاحاً لهم وأشار إليها الشعراء في قصائدهم المختلفة، وقد أشار إليها الشيخ قاسم آل ثاني في إحدى قصائده
ملكها وعزت واستقرت وسادها ... بالماطلي والسيف لا بالرسائل
(البنعلي، مصدر سابق ص١٢٣؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق ص٦٠).

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.M.T.V." رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ.

الدورة، وبذلك تهيأ الشيخ يوسف لمهاجمة الكويت[١]. وإلى جانب ذلك، قدم الشيخ مبارك الشكاوى لدى السلطات العثمانية ضد خصمه متهماً اياه بتهريب الأسلحة، ومحاولة زعزعة الأمن ونشر الفوضى بين العشائر في المنطقة. وبيَن بأن هدف يوسف هو القضاء عليه، وهو الموالي للسلطان العثماني. كذلك وضح في شكواه أن بريطانيا تدعم خصمه، والأخير عدو الدولة العلية والإسلام[٢].

سبقت هذه الحملة احتياطات دقيقة دلت على مهارة الشيخ يوسف وحزمه[٣]، فبدهائه المعهود قام بعدة عمليات تمويهية، حيث سافر من الدورة إلى الهنديان[٤]، وبندر معشور[٥] في ٣ محرم ١٣١٥هـ ٢١ يونيو ١٨٩٧[٦]. وخلال هذه الجولة قام بتجنيد قواته وسلحهم بالبنادق المارتيني، والمدافع الإيرانية الصغيرة[٧]، وقد ذكر عبد الله الحاتم أن الحملة كلفت الشيخ يوسف ثلاثين ألف ليرة ذهباً[٨]. وفي تلك الأثناء كان يبرق البرقيات، التي توهم متتبعي تحركاته من خلال أنباء برقياته، أنه قد سافر إلى الهند هرباً من ظلم الشيخ

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "M.T.V. 0Y"، رقم ١٨/١٧١٩ في صفر١٣١٥هـ؛ معلومات زودني بها الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم في مدينة الكويت بتاريخ ١٦/٣/٢٠٠٥م؛ أبو حاكمة، مرجع سابق ص٣١٠؛ الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة خصوصية "I.HUS" رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع .M.T.V. Y رقم ١٤٢/١٦٣ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول؛ يلديز متنوع .Y.M.T.V رقم٧٠/٧٢٠، تاريخ ١٧/مارس١٣١٣رومي؛ الرشيد عبد العزيز المصدر السابق ص١٥٦

(٣) الذكير مصدر سابق ص١٠٣؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص٢٥٣؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٢؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٥٥.

(٤) الهنديان: تقع في أقصى الطرف الشرقي من عربستان الجنوبية ويحدها الخليج العربي من الجنوب وهي عبارة عن شريط أرضي مرتفع قليلاً يسير متوازياً لنهر هنديان في حوالي منتصف المسافة بينها وبين بندر معشور وأشهر القبائل التي تسكن المنطقة هي "االقنواتي والشريفات ولكي وكعب" (انظر لوريمر، دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق ٢/٩١٣ وما بعدها).

(٥) بندر معشور: منطقة إدارية في عربستان تقع على رابية، وسكانها أغلبهم من العرب ويتكلم أكثر سكان المنطقة العربية ولباسهم عربي (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق ٤/١٤٧٧)

(٦) خزعل، مرجع سابق ٢/٢٢؛ الذكير، مصدر سابق ص١٠٢.

(٧) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٨) الحاتم، مرجع سابق، ص٣٥٣.

مبارك الصباح[(١)]، ومن الهند سافر إلى بورسعيد[(٢)]، ومنها إلى مرسيليا[(٣)]، فوثقوا بتلك الأنباء وصدقوا ما كان يرد فيها من أنباء[(٤)].

وفي ١٢محرم ١٣١٥هـ[(٥)]، ٣٠ يونيو ١٨٩٧[(٦)]قاد الشيخ حملته الأولى لمهاجمة الكويت، عندما أقلع من الهنديان بسفن اختلف الرواة في عددها، إلا أنه على الأرجح كانت حوالى أربع عشرة سفينة شراعية[(٧)]، محملة بسبعمئة من الرجال المدججين بالسلاح[(٨)]، يرافقهم أبناء الشيخين محمد وجراح[(٩)] وعدد

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول مضابط مجلس الوكلاء .M.V رقم ٥/٩٨ تاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ الرشيد المصدر السابق ص١٥٥؛ الذكير المصدر السابق ص١٠٣؛ الشملان المرجع السابق ص٢٩٩؛ خزعل المرجع السابق ٢/٢٢؛ الفرحان، المرجع السابق، ص٨٠؛ الحاتم، المرجع السابق، ص٢٠٣.

(٢) بورسعيد: مدينة تقع شمال شرقي جمهورية مصر العربية، عند النهاية الشمالية لمجرى قناة السويس، وتم بناؤها عام ١٨٧٩م وتعتبر ميناء مصر الشمالي على قناة السويس وسميت باسم الخديوي سعيد الذي حكم مصر خلال الفترة الممتدة من ١٨٥٤ – ١٨٦٣م (الموسوعة العربية العالمية الناشر الموسوعة الرياض ١٤١٦/١٩٩٦ ٥/٢٣٨ – ٢٣٩).

(٣) مرسيليا: مدينة تقع جنوب شرقي فرنسا وتعتبر ميناء فرنسا الرئيسي وأقدم مدنها (الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ١٧/٣١٣).

(٤) الذكير مصدر سابق ص١٠٢؛ خزعل مرجع سابق ٢/٢٢؛ الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص٢٩٨.

(٥) الذكير، المصدر السابق، ص١٠٣؛ الشملان ا، لمرجع السابق، ص٢٩٧؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨١

(٦) لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٥؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣١٠.
Jacob Goldberg, op, cit, p15, Fredrick Anscombe,, op, cit, p149

(٧) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٢؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص٢٩٨؛ البسام؛ مصدر سابق ص٢٦٧؛ الفرحان مرجع سابق ص٨٠؛ وقال القناعي أنها "ثلاث عشرة سفينة" القناعي مصدر سابق ص٢٩، وذكر القاسمي بأنها عشرون سفينة معتمداً على الوثائق العثمانية، القاسمي مرجع سابق ص٥٢؛ وذكر بوندار يفسكي بأنها إحدى عشرة سفينة، بونداريفسكي مرجع سابق ص١٠٤.وذكرت سلوى الغانم بأنها عشرون سفينة.
Al Ghanim,op, cit, p53

(٨) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٧؛ خزغل، مرجع سابق، ٢/٢٢؛ عبدالله البسام، مصدر سابق ص٢٦٧؛ وذكر الحاتم أن عدد الحملة يتراوح مابين" ١٥٠٠ – ١٨٠٠ رجل" (الحاتم، مرجع سابق، ص١٥٥)؛ أما سلوى الغانم Al Ghanim فذكرت أن العدد بحدود ٤٠٠ رجل (Al Ghanim, op, cit, p53)؛ أما القاسمي وبنداريفسكي فقد ذكرا أن العدد يصل إلى ١٢٠٠رجل (القاسمي، مرجع سابق ص٥٢؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٠٤).

(٩) خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٢.

من رجال الكويت المعروفين، منهم الشيخ مبارك العذبي الصباح، وحسين بن عيسى[١]، والحاج أحمد الغانم[٢]، والحاج خليفة مسلم[٣]. وكانت الحملة قائمة على عنصر المفاجأة والمباغتة، وهدفها القبض على الشيخ مبارك وولديه جابر وسالم[٤]. وذكرت سلوى الغانم أن الحملة كانت معتمدة بالدرجة الأولى على إثارة ثورة داخلية، بين المؤيدين لأبناء الشيخين محمد وجراح آل صباح[٥]. إلا أن غولدبيرج، قلل من شأن هذه الحملة، حين وصفها بأنها كانت حملة استخبارية وحسب، ولم يتطرق لتفاصيل تجهيزها وسيرها. قائلاً: ((في ٣٠ يونيو عام ١٨٩٧ قاد الشيخ يوسف آل إبراهيم حملة استخبارية أبحرت من البصرة إلى الكويت، لكن أنصار مبارك تمكنوا من ردها على أعقابها...))[٦]. وخلافاً لغولدبيرج عد مؤرخون آخرون غرضها هو القبض على الشيخ مبارك، ثم لإرغامه على التنازل عن الحكم لصباح بن محمد الابن الأكبر للشيخ محمد ابن صباح[٧].

توجهت الحملة إلى الكويت بحراً[٨]. أما عن تحرك هذه الحملة وانطلاقها

(١) حسين بن عيسى: يرجع أصله إلى عائلة القناعي التي ترجع للعتوب من أوائل العائلات التي استقرت الكويت وشارك في هذه الحملة وهو صغير في السن وتوفي في يناير١٩٥٧م. (الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٣٠٠).

(٢) أحمد الغانم: أحد أعيان الكويت عمل في مجال التجارة وهو من المقربين للشيخ يوسف آل إبراهيم (يعقوب آل إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق ص٢٠).

(٣) خليفة مسلم يعود أصله إلى عائلة القناعي عمل في مجال التجارة (يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص٢٠).

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص٢٩؛ الحاتم، المرجع السابق، ص٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٣؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨١؛ بوند اريفسكي، مرجع سابق، ص١٠٤؛ الشملان، المرجع السابق، ص٢٩٨.

(٥) Al Ghanim, op, cit, p53

(٦) Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٧) القناعي، المصدر السابق ص ٢٩؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص١٠٤؛ الحاتم، مرجع سابق ص٢٥٣؛ الشملان، المرجع السابق؛ الفرحان، المرجع السابق ص٨١؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/٢٢.

(٨) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع .Y.M.T.V رقم ١٤٢/١٦٣ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات. Y.A.RES رقم ٣٠/١٠٤، تاريخ ١٢صفر ١٣١٥هـ؛ الذكير، مصدر سابق ص١٢٦؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٤؛ القناعي، مصدر سابق، ص٢٩؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٦٧؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ص٥٢ – ٥٣؛ الحاتم، مرجع سابق، ص٢٥٣.

من البصرة، فهو أمر انفرد به غولدبيرج، وعدها آخرون أنها إيرانية من حيث التجهيز ونقطة الانطلاق[١]. لكن، لوريمر ذكر أن منطقة الهنديان في هذه الفترة كانت تابعة لإمارة المحمرة[٢]، وهي إمارة عربية. وعليه فنقطة الانطلاق كانت عربية، وليست إيرانية مثلما أورد بعض المؤرخين.

فمثلاً يذكر بونداريفسكي أنه جمع "١٢٠٠ بلوشي"[٣] وسلحهم بالبنادق[٤]. في حين قال الشملان: إن عدد أفراد الحملة ٧٠٠ رجل من صملة أهل الكويت. واعتمد في روايته على أحد المشاركين في تلك الحملة، وهو حسين ابن عيسى القناعي. ولم يتطرق الشملان لأي مشاركة أو ذكر لقبائل البلوش في تلك الحملة[٥]. وأشار المؤرخ حسين خزعل إلى كثرة الكويتيين فيها. ولم يأت كذلك على وجود أو مشاركة قبائل البلوش داخل صفوف الحملة[٦]. ومن خلال تتبع للقبائل، التي تسكن في الهنديان، لم نجد ذِكراً لقبائل البلوش في ذلك الإقليم[٧]، وأن كان لهم وجود في عربستان[٨].

وفي روايات أخرى تراوح عدد الحملة مابين ٧٠٠ إلى١٢٠٠ مقاتل، وأن هذا العدد، الذي لا يبدو كبيراً، جعل الشيخ يوسف يقوم بتجنيد قبيلة البلوش،

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع رقم ١٦٣/١٤٢ بتاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ خزعل مرجع سابق ٢٢/٢، عبد العزيز الرشيد مصدر سابق ص١٥٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص١٠٤، ٢٣١؛ الذكير، مصدر سابق ص١٢٦؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٥٢؛
Fredrick Anscombe,, op, cit, p149

(٢) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٩١٨/٢.

(٣) البلوش: هم قبائل إيرانية تنسب إلى إقليم بلوشستان وانتقل عدد منهم إلى إقليم مكران الإيراني، وهاجر قسم كبير إلى منطقة الخليج العربي وخاصة سواحل عمان حيث وصل عددهم في بداية القرن التاسع عشر الميلادي إلى ثلاثين ألف بلوشي ويوجد قليل منهم في عربستان الجنوبية وموالين لشيخ المحمرة. (انظر لوريمر، المصدر نفسه، ١/ ٣٢٥ - ٣٢٦)

(٤) بونداريفسكي، المرجع السابق، ص - ص١٠٣ - ١٠٤.

(٥) الشملان، مرجع لسابق، ص٣٠٠.

(٦) خزعل، مرجع سابق، ٢٣/٢.

(٧) ذكر لوريمر عدد سكان إقليم الهنديان بحوالي ١٤٠٠٠ نسمة مقسمين إلى قبائل عدة وهم [آبار، وعوشار، وبهركون، وباختياري، وديلمي، غالبي، وكركري، وحيد ري، وجعفري، وكعب، ولكي، ولوري، ونظارات، وقنواتي "وهي أكبر القبائل في الهنديان" وشريفات] (انظر لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٢/ ٩١٥ وما بعدها).

(٨) انظر لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ١/ ٣٢٥.

لكن، كيف يتم ذلك وهي قبيلة موالية للشيخ خزعل حليف خصمه الشيخ مبارك! عموماً، الرواية الراجحة أن أغلب رجال الحملة كانوا من الكويتيين، حسب ما ذكر خزعل سابقا، وبالإضافة إلى ذلك فإن لدى الشيخ يوسف أعداد بشرية من سكان الدورة والقطعة، حيث أملاكه في ولاية البصرة. التي ذكر لوريمر أن عدد ساكنيهما في حدود "٢٨٠٠ نسمة"(١). ومن المألوف في تلك الفترة تجنيد فلاحي البساتين كمقاتلين أيام الحروب، كما حصل أيضا عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م(٢). ويستبعد أن يكون الشيخ يوسف قد استعان بتجنيد البلوش، وهم من أتباع حليف خصمه الشيخ مبارك، ولا يضمن ولاءهم.. ولا حاجة له بهم أصلاً.

بعد إبحار الحملة من الهنديان، صادفتها سفينة صغيرة، تعود لشخص من أهل الكويت يدعى علي أبو كحيل(٣)، وبعد القبض عليه والتحقيق معه قال: إن وجهته البحرين، فقرر الشيخ يوسف إخلاء سبيله. وأخذت منه العهود والمواثيق على كتم سر أمر الحملة، وأن لا يتجه إلى الكويت. لكن صاحب السفينة يمم وجهه نحو الكويت، التي كانت غافلة عما أعد لها من أمر، فكشف أمر الحملة للشيخ مبارك الصباح ليفوز بمكافأة على ذلك(٤).

وعند ظهور طلائع أسطول الحملة في الجهة المسماة (بنيد القار(٥)، في صبيحة ١٥ محرم السنة ١٣١٥هـ/٣ يوليو ١٨٩٧(٦)، وجد المهاجمون

---

(١) لوريمر، المصدر نفسه، ١/١٤٦ – ١٤٧ – ١٤٨.

(٢) السعدون أحداث...، مرجع سابق، ص ١٠٢ – ١٠٣.كان معظم فلاحي آل إبراهيم من العشائر العربية، مثل المطور بن ربيعة، الذين هاجروا إلى الدورة من الإحساء والبحرين، بالإضافة إلى الدواسر والبغلانية والسبعان – العيدان.. إلخ.

(٣) علي أبو كحيل الدوسري نزح أجداده من البحرين واستقروا بالكويت ولد سنة ١٢٦٠هـ وعمل مع أبيه في البحر وكافأه الشيخ مبارك لموقفه ذلك بإعطائه سفينة كبيرة اسمها "الميمون" وتوفي سنة ١٣٥٠هـ (النوري، خالدون....، مرجع سابق، ص٢٥).

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٤؛ الذكير، مصدر سابق ص١٢٦؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٨؛ خزعل، مرجع سابق، ص٢/٢٢.

(٥) بنيد القار: تصغير بندر وسميت بنيد القار نسبة إلى القار الذي يصل إليه من جزيرة (قاروة) ويقع الآن أمام مبنى تليفزيون الكويت (الشملان، تاريخ الغوص، مرجع سابق، ١/ ٢٤؛ مشاهدات الباحث)،

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٦؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٣؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٩،

القوات الكويتية على أهبة الاستعداد لملاقاتهم[١]. عندئذٍ اتخذ الشيخ يوسف آل إبراهيم قرار الانسحاب، وذلك بعد مشاورات جرت مع مساعديه، أبدى فيها الشيخ مبارك العذبي الصباح رأيه بالمضي قدماً في خطة الهجوم مهما كلف الأمر، معللاً موقفه هذا بوقوف أغلب الكويتيين إلى جانبهم في هذا النزاع، وفقاً لمئات الرسائل التي وردت إليهم، وكلها نقمة على الشيخ مبارك[٢]. عندها أجابه الشيخ يوسف بقوله: إننا لم نقصد أهل الكويت، ومرادنا ثلاثة لا غير! ويعني بالثلاثة الشيخ مبارك، وولديه جابراً وسالماً. فتم بذلك تنفيذ قرار الانسحاب[٣]. وقد أثنى الشملان على شهامة الشيخ يوسف لاتخاذه هذا القرار.

وعلى الرغم من الانسحاب، وبالتالي الفشل، إلا أن المؤرخ عبد العزيز الرشيد اعتبر الحملة من مهارات الشيخ يوسف، حيث تقدمتها احتياطات كثيرة، وتحركات تمويهية، في إشاعة سفره إلى الهند وقارة أوروبا، حتى صدقها الشيخ مبارك وانطلت الخدعة عليه، عندما أيقن بسفر خصمه وابتعاده، وبذلك أمن شره بانصرافه لتسيير شؤونه الخاصة، حتى أصابه. حصل هذا مع ما عُرف عنه من النباهة والدهاء والمكايدة - وقد تغلب على كثير من خصومه بتلك الصفات - ومثلما تقدم، لم يكتشف أمر هذه الحملة إلا بالصدفة وضربة الحظ، فاستيقظ من غفلته، وأنهى عنصر المفاجأة الذي نهجه الشيخ يوسف خلال خطة الهجوم على الكويت[٤].

في الواقع، أن فشل حملة الشيخ يوسف البحرية عائد بالدرجة الأولي إلى تصرفه الغريب، وهو إطلاق سراح صاحب السفينة علي أبو كحيل، لحسن الظن به. بينما الحزم هو سوء الظن بالأباعد في مثل تلك المواقف[٥]! فالبحتري

---

(١) الرشيد، المصدر السابق ص١٥٥؛ الذكير، المصدر السابق، ص١٠٢؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص٢٩٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٣.

(٢) الحاتم، مرجع سابق، ص٢٥٢؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨٠.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٦؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٣؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨٠؛ الحاتم، مرجع سابق، ص٢٥٣؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٢٢؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٩.

(٤) عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٥٦.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٣٠٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص٣٠؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨١.

يقول: "أما العداة فقد آروك أنفسهم.. فأقصد بسوء ظنونك الإخوانا". وربما يغيب عن بال الكثيرين أن تصرف الشيخ يوسف هذا ماهو إلا رسالة إلى الكويتيين بأنه لا يريد بهم سوءاً، وإنما قضيته مع مغتصب الحكم. فهو القائل: "أننا لا نقصد أهل الكويت وإنما مرادنا ثلاثة..". ولم يدر أن مهاجمته للكويت تحتاج لعملية جراحية معقدة، فهو يريد الانتصار وهزيمة الشيخ مبارك دون الاحتكاك والاصطدام المباشر مع أهالي الكويت. ولعله لا يريد التصادم مع الأهالي حتى لا يفقد المؤيدين والمناصرين لقضيته، فخسارتهم تعني ارتفاع نسبة عدد مؤيدي عدوه وغريمه الشيخ مبارك.

كذلك ساعدت على فشل الحملة عوامل الطقس، خلال الأيام الثلاثة لسيرها، حينما تغير هبوب الرياح من شمالية موالية إلى جنوبية معاكسة، وهي ما يطلق عليها ريح "الكوس" الجنوبي (والكوس لغةً هو هياج البحر، وهي مفردة أعجمية تكلمت بها العرب؛ وتهب الكوس عادة خفيفةً في الصباح، ثم تشتد آخر النهار، بعكس ريح الشمال التي تهب قويةً في الصباح وتخف آخر النهار، ومن الأمثال الكويتية: "الكوس أوله سير به وتاليه بندر به". والسبب أن الرياح الجنوبية محملة بالرطوبة، وتُسبب ثقلاً للشراع، وكثرة الرطوبة فيها لا تساعد على سير السفن. ولذا يفضل البحث عن مكان للرسو توقياً من هذه الرياح وهذا الأمر لم يكن بالحسبان عندما أطلق سراح صاحب السفينة الصغيرة، والذي لم تؤثر حالة الطقس على سفينته، بنفس تأثيرها على سفن الحملة الكبيرة، فوصل الكويت قبل وصول الحملة بيوم واحد، مما منح الشيخ مبارك الفرصة الكافية لاتخاذ احتياطاته لمواجهة هذه الحملة[١].

الموقف العثماني من الحملة

عقب هذه الحملة، قام الشيخ مبارك بتقديم الشكاوى للسلطات العثمانية في ولاية البصرة، عن طريق واليها عارف باشا المرفقة بالهدايا، ليضمن التجاوب مع قضيته[٢]. وقد نجح بالفعل في ضمان الموقف لصالحه. فاعتبر الباشا هذه الحملة

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ الذكير، مصدر سابق، ١٠١؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y-MTV رقم ٤/ ١٧٠ تاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y-MTV رقم ٥٩/ ١٦٩ تاريخ ١٧ جمادي الآخرة =

خطراً على المنطقة، وقام بإرسال التقارير والرسائل إلى السلطات في اسطنبول، يحذرها من مغبة الخطورة وتعقد الأوضاع في المنطقة، وتدهور الحالة الأمنية فيها، متهماً الشيخ يوسف بالتمرد والعصيان على السلطة العثمانية.

ومما أثاره عارف باشا أيضاً أن وراء هذه الحملة قوى معادية للدولة، تشجع القرصنة البحرية، وقيام الشيخ يوسف بتجنيد المرتزقة من البلاد المعادية للدولة، واصفاً المهاجمين بألفاظ نابيه. ومحذراً من استمرار النزاع، بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، لأنه سيفتح الباب أمام القوى الأوروبية الطامعة والمنافسة في المنطقة خصوصاً بريطانيا التي اتهمها في تقاريره بأنها تعمل للاستفادة من هذا النزاع لتحقيق أطماعها في المنطقة عامة، والكويت خاصة. وبناءاً لما تقدم، اتخذت السلطة في ولاية البصرة موقفاً معادياً لهذه الحملة في البداية[(١)]، ومؤيداً للشيخ مبارك. لكن، هذا الموقف سرعان ما تغير بعد تحرك الشيخ يوسف بتقديمه مبلغاً كبيراً لعارف باشا. الذي تراجع عن موقفه السابق، فتغير موقف الولاية لصالح الشيخ يوسف[(٢)].

غير أن ولاية بغداد ظلت على موقفها المعارض للحملة، وقام المشير رجب باشا، قائد الفيلق السادس المرابط ببغداد، بتعزيز موقف صديقه الشيخ مبارك، بعد اغراقه بالأموال والهدايا، التي لم يتوان الشيخ مبارك في بذلها لمن وقف إلى جانبه[(٣)]. باعتبار الحملة تهديداً للاستقرار ومصدراً للأخطار، وبوابة للطامعين

= ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات Y.A.RES رقم ٣٠/ ١٠٤ بتاريخ ١٢ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع " Y.MTV " رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ بوندار يفسكي، المرجع السابق، ص١٠٤؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٥١ – ٥٢؛ Al Ghanim, op, cit, p54

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٥٩/ ١٦٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٣١٥هـ؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٤ Al Ghanim, op, cit, p 54

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤/ ١٧٠ تاريخ ٢ رجب ١٣١٥؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٥٩/ ١٦٩ تاريخ ١٧جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز رسمي معروضات Y.A.RES، رقم ٣٠/ ١٠٤ بتاريخ ١٣ جمادي الأول ١٣١٧هـ؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، المصدر السابق، ٣/ ١٥٢٧؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٥٩/ ١٦٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر =

من الدول الكبرى وخاصة بريطانيا للولوج منها[١]. وقد أيد موقف المشير هذا عدد من رجالات الدولة العثمانية، وبعض الشخصيات من ذوي النفوذ لدى الباب العالي، ومنهم، حسب ما ذكرنا سابقاً: الفريق محسن باشا قائد الجيش في البصرة، والشيخ أبو الهدى الصيادي "شيخ الإسلام في اسطنبول"، والسيد رجب نقيب الإشراف بالبصرة، وابنه طالب، وغيرهم من أعيان البصرة. وقد حذر هؤلاء من خطورة الموقف، ورأوا ضرورة معاقبة منفذي الهجوم على الكويت، وبإنهاء المشكلة بتعيين الشيخ مبارك قائمقاماً عليها[٢]. وإلى جانب ذلك قاموا بشن حملة ضد والي البصرة عارف باشا، لأزاحته، والتشكيك بنزاهته وأمانته، واستغلاله لمنصبه لتحقيق مصالحه الشخصية، وحصوله على الرشاوى من الشيخ يوسف[٣].

وعلى النقيض من ذلك كانت مجموعة من رجالات الدولة العثمانية، وأصحاب النفوذ لدى السلطان العثماني لم تخف موقفها المتضامن مع الشيخ يوسف، مثل تحسين باشا باش كاتب المابين الهمايوني[٤]، وأبرز المعارضين

= ١٣١٥هـ؛ الذكير، مصدر سابق، ص٧٢؛ أبو حاكمة، مرجع سابق ص٣٠٨؛ النجار، مرجع سابق ص٧٢؛ القاسمي، مرجع سابق ص٥٢؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص١٠٥؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٥٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٣١؛ Fredrick Anscombe,, op, cit, p142

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٥٩/ ١٦٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV رقم ١٤٢/١٦٣ بتاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ عبد العزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٥١؛ الذكير، المصدر السابق، ص١٠١؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٢٦..

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PKBSK" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع " Y.MTV " رقم ٥٩/ ١٦٩ تاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق، ٣/ ١٥٢٧؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y-MTV" رقم ٤/ ١٧٠ تاريخ ٢ رجب ١٣١٥؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PKBSK" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٥٩/ ١٦٩ تاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.ARES" رقم ٣٠/ ١٠٤ بتاريخ ١٣ جمادي الأول ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع " Y.MTV " تاريخ ٩ رجب ١٣١٥؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، المصدر السابق، ٣/ ١٥٢٧؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥

(٤) تحسين باشا باشكاتب المابين الهمايوني: رئيس الديوان السلطاني وقد ازدادت أهمية هذا الديوان =

للشيخ مبارك، والمتعاطفين مع خصومه[١]. وبطبيعة الحال، حاول مؤيدو الشيخ يوسف تعزيز موقفه عند السلطان عبد الحميد الثاني والتقليل من شأن هذه الحملة، وأنكروا علاقة الشيخ يوسف بالحملة، وعدم وجود دليل صريح على ثبات تورطه فيها، ووضحوا أنها من دسائس الشيخ مبارك لتشويه صورة خصمه، وتحريف القضية عن دافعها الحقيقي، وهي اغتيال مبارك لشقيقيه محمد وجراح، واغتصابه السلطة واستيلائه على أموال أبناء القتيلين بدون حق شرعي[٢]. وركز هؤلاء على رفض الشيخ مبارك المجيء إلى ولاية البصرة، وتستره بحجج واهية، كما طالبوا بتسيير قوة عسكرية تسيطر على الكويت، وتخضعها للحكم العثماني المباشر[٣].

لم يتوقف الشيخ مبارك عند رفع قضيته لولاة العراق، بل قام برفع الشكاوى للسلطان عبد الحميد الثاني واتهم عدوه الشيخ يوسف فيها بالسعي لنشر الفوضى والفساد في المنطقة، وجر الأجانب وخاصة بريطانيا للمنطقة بتودده لهم. وحاول توظيف وجود عائلة آل إبراهيم بالهند لصالحه وربطها بالقضية. موضحاً برسائله إلى ذوي الأمر أن ارتباط الشيخ يوسف بالإنجليز كان عن طريق أفراد من عائلة آل إبراهيم الموجودين في بومباي، والذين لهم

= وأصبح المرجع الأول بعد تعطيل الدستور من قبل السلطان عبد الحميد الثاني وكان السلطان عبد الحميد يقضي جل وقته في هذا الديوان. وقد تدرج تحسين باشا في مناصب الدولة وكان رئيس لكتاب القصر في فترة هذا الصراع (السعدون، العلاقات بين نجد...، مرجع سابق، ص٣١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٥٩).

(١) الأرشيف العثماني يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين Y.PRK.BSK " رقم ١٩٣٠ بتاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين Y.PRK.BSK " رقم ٤٧٨٣ بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٣١٥هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٥٩؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٠١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٢٦.

(٢) الأرشيف العثماني يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ١٩٣٠ بتاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول محاضر مجلس الوكلاء M.V رقم ٩٨/٧ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK" رقم ١٩٣٠ بتاريخ ٢٢صفر ١٣١٥

علاقات قوية. ربطت بين الشيخ يوسف والإنجليز، الذين شجعوه للهجوم على الكويت، ودعموه من أجل أن يستولي عليها ويسهل لهم بذلك السيطرة عليها(١).

كذلك لم يركن الشيخ يوسف إلى الدعة، بل قابل مراسلات الشيخ مبارك، مع العثمانيين، بمثلها إلى السلطان عبد الحميد، ناكراً أي علاقة له بالحملة على الكويت، وأن الشيخ مبارك يسعى لإلصاق التهمة به بهدف تشويه الصورة وتغيير الحقيقة. وطالب مناصرة قضية أبناء القتيلين محمد وجراح(٢)، بإقصاء مبارك، وتعيين أحد أبناء القتيلين شيخاً للكويت. ومن جانبهم أكد أبناء القتيلين براءة الشيخ يوسف من تجهيز الحملة، وأن هذه التهمة من تدبير مبارك، بهدف الإيقاع بالشيخ يوسف لدى السلطات العثمانية(٣).

وعلى الرغم من انقسام موظفي ورجالات الدولة العثمانية وولاتها، في كل من البصرة وبغداد واسطنبول، إزاء النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، إلا أن موقف الباب العالي، من هذه الحملة، ظل واضحاً وحازماً منذ البداية، فسير سفينة حربية إلى جهة شط العرب لتعقب أثر الحملة، ومحاولة القبض على أفرادها(٤). فمال إلى رأي مؤيدي الشيخ مبارك محملاً الشيخ يوسف المسؤولية، معتبراً وجوده في المنطقة يشكل خطراً على وضعها الأمني، وأنه عميل للإنجليز الداعمين لحملته على الكويت(٥).

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٧٠/ ٧٢٠ بتاريخ ١٧ مارس ١٣١٣رومي؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٤٨/ ٧١٩ تاريخ ١٤ أغسطس ١٨٩٦م؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ٣٠/ ١٠٤ بتاريخ ١٥ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول إرادة خصوصية "I.HUS" رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٣٠٠؛ Rush, Records..., Op, Cit, P173

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز أوراق متفرقة "Y.PRK.AZJ" رقم ٣٠/ ٣٧ بتاريخ ٢٧ صفر ١٣١٦هـ.

(٣) الأرشيف العثماني يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين "Y.PRK.BSK " " Y.PRK.BSK" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ.

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز همايوني "Y.PRK.BSK" رقم ١٩٣٠ تاريخ ٢٢ صفر ١٣١٥هـ؛ ؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص١٠٥؛
Al Ghanim, pop, cit, p54, Fredrick Anscombe,, op, cit, p52

(٥) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع ((Y.PRK.BSK)) رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ =

لذا صدر قرار بأبعاده عن ولاية البصرة أو القبض عليه، والحجز على جميع ممتلكاته بولاية البصرة، وأوكلت تنفيذ هذه المهمة إلى والي البصرة عارف باشا[١]، الذي لم يعر هذا الأمر أي اهتمام، فتقاعس وماطل في تنفيذه، وفاءً لما ارتبط به مع الشيخ يوسف[٢]. وقد أدرك الأخير صعوبة موقفه، بعد أن نجاح خصمه ومؤيديه، من رجالات الدولة العثمانية، في ممارسة الضغوط عليه وتأليب الموقف الرسمي ضده، فقرر مغادرة البصرة، متجهاً إلى البحرين في أواخر محرم من سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧.

الموقف البريطاني من الحملة

اعتبرت بريطانيا شؤون شمال الخليج العربي، المنطقة الممتدة من البصرة إلى القطيف، شأناً عثمانياً، معترفة بسيادة العثمانيين على هذه المنطقة رسمياً العام ١٣١٠هـ/١٨٩٣[٣]. وأن أثرها، في شمال الخليج، لا يتعدى كونها مراقباً محايداً للأحداث والتطورات، بهدف المحافظة على سلامة مياهها[٤]. وقد لخص اللورد سالسبوري وزير خارجية بريطانيا، آنذاك، موقف بلاده بالتصريح الآتي: ((إنه ما لم يتدخل الشيوخ المرتبطون بالمعاهدة، أو في حالة وقوع أي حادث قرصنة يمس رعايا بريطانيا فالأمر لا تأثير له علينا[٥].

وما يرتبط مع الموقف البريطاني أن الطراد البريطاني، ((سفنكس))، اكتشف

= الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٣/١٤٢ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ السلطان عبد الحميد، مصدر سابق ص٤٠.

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز همايوني "Y.PRK.BSK" رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ بوندار يفسكي مرجع سابق ص١٠٥؛
Fredrick Anscombe,, op, cit, p149, Al Ghanim, op, cit, p54

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤/١٧٠ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤٨/١٧٠ بتاريخ ١٠ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٣١٥هـ بوندار يفسكي مرجع سابق ص١٠٤. Al Ghanim, op, cit, p54

(٣) ويلسون مصدر سابق ص٤٠٤؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت...، مصدر سابق، ص٥٥؛ قاسم جمال مرجع سابق٢/٣١٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص١٠٨.
Al Ghanim, op, cit, p54, Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٤) ويلسون مرجع سابق ص٤٠٤، سلدانيا، المصدر السابق، ص٥٥قاسم مرجع سابق ٢/٣١٣؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٨. Al Ghanim, op, cit, p54, Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٥) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت...، مصدر سابق، ص٤٥.

أمر الحملة أثناء توجهها إلى الكويت، إلا أنه لم يعترضها كقوة عسكرية تمخر مياه الخليج، واكتفى بمراقبة تطور الأوضاع، وما ستسفر عنه الأحداث[١]. وقد أثار هذا الموقف الغريب الشكوك، ووضع عدة تساؤلات، وفي مقدمتها: هل كان الطراد في ذلك الوقت بمحض المصادفة، أم أن الأمر كان مرتباً مسبقاً من أجل مراقبة سير الحملة. مع العلم أن أمر الحملة على الكويت تم في غاية السرية والكتمان، فلم يعرف أمرها قاص ولا دان، ولم يكتشف الشيخ مبارك أمرها إلا بما أخبره عنها أحد أصحاب السفن، وبعد اقترابها من ساحل الكويت.

والتساؤل الآخر هو التناقض الغريب في السياسة البريطانية، وخصوصاً في شمال الخليج، فمن جهة أنها تدعي الحفاظ على استقرار المنطقة وحماية مياهها من القرصنة البحرية[٢]، ومن جهة أخرى أغفالها أمر تلك الحملة الخطيرة؟ وهي في العرف البريطاني شكلاً من أشكال القرصنة. علماً أن نجاحها سيغير الوضع القائم الراهن آنذاك في الكويت! وربما يعطي أمر الطراد ((سفنكس)) الحق، نوعاً ما، للعديد من رجالات الدولة العثمانية في اتهامهم بريطانيا بالوقوف وراء هذه الحملة، ودعمها وتشجيعها للشيخ يوسف آل إبراهيم، وأنها تعمل على الاستفادة من هذا الصراع لتحقيق مصالحها الاستعمارية[٣]. وقد سبق أن أكد الشيخ مبارك ذلك في رسائله إلى الدولة العثمانية[٤].

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٢ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٧٠/٤ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٩/٥٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخر ١٣١٥هـ؛ سلدانيا التاريخ السياسي للكويت...، مرجع سابق ص٥٥؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥؛ الشملان، من تاريخ الكويت...، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٢) ويلسون، مصدر سابق ص٤٠٤؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص١٠٨؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٣؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص٣١٤؛ Al Ghanim, op, cit, p54

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV رقم ١٧٠/٤ تاريخ ٢ رجب ١٣١٥؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ١٦٩/٥٩ تاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.MTV" رقم ١٠٤/٣٠ بتاريخ ١٢ صفر ١٣١٥هـ؛ ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV رقم ١٧٠/٤٨ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ بوندار يفسكي، مرجع السابق ص١٠٤؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ص٥١ – ٥٢؛ Al Ghanim, op, cit, p54

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٧٢٠/٧٠ بتاريخ ١٧ مارس ١٣١٣رومي؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع "Y.MTV" رقم ٧١٩/٤٨ تاريخ ١٤ =

وقال المؤرخ عبد العزيز الرشيد مؤكداً الدعم البريطاني للحملة: ((فمن المستبعد أن تسمح الحكومة البريطانية لأسطول حربي يمخر في الخليج العربي، الذي ترى فيه حق حفظه من النهب والسلب، وحق نشر الأمن، غير أن يكون بينها وبين صاحبه – أي يوسف – تواطؤ، ومن غير أن يكون لها فيه يد عاملة وأصبع محركة...))[(١)]. واستدل بكلامه على أن الطراد البريطاني تجاهل الحملة عند توجهها إلى جهة الكويت، وكذلك اغفل عنها بعد عودتها. وخلاف ذلك، نفى الشملان صلة لبريطانيا بالأمر، بالاستناد إلى رواية أحد المشتركين في الحملة، وهو حسين بن عيسى القناعي. قال: لم يكن لبريطانيا يد في تلك الحملة، وأن الشيخ يوسف كان يتحاشى التواطؤ معها، وأن الطراد لم يكن يعلم بهم إلا بعد ما أشرفوا على الكويت[(٢)]. ولم تتطرق أكثر المصادر والمراجع الأجنبية والعربية التي اطلعنا عليها لأي دور بريطاني في هذه الحملة.

وبنجاح الشيخ مبارك، قرر الشيخ يوسف، في آخر شهر محرم ١٣١٥هـ ١٨٩٧، مغادرة ولاية البصرة فاتجه إلى البحرين. ولكن الشيخ مبارك لم يكتف ببعد خصمه بل، مثلما تقدم، قرر الانتقام من عارف باشا والي البصرة، الذي وقف في نهاية الأمر ضده، متخذاً نفس الطريقة التي مارسها عند عزل حمدي باشا عن ولاية البصرة، فقد كثف برقيات الشكاوى والتظلم ضد عارف باشا، وتحرك أعوان الشيخ مبارك لتأليب الموقف الرسمي ضده، وبفضل نفوذ أعوانه تم عزل عارف باشا عن ولاية البصرة، وحينها تم تعيين محمد أنيس باشا[(٣)] والياً عليها العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧[(٤)].

= أغسطس ١٨٩٦ V,LD؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ٣٠/١٠٤ بتاريخ ١٥ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول أرادة خصوصية. I.HUS. رقم ٢٧٥٦ تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ الرشيد مصدر سابق ص١٥٥؛ الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ الشملان من تاريخ الكويت مرجع سابق ص٣٠٠؛ القاسمي، مرجع سابق ص٤٠؛
Rush, Records..., Op, Cit, P173

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٥؛ وقد تأثر بعض المؤرخين بتحليل وتوقعات الرشيد حول هذه القضية أمثال جمال قاسم (قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٢٢)

(٢) الشملان، المرجع السابق، ص٣٠٠.

(٣) محمد أنيس باشا: تولى ولاية البصرة بعد عارف باشا، وعرف بضعف الشخصية وبقي في منصبه حوالي عامين.

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ٤٨/١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ =

ولما خلا الجو، قام الشيخ مبارك بتدمير قصر الشيخ يوسف بالصَبيَّة، كردة فعل لمهاجمته الكويت[١]، وهذه عادة ما يفعله المنتصرون. ولعل بعمله هذا، كان يهدف حرمان خصمه الاستفادة من الصَبيَّة كمركز ونقطة انطلاق يهاجمه منها مستقبلاً. كما قبض على بعض أعوان الشيخ يوسف داخل الكويت، وزج بهم في السجن، وصادر أموالاً منهم وصلت قيمتها حدود " ١٢٠٠ قران "[٢].

خطة هجوم مع قطر

لم يستسلم الشيخ يوسف، بعد خروجه من البصرة إلى البحرين، إنما عمد إلى تغيير سياسته السابقة، وقرر استخدام استراتيجية جديدة في صراعه مع الشيخ مبارك، معتمداً على البحث عن حليف يسانده في حربه، الذي سيعتمد الهجمات البرية بالدرجة الأولى[٣]. وبعد مكوث ثلاثة أيام فقط ضيفاً على صديقه مقبل عبد الرحمن الذكير[٤]، توجه في ٢٩ محرم ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ إلى قطر، يرافقه خالد بن الشيخ محمد الصباح[٥]. وجاء اختيار الشيخ يوسف للشيخ جاسم آل ثاني حليفاً لعدة عوامل، حتمت تعاونهما ضد الشيخ مبارك، ومنها:

- علاقة العداء بين الشيخ جاسم والشيخ مبارك، التي تعود إلى اشتراك الشيخ مبارك الصباح في قيادة القوة الكويتية أثناء الحملة العثمانية على قطر بقيادة محمد حافظ باشا والي البصرة، وذلك السنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢. وبالرغم من أن القوة الكويتية لم تقاتل، حيث عسكرت في سلوى لمنع

= الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ٤/ ١٧٠ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى المباين Y.PRK.BSK. رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ.

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول محاضر مجلس الوكلاء M.V.، رقم ١٠٣/٣٥ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٦.

(٢) الذكير، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٣) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٤؛ السبيعي، الأمن...، مرجع سابق، ص٢٠٠.

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٤؛ الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق ص١٥٠.

(٥) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ٥٩/ ١٦٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV. رقم ٤/ ١٧٠ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٥؛ السبيعي، المرجع السابق، ص٢٠٠.

الإمدادات، وعادت عندما وصلها خبر هزيمة الحملة العثمانية[١] إلا أن الشيخ مبارك كان يضمر عداءً خاصاً للشيخ جاسم، بدليل إرساله رسالة إلى الأمير محمد بن رشيد يبشره فيها بما حل بشيخ قطر في حادثة الزبارة، التي ضربها البريطانيون فأحرقوها وأغرقوا سفنها سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢[٢].
وبعد تولي الشيخ مبارك الحكم قام بهجوم على قبيلة بني هاجر القابعة تحت حماية الشيخ جاسم آل ثاني، وكسب غنائم كثيرة، فقام الأخير برفع الشكاوى ضد الشيخ مبارك متهماً إياه بأن أكثر الغنائم التي أخذها من بني هاجر ترجع ملكيتها له[٣]. ولم يكن بينهما حب مفقود، بل من يقرأ البيت الذي قاله في قصيدة مشهورة عن تلك الحادثة لا يحتاج إلى برهان:

تعاطوا علينا من الكويت والحسا   دجاج ينقرنا بلا منقار

- سبق أن أمدَ الشيخ يوسف آل إبراهيم الشيخ جاسم آل ثاني بمساعدات كبيرة، كان أهمها وقوفه إلى جانبه أثناء نزاعه مع شيخ أبو ظبي العام ١٣٠٥هـ ١٨٨٨[٤].
- كان للمصالح المشتركة أثر في التقارب بينهما، إذ ربطتهما روابط تجارية كبيرة، فالشيخ جاسم آل ثاني يعتبر من أكبر تجار اللؤلؤ في الخليج، حيث امتلك خمساً وعشرين سفينة للغوص عن اللؤلؤ، في حين كانت عائلة الشيخ يوسف أكبر محتكري ومسوقي للؤلؤ في الخليج[٥]. وقد أخذ الشيخ جاسم هذه التجارة عن والده، الذي جمع ثروة طائلة منها. وقد ذكر الشيخ محمد آل ثاني ذلك لوليم بالجريف، أثناء زيارته لقطر، تعلقه باللؤلؤ، بالقول

---

(١) رسالة من الشيخ جاسم آل ثاني إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١صفر ١٣٢٣هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وزود الباحث بنسخة منها)؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٦؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدرسابق، ص١٥٧؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص١٠٧؛ نخلة، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٢) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٧؛ السبيعي، الأمن...، مرجع سابق ص٢٠٠؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق ص١٦٢.

(٣) جى.اى سلدانيا، الشئون القطرية من سنة ١٨٧٣إلى١٩٠٤م، تعريب أحمد العناني، مطابع علي بن علي، الدوحة ١٩٨٩م، ص١٩٧؛ لوريمر، دليل الخليج لتاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٢٧.

(٤) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٢٨٦؛ نخلة، مرجع سابق ص٢٠٩؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق مرجع سابق ص١٦٣.

(٥) سيف الشملان، الغوص على اللؤلؤ في قطر، مؤتمر الدراسات الخليج الدوحة مارس ١٩٧٦م، ٢/ ٥٥٧؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص١١٦؛ بالجريف، مصدر سابق ٢/ ٢٧٠؛ القشعمي، مرجع سابق ص٣٠٥.

((نحن جميعاً من أعلانا إلى أسفلنا عبيد لسيد واحد هو اللؤلؤ))[١]. وقد كان لؤلؤ قطر ومعظمه للشيخ جاسم يباع بالهند عن طريق آل إبراهيم[٢].

- كان هدف الشيخ يوسف القضاء على الشيخ مبارك، والوقت نفسه وجدها الشيخ جاسم فرصة لتحقيق طموحه في السيطرة على مناطق جديدة في الجزيرة العربية وخاصة الإحساء[٣].
- كان لروابط الصداقة بين الشيخين دافعاً في توجه الشيخ يوسف إلى قطر دون غيرها[٤]. كذلك لا تغفل الصلة القبلية بين الطرفين، فكلاهما من تميم.

وعلى العموم، كان الشيخ جاسم ممتعضاً لأمر إغتيال الشيخين محمد وجراح، فلم يجد الشيخ يوسف صعوبة في إقناعه بقضيته. وبهذا تبنى قضية الأخذ بالثأر من الشيخ مبارك[٥]. وفي رسالة له الى الشيخ يوسف يستشف القارئ منها مدى تعاطفه فيقول فيها: "مقامك مع عيال محمد الصباح فهاك فيه من شيمة العرب وعلمك فيه غانم" وفي صيف ١٣١٥هـ/١٨٩٧ أتم الشيخ يوسف مفاوضاته في قطر، التي أسفرت عن تعاونهما للعمل معاً ضد الشيخ مبارك[٦]. حيث اتفقا على خطة تنفذ براً وبحراً، يتم بموجبها إشراك أمير حائل محمد بن رشيد، الذي تربطه بالشيخ جاسم علاقة وثيقة مبنية على الصداقة والتعاون بينهما. مظاهرها التعاون في إعداد حملة عسكرية مشتركة لمهاجمة نواحي عمان السنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨[٧].

---

(١) بالجريف مصدر سابق ٢/ ٢٧٠.

(٢) الذكير مصدر سابق ص١٠٤؛ مقابلة مع السيد يعقوب ابن الشيخ يوسف آل إبراهيم في منطقة القادسية بدولة الكويت في ١٦/ ٣/ ٢٠٠٥م.

(٣) السبيعي، الأمن...، مرجع سابق، ص٢٠٠؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص١٩٦؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق ص٢١٣.

(٤) السبيعي، الأمن...، المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٥) الأرشيف العثماني اسطنبول الإيرادات مجلس مخصوص I.HUS. 2756 بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص١٩٧؛ سلدانيا، الشؤون القطرية، مصدر سابق، ص١٩٨.

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MYV.، رقم ١٩٤٠، بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع Y.MYV. رقم ٥٩/ ١٦٩، تاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٥؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص٢٩١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٠٥؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص١٦٣؛ الدخيل، القول السديد..، مصدر سابق، ص١٥١

(٧) سلدانيا، الشؤون القطرية، مصدر سابق ص١٥٧؛ المنصور، التطور السياسي...، مرجع سابق، ص٢١٣.

إلى جانب ذلك كان الأمير محمد بن رشيد في حالة غضب لتصرف الشيخ مبارك أزاء أشقاءه.[١] كما تثبته رسالته للشيخ يوسف بعد حادث القتل مباشرةً يقول فيها:

"منطرف ثورتك مع أولاد محمد هذا هو الحق، مخلصن انشالله دين ودنيا وعلم طيب. مانخبر واحد من العرب من أهل نجد الا يثني عليك ويدعي لك فظنهم بالله ثم فيك طيب"

وكذلك اتهامه الشيخ مبارك بتدبير عملية سلب قافلة لتجار تابعين لإمارة الرشيد وقتل مرافقيها[٢]. بالاضافة الهاجس الاستراتيجي حيث أن الامير كان يسعى جاهداً من أجل الحصول على منفذ بحري، ولم يكن أمامه سوى الكويت، وهو ما يناسب أهدافه السياسية والاقتصادية[٣].

جمعت هذه الخطة بين مصالح قوى ثلاث: الشيخ يوسف آل إبراهيم، والشيخ جاسم آل ثاني، والأمير محمد بن رشيد، من حيث العداء للشيخ مبارك من ناحية، والمطامع في الكويت من ناحية أخرى. فعملت على قطع طرق الإمداد والدعم، الذي قد يلجأ إليه الشيخ مبارك، وذلك بإبعاد بعض القبائل كالعجمان، والمرة والمطير عن التدخل في هذا النزاع المسلح[٤]. لكنها قررت الوقوف إلى جانب الشيخ مبارك في هذه الأحداث[٥]. ومن جهتها أكدت قبيلة العجمان، على لسان شيخها فلاح بن حثلين[٦]، لمتصرف الأحساء سعيد

---

(١) المنصور، مرجع سابق، ص١٦٣؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق ص٥٧؛ موزل، مصدر سابق ص٥٧٢، الفرحان، مرجع سابق ص٨٢.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٩.

(٣) موزل مصدر سابق ص٥٧٢؛ جبار عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل، تقديم عبدالله المنيف، الدار العربية للموسوعات الرياض، ١٤٢٤/٢٠٠٣ ص١٠٥؛ الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق ص١٥١؛ لوريمر، المصدر السابق ٣/١٥٢٧.

(٤) المنصور، مرجع سابق، ص١٦٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٦٩.

(٥) الذكير مصدر سابق ص – ص١٠٤ - ١٠٧؛ كورشون ا، العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص١٩٨ الريحاني تاريخ نجد مصدر سابق ص١١٨؛ عبد العزيز الرشيد، مصدرسابق، ص١٣٨؛ Al Ghanim, op, cit, p63

(٦) فلاح بن حثلين: شيخ قبيلة العجمان وكان له مخصص مالي من الدولة العثمانية واستمر هذا المخصص حتى وفاته سنة ١٣١٨هـ وانتقل إلى ابنه خالد بعد وفاته. (ابن حثلين، مرجع سابق، ص٧٥، صابان، مرجع سابق، ص١٥٧).

باشا[١]، بأنها على استعداد للوقوف ضد هذه الحملة في حالة سيرها نحو الكويت[٢]، وأمام كل هذا فقد حافظ الشيخ يوسف على سرية هذا المخطط[٣].

قام الشيخ يوسف بتجهيز مبدئي للحملة بالتعاون مع الشيخ جاسم، حيث تكفل بشراء أربعمئة بعير بقيمة إجمالية تصل حدود أربعة آلاف ليرة عثمانية[٤] جعلها تحت تصرفه[٥] بأسلحتها. كان التحالف الثلاثي، لتصحيح الامور في طريقه إلى حيز التنفيذ العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، لولا وقوف الدولة العثمانية بحزم في وجه الشيخ جاسم آل ثاني، لمنع هذا الهجوم تبعتها وفاة الأمير محمد بن رشيد ١٣١٥هـ/١٨٩٧[٦]، فغلب الحظ واستحال الامر وهناك من المؤرخين والباحثين مَنْ يعزوا بأن الأمير محمد بن رشيد كان رافضاً لفكرة المشاركة في هذا الهجوم[٧].

لقد اصبح من المؤكد أن سبب اتخاذ الدولة العثمانية لهذا الموقف، هو المصالح الشخصية، والعلاقات الخاصة التي لعبت دوراً بارزة في منع هذه الحملة، إضافة لذلك استمالت الشيخ مبارك بعض كبار رجال الدولة، ومنهاما كتبه إلى متصرف الإحساء سعيد باشا شارحاً له نوايا الشيخ جاسم آل

---

(١) سعيد باشا: تم تعيينه على متصرفية الإحساء في المرة الأولى عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م وفي المرة الثانية في ٢٠ ربيع الثاني ١٣١٤هـ/ ٣٠ أغسطس ١٨٩٦م، وعمل قبل ذلك متصرفاً في كربلاء. (العزاوي، مرجع سابق، ٨/ ٧٧ – ١٢٦).

(٢) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص١٩٨ Al Ghanim, op, cit, p63

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٢٧؛ الدخيل، المصدر السابق، ص١٥١.

(٤) يذكر الذكير أن سعر الجمل في تلك الفترة يصل إلى عشر ليرات عثمانية (الذكير، مصدر سابق، ص١١١).

(٥) كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رقم ١٩١٥ تاريخ ١٢ رجب ١٣١٥هـ؛ حسني مصدر سابق ص١٤٢؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٩؛ علي الصالح، رسالة عن تاريخ حائل، مجلة العرب، ملحق الجزء السادس، السنة الثالثة، ذي الحجة ١٣٨٨هـ/آذار (مارس ١٩٦٩م، ص٣٠؛ ابن ناصر، مصدر سابق، ص٤٨؛ .

(٧) الذكير، مصدر سابق، ص١٠٤؛ العبد المحسن مرجع سابق، ١/ ٣٠٥؛ وذكر ناصر الحمود شاعر الكويت قصيدة يسندها للأمير عبد العزيز الرشيد يذكره بموقف عمه محمد الرشيد المعارض للهجوم على الكويت:

قلة وصاه محمد بالقرارا نسيتها سجيت يا عمس الأبصار

(الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٤٢).

ثاني[١]، عززها بالهدايا تعبيراً منه عن عمق روابط الصداقة بينهما[٢]. وقيل: إن قيمة الهدايا بلغت ٧٠٠٠ ليرة عثمانية[٣]. ما جعلت المتصرف يطالب باتخاذ التدابير اللازمة لدرأها، فكتب رسمياً إلى محمد أنيس باشا والي البصرة الجديد، ومساعده محسن باشا قائد القوات العسكرية في البصرة مساندتهم لإخمادها، ووقف الاعتداء الموجه ضد الشيخ مبارك الخاضع المطيع للدولة العثمانية[٤].

كان لأصدقاء الشيخ مبارك: سعيد باشا ومحسن باشا، والمشير رجب باشا، وأبو الهدى الصيادي، وعائلة النقيب كما أسلفنا. أثر كبير في إقناع السلطان عبد الحميد الثاني لمنع الهجوم على الكويت. ونجحوا في ذلك. وأثرها قرر السلطان مراقبة الأحداث بنفسه، وإعطاءها حيزاً كبيراً من الاهتمام والمتابعة[٥].مصدراً أوامره، بناءً على التقارير التي أرسلت من ولاية البصرة وبغداد، لصد أي هجوم مرتقب، أمراً بتشكيل قوة من ست سرايا تحت قيادة محسن باشا لصدها أذا تحركت من جهة قطر[٦]. وفي الوقت نفسه أمر كذلك محسن باشا، قائد الجيش بالبصرة، بإرسال وفد برئاسة السيد رجب نقيب الأشراف بالبصرة، ومعه بعض الشخصيات المهمة[٧] لتهدئة الأوضاع وإقناع

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٧؛ خزعل مرجع سابق ٢/ ٢٥، الشملان، المرجع السابق، ص٢٩١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨١.

(٢) الرشيد، المصدر السابق، ص١٥٧؛ الخترش، مرجع سابق، ص٢٩؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/ ٢٥ ص٦٢؛ الفرحان المرجع السابق، ص٨١.
Al Ghanim, op, cit, p62; Fredrick Anscombe, op, cit, p154

(٣) الصباح، مرجع سابق، ١/ ٢٢٧.

(٤) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV.، رقم ١٤٢/ ١٦٣، تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع. Y.MTV.، رقم ١٩٤٠، بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٦، ٢٥؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٨٢؛ Fredrick Anscombe,, op, cit, p154

(٥) كورشون العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص١٩٩.

(٦) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ٦٢/ ١٠٤ بتاريخ ٢٤ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٩٥١ بتاريخ ١٠رجب ١٣١٥هـ؛ كورشون المرجع نفسه ص١٩٩.

(٧) من أبرز الشخصيات في هذا الوفد، محمد علي مدير الأملاك السنية؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات "Y.A.RES" رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق، ص٢٠١.

الشيخ جاسم بعدم مهاجمة الكويت[١]، وبعد نجاح المهمة عاد الوفد الى البصرة واستتب الأمن في المنطقة[٢].

أما السياسة البريطانية تجاه هذه القضية فهي كما يقول بونداريفسكي: "من الواضح تماماً أن إقامة الشيخ يوسف آل إبراهيم الطويلة في البحرين، بهدف تدبير هجوم جديد على الكويت، والاتصال بشيخ قطر لم تكن تغيب عن أعين السلطات البريطانية، زد على ذلك أن جاسم آل ثاني لم يقدم على هذه الخطوة من دون علم المقيم البريطاني في بوشهر الكولونيل ميد[٣]. بمعنى أن بريطانيا كانت تغض الطرف عن الهجوم على الكويت، ولابد أن يتميز أو يتعارض موقفها مع موقف خصمها ومنافسها في مياه الخليج الدولة العثمانية. إلا أن البريطانيين حاولوا، بسبب عدم إمكانية تحقيق الهجوم في هذا الوقت، الحفاظ على الوضع الراهن[٤]، ليبقى الامر على ما هو عليه[٥].

لكن، التحركات العثمانية الأخيرة وتجهيزها لقوة عسكرية من ست سرايا للدفاع عن الكويت، في حالة الهجوم عليها، جعلت بريطانيا تشكك في النوايا العثمانية، وأنها تعد العدة للسيطرة الفعلية والمباشرة على الكويت، مما يؤدي في النهاية إلى تغير ميزان القوى في المنطقة لصالحها. لذا أرسلت بريطانيا أربع بوارج للمرابطة في مياه الخليج[٦]. وبهذه المواقف من الدولتين الكبيرتين، كتب الفشل لمحاولات الشيخ يوسف، فقرر مغادرة قطر العودة إلى

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز رسمي معروضات. .Y.A.RES رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩رجب ١٣١٥هـ؛ كورشون مرجع سابق ص٢٠١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٦٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص٢٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٦ Al Ghanim, op, cit, p6,

(٢) كورشون، مرجع سابق، ص٢٠٠؛ خزعل، المرجع نفسه، ٢/ ٢٦؛ الخترش، المرجع السابق، ص٢٩. الأرشيف العثماني يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK، رقم ١٩٥١، تاريخ ١٠ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز رسمي معروضات. .Y.A.RES، رقم ٦٢/ ١٤ بتاريخ ٢٤ رجب ١٣١٥هـ؛ Al Ghanim, op, cit, p6

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٠٥. كان لميد علاقة ودية وصداقة مع الشيخ عبد العزيز الإبراهيم حينما كان الأول حاكماً سياسياً لمدينة برودا في كوجيرات بالهند، وفيها منتجع للشيخ عبد العزيز.

(٤) Al Ghanim, op, cit, p65.

(٥) Al Ghanim, op, cit, p66

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أرادة خصوصية .I.HUS، رقم ٢٧٥٦، تاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ

الدورة[١]. وذكر آخرون أنه اتجه إلى بومباي، وليس إلى الدورة[٢]. غير أن الأحداث ترجح الرأي الاول.

لعلنا هنا نوجز عوامل أسباب فشل محاولة الهجوم، على الرغم من استعدادات، قوى التحالف الإقليمية، وحياد بريطانيا تجاهها وعدم اعتراضها:

١ – الموقف العثماني الرسمي المعارض والرافض لأي هجوم على الكويت، ولأصدقاء الشيخ مبارك أثر في بلورة هذا الموقف. يقول الذكير: ((إن اتخاذ السلطة العثمانية هذا الموقف لاعتقادها بأن أي حركة ضد صاحب الكويت قد تفقدها مركزها، وهي لا يهمها أن يكون حاكم الكويت مبارك أو غيره، وإنما يهمها أن يكون صاحب الكويت محافظاً على تابعيته لها...))[٣].

٢ – الموقف البريطاني، والذي يسعى جاهدا للمحافظة على الوضع الراهن.

٣ – وفاة الأمير محمد بن رشيد في أواخر سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧، فبوفاته فقد التحالف أبرز وأقوى عناصره.

٤ – بعد المسافة بين الكويت وقطر[٤].

٥ – عدم وجود مراكز للتموين للقوة المهاجمة، فمتصرفية الإحساء من المؤكد أنها ستغلق مراكزها التابعة للإحساء والقطيف في وجه المهاجمين[٥].

٦ – موقف القبائل الكبيرة في المناطق الواقعة بين الكويت وقطر، ذلك بإعلانها الوقوف إلى جانب الشيخ مبارك، كالعجمان، والمطير، والمرة. وكان على المهاجمين، في البداية، إخضاع تلك القبائل، وهذا الأمر تبدو فيه الصعوبة لقهرها[٦].

لقد أدرك الشيخ يوسف خيبته، فقرر التنكيل بهم محاولاً ضرب أعوان الشيخ مبارك، وخصوصاً متصرف الإحساء سعيد باشا، الذي كان يعتقد بأنه

---

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٨.

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٨؛ سلدانيا، الشؤون القطرية، مصدر سابق، ص ١٩٨

(٣) الذكير، المصدر سابق، ص١٠٤.

(٤) الذكير، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٥) الذكير، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٦) الذكير، المصدر نفسه ص – ص١٠٤ – ١٠٧؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٣٨؛ كورشون، العثمانيون في قطر، مرجع سابق ص١٩٨؛ Al Ghanim, op, cit, p63

كان وراء تأجيج الموقف العثماني الرسمي ضده. وبهذه النية قام الشيخ يوسف بتمويل عبد الرحمن بن سلامة أحد أعيان الإحساء[١] بالمال، وأمده بخمسين كيساً من الأرز وأربعين بندقية[٢]. ذلك بإثارة قبيلتي العجمان، وبني هاجر[٣]، ضد متصرف الإحساء، الصديق الوفي للشيخ مبارك[٤].

وبالفعل ثارت القبيلتان على سعيد باشا، وتم كتابة مضبطة شكوى، إلى سلطات العراق العثمانية، بأسماء ورؤساء القبائل المحيطة بالإحساء، ضد جور سعيد باشا وظلمه[٥]. وقام بكتابة هذه المضبطة عبد الرحمن بن سلامة[٦]. بينما يشير خزعل إلى أن الشيخ يوسف قام بتنظيم مضبطتين في الغرض نفسه، أرسل إحداهما إلى مشير بغداد رجب باشا، وأرسل الأخرى إلى والي البصرة محمد أنيس باشا[٧].

عموماً، تمكن الشيخ مبارك من الحصول على هاتين المضبطتين، ومن ثم أرسلهما إلى سعيد باشا[٨]، وبنجاح الشيخ مبارك في إحباط محاولة الشيخ يوسف بالتخلص من سعيد باشا، وهي جزء من المكائد التي كان يدبرها ضده، نال الشيخ مبارك مزيداً من الثقة التي عبر له الاول عنها برسالة ودية، تضمنت شكراً على همته ويقظته، كان ذلك في أواخر ١٣١٥هـ/١٨٩٧[٩].

---

(١) عبد الرحمن بن سلامة بن زرعه يرجع نسبه إلى قبيلة عترة، وهو عمدة حي الرفعة بالإحساء وأحد وجهاء منطقة الإحساء وعمل عضواً في مجلس إدارة اللواء العثماني في الإحساء وناضل من أجل إخراج العثمانيين من منطقة الإحساء (السبيعي، الأمن...، مرجع سابق ص٨٩؛ معلومات زودني بها المرحوم ناصر بن حمد آل زرعه – رحمه الله – بمنزله بمدينة الإحساء بتاريخ ٢٨/٦/١٤٢٤هـ).

(٢) الذكير، مصدر سابق ص١٠٩؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٢٦؛ الشملان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩١.

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٢٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦.

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٢؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٠.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦؛ السبيعي، الأمن...، مرجع سابق، ص٨٩.

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٢؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٠٩؛ الشملان، المرجع السابق، ص٢٩١، السبيعي، المرجع السابق، ص٨٩.

(٧) خزعل، مرجع سابق، ٢/٦ ٢.

(٨) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٢؛ خزعل، مرجع سابق، ٢ ٢٦؛ الشملان، مرجع سابق، ص٢٩١؛ السبيعي، المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٩) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٦.

إلا أنه في السنة نفسها تم الهجوم على قافلة قادمة من الإحساء، وجهتها الكويت، يقودها عبد الرحمن بن دهيش من تجار الإحساء وقد قام بتنفيذ هذا الهجوم جماعة السعيد[١]، فاستولوا عليها بأكملها[٢]. ولم نجد إشارة واضحة فيما اطلعنا عليه من مصادر إلى وقوف الشيخ يوسف وراء الحادثة، سوى استغلال الشيخ مبارك لها وتوظيفها ذريعة يحرض بها متصرف الإحساء ضد الشيخ يوسف[٣]. واستغلالاً للحدث كتب الشيخ مبارك رسالة إلى والي البصرة محمد أنيس باشا، وأبرق برقية إلى مشير الفيلق السادس ببغداد رجب باشا، شاكياً لهما لحوادث النهب والسلب في طريق القوافل، وطلب منهما ضرورة التعجيل من جانبهما بالضرب على يد هذا العابث، وهو الشيخ يوسف[٤].

ومن جانب آخر، قرر الشيخ مبارك الانتقام من الشيخ جاسم آل ثاني لمحاولته الفاشلة بتكوين تحالف ضده ومهاجمة الكويت، فقام بالهجوم على بعض القبائل التابعة لشيخ قطر، فهاجم قبيلة بني هاجر، وجماعة الحوّير[٥] وغنم منهم غنائم كثيرة[٦].

استمر الشيخ يوسف، بعد عودته إلى الدورة، في حركته ضد الشيخ مبارك، حيث سافر إلى السماوة[٧] لإثارة بعض القبائل هناك ضده[٨]. ولما

---

(١) جماعة السعيد: من البطون والتي تعتبر من أكبر فخوذ قبيلة الظفير ومن اكبر فروع السعيد الظهور والخضور والعجالين، وشيخهم ابن حلاف وموطن أغلب السعيد مدينة حفر الباطن والكويت والعراق (حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، دار اليمامة الرياض - ط١ - ١٤٠١هـ/ ١٨٨١م، ١/ ٤٨١؛ الظفيري، مرجع سابق، ص١٠٥).

(٢) استولوا على جميع الأموال التي تصل حدود ١٢٠٠ ريال ومجموعة من الإبل (عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٣؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/ ٢٧؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩١؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٦٦).

(٣) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٢؛ الشملان، المرجع السابق، ص٢٩٠؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٦٦.

(٤) عبد العزيز لرشيد، مصدر سابق، ص١٥٣؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٢٧ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩١

(٥) جماعة الحوير: أحد فخوذ قبيلة المرة، وتستقر في منطقة الأحساء وقطر.

(٦) لوريمر، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٢٧؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي...، مصدر سابق، ص٦٤؛ المنصور التطور...، مرجع سابق، ص١٦٤.

(٧) السماوة: مدينة مزدهرة جنوب العراق على نهر الفرات وفي العهد العثماني كانت قضاء تابع لسنجق الديوانية بولاية بغداد وتقع في حدود ٥٠ ميلاً جنوب الديوانية و٧٠ ميلاً إلى الشمال الغربي لمدينة الناصرية (لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي، مصدر سابق، ٦/ ٢١٤٠ - ٢١٣٦ - ٢١٤١)

(٨) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٨.

علم الشيخ مبارك بالأمر كاتب والي البصرة محمد أنيس باشا، بتحريضه حتى أصدر الأخير مذكرة للقبض عليه، ولما علم الشيخ يوسف بأمر المذكرة قرر العودة إلى الدورة، ومنها اتجه إلى بومباي، ليؤمن نفسه(١). ولم ينتهي الامر عند ذلك ولكنها كانت استراحة محارب.

التنافس الدولي ومعاهدة الحماية

أصبحت الكويت مسرحاً للتنافس بين القوى الاستعمارية الأوروبية، بريطانيا وروسيا وألمانيا، إلى جانب الدولة العثمانية منذ العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري/أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وفي وسط هذا التنافس الدولي كان النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف على أشده، وقد حاولا الاستفادة من ذلك التنافس المحموم على الكويت(٢).

وحسب ما تقدم، اتجه طرفا النزاع في البداية لكسب الموقف العثماني، الذي كان ميله لصالح الشيخ مبارك، فحصل الشيخ مبارك على لقب قائمقام من السلطان عبد الحميد الثاني ١٣١٥هـ/١٨٩٧. وبه حمل شرعية المواجهة التي تهدف القضاء عليه، فأصبح في مأمن نسبي(٣) الا ان هذا لم يمنع طرفا النزاع من الدخول في مرحلة جديدة، تعتبر أدق مراحل النزاع، حيث سعيا إلى كسب بريطانيا، بطلب الحماية منها، وكان لكل طرف أسبابه في توثيق معاهدة تكفل ذلك.

علماً بأنه في بداية النزاع كان الشيخ يوسف حريصاً على كسب الدولة العثمانية، فاتجه للبصرة في أواخر عام ١٣١٣هـ/١٨٩٦، طالباً النصرة ضد خصمه، لكنه اصطدم بالفساد الإداري المستشري في أركان الدولة، مما أدى في النهاية إلى إخراجه من ولاية البصرة السنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧. وبدلا من دعمه فقد وقفت إلى جانب الخصم ومنعته مهاجمته(٤)، فقرر البحث عن قوى أخرى

---

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول مضابط مجلس الوكلاء "M.V" رقم ٥/٩٨ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٢٩؛ المنصور، الشيخ يوسف آل إبراهيم...، مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) الذكير، مصدر سابق ص١٠١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٢٧؛ خزعل، مرجع سابق ٢/١٦؛ الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق ١/٧٢؛ الصباح، مرجع سابق، ص٢٢٨

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٤٨/ ١٧٠ تاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ.
الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٤/ ١٧٠ تاريخ ٤ رجب ١٣١٥هـ

(٤) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٥؛
Al Ghanim, op, cit, p52; Fredrick Anscombe,, op, cit, p149

تناصره وتؤيده في معركته، فلجأ إلى بريطانيا. وكان اختياره، دون غيرها من الدول الكبرى، عائداً بالدرجة الأولى إلى خبراته وثقافته ورؤيته السياسية ومصالحه الاقتصادية، المرتبطة بالهند وأسفاره المتكررة إليها، مدركًا أهمية الدور البريطاني في المنطقة[١].

واختلف الأمر مع الشيخ مبارك، حيث كان اندفاعه نحو بريطانيا لأسباب أخرى، أبرزها محاولة الدولة العثمانية وفرض سلطتها المباشرة على الكويت، خصوصاً في عهد حمدي باشا والي البصرة، الذي ناصبه العداء وقرر القضاء عليه. وحينها أنفق الشيخ مبارك أموالاً طائلةً ليحمي نفسه بها من تحركات حمدي باشا المعادية له، والمؤيدة لخصمه الشيخ يوسف. وفعلا استطاع أعوانه ومؤيدوه من رجالات الدولة العثمانية بالبصرة وبغداد واسطنبول التأثير على الموقف العثماني الرسمي المؤيد له في البداية. وعلى الرغم من هذا التأثير إلا أن الدولة العلية لم تكن مطمئنة إلى ولائه لها[٢]، وتخشى ممالأته للبريطانيين[٣]. في الوقت نفسه كان هو متخوفاً من السياسة العثمانية، لعدم ثباتها وسرعة تغير موقفها، الذي ينشأ عادة من حبك الدسائس، ومن فساد إدارة الحكم[٤].

يرى حافظ وهبة، إن سبب عقد الشيخ مبارك معاهدة الحماية مع بريطانيا، هو ضغوط الشيخ يوسف وهجماته على الكويت، وقد يسهل أمر السيطرة على الكويت لموقف إمارة الرشيد والدولة العثمانية غير المريح للشيخ مبارك. فزاد من مخاوفه، التي دفعته لعقد اتفاقية الحماية[٥]. ومن الأسباب التي دعت الشيخ مبارك إلى اتخاذ هذا الموقف أيضاً، هو معرفته بالخطوات

(١) يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص٢٠؛ Al Ghanim, op, cit, p43

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول أوراق يلديز متنوع Y.MTV رقم ٥٦/ ٢١٤ بتاريخ ١٢مايو ١٣١٢رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول أوراق يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٨٦/ ٢٢٠ بتاريخ ٢٩/ ١١/ ١٣١٧هـ؛ الرشيد: عبد العزيز، مصدر سابق ص١٠٠؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق ص٦٥؛ أرمسترو، مرجع سابق ص٥٢؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق، ١/ ٧٢؛ الصباح، مرجع سابق، ص٢٢٨؛
Whigham op,cit, p104, Rush, Al-Sabah, op, cit, p101, Jacob Goldberg, op, cit, p38

(٣) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٣؛ سليمان محمود، مرجع سابق، ص١٨٣..

(٤) سليمان محمود، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٥) وهبه، مصدر سابق، ص٢٤٢.

التي قام بها خصمه الشيخ يوسف وأبناء أخويه، باندفاعهم نحو بريطانيا طالبين مساندتها(١)، بما يعني نهايته، فقرر الخوض في غمار هذه التجربة، وكسب الموقف البريطاني قبلهم. فالشيخ مبارك يدرك أهمية ومكانة بريطانيا الدولية، باعتبارها القوة الاوحد بالمنطقة، وكان شاعراً بوضع الدولة العثمانية الحرج، وما تمر به من ضعف ووهن(٢).

تسابق طرفا النزاع لكسب الموقف البريطاني، فقدم الشيخ يوسف نفسه للسلطات البريطانية العام ١٣١٤ هـ/١٨٩٧، وتقابل مع المستر جون كالكوت جاسكن JHON CALOTT GASKIN نائب المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، أثناء زيارته إلى البصرة، طالباً التدخل البريطاني ضد الشيخ مبارك، مقابل تعهد، في حالة نجاحه وأبناء الشيخين محمد وجراح القضاء على القرصنة في مياه الخليج المحيطة بالكويت(٣). لكن هذا الطلب لم يجد قبولاً لدى جاسكن الذي احاله إلى القنصل البريطاني في البصرة، فلجأ الشيخ سعود ابن محمد ممثلا لأبناء الشيخين محمد وجراح، بتوجيه من الشيخ يوسف، إلى عرض تفاصيل قضيتهم على القنصل البريطاني في البصرة الكابتن وايت CAPTAIN WHYTE(٤)، فتقدم إليه طالباً وضع الكويت تحت الحماية البريطانية، إذا ما أعانته على طرد الشيخ مبارك وإعادته إلى الحكم، مما يعني عمليا تسليم مركز السلطة في الكويت للشيخ يوسف، مؤكداً إبداء فروض الطاعة والولاء للمطالب البريطانية في الكويت(٥).فأبدى القنصل البريطاني تعاونه معهم، واعداً بالمساعدة اللازمة لإتمام المراد(٦).

وبعودة سريعة إلى الأمس القريب، الذي واجهت فيه بريطانيا رفضاً

---

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١٠١؛ قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٤؛ الخترش، مرجع سابق، ص٢٨؛ لوريمر، دليل لخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٢٦؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/ ٦٥٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٩.

(٢) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١١٢؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣١٤؛ الثنيان، مرجع سابق، ص٢٣

(٣) Al Ghanim op,. cit, p52

(٤) الذكير، مصدر سابق ص١٠١، الخترش، مرجع سابق، ص٢٨؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٤

(٥) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/ ٦٥٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٩؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٢٦؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٦) الذكير، مصدر مصدر سابق، ص١٠١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٩.

قاطعاً من حكام الكويت – آباء هؤلاء الأبناء لأي علاقات –[١]، نجد أنَّ بريطانيا بترقبها المتأني كانت تنتظر لجوء الطرف الخاسر في الجولة السابقة إليها، لا لتعمل على نصرته وتدخل في دائرة اللُّعبة السِّياسية بالورقة الخاسرة، بل لتُرْغمْ المنتصر ضمنياً على تلبية مطالبها، وهذا ما تم فعلاً، وهو ما قامت به الدولة العثمانية أيضاً مع اختلاف بسيط في أصول اللُّعبة.

لم يهنأ الشيخ مبارك بفوزه في كسب الموقف العثماني طويلاً، فمع بداية دخول بريطانيا في القضية ازدادت مخاوفه من الأعمال التي يمكن أنْ يقوم بها الشيخ يوسف ضده، فخشي أن تأخذ هذه القضية بعداً سياسياً يؤدي إلى تجدد النزاع، وتوسع نطاق تداوله في أروقة السياسة الدولية مما قد يؤدي إلى تفجير الأوضاع في المنطقة بأكملها[٢].

تحرك الشيخ مبارك لخوض غمار هذه الجولة الجديدة مبرزاً دهاءه على نحو يختلف عن تحركاته السابقة في كسب المواقف. قابل الكولونيل ميد LT.COL.Malcolom Meade (1897-1900)[٣]، ولم يكتف في مفاوضاته معه بالرسائل والتوصيات، وبذل الأموال كما فعل سابقاً مع رجالات الدولة العثمانية. بل طلب من صديقه الوكيل المحلي لبريطانيا في البحرين أغا محمد رحيم بالتوسط والتسريع لقبول طلبه بعقد الحماية[٤]. ونراه قد ركز خلال هذا التوجه الحثيث في محاولة إقناع المقيم البريطاني في بوشهر، على أساس أن شؤون الكويت مرتبطة به[٥]. لكن، الحكومة البريطانية فضلت التأني بقبول العروض المقدمة من

---

(١) لوريمر، المصدر نفسه، ٣/١٥٢٨؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٩؛ النويصر، مرجع سابق، ص١٥؛ خزعل مرجع سابق، ٢/١٩
Rush, Al Sabah..., op, cit. p120, Jacob Goldberg, op, cit, p28

(٢) خزعل، مرجع سابق، ٢/١٩.

(٣) المقدم مالكولم جود ميد "المقيم السياسي البريطاني في بوشهر من الفترة ١٨٩٧ – ١٩٠٠م" (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٧/٣٩٢٦)

(٤) الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٩؛ خزعل، مرجع سابق ٢/١٩؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص٤٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٢؛ أغا محمد رحيم الوكيل المحلي البريطاني في البحرين وكان تاجراً إيرانيا في البحرين عين عام ١٨٩٣ لرعاية المواطنين البريطانيين الهنود.

(٥) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٤٩؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٦
Al Ghanim, op, cit, p47

قبل طرفي النزاع، التي أمن لها أصحابها قضيتهم. وبعد دراسة مستفيضة للعروض أعلن الموقف البريطاني الرسمي رفض تلك الطلبات، وقررت أخذ جانب الحياد بعدم التدخل في الشأن الكويتي[١]. حيث كانت بريطانيا، إلى هذه الفترة، تتجنب التأزيم في شمال الخليج العربي، ولان انشغالها في حروباً ثانية ضد قبائل الزولو وبعدها البوير في جنوب أفريقيا.ومادام أن الدولة العثمانية لا تزاحمها في مناطق نفوذها في جنوب الخليج العربي، وكانت حكومة الهند البريطانية قد اعترفت عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣ بالسيادة العثمانية على شمال الخليج في المنطقة الممتدة من البصرة إلى القطيف[٢].

هناك عوامل عديدة دفعت بريطانيا إلى اتخاذ موقف الحياد في شأن الكويت، منها:

- عدم رغبة الحكومة البريطانية في لندن الدخول في أي مواجهة مباشرة مع الحكومة العثمانية[٣].
- المحافظة على الوضع الراهن في شمال الخليج، وخصوصاً الكويت، واعتبار شأن الكويت شأناً عثمانياً، وذلك للمحافظة على سلامة مياه الخليج[٤].
- سيسبب عقد الحماية على الكويت الكثير من المشاكل للحكومة البريطانية مع الدولة العثمانية، في ما يتعلق بمسألة القبائل المجاورة للكويت، التي تحتاج إلى وجود قاعدة عسكرية لمواجهة مشاكلها، والحكومة البريطانية غير مستعدة لإيجاد قاعدة عسكرية ثابته في الكويت[٥].
- عدم إثارة الدول ذات المصالح والمطامح في المنطقة كألمانيا وروسيا فرنسا[٦].

---

(١) سلدانيا، المصدر السابق، ص٦٢؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص – ص١٠٧ و١٠٨
Al Ghanim, op, cit, p46, Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣١٣ Al Ghanim, op, cit, p47

(٣) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٥٨.

(٤) ويلسون، مصدر سابق ص٤٠٤؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٠٨،
Jacob Goldberg Goldberg, op, cit, p36

(٥) Al Ghanim, op, cit, p50

(٦) ويلسون، مصدر سابق، ص٤٠٤، لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٦؛ جمال قاسم، المرجع نفسه ٢/٣١٣؛ سلدانيا تاريخ الكويت السياسي، مصدرسابق، ص٥٩؛ نوريه =

على أية حال، وبعد فشل جهود الشيخ مبارك في تحقيق غايته من طلب الحماية، بالطرق الدبلوماسية عبر القنوات الرسمية، عمد إلى استخدام الضغوط السياسية على الحكومة البريطانية، فكتب إلى صديقه الوكيل البريطاني المحلي في البحرين أغا محمد رحيم خطاباً عبر فيه عن رغبته في طلب الحماية الفارسية[(١)]، كخطوة ضمن خطوات لاحقة للغرض نفسه. ونراها خطوة ذكية تنم عن في استيعاب أصول الدبلوماسية الدولية.

إلا أنه بعد رفض السلطات الفارسية لطلب الحماية، وذلك لضعفها وعجزها عن تحدي المصالح البريطانية في المنطقة[(٢)]، أخذ الشيخ مبارك يتطلع إلى روسيا، فتودد إليها، وعَبر عن رغبته في هذا الصدد لعقد معاهدة حماية معها، عِبر رسالة أرسلها إلى القنصل الروسي في بغداد كرغلوف، موضحاً في رسالته طلب عقد معاهدة حماية على الكويت. وقد بَين في رسالته شكواه من الدولة العثمانية وبريطانيا معاً، اللتان تدعمان خصمه الشيخ يوسف، وتؤيدان تحركاته ضده[(٣)]. كان رفض الحكومة الروسية واضحاً لطلب الشيخ مبارك، فأصدرت تعليمات صارمة لقنصلها في بغداد كرغلوف موضحة أسباب ذلك بتخوفها من تصعيد حدة الخلاف الدائر بينها وبين الحكومة البريطانية، وتأثر علاقاتهما في المنطقة، إضافة إلى شكوكها حول جدية نية الشيخ مبارك في طلب الحماية[(٤)].

كما سعى الشيخ مبارك بالتقرب إلى فرنسا في هذا الشأن، في استمرار محاولاته بالضغط السياسي على الحكومة البريطانية حتى تلبي طلبه الملح[(٥)].

= محمد الصالح، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦ – ١٩٠٢م، ذات السلاسل، الكويت١٩٧٧، م، ص٧٢؛ Al Ghanim, op, cit, p51.

(١) لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٦؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٩٣؛ النجار، مرجع سابق ص٧٥؛ نوريه الصالح، مرجع سابق ص٧٢

(٢) لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٣٦؛ سلدانيا، المصدر السابق ص٩٣؛ النجار، المرجع السابق، ص٧٥؛ الصالح: نوريه، مرجع سابق ص٧٢ Fredrick Anscombe,, op, cit, p169

(٣) رسالة من الشيخ مبارك إلى القنصل الروسي في بغداد كرغلوف يطلب فيها الحماية الروسية (انظر بوندار يفسكي مرجع سابق ص٤٦٨)؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٥٨.

(٤) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٥) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٢٧.

ثم اضطر إلى التلويح بآخر ما في جعبته من أوراق مهدداً في حالة عدم حصوله على حماية بريطانيا فأنه سوف يعقد الاتفاق مع الحكومة العثمانية، التي تسعى إلى إدخال الكويت تحت سيادتها المباشرة بإنشاء ثكنة عسكرية في أرضها[١].

هدفت محاولات الشيخ مبارك السابقة إلى الضغط على بريطانيا، وليس رغبةً في طلب الحماية من بلاد فارس أو روسيا أو فرنسا[٢]. وبعد عام أو أكثر من طرق الشيخ مبارك والشيخ يوسف أبواب الحكومة البريطانية طلباً للحماية، اضطرت الحكومة البريطانية إلى مراجعة سياستها من جديد، فبدأت تغير موقفها حول مسألة الكويت، حيث توصلت في العام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩ إلى ضرورة التعجيل بعقد اتفاقية مع الشيخ مبارك، استجابة لرغبته السابقة[٣]. كانت الحكومة البريطانية مضطرة لعقد هذه الاتفاقية بسرية تامة. وبطبيعة الحال ليس لخشيتها من إثارة عداء الدولة العثمانية وحدها، إنما خشيت الاصطدام مع كافة القوى الإقليمية والدولية الطامعة في سد الفراغ، بطريقة أو بأخرى[٤].

ومن حينها بدأت الحكومة البريطانية في لندن تغير موقفها، بعد اهتمام موظفي الحكومة البريطانية في الهند بالأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية[٥] للكويت. في غضون ذلك، كتب الكولونيل ميد المقيم السياسي في بوشهر، والمهتم بالشأن الكويتي تقريراً جاء فيه: "تمتلك الكويت ميناء رائعاً، وإذا دخلت تحت حمايتنا فسوف تصبح بلا شك من أكثر المواقع أهمية

(١) الخترش، مرجع سابق، ص٥٩، Jacob Goldberg, op, cit, p36.

(٢) الخترش، مرجع سابق، ص٥٩، Jacob Goldberg, op, cit, p36

(٣) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣٢٩؛ محمود، مرجع سابق، ص١٨٥؛ فسيليف، مرجع سابق، ٢٤٨/١؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٢٢/٣، Rush, Al-Sabah, op, cit, p,120; Jacob Goldberg, op, cit, p37

(٤) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٢٢/٣؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٨٤؛ قاسم، مرجع سابق، ٣١٨/٢ Jacob Goldberg, op, cit, p37, Rush, Al-Sabah, op, cit, p101

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٤٢/ ١٦٣ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز رسمي معروضات Y.A.RES 30/104 بتاريخ ١٧ أغسطس ١٣١٥؛ الخترش، مرجع سابق ص٣٣؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٢/ ٣١٤؛ أبو حاكمه، المرجع السابق، ص٣٢٣؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي...، مصدر سابق، ص ص٦٨ – ٦٩

في الخليج، أضف إلى ذلك أن إمكانية إقامة نهاية الخط الحديدي فيها، وهو الذي يمكن أن يمد في المستقبل من الإسكندرية أو بور سعيد، ويجعلنا في موقف يمكننا من حماية هذا الخط... وسوف تتلقى تجارة الرقيق وأيضا القرصنة ضربة قاضية إذا دخلت الكويت تحت حمايتنا..." [١].

كان قلق حكومة الهند البريطانية، حول مسألة الكويت في البداية، نتيجة للتحركات العثمانية أثناء محاولة الشيخ يوسف آل إبراهيم والشيخ جاسم آل ثاني أواخر العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧، ولاعتقاد بريطانيا أن تجمع القوات العثمانية في البصرة كان بهدف إقصاء الشيخ مبارك، وفرض سيطرتها المباشرة على الكويت. لذا بدأت تقارير موظفي الحكومة البريطانية في الهند تركز على الإجراءات العثمانية، وتسعى لإيقافها[٢].

ومما زاد من مخاوف بريطانيا هو اكتشاف سفارتها في اسطنبول، بداية العام ١٣١٦هـ/اغسطس١٨٩٨، مشروع كابنست[٣]، وحصولها على نسخة منه، والذي يقضي بدعم الحكومة الروسية في الحصول على حق امتياز من تشييد خط سكة حديد، من الدولة العثمانية، يمتد من البحر المتوسط حتى الكويت[٤]. فأدركت بريطانيا حينها خطورة الوضع في حالة إنجاز هذا المشروع، مما يجعل لروسيا حقوقاً مشروعة في الكويت، تعد تهديداً مباشراً لمركز بريطانيا ومصالحها المتقدمة في المنطقة[٥]. كذلك أتضح للمسؤولين البريطانيين الدور الفرنسي في دعم هذا المشروع والإسهام في تمويله. وبالتالي، اعتبرت بريطانيا تحالف روسيا مع فرنسا جعل الأولى منافساً خطراً لها في المنطقة[٦].

---

(١) الخترش، مرجع سابق، ص٣٣

(٢) الخترش، مرجع سابق، ص٣٣؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٤؛ Al Ghanim, op, cit, p65

(٣) الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق، ١/ ٧١؛ حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص٥٩؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص ٣٢٣ Jacob Goldberg, op, cit, p37

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣٢؛ أبو حاكمه، المرجع السابق، ص ٣٢٣؛ سلدانيا، مصدر سابق، ص ص٦٨ – ٦٩

(٥) حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص٥٩؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٤٥.

(٦) حسن الإبراهيم، المرجع نفسه، ص٥٩؛ فسيليف، المرجع نفسه، ١/ ٢٤٥؛ قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٩؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/ ١٥٦؛ كورشون، العثمانيون وآل سعود، مرجع سابق، ص٢٦٨.

وربما أسفر المخطط الروسي، في نهاية المطاف، إلى بسط نفوذ روسيا على الكويت، في غياب أي نوع من الاتفاقيات التي قد تضمن مصالحها مع الشيخ مبارك[(١)].

وعلى صعيد آخر، كانت الحكومة البريطانية تراقب النشاط الألماني بالمنطقة العثمانية بحذر. .فبعد الاتفاق الألماني العثماني على إنشاء خط برلين بغداد، المنتهي بأراضٍ كويتية[(٢)]، سعت بريطانيا لإحباط هذا المشروع المهدد لمصالحها في الخليج والهند. بينما كانت في بداية الأمر، غير مكترثة للنشاط الألماني، حيث تشير الدلائل إلى أنها كانت تخشى من الأطماع الروسية في المنطقة أكثر من الأطماع الألمانية[(٣)].

لكن، اختيار ألمانيا الكويت نهاية لمشروعها قد اعتبرته بريطانيا تهديداً مباشراً لمصالحها في المنطقة، لذا قررت مواجهة التحديات الألمانية، والعمل على إحباط هذا المشروع. ولتحقيق ذلك، أسرعت بالاتصال بالشيخ مبارك لقطع أي اتصال له بالجانب الألماني[(٤)]. وفي الوقت نفسه، تم تعيين اللورد كيرزون Lord Curzon في منصب نائب الملك في الهند العام ١٣١٦هـ/١٨٩٨، وقد عرف عنه شدة عدائه للروس والدولة العثمانية نتيجة عمله سفيراً في طهران قبل ذلك[(٥)] فعمل من خلال استشرافه مستقبل الكويت وتأثيرها على مصالح بريطانيا المستقبلية، على تغيير موقف الحكومه في لندن. وتجلى قلق كيرزون حول الكويت بقوله: "إنني أعتقد بأن أي اعتراف ضِمْني – وبالتالي أي تحقيق

---

(١) حسن الإبراهيم، المرجع نفسه، ص٥٩؛ فسيليف، المرجع نفسه، ١/ ٢٤٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣١٩؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/ ١٥٦؛ كورشون، العثمانيون وآل سعود، مرجع سابق، ص٢٦٨.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز رسمي معروضات، .Y.A.RES، رقم ٨٨/ ٤٠٢؛ لوريمر، دليل لخليج القسم التاريخي، مصدر سابق ١/ ٥٥١؛ فرج الله، مرجع سابق، ص٢٤٥؛ إبراهيم أحمد، مرجع سابق، ص٣٢٣؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ١٣٨؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/ ١٦٨؛ أرمسترو، مرجع سابق، ص٥٢؛ Rush, Al-Sabah..., op, cit, p102.

(٣) الخصوصي، مرجع سابق ٢/ ١٦٨؛ حسن الإبراهيم، ،المرجع السابق، ص٦١؛ الدوسري، مرجع سابق، ص٢٨.

(٤) الأسدي، مرجع سابق، ص٢٢٥

(٥) حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص٥٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٢٨، Rush, Al-Sabah..., op, cit, p102

فعلي – لسلطة تركية أو أي سلطة أجنبية في الكويت قد يكون محفوفاً بالخطر على المصالح البريطانية في الخليج، ومن شأنه أنْ يسبب لنا المتاعب هناك، ذلك أنه بالرغم من أنَّ تركيا لم تؤكدْ سُلْطتها فإنه يمكن لها أنْ تتخلى عن حقوقها التي تدعيها لفرقاء أو دول أخرى.. إنني أعتقد أنَّه ما زال أمامنا متسع من الوقت لتفادي أي خطر من هذا النوع، والذي أقترحه هو أنْ تمتد الحماية البريطانية في أقرب مناسبة إلى الكويت، وهذا ما طالب به شيوخها – الشيخ مبارك – دائماً لسنين عديدة وهُمْ لا بد سيرحبون بها على النحو الذي طبقت به في البحرين"[(١)]. وكانت لهذه الاراء الدور الكبير في تغيير موقف الحكومة البريطانية حول مسألة الكويت وتسريعها لعقد معاهدة الحماية مع لشيخ مبارك. وبإيجاز كان وراء تغيير الموقف البريطاني الأسباب الآتية:

١ – امتلاك الكويت ميناء صالحاً للملاحة البحرية.

٢ – إن تصبح الكويت نهاية للخط البريطاني لسكة الحديد الممتد من شمال مصر.

٣ – للقضاء على تهريب السلاح وتجارة الرقيق.

٤ – إنهاء السيطرة العثمانية على الكويت.

٥ – قطع الطريق أمام القوى الاستعمارية – ألمانيا وروسيا – للسيطرة على الكويت.

٦ – تعيين اللورد كيرزون نائباً للملك بالهند وتأثير آرائه حول مسألة الكويت.

وهكذا، قررت الحكومة البريطانية عقد معاهدة الحماية مع الشيخ مبارك بناءً على طلبه، لتكون معاهده سرية. وقد وكلت المهمة للكولونيل ميد، ممثلاً عنها لابرامها، فتم ذلك في ١٠ رمضان العام ١٣١٦هـ/٢٣ يناير (كانون الثاني) ١٨٩٩[(٢)]. نص الاتفاق على موافقة الشيخ مبارك أن لا يؤجر أو يتنازل عن أي جزء من ممتلكاته لأي دولة أجنبية، من دون إذن من حكومة

---

(١) حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص – ص ٥٩ – ٦٠.

(٢) ويلسون، مصدر سابق، ص٤٠٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٣؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣٢٠؛ الفرحان، مرجع سابق، ص١٢٥؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٠٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/١٢٨ – ١٢٩؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت...، مصدر سابق، ص٧٢؛ Rush, Records, op, cit, p116, Jacob Goldberg, op, cit, p39

جلالة ملكة بريطانيا. وتعهدت بريطانيا بتقديم المساعدات المالية لتسهيل أموره، والعسكرية لحمايته من أي هجوم، وخصوصاً من جهة البحر[١]. واتفق الطرفان على تعيين وكيلاً محلي لها في الكويت، يبقى اسمه سراً حينها، ومهامه تكمن في نقل الأخبار، فعينت لهذه المهمة حجي علي بن غلام رضا ١٣١٦/١٨٩٩[٢].

أعقب المعاهده الام إتفاقيات عدة، ومن أهمها إتفاقية تحريم تجارة السلاح في محرم ١٣١٨هـ/مايو (أيار) ١٩٠٠، تعهد بموجبها الشيخ مبارك بعدم الاستمرار في تجارة الأسلحة في الخليج[٣]. ثم أعقبها الاتفاقية الثالثة في ذي الحجة ١٣٢١هـ/فبراير (شباط) ١٩٠٣، وتضمنت تعيين معتمد سياسي لبريطانيا في الكويت. فكان الكابتن ستيوارت جورج نوكس Captain Stuart George knox أول وكيل سياسي بريطاني معتمد[٤]. ثم توالت الاتفاقيات، وكان آخرها اتفاقية ١٣٣١هـ/١٩١٣، التي حصلت بموجبها بريطانيا على امتياز التنقيب عن النفط لبريطانيا بالكويت[٥].

نلاحظ مما سبق، تعدد المراحل التي مرت بها معاهدة الحماية البريطانية الشاملة على الكويت[٦]. وقد أشارت أغلب المراجع إلى أنَّ هذه المعاهدة، وما

---

(١) ويلسون، مرجع سابق، ص٤٠٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٣؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣٢٠؛ الفرحان مرجع سابق، ص١٢٥؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٠٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٢ – ١٢٨ – ١٢٩؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت مصدر سابق، ص٧٢؛ Rush, Records..., op, cit, p116; Jacob Goldberg, op, cit, p39

(٢) واستمر في منصبه إلى ١٣٢٢/ ١٩٠٤ حيث تم تعيين نوكس معتمدا سياسيا هناك. (لوريمر المصدر نفسه ٣٩٣٢/٧).

(٣) أبو حاكمة، مرجع سابق ص٣٢٩؛ نوفل، مرجع سابق، ص٢٣٤.

(٤) الرشيد، المصدر السابق ص١٠٠؛ عسه، مرجع سابق ص٤٦؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣٢٩.

(٥) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣١؛ نوفل، مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٦) ومن ناحية أخرى يؤكِّد "الشملان" أنه لم تُوقَّعْ معاهدة الحماية الرئيسية إلا بعد هزيمة الشيخ مبارك في معركة الصريف – أي سنة ١٣١٨هـ/١٩٠١م – ، وبعد محاولة نفيه إلى خارج الكويت، عندما أرسلت السُّلْطات العثمانية مركب زحاف إلى الكويت لهذه المهمة، وأيضاً بعد محاولة الهجوم البري على الكويت من قِبَل قوات الأمير عبد العزيز الرشيد بدعم من الحكومة العثمانية، إضافة إلى ذلك يؤكد الشملان حالة القلق الدائم، وحالة الترقب المستمرة من قِبَل الشيخ مبارك لأي تحركات تهدد وضعه قد يقوم بها خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم (الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٧٧)

تبعها من اتفاقيات، لم تكن مفروضة على الشيخ مبارك من قِبَل الحكومة البريطانية، وإنما وقَّعها الشيخ مبارك بدافع الرغبة في تثبيت أركان حكمه، لذا اندفع نحوها بكامل إرادته[١].

لقد أنهى الشيخ مبارك هذه المهمة لصالحه، وأضاف بنتائجها نجاحاً إلى سجل إنجازاته في هذا النزاع. وكان من أهم أسباب نجاحه:

- فشل الشيخ يوسف، وأبناء الشيخين محمد وجراح، في التحرك خارج ولاية البصرة، واعتمادهم على واليها حمدي باشا فلما تم عزله حصل فراغاً في تأييد مطالبهم. بينما اتجه الشيخ مبارك الى مشير بغداد رجب باشا فكان خير معين له بالاضافة الى تأييد من نقيب البصرة من خلال علاقاته بأبو الهدى الصيادي أحد المقربين الى السلطان عبدالحميد.
- تعزيز علاقته الشخصية بالمقيم السياسي البريطاني في بوشهر، الكولونيل ميد، وعزفه على الوتر الحساس الذي يراود الحلم البريطاني في فرض الحماية على الكويت، وذلك من خلال المفاوضات المباشرة التي لا تحتمل التسويف أو بذل الوعود المعسولة. ولم يأت اختيار الشيخ مبارك للكولونيل ميد اعتباطاً بل من واقع معرفة، فكان من أكثر الشخصيات البريطانية حماسةً لنشر النشاط البريطاني في الخليج، ومن أكثر المعجبين بآراء اللورد كيرزون نائب الملك في الهند، المنادية بعقد المعاهدة. ومن جانب آخر، كانت شؤون الكويت مناطة خلال تلك الفترة، بالمقيم البريطاني في بوشهر، فجاء تصرف الشيخ مبارك باختياره هذا ينم عن حنكه، وفهم واستيعاب لطبيعة عمل وإدارة الحكومة البريطانية في الهند، وتوجهات موظفيها السياسية. ومن المحتمل أنه اكتسب هذه المعرفة والدراية أثناء اتصالاته الاولى بالكولونيل ويلسون قبل إغتياله أشقاءه عام ١٨٩٥م.
- قدرات الشيخ مبارك الشخصية على إقناع مفاوضيه بمطالبه، فقد أوضح أن هدفه هو تخفيف التوتر في المنطقة، ونشر السلام فيها. لذا جاء طلبه مسايراً ومؤيداً للسياسة البريطانية بالمنطقة، وهي الداعية إلى حفظ الأمن في مياه الخليج، ليكفل ازدهار تجارته. وبهذا وجد إعجاباً وتأييداً من قبل

(١) نوفل، مرجع سابق، ص١٨٨؛ نوريه الصالح، مرجع سابق، ص٧٢؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٩٨

موظفي الحكومة البريطانية في المنطقة، وخاصة الكولونيل ميد، الذي شدد على قبول طلبات الشيخ مبارك في تقاريره المرسلة إلى نائب الملك بالهند كيرزون.

- حنكة الشيخ مبارك في استيعاب أصول اللعبة الدبلوماسية، فقد حوَّل القضية إلى لعبة بين الكبار، مما أثار الحَيرة في أروقة السِّياسة الدولية، وزاد التخبط في عشوائية تقارير الدبلوماسيين، وعملاء الدول الأجنبية. كذلك كشف عن عجز السلطات العثمانية في السيطرة على الأوضاع داخل الكويت وخارجها(١). وبذلك نجح في إدارة اللُّعبة السِّياسية الكبرى حسب مبدأ "فرِّق تَسُدْ".

موقف الدول الكبرى من المعاهدة

بدأت الدولة العثمانية في مراجعة حساباتها بعد أن خالجتها الشكوك في ولاء الشيخ مبارك لها، وظهور الأقاويل حول مساعيه لعقد معاهدة حماية مع بريطانيا(٢). لهذا قررت اتخاذ سياسة حازمة لفرض سيادتها المباشرة على الكويت(٣)، وقامت بخطوات عدة لتحقيق تلك السياسة، متخذة عدة إجراءات: إعادة حمدي باشا إلى ولاية البصرة من جديد ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩، وأسندت له ملف المسألة الكويتية، ومُنح صلاحيات واسعة(٤). وما هو معروف أن حمدي باشا كان يكن عداءً خاصاً للشيخ مبارك، منذ عهد ولايته السابقة، ويرى أنه كان وراء عزله عن ولاية البصرة(٥). وما أن عاد والياً حتى أسرع باتخاذ

(١) Kucukl Cevdet, Kuveyt uzeerinde Osmanli- Ingiliz Mucaadelesi,Istanbul,1989, P13

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٨٦/ ٢٢٠ تاريخ ٢٩/ ١١/ ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز همايوني، رقم ٣٦٧٤ تاريخ ١٢ جمادي الأول/ ١٣١٩هـ؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٩١؛ القاسمي، مرجع سابق ص٨٢؛ الزركلي، شبه لجزيرة، مصدر سابق ١/ ٧٢؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٣٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٢٦؛ مقال بعنوان شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨/ هـ/ ١٥ مارس ١٩٠١م، السنة الأولى، العدد الخامس، ص٣١٧٠.

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٣٧/ ١٩٩ تاريخ ٢١ يناير ١٣١٥ رومي؛ لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٥٣٥؛ ويلسون، مصدر سابق، ص٤٠٥.

(٤) سلدانيا، المصدر السابق، ص٨٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٨٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٧ Fredrick Anscombe,, op, cit, p165

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص٨٢؛ الخترش، مرجع سابق، ص٨٢؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص٨٥.

سياسة حازمة في إدخال الكويت تحت السيادة العثمانية المباشرة، والقضاء على حكم الشيخ مبارك، وطرح للسلطات العثمانية الخطة التي رسمها لإنهاء المسألة الكويتية بإجراءات عديدة، منها:

- تسيير قوة عسكرية للسيطرة على الكويت.
- إقامة نظام قوي للحجر الصحي بالكويت.
- إقامة جمرك للكويت ووضع جنود عثمانيين فيه.
- تعيين مدير جمرك لميناء الكويت، من رجال حمدي باشا.
- مد خط للبرق من الفاو يمر بالكويت إلى القطيف[١].

استمرت سياسة حمدي باشا العدائية ضد الشيخ مبارك، واستخدم قضية الأملاك التي رفعها سابقاً الشيخ يوسف وأبناء الشيخين محمد وجراح، بمحاولة إصدار حكم لصالحهم. ثم اقترح عزله، وتعيين أحد أبناء الشيخين محمد وجراح قائمقام على الكويت[٢]. ولمواجهة تلك الإجراءات طلب الشيخ مبارك المساعدة من بريطانيا، لضمان سلامته وسلامة أملاكه الزراعية بولاية البصرة[٣]. ومن طرفها قامت بريطانيا بتقديم إنذار للعثمانيين بعدم تغيير الوضع الراهن في الكويت، وعدم المساس بها[٤]، في الوقت نفسه نفت بريطانيا للدولة العثمانية أي علاقة خاصة لها بالكويت، وليس لها سوى علاقة ودية مع شيخها[٥].

---

(١) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٨٥؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ٨٣ - ٩٨؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص٣٢٦؛ Fredrick Anscombe,, op, cit, p168

(٢) القاسمي، مرجع سابق، ص٩٣؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٧؛ جمال قاسم: ، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٦.

(٣) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٨٥؛ الخترش، المرجع السابق، ص٣٧؛ قاسم، مرجع سابق، ص٢/ ٣٢٦

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق يلديز همايوني، رقم ٤١٦٦ تاريخ ٦ جمادي الأول ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات .Y.A.RES رقم ٤٦/ ١١٤ بتاريخ ٢٧ جماد الأول ١٣١٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٩٠؛ الخترش، المرجع السابق ص٣٨؛ جمال قاسم، المرجع السابق ٢/ ٣٢٦؛ القاسمي، المرجع السابق، ص٩٤؛ لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣٦؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص١٤١؛ منسي، مرجع سابق، ص١٣٠؛ Fredrick Anscombe,, op, cit, p169, Bidwell, AK.Vol1.Part111.p22

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK، رقم٢/ ٤١٦٦ تاريخ ٦ جمادي الأولى ١٣١٧هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٣٦؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص٩١؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٨؛ نورية الصالح: ، =

وإثر الإنذار البريطاني أدرك العثمانيون عجزهم عن السيطرة على الكويت بالقوة[١]. فقرروا استخدام طرق وبدائل جديدة لحل المسألة الكويتية، لرفض شيوخ الكويت وأهلها منذ عهد نامق باشا ١٢٧٨ - ١٢٨٤هـ/١٨٦١ - ١٨٦٧ والي بغداد مسألة وجود سلطة عثمانية مباشرة على الكويت. إضافة إلى ذلك، لا تريد الدولة العثمانية مواجهة مباشرة مع بريطانيا، التي تبحث عن أي فرصة تستغلها للسيطرة على الكويت. وكان أول البدائل نهج سياسة الترغيب والإرضاء مع الشيخ مبارك. ولتحقيق هذه السياسة، عادت وعزلت حمدي باشا عن ولاية البصرة، وتعيين محسن باشا، صديق الشيخ مبارك، بدلاً منه على ولاية البصرة، أواخر ١٣١٦هـ/ ١٩٠٠[٢] وبطبيعة الحال، كان لأصدقاء الشيخ مبارك أثر في توجيه الموقف العثماني الرسمي لتهدئة مسألة الكويت، وأبرز هؤلاء محسن باشا قائد الجيش بالبصرة، ومساعد والي البصرة، حيث شن حملة ضد سياسة حمدي باشا التي أعانت البريطانيين لتحقيق غايتهم في السيطرة على الكويت[٣].

قام الوالي الجديد، محسن باشا، بإلغاء جميع الإجراءات السابقة، التي وضعها حمدي باشا حول مسألة الكويت[٤]. وعمل على تحسين صورة الشيخ مبارك لدى السلطات العثمانية، وتأكيد ولائه للسلطان[٥]. وقيل تم ذلك برشوة من الشيخ مبارك[٦]. إلى جانب ذلك، عملت الدولة العثمانية على إقناع مبارك

= مرجع سابق، ص٢٧٤؛ مستور الجابري، علاقة آل سعود بالدولة العثمانية ١٣٠٩ - ١٣٣٧/ ١٨٩١ - ١٩١٨، رسالة ماجستير (غير منشورة) بكلية اللغة العربية قسم التاريخ في القاهرة، ١٤٠٥/ ١٩٨٥، ص٧٩.

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز رسمي معروضات .Y.A.RES رقم ٤٦/ ١١٤، تاريخ ٢٧ جماد الأول ١٣١٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص٣٨

(٢) سلدانيا، المصدر السابق، ص٩٥؛ الخترش، المرجع السابق، ص٣٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١١٤؛ لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٥٣٦ Fredrick Anscombe,, op, cit, p171

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات .Y.A.RES رقم ٣٠/ ١٠٤ بتاريخ ١٣ جماد الأول ١٣١٧، الأرشيف العثماني، اسطنبول؛ يلديز متنوع .Y.MTV رقم ٥٦/ ٢١٤ بتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي؛ القاسمي مرجع سابق ص وتذكر فتوح الخترش أن قرار عزل حمدي باشا جاء بطلب بريطاني ١١٤(الخترش، مرجع سابق، ص٣٨)

(٤) سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، المصدر السابق ص٩٥؛ الخترش، المرجع السابق ص٣٨.

(٥) القاسمي، المرجع السابق، ص ص١١٤ - ١١٦؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص٩٦.

(٦) Al Ghanim, op, cit, p67

بالبقاء على ولائه للسلطان، وتذكيره بهويته الإسلامية، وأهمية الروابط الدينية التي تربطه وأهل الكويت بالخليفة، وتحذيره من العواقب الوخيمة له وللكويت من إغواء الأجانب وخاصة بريطانيا، وسعت للحصول على اعتراف مكتوب منه بخضوعه وولائه للسلطان(١).

اختير نقيب الإشراف بالبصرة رجب النقيب لمهمة التوجه إلى الشيخ مبارك. وفعلاً زار رجب الكويت مرات عديدة من أجل حث الشيخ مبارك على ولائه للسلطان، والابتعاد عن الأجانب وخصوصاً البريطانيين(٢). فوفّى مهمته، واستطاع الحصول على اعتراف من الشيخ مبارك بولائه للدولة، وعدم وجود أي تقارب بينه وبين البريطانيين(٣). ونتيجة لذلك كوفئ الشيخ مبارك بحصوله على لقب ميرميران، أي أمير الأمراء، وإعادة المستحقات المالية التي كانت تدفعها الدولة العثمانية لأسلافه الشيخين: عبد الله ومحمد آل صباح(٤). ولتأكيد ولائه قام ببناء مسجد بالكويت أطلق عليه اسم السلطان عبد الحميد الثاني، والدعاء للخليفة فيه في صلاة الجمعة(٥).

وفي خطوة لنشر الاستقرار بالمنطقة، سعت الدولة العثمانية لإنهاء

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أرادة مجلس مخصوص I.M.M رقم ١/٧٨ بتاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٣/ ٦٢٢٩ تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٢/٧٢١٦ تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٥/٣٦٧٤ تاريخ ٢٢ جمادي الأول ١٣١٩هـ.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، إرادة مجلس مخصوص I.M.M رقم ٥/٧٨ تاريخ ٧محرم ١٣١٨هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK، رقم ٨/٢٢٦٦ تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع.Y.MTV رقم ٣٧/١٩٩ تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٣١٥ رومي

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٤٨١٨ تاريخ ٣ شباط ١٣١٥رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، مضابط مجلس الوكلاء .M.V، بدون رقم تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول إرادة مالية I.MA رقم ٥/٢٤٠تاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول إرادة مجلس مخصوص، رقم ٥/٧٨ تاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ.

(٥) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم٦/٤٤٦٦ تاريخ ٢٦ جمادي الأول ١٣١٨هـ. Fredrick Anscombe,, op, cit, p171

الصراع بين الشيخ مبارك وخصمه الشيخ يوسف، الموجود في بومباي آنذاك، عندما قام تحسين باشا باشكاتب المابين الهمايوني بالطلب من الأمير عبد العزيز آل رشيد التوسط لإنهاء النزاع بينهما. وكان الهدف العثماني من وراء ذلك الأمر هو عدم إعطاء بريطانيا وغيرها من الدول الأجنبية فرصة الاستفادة من ذلك النزاع لتحقيق مصالحها(١). لكن، بعد اكتشاف الدولة العثمانية حقيقة وصحة عقد بريطانيا معاهدة لحماية على الكويت، قررت من جديد القضاء على الشيخ مبارك، وقدمت احتجاجا إلى الحكومة البريطانية لخرقها سياسة الوضع الراهن في الخليج(٢)، وخرقها أيضاً للمعاهدة الثانية بينهما حول شأن الخليج العربي ١٣١٠هـ/١٨٩٣(٣). ولم تعترف بالمعاهدة، وظل السلطان عبد الحميد الثاني متمسكاً بالكويت، ورافضاً أي تنازل للبريطانيين في الكويت(٤).

وفي أثناء تواجد الشيخ يوسف في بومباي جاءته أخبار غير صحيحة في بداية عام ١٣١٧/ ١٩٠٠ تفيد أن الدولة العثمانية قد طلبت من أمير حائل الأمير عبد العزيز الرشيد دعم قضيته ضد الشيخ مبارك(٥)، فعلى أثر ذلك قرر التوجه إلى حائل، على الرغم من محاولات كبار عائلة آل إبراهيم بالهند وخصوصاً الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم لثنيه عن الرحيل، والبقاء في بومباي، ومتابعة أعمالهم التجارية هناك. إلا أنه أصر على الذهاب، متعللاً بأنه لا يقدر على تسيير أمور التجارة، وأن ابن عمه الشيخ جاسم بن محمد آل إبراهيم هو الأقدر

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٩؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٣١؛ المنصور، الشيخ يوسف آل إبراهيم...، مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٩٥/ ٢٢٣ تاريخ ٢٥ نوفمبر ١٣١٧ رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ١٣٢/ ٤٨٤ تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، ، اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم٢/ ٤١٦٦ تاريخ٦جماد الأول١٣١٧هـ؛ أبو حاكمة، مرجع سابق ص٣١٣؛ عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٨؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١/ ٥٧٢؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ص٣٢٩؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٩٨؛ ويلسون، مصدر سابق، ٢/ ١٢٩
Fredrick Anscombe,, op cit, p180; Jacob Goldberg, op, cit, p40; Al Ghanim op, cit, p54

(٣) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص٤٢؛
Fredrick Anscombe, op, cit, p180.

(٤) ميمونة الصباح، مرجع سابق، ١/ ٢٤٢؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٣٤.

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٨؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٨٣.

في نظره على تحمل أعباء تجارة العائلة[١]. عاد الشيخ يوسف إلى ولاية البصرة العام ١٣١٧/ ١٩٠٠، وبعد وصوله لمقره بالدورة اتجه إلى الزبير، ومنها بعد مدة قصيرة قرر التوجه إلى مدينة حائل. فوصلها في مايو ١٩٠٠م.

خرج متخفياً، وليس معه سوى أربعة من حاشيته، حتى وصل عاصمة آل رشيد[٢]. ويذكر القناعي بأن ذهاب الشيخ يوسف إلى حائل جاء بدعوة من أميرها عبد العزيز الرشيد[٣]. وهناك أنضم إليه رفاقه: الشيوخ مبارك العذبي آل صباح، وخالد وسعود أبناء الشيخ محمد[٤]. ويرى سلطان القاسمي أن سبب اتجاه الأبناء إلى حائل هو قيام محسن باشا والي البصرة بمحاولة القبض عليهم[٥]. وعند وصولهم استقبلهم الأمير عبد العزيز الرشيد بكل حفاوة وتقدير، معلناُ دعمه للشيخ يوسف.

بدأ الشيخ يوسف يعد العدة من جديد لمجابهة الشيخ مبارك، فقام في البداية بمحاولة لكشف تقاربه مع الإنجليز، بهدف تأجيج الموقف العثماني الرسمي، والموقف الشعبي ضده، من خلال الضغط الإعلامي عبر وسائل الإعلام المتاحة آنذاك. حيث بدأ بمراسلة الصحف وخصوصاً جريدة ومجلة "اللواء" المصرية[٦]. وركز في مراسلاته على الشعور الوطني وهويته الإسلامية، وولائه لخليفة المسلمين في اسطنبول، وعمد إلى كشف ألاعيب خصمه، وفضح ممارساته السيئة بنشر الفساد والرشوة بين موظفي الدولة العثمانية، لتحقيق مآربه.

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥٨.

(٢) وصف عبد العزيز الرشيد طريقة تخفيه بأنه لبس ملابس بالية وأخذ معه بعض الجمال لرعيها بالطريق (الرشيد، المصدر السابق، ص١٥٩)، وقد ذكر بونداريفسكي بأن يوسف لم يتجه لولاية البصرة بل اتجه لقطر ومنها خرج إلى حائل معتمدا على التقارير الروسية (بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٦١).

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص٣٠

(٤) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٦١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٥٧، Bidwell, AK,Vol1.Part11.P37

(٥) القاسمي، المرجع السابق، ص١٣١

(٦) اللواء: هي مطبوعة مصرية تصدر منها جريدة اللواء اليومية ومجلة اللواء وموضوعاتها مختلفة سياسية وأدبية واقتصادية وصاحبها مصطفى كامل بك. بدأت الإصدار للجريدة منذ عام ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م وأما المجلة فصدرت عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م وتقع في شارع فهمي بجانب محطة باب اللوق.

كذلك ركز على تجارة تهريب الأسلحة التي يقوم بها الشيخ مبارك عن طريق الكويت، وببيعها لرجالات القبائل في المنطقة، مما يساعد على نشر الفوضى الإخلال بالأمن. فكان لتلك المراسلات الأثر الواضح على الموقف العثماني، ووجدت صدىً في المناطق العربية الواقعة تحت الحكم العثماني، والمؤيدة للسلطان[١]. ثم قام برفع شكوى إلى والي البصرة محسن باشا ضدالشيخ مبارك، واتهمه بالاستيلاء على أمواله وإحراقه للقرى التابعة له، ومنها الصَبيَّة[٢].و الحجيجة والصابرية.

غير أن محسن باشا، ولصداقة مع الشيخ مبارك، أهمل هذه الشكوى، واحتفظ بها، ولم يرفعها إلى الباب العالي[٣]. ولما شعر الشيخ يوسف بالسلبية من شكواه، ضد خصمه الشيخ مبارك، قرر رفع الشكوى إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مباشرة. وعندها أمر السلطان والي البصرة محسن باشا بالتحقيق في أمر الشكوى، وإحضار الشيخ مبارك إلى البصرة للتحقيق معه. وعلى الرغم من إصدار قرار سلطاني بهذا الأمر، إلا أن محسن باشا لم ينفذ الأمر، بل بعث برسالة إلى السلطان العثماني ينكر فيها أمر الأموال، التي يدعيها الشيخ يوسف، وأن الشيخ يوسف هو مَنْ استولى على أموال شيخ الكويت، وودعها في حسابه لدى "أشقائه" في بومباي. أما بالنسبة للادعاء الآخر حول إحراق قراه فقال محسن باشا: لا أساس له من الصحة كليا. إذ إنه ليس لديه بجهات الكويت أية قرى أو أموال، وأن كل ما لديه هو قصر يتخذه حصناً خارج الكويت، ويقصد قصره بالصَبيَّة، الذي خربه الشيخ مبارك بعد هجومه على الكويت، أي الهجمة البحرية ١٣١٥هـ/١٨٩٧[٤].

أما ما يخص ألمانيا، فإنها حصلت على امتياز أولي لمد سكة حديد العام

---

(١) أنظر مقالة ((شكوى إلى أمير المؤمنين)) مجلة اللواء الجمعة ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠١م السنة الأولى العدد الخامس ص٣١٧ وما بعدها، القاسمي، مرجع سابق، ص ص٥٧ – ٥٨.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مضابط مجلس الوكلاء .M.V رقم ٥/٩٨ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١١٩.

(٣) القاسمي، المرجع السابق، ص١١٩.

(٤) القاسمي، المرجع نفسه ملحق ١٠ قسم الملاحق، ص ص١٢٠ – ١٢١. لا يوجد ليوسف أشقاء فهو وحيد ابيه – راجع باش أعيان موسوعة البصرة كان هناك قصور ونخيل في الحجيجة والصابرية وقطعان من الابل والخراف ص ١٦٨ – ١٦٩.

١٨٩٩/١٣١٦، وهو المشروع الذي كانت تحلم بمده من اسطنبول إلى الخليج، ماراً بالأناضول والعراق، ومنتهياً في الكويت، ولتحقيق ذلك طالب الألمان الحكومة العثمانية التخلص من الشيخ مبارك[١]، واستندوا في ذلك إلى أنه من رعايا السلطان العثماني، وأنَّه استولى على الحكم بالقوة، وهم لن يعترفوا به أيضاً[٢]. فالأمر يتعلق بطبيعة الحال بالرغبة في تثبيت عمَا يخدم مصالحهم في الكويت[٣]. لاسيما وأن البديل الشيخ يوسف أخذ بالارتقاء في النزاع الى درجات أعلى، وبإصرار لا يعرف الكلل والملل، إلى جانب كونه صاحب السلطة الفعلية على الورثة الشرعيين لحكم الكويت.

وبهذا الشأن قدمت الحكومة الألمانية إغراءات واضحة للدولة العثمانية، نظير التسهيلات التي سوف تحصل عليها لإقامة مشروعها الحديدي، وفي مقدمتها انفراد الدولة العثمانية في فرض سيطرتها على الكويت[٤] وفي تلك الأثناء كانت الحكومة البريطانية مشغولة البال بالخطط الألمانية العثمانية لاستعادة الكويت، لوضعها تحت السيطرة العثمانية المباشرة[٥]. هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن بريطانيا كانت أكثر تخوفاً من المصالح الروسية والفرنسية المتزايدة في المنطقة منها من المصالح الألمانية[٦].

لم تكتشف ألمانيا أمر معاهدة الحماية على الكويت، إلا بعد ما أثاره السفير البريطاني في اسطنبول السير نيكولاس اوكونر[٧]. وكان موقفها الاحتجاج عليها، كغيرها من الدول التي لها مصالح في الكويت[٨]. وعادت

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٢٢٥؛ قاسم: جمال مرجع سابق، ٢/ ٣٢٠.

(٢) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٢/٤١٦٦ تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧؛ بوندار يفسكي مرجع سابق، ص٢٢٥؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٢٠.

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٢٢٥؛ جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٠.

(٤) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص١٦٩.

(٥) الأسدي، مرجع سابق، ص٢٢٦؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٤٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٢٣ op, cit, P101 Rush, Al Sabah

(٦) حسن الإبراهيم، مرجع سابق، ص٦١؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/ ١٦٨.

(٧) الأرشيف العثماني اسطنبول يلديز متفرق الكتابة الأولى في المباين Y.PRK.PSK رقم ٢/٤١٦٦ تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧.

(٨) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٨١؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٤٢.

بعثتها المكلفة في الحصول على الامتياز سكة حديد بغداد إلى الكويت بخفي حنين، في العام التالي لتوقيع معاهدة الحماية السرية، في رمضان ١٣١٦/ ١٨٩٩[١]. كما جاء في مذكرة البارون رختوفن، نائب وزير خارجية ألمانيا، ما ترجمته: "إنه ليس من مصلحتنا حلول أية دولة أجنبية في الكويت، سواء أكانت بريطانيا أو روسيا"[٢]. فأعلنت عدم اعترافها بمطالب بريطانيا في الكويت[٣]، وأنها لا تعترف إلا بالسيادة العثمانية[٤].

وبهذا يكون الموقف الألماني داعماً للدولة العثمانية ومعادياً لبريطانيا، كما هو الموقف الروسي، مثلما سنرى لاحقاً. بل إن ألمانيا وروسيا كانتا على وفاق أيضاً في إثارة الدولة العثمانية ضد الشيخ مبارك[٥]، وهذا يعني وقوف هذه القوى الثلاث في صف الشيخ يوسف بطريقة غير مباشرة، في إحدى مراحل النزاع بينه وبين الشيخ مبارك. ومن ناحية أخرى، أنَّ المطامع الخاصة حالت دون وقوف هذه الدول في جبهة موحدة، تقف بها في وجه النفوذ البريطاني. بل العكس من ذلك كانت مصالح تلك الدولة متضاربة إلى حد كبير، فروسيا كانت تقوم بإحباط مخططات ألمانيا التي تنافسها في مشروع خط السكك الحديدية، وحالت دون حصولها على أية امتيازات على الأراضي الكويتية[٦]. وفي المقابل، وقفت ألمانيا إلى جانب بريطانيا في معارضة مشروع كابنست الروسي للسكك الحديدية[٧]، وذلك بالرغم من معارضتها الصريحة لأي نفوذ بريطاني على الساحة الكويتية[٨].

ويمكن إيجاز حصيلة الموقف الألماني على النحو التالي: خرجت ألمانيا من ميدان التنافس الفعلي على الكويت، نتيجة موقفها ضد كل مَنْ يعترض سبيل

---

(١) فسيليف، مرجع سابق، ١/٢٤٨.

(٢) الصباح، مرجع سابق، ١/٢٤٣.

(٣) الصباح، المرجع نفسه، ١/٢٤٣.

(٤) خزعل، مرجع سابق، ٢/٣٣

(٥) الدوسري، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٦) الدوسري، المرجع نفسه، ص١٣٦؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٤٠؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٤٧٣؛ ريزفان مصدر سابق، ص٦.

(٧) الدوسري، مرجع سابق، ص١٣٧.

(٨) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٨١؛ الصباح، مرجع سابق، ٢٤٣.

مصلحتها عدا الدولة العثمانية، مما أدى إلى عزلتها عن باقي القوى، وفي الوقت نفسه لم تتخذ موقفاً دبلوماسياً من النزاع، الذي أفرز هذا التنافس الدولي على الكويت. إذ لم تحاول كسب الشيخ مبارك إلى جانبها بقدر ما سعت إلى التخلص منه[١]، ومن جانب آخر تبد تعاوناً مباشراً مع خصمه الشيخ يوسف.

وربما كان تأثير توقيع معاهدة الحماية البريطانية على المصالح الألمانية أقل من تأثيره على المصالح الروسية، حيث تلاشت معها أطماع الأخيرة في الكويت إلى غير رجعة[٢]. لذا جاء احتجاج الحكومة الروسية قوياً، فلم توافق إطلاقاً على فرض الحماية المباشرة على الكويت، وعبرت عن رأيها حول هذا الأمر في عدة محاور، منها حالة السخط الكبير في أوساط الصحافة الروسية[٣]. وقامت بتصعيد حالة الاحتجاج هذه، وذلك باتهامها الحكومة البريطانية بخرقها لسياسة الوضع الراهن في الخليج، وسعيها للسيطرة على الكويت، وعلى حاكمها الشيخ مبارك[٤]. لأن ذلك لا يتفق مع قبول الأخير للتبعية المعلنة للدولة العثمانية، فالشيخ مبارك، كما سبق القول، لا يزال يحمل لقب قائمقام الكويت، ولم يعلن تخليه، أو يظهر عداءه للدولة العثمانية[٥].

لهذا شددت روسيا، في سبيل مصالحها، على تبعية الكويت للدولة العثمانية، في محاولة منها لقطع الطريق أمام الحكومة البريطانية، ومنعها من الانفراد بها، كما سعت جاهدة في عقد معاهدة حماية روسية مع الشيخ مبارك العام ١٣١٩هـ/١٩٠١، فلم يكتب لها النجاح[٦]. ويبدو أن رفض الشيخ مبارك لعقد مثل هذه المعاهدة كان نابعاً من تفضيل الارتباط بالحكومة البريطانية، صاحبة النفوذ الأقوى في المنطقة، على الرغم من تودده، في ما سبق، للحكومة الروسية، وتقدمه بطلب الحماية منها، لكن طلبه قوبل في حينه

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٣٩.

(٣) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص٢٨١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ١٢٨؛ الدوسري، مرجع سابق ١٥٧؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/ ١٥٧.

(٤) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٣٩.

(٥) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٩؛ الدوسري، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٦) الدوسري، مرجع سابق، ص ١٥٨؛ الخصوصي، مرجع سابق، ٢/ ١٥٧.

بالرفض[١]. ويستنتج مما ذكر أن طبيعة المواقف الروسية في النزاع الدائر، بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، قد تميزت بعدم الثبات، إذ تقدم إليها الشيخ مبارك بطلب الحماية فرفضت. كذلك ناوئت بشدة فرض الحماية البريطانية على الكويت، بذريعة تبعية الشيخ مبارك للدولة العثمانية، لكنها تناست تلك الذريعة، فجاءت محاولاتها لاحقاً لعقد معاهدة حماية مع الشيخ مبارك.

وبالمثل لم تكن مواقف الشيخ مبارك تجاه روسيا ثابتة، فهي عندما طلب منها الحماية رفضت، وعندما عرضت عليه الحماية أبى، ليبقى على ولائه لبريطانيا. ويبدو أن اتصالات الشيخ مبارك بالروس وغيرهم، كان غرضه استثارة بريطانيا لتسارع في عقد الحماية له، لأنها الأقوى نفوذاً في الخليج، والأكثر قدرة على مواجهة الدولة العثمانية، التي كانت دون شك تخشى الاصطدام معها. وبهذا يكون مصير المصالح الروسية في الكويت، كنظيرتها الألمانية، هو عدم قدرتهما على كسب الشيخ مبارك إلى جانبهما، وذلك لتعاونهما مع الدولة العثمانية، وتحريضهما لها على إزاحته، إضافة لوقوفهما معاً ضد النفوذ البريطاني في الكويت من ناحية، ووقوف كل منهما ضد الأخرى.

وبناءً على المتغيرات المستمرة في مواقف الدول المتنافسة، على الساحة الكويتية، يتضح مدى تأثيرها في حلقة الصراع الدائر بين الشيخ مبارك، والشيخ يوسف. ويبدو واضحاً مدى الأثر الدبلوماسي للشيخ مبارك على الساحة الدولية مع كافة القوى المتنافسة على مصالحها في الكويت، وقدرته على توظيف التنافس الأوروبي لما يخدمه. وفي المقابل نلمس غياباً واضحاً للشيخ يوسف، حيث لم يستفد من مواقف الدول المعادية لخصمه في بعض أو كل المراحل، حيث لم يحاول – حسب اطلاعنا – إجراء أي اتصالات دبلوماسية مع هذه الدول حول علاقة آنية، أو مستقبلية. ومن جانبها أيضاً لم تقم تلك الدول بأي مبادرة للاتصال بالشيخ يوسف، على الرغم من الاهتمام الواضح به وخصوصاً ما ورد في التقارير الروسية، وبهذا لم تستفد منه كورقه ضغط ضد الشيخ مبارك. إلا أن مواقفها بشكل عام كانت ذات أثر واضح في دائرة النزاع بين الشيخين.

---

(١) الخصوصي، مرجع سابق، ٢/١٥٨؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٤٦٨؛
Jacob Goldberg, op, cit, p36.

الفصل الرابع

تطور الصراع بين الطرفين إلى عام ١٣٢٣هـ

١ - الشيخ يوسف آل إبراهيم في حائل وتطور الصراع

٢ - معركة الصريف - الطرفية - ١٣١٨هـ/١٩٠١

٣ - أسباب انتصار الأمير عبد العزيز الرشيد

٤ - حقيقة الدور البريطاني والعثماني في معركة الصريف

٥ - تأزم موقف مبارك بعد معركة الصريف

٦ - نشاط الشيخ يوسف آل إبراهيم خلال عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢

٧ - حملة الشيخ يوسف آل إبراهيم البحرية - (الثانية) - على الكويت

٨ - عودة الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى حائل

٩ - وفاة الشيخ يوسف وأثره على سياسة مبارك الصباح

الفصل الرابع
تطور الصراع بين الطرفين
إلى عام ١٣٢٣هـ

الشيخ يوسف في حائل

تولى الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد إمارة نجد العام ١٣١٥/١٨٩٧ خلفاً لعمه الأمير محمد بن عبد الله الرشيد ١٢٨٩ - ١٣١٥هـ/١٨٧٢ - ١٨٩٧. وورث عنه علاقة العداء مع شيخ الكويت مبارك الصباح، فعمد على تطبيق وصية عمه المحرضة ضد الأخير[(١)] وبعد وصول الشيخ يوسف لعاصمة الرشيد حائل العام ١٣١٧هـ/مايو ١٩٠٠[(٢)]، استقبله أميرها عبد العزيز استقبالاً حافلاً، ووعده بنصرة قضيته. وما أن حل الشيخ يوسف بحائل حتى احتل مكانه كبيرة لدى الأمير عبد العزيز الرشيد، وقد وصف لوريمر هذه المكانة بقوله: "ويبدو أنه أصبح الساعد الأيمن في سنة ١٩٠٠"[(٣)].

ويذكر القناعي أن قدوم الشيخ يوسف جاء بدعوة، وطلب من الأمير عبد العزيز الرشيد[(٤)]. ومن الطبيعي أن الشيخ مبارك لم يبد ارتياحاً لانتقال إمارة نجد إلى الأمير عبد العزيز الرشيد[(٥)]، لكنه كان منشغلاً بعدو ماهر، عدو قوي قريب، ضاعف عليه المشاكل، ولم يدع له وقتاً يتفرغ فيه لسواه[(٦)]. ولما علم الشيخ مبارك بوصول الشيخ خصمه إلى حائل أيقن أن الحرب واقعه لا محالة

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩ - ١٦٠

(٢) الناصر، مصدر سابق، ورقة٤٩؛ وذكر العبد المحسن أن قدومه لحائل كان في عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م (العبد المحسن، مرجع سابق، ١/٣١٢).

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق، ٣/١٥٣٩

(٤) القناعي، مصدر سابق، ص٣٠

(٥) خزعل، مرجع سابق، ٢/٣١؛ البنعلي، مصدر سابق، ص١٤٩؛ الفرحان مرجع سابق، ص٨٣، Saldnha, Historical Memorandum Oman on The Relations of the Wahabi Amirs Ibn Saud With Eastren Arabia AND the British Government, 1800 - 1934 p 43

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٠؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص ١٠٨؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٨٣

بينه وبين الأمير عبد العزيز الرشيد[١]، فركز جهوده على رسم خطط لفك التحالف، ولما فشلت جهوده أيقن أن تأزم الوضع سيؤول حتماً إلى تحكيم السيف[٢].

ولتسليط الضوء على تطور هذه الأحداث: أسبابها ونتائجها، ومن ثم تأثيرها في النزاع المسلح بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، نستقصي في ما يلي دواعي المواجهة.

كان الشيخ مبارك طامعاً في أن يكون سيد الجزيرة العربية، خصوصاً بعد شعوره بأن مركزه يدعمه تحقيق معاهدة الحماية مع بريطانيا[٣]. وهنا استغل لجوء أمير سعودي إلى إمارته، كورقه رابحه، يمكن أن يعزز بها أنشطته السياسية في شؤون الجزيرة العربية[٤]. وكان الأمير عبد العزيز الرشيد هو المنافس العنيد، الذي يقف عقبة في طريق طموحه الكبير من ناحية، وعائقاً لرغبته في تأمين طرق الحجاج والتجارة عبر نجد، خلال معبر الكويت، من أعمال النهب والسلب المستمرة. وبكسر شوكة ابن رشيد يستطيع تحقيق طموحه الكبير بالسيطرة على أكبر مساحه ممكنه من الجزيرة العربية، وخصوصاً منطقة القصيم وسدير من نجد. إضافة إلى رغبته في تحقيق مشاريعه الاقتصادية التوسعية في نجد بإنعاش الحركة التجارية وتنمية مواردها[٥].

كذلك لم يكن الأمير عبد العزيز الرشيد أقل طموحاً من الشيخ مبارك، حيث عرف عنه العزم واستخدام القوه في تعامله السياسي[٦]، فلم يكن في موقف

---

(١) عبد العزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص، ١٦٠؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص٣٠؛ حسني، مصدر سابق، ص١٤٤؛ Saldanha, op, cit, P43

(٢) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٩

(٣) الخترش، مرجع سابق، ص٥٥ Rush, Al-Sabah, op, cit, p102

(٤) فيلبي، مرجع سابق، ص ٢٧٣؛ خزعل مرجع سابق ٢/ ٤٠؛ Fredrick Anscombe,, op, cit, p 173

(٥) خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٠؛ محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله العثيمين ط " ١ "، ١٩٨٢م (د – ن)، ص٣٧؛ نوريه الصالح مرجع سابق ص ٣٢؛ الزعارير مرجع سابق ص ١٢٩

(٦) كورشون، السعوديون، مرجع سابق ص٢٥٥؛ ودادخضير الشتيوي، موقف الدولة العثمانية من آل سعود – ١٨٩١– ١٩١٤، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة البصرة، البصرة١٤١٠، ٥/ ١٩٨٩، ص٣٣؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٢٤؛ Fredrick Anscombe,, op, cit, p172

المدافع لصد الهجوم حسب، بل كان يطمح أيضاً للاستيلاء على الكويت ليؤمن بذلك منفذاً بحريا إستراتيجيا على الخليج العربي[١]، أو على أقل تقدير أن يكون حاكم الكويت موالياً له، بعد أن أغلق الشيخ مبارك ميناء الكويت في وجه أمارة الرشيد، ومنع تصدير الأسلحة وغيرها من الكويت إلى أنحاء نجد[٢].

على أية حال، أن إقامة الأمام عبد الرحمن الفيصل تحت رعاية وضيافة الشيخ مبارك في الكويت، لوحدها، كانت سبباً كافياً لإثارة عداء الأمير عبد العزيز الرشيد[٣]. لاسيما مع ما أبداه الشيخ مبارك للإمام عبد الرحمن وابنه الأمير عبد العزيز من روح حماسية لاستعادة ملكهم، واهتمامهما بإطلاع الشيخ مبارك على الرسائل الواردة من أكابر نجد ووجهائها، وعلى رأسهم آل الشيخ[٤]، والشيخ محمد آل سليم[٥]، وما تحويه تلك الرسائل من استنهاض لهمته، وما تحمله من دعم معنوي يحثه لاسترداد دولته[٦]. وقد توجس الأمير عبد العزيز الرشيد خيفة من خطورة الأوضاع الناجمة من ذلك التأييد، والمؤازرة من جانب أهالي نجد، وعلى الجانب الآخر وجد الشيخ مبارك بتبنيه قضية آل سعود فرصة حقيقية لتحقيق طموحاته التوسعية[٧].

يقابل ذلك لجوء الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى حائل، كمؤشر قوي لاشتعال

---

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدرسابق، ص١١٢؛ الزركلي، الوجيز...، مصدر سابق، ص٢٢؛ نوريه الصالح، مرجع سابق، ص ٣٣ Fredrick Anscombe, op, cit, p173

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/ ١٧٠٠؛ كورشون، المرجع السابق، ص٢٥٥؛ وليمسون، مرجع سابق، ص٤٠٣

(٣) التويجري، مرجع سابق، ص٩٣؛ الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم التكريتي، مركز دراسات الخليج، البصرة ١٩٨٩ م، ٢/ ٢٠١.؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٠؛ حسني، مصدر سابق، ص١٤٤؛ أبا حسين، مرجع سابق، ص٤٣؛ Bidwell, A.K.Vol1.Part11, p63 و Soldanha, op, cit, p43; Fredrick Anscombe,, op, cit. p17

(٤) آل شيخ: أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(٥) الشيخ محمد آل سليم: من أهالي القصيم ومن كبار علماء ومشايخ نجد في عصره، أعلن وقوفه إلى جانب آل سعود وبدأ يشجعهم ويحرضهم لاستعادة ملكهم ويحرض سكان نجد للانضمام لقوات مبارك القادمة لمحاربة ابن رشيد (العبيد، مصدر سابق، ورقة رقم ٤٢)

(٦) لوريمر، دليل الخليج لتاريخي، مصدر سابق، ٣/١٦٩٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٠؛ السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، مرجع سابق، ص٤٥؛ الزعارير، مرجع سابق، ص١٢٩؛ الزركلي، الوجيز؛ . مصدر سابق ص٢٢؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص١٠٧؛ Fredrick Anscombe,, op, cit, p 172

(٧) لوريمر، دليل الخليج لتاريخي، مصدر سابق، ٣/١٦٩٦؛ خزعل مرجع سابق، ٢/ ٤٠؛ السعدون، =

فتيل الأزمة بين الطرفين، الشيخ مبارك والأمير عبد العزيز الرشيد[١]. كان مبارك يسعى إلى التخلص من مضايقات خصمه، التي أقلقته كثيراً وحدت من تحركاته الطموحة في بسط سيطرته على نجد. لاسيما أن تحالف الأخير مع ابن رشيد أمر لا يستهان به، فكلاهما يسعى لإزاحته عن حكم الكويت. لذا ركز على إبعاد الشيخ يوسف عن حائل، عبر مفوضات مع ابن رشيد، إلا أن الأخير رفض ذلك محتجاً بوجود خصومه آل سعود لاجئون في الكويت[٢].

بدأ طرفا النزاع في تقوية موقفهما وتنظيم صفوفهما، بضم أكبر عدد من الحلفاء لجانبهم، لضمان كسب المواجهة المنتظرة بينهما. بدءاً بالبحث عن حلفاء، فعمد الشيخ مبارك إلى تشكيل تحالف قوي مع عدة قوى إقليميه مجاورة، بدأهما بمراسلة الشيخ سعدون زعيم قبيلة المنتفق في العراق، محرضاً على محاربة ابن رشيد والانضمام إلى جانبه ضده. ولم يتردد سعدون في قبول هذا العرض، نتيجة للعداء بين قبيلة المنتفق والأمير عبد العزيز بن رشيد، فوجد في هذا التحالف فرصه لتحسين وضعه المادي من خلال عائدات الحروب[٣].

ومن جانب آخر أعلن مبارك دعمه لقضية آل سعود، ومساندتهم لاستعادت ملكهم، فاستبشر الإمام عبد الرحمن وابنه الأمير عبد العزيز أملاً في هذه الخطوة الهامة في استرداد إمارة نجد، فقام الإمام عبد الرحمن بجمع قوته الصغيرة والمكونة من أنصاره من أهالي نجد اللاجئين في الكويت[٤]، زاعماً أن هذه القوة

= المرجع السابق، ص٤٥؛ الزعارير، مرجع سابق، ص١٢٩؛ الزركلي، الوجيز...، مصدر سابق، ص٢٢؛ سلدانيا، تاريخ الكويت...، مرجع سابق، ص ١٠٧ Fredrick Anscombe,, op, cit, p 172

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٠؛ السعدون، خالد، العلاقات، مرجع سابق، ص٤٥، لوريمر، مصدر سابق، ٣/ ١٦٩٦؛ الزعارير، مرجع سابق، ص١٢٩؛ الزركلي، الوجيز مرجع سابق ص٢٢، سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مرجع سابق، ص١٠٧ Fredrick Anscombe, op, cit, p 172

(٢) الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦

(٣) الذكير، مصدر سابق، ص١٤٧؛ الريحاني، تاريخ نجد...، مصدر سابق، ص ١١٧؛ ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة ٤٩؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٤٩؛ بن هذلول: سعود، تاريخ ملوك آل سعود، قدم له وأشرف عليه: محمد العبودي، مطابع الرياض، الرياض١٣٨٠، هـ/ ١٩٦١م، ص ٥٤؛ المختار مرجع سابق ٢/ ٢٠ .Bidwell, A.K.Vol1. part11 p63 Fo 371/149 تقرير مطول يتحدث عن النشاط التركي في الكويت ديسمبر ١٩٠٥

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٦٩٧؛ عبيد: جبار، مرجع سابق، ص١٠٩؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١/ ٣١٥؛ الريحاني، تاريخ نجد....، مصدر سابق، ص١١٧؛ الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق ص/ ١٥٢؛ سلدانيا، تاريخ الكويت...، مصدر سابق، ص ١٠٧

تعتبر صغيرة من حيث الحجم والعدد، إلا أنها قوة ذات تأثير كبير. لأن دخول هذه القوة شريكاً للشيخ مبارك وحلفائه تعطيهم الشرعية التي تخولهم الهجوم على بلاد نجد هذا من جانب[١]. ومن جانب آخر فأن الشيخ مبارك يدرك ما لآل سعود من مؤيدين ومناصرين في نجد، لم ينقطعوا عن مراسلاتهم المطالبة بسرعة القدوم، والعودة للإمام عبد الرحمن ومن معه في الكويت[٢]. قال بوند اريفسكي معتمداً على التقارير الروسية: إنه في العام ١٣١٨/ ١٩٠٠ ((اجتمع مبارك ممثلاً عن الكويت، وعبد الرحمن عن السعوديين، وسعدون باشا عن المنتفق، واقسم ثلاثتهم على المصحف بالنصر على ابن رشيد أو الموت معاً))[٣].

أما الحلف الآخر، فكان الاتفاق بين الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم، ومؤيديه اللاجئين إلى حائل، على السعي من أجل تحقيق هدفهم المشترك، وهو الاستيلاء على الكويت، وإزالة مبارك عن السلطة. ولتقوية مركزهم قام ابن رشيد والشيخ يوسف بالاتصال بشيخ قطر جاسم آل ثاني، ودعوته إلى الانضمام لحلفهم، فقرر الدخول معهم حليفاً[٤].

هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية الاقتصادية فقد كان الأمير عبد العزيز الرشيد يعاني من أزمة حرجة، تمثلت في صعوبة توفير الأسلحة، بعد أن أغلقت الكويت ميناءها في وجه إمارته، فكان عليه الاعتماد على الدولة العثمانية، ممثلة في والي البصرة من أجل توفير الأسلحة. ويتطلب هذا السبيل فترة طويلة من الانتظار، حتى يتم توفير الكميه المطلوبة[٥]. لكن، بعد قدوم الشيخ يوسف خففت حدة هذه الأزمة، بعد أن تكفل بتوفير الأسلحة المطلوبة، ذلك لما استخدم

(١) العبد المحسن المرجع السابق ١٠/ ٣١٥؛ السعدون، العلاقات مرجع سابق ص٤٥؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٥

Kumar Ram Nandan, Indla And the Persian Gulf Region, Bombay, 1965 p195

(٢) العبد المحسن المرجع السابق ١/ ٣١٥؛ العبيد، مصدر سابق، ورق٤٢؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص١٠٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٠

(٣) بوندار يفكسي، مرجع سابق، ص ١٦٦

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ١٢٠/ ١٣١ بتاريخ ٤ يوليو ١٣١٨ رومي؛ حسني، مصدر سابق، ص١٦٤؛ موزل، مصدر سابق، ص٥٧٤؛ السبيعي، الأمن،. ... مرجع سابق، ص ص٢١٢ – ٢١٣؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص١٤٤

Bidwell, A.K.Vol1. park111. p28.

(٥) لوريمر، القسم التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٧٣٥ – ١٧٣٦؛ موزل، مصدر سابق، ص ٥٧٣؛ الزعارير، مرجع سابق، ص ١٢٨.

قدراته المادية ونفوذ آل إبراهيم في بلاد الهند. وقد قامت الأسرة ممثلة بالشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم بشراء الأسلحة، وإرسالها إلى إمارة نجد عن طريق قطر، وبدوره أرسلها الشيخ جاسم آل ثاني إلى حائل من دون تأخير[١].

إلى جانب ذلك، قام الشيخ يوسف بتقديم دعم مادي وصل إلى عشرة آلاف ليره عثمانية، وبشراء ألف جمل وسيلة نقل لقوات إمارة نجد[٢]. أزال هذا الدعم المالي الكبير، الذي قدمه الشيخ يوسف للأمير ابن رشيد، الكثير من العقبات التي كانت وراء تأخير التحرك ضد الكويت. وذَكر لوريمر: كانت إمارة آل رشيد تعاني من ضائقة مالية في هذه الفترة[٣]. يؤكد هذا الأمر، من جديد، على قدرة الشيخ يوسف الاقتصادية، التي لم تتأثر بانشغاله الكامل بإدارة النزاع. تلك كانت الأوضاع قُبيل معركة الصريف، فقد كان الأمير عبد العزيز الرشيد حريصاً على مواجهة أعدائه وينتظرها بشغف، بمساندة الشيخ يوسف، الذي أقنعه بقضيته.

وميدانياً، كثفت قبائل شمر التابعة للأمير عبد العزيز الرشيد الغارات على أطراف الكويت، بهدف الاستيلاء على القوافل التجارية الخارجة منها[٤]. وسبقت الإشارة إلى أن الشيخ مبارك كان مشغولاً، من قبل ذلك، عن الأمير عبد العزيز الرشيد بعدو ماهر دائب الحركة والتربص. لكن، بوصول الشيخ يوسف إلى حائل أصبحت المواجهة أكثر وضوحاً لدى الشيخ مبارك، وبذلك تكون الفرصة سانحة للقضاء على خصميه: الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف في ساحة واحدة[٥].

بدأ الشيخ مبارك يعد العدة للمواجهة، فقام بشراء الأسلحة في البداية

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول متنوع Y.MTV رقم ٢٣١/ ١٢٠بتاريخ ١٤يونيو١٣١٨رومي؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/ ٣٧٣٥؛ موزل، مصدر سابق، ص ٥٧٤؛ حسني، مصدر سابق، ص١٦٤؛ Rush, Records, op, cit, p173

(٢) الحاتم، مرجع سابق، ص٢٥٨؛ إن قيمة الجمل في تلك الفترة تساوي بحدود عشر ليرات عثمانية أي ما يعني أن قيمة هذه الصفقة بحدود عشرة آلاف ليرة عثمانية ويصبح بذلك المبلغ الذي قدمه عشرون ألف ليرة عثمانية خلال المرحلة الأولى من الصراع الكويتي النجدي.

(٣) لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٧٣٥،

(٤) لوريمر، مصدر سابق ٣/ ١٥٣٩؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق، ١/ ٧٣؛ ابن ناصر، مصدر سابق، ورقة ٤٩

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦١؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٨٤

لتسليح قواته، ومن معه من أهالي نجد في الكويت[١]. وبعدها قرر شن الغارات على أراضي ابن رشيد، داعياً أنصاره للوفاء بالتزاماتهم في هذه المهمة، القائمة على الهجمات السريعة المتنوعة، وفي أكثر من موقع لتشتيت ذهن الخصم وأضعافه اقتصادياً[٢]. وفي ٢٧ جماد الأخر ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ سير قوة بقيادة أخيه حمود الصباح، يساعده ابنه سالم بن مبارك آل صباح للهجوم على إحدى قبائل شمر التابعة لإمارة الرشيد في الرخيمية[٣]، وأسفر الهجوم عن استيلاء القوة الكويتية على الكثير من الأموال والالاف من الإبل والأغنام[٤].

كما كلف الإمام عبد الرحمن الفيصل بالإغارة على بلاد نجد، تزامناً مع غارة الرخيمية في منتصف السنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠، فخرج عبد الرحمن بقوة جلهم من اللاجئين النجديين في الكويت، وقام بشن غارة على مجموعة من قبيلة قحطان التابعة لإمارة الرشيد بالقرب من روضة سدير[٥]. حققت القوة الأخيرة نجاحاً وحصلت على غنائم عديدة[٦]. ويعود نجاح الإمام عبد الرحمن، في هذه الغارة على الرغم من قلة قوته، في الدرجة الأولى إلى ضعف المدافعين وقلة عددهم، حيث كانوا لا يتجاوزون الأربعين منزلاً في روضة سدير[٧].

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع Y.MTV رقم ٦١/٢٢٦؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص١٦٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/ ٣٧٣٥

(٢) ارمسترونج، مرجع سابق، ص٥٠، ؛ العثيمين: عبدالله، تاريخ المملكة العربية السعودية، العبيكان، الرياض "ط٤" ١٤١٩/١٩٩٨، ٢/٣٨؛ حسني، مصدر سابق، ص١٤٤

(٣) الرخيمية: تقع الرخيمية في شمال شرق السعودية في المنطقة المحايدة بين السعودية والعراق، شمال الحفر وهي من هجر الظفير وتكثر فيها آبار المياه. في فترة البحث كان يقطنها ابن طوالة وجماعته من قبيلة شمر(الجاسر، المنطقة الشرقية...، مرجع سابق، ٢/ ٧٤٩)

(٤) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص/ ١٦١؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٣٢، Bidwell.A.K. Vol1. Parr11. P55

(٥) روضة سدير: قرية من قرى سدير التابعة لمنطقة الرياض ويقطنها مجموعة من قبائل بني تميم وقحطان والدواسر وتكثر فيها آبار المياه (الجاسر، المعجم مرجع سابق ٣/ ١٤٢١؛ لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مرجع سابق، ٦/ ٢٠٨٠).

(٦) ويلسون، مصدر سابق، ص ٤٢٥؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص٢٤؛ فلبي، مصدر سابق، ص ٣٧٣؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٤٩، ؛ العثيمين، مرجع سابق، ٢/ ٣٧؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣١٦؛ رسالة من الوكيل الأخبار بالكويت لمساعدة المقيم في الكويت بتاريخ ٤/ ٩/ ١٩٠٠ (نقلاً عن الدائرة، ص١٨٢)؛ Bidwell, A.K.Vol1.Part11. P47

(٧) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٦/ ٢٠٨٠

وفي أثناء خروج الإمام عبد الرحمن قام مبارك بمناورة سياسة علها تخرجه من هذه الأزمة، التي تهدده والمتمثلة في الشيخ يوسف نفسه، فأرسل إلى الأمير عبد العزيز بن رشيد يطلب منه عقد الصلح، وإبعاد يوسف عن إمارة حائل، فاشترط الأمير عبد العزيز إخراج اللاجئين من أهالي نجد، وعلى رأسهم الأمام عبد الرحمن. وافق الشيخ مبارك على شرط ابن رشيد فأرسل من يخبر الإمام عبد الرحمن عن تعذر دخوله الكويت، نتيجةً للاتفاقية التي عقدها مع ابن رشيد(١).

ولا غرابة في موقف الشيخ مبارك من عبد الرحمن الفيصل إذا علمنا أنه كان: شديد البأس، كثير التقلب، فيه شي من الأسد، وأشياء من الحرباء... وذكر بأنه لقب بالحواقه وهو السير عكس الخط المستقيم(٢). فكان للشيخ مبارك في ذلك التغير مآرب سياسية لدفع الحرب عنه، والاستعداد لها في الوقت نفسه(٣). ولم يجد الأمام عبد الرحمن، ومَنْ معه، بداً من التوجه إلى قبيلة العجمان بأطراف الكويت، فاستقروا في مضاربها بانتظار ما ستسفر عنه الأحداث(٤). وها هي قد أسفرت بعد فترة قصيرة جداً عن رفض الأمير عبد العزيز الرشيد الصلح، من جديد، فليس بينهما سوى السيف حكماً، بعد أن اكتشف أن الداعم لحملة الأمام عبد الرحمن هو الشيخ مبارك(٥). ونتيجة لذلك لم يجد الأخير أمامه سوى استدعاء الإمام عبد الرحمن على وجه السرعة إلى الكويت، للتخطيط من جديد ضد عدوهم المشترك ابن رشيد وحليفه الشيخ يوسف(٦). وفي التوقيت نفسه قام سعدون شيخ المنتفق بالإغارة على بعض القبائل الواقعة تحت سلطة ابن الرشيد في شمال نجد(٧)

قربت تلك الغارات مسافة المواجهة وعمقت القطيعة كلياً بين الفريقين(٨)،

---

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٠٩

(٣) الريحاني، المصدر السابق، ص١١٦؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١/٣١٦

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص١٤٦

(٥) الذكير، ر مصدر سابق، ص١٤٦

(٦) الذكير، المصدر السابق، ص١٤٦؛ الريحاني، المصدر السابق، ص١١٨

(٧) المختار، مرجع سابق، ٢/٢٦؛ السعدون، العلاقات بين نجد والكويت...، مرجع سابق، ص ٤٧؛ النبهاني، مرجع سابق، ٤٤٦، Fredrick Anscombe,.opcit, p173

(٨) القناعي، مصدر سابق، ص ٣٠، Fredrick Anscombe,, op, cit, P172

ليبدأ التوتر الفعلي بين الكويت وحائل منذ منتصف السنة ١٣١٨هـ ونهاية ١٩٠٠[(١)]، كما قربت المعركة الكبرى في الصريف. ذلك لأمور يأتي في مقدمتها تشجيع الشيخ يوسف آل إبراهيم لعبد العزيز الرشيد بالهجوم على الكويت[(٢)].

قرر الأمير عبد العزيز الرشيد المبادرة بمواجهة الشيخ مبارك وحلفائه، مفضلاً منازلة كلٍّ منهم على حدة، فقام بحشد قوة من رجاله تتألف من ١٥٠٠ مقاتل[(٣)]. ولهذا الغرض، اتجه ومعه الشيخ يوسف في منتصف العام ١٣١٨هـ/أواخر السنة ١٩٠٠ إلى جهة قضاء السماوة جنوبي العراق، وكانت خطته، مثلما تقدم، قائمة على توجيه ضربه لخصومه كلاً على انفراد، حتى لا يعطيهم فرصة لتجميع قواتهم، فقرر مواجهة سعدون في البداية بهدف تأديبه من جهة، ومن أجل حماية خطوط تموينه عبر طريق جنوبي العراق من جهة أخرى، وكذلك ليقضي على أقوى حلفاء مبارك[(٤)].

وبعد أن علم مبارك بخروج ابن رشيد توقع أن يكون هو المقصود بهذا الهجوم، فجهز قواته وعسكر في الجهراء منتظراً[(٥)]. لكن، قوات ابن رشيد اتجهت إلى قضاء السماوة، وهاجمت قبائل المنتفق وحلفاءهم من قبيلة الضفير[(٦)]. فأثخن فيهم الجراح، واستولى على غنائم كثيرة، وقام بمطاردة قوات سعدون شيخ المنتفق، التي تراجعت جراء تلك الهزيمة إلى داخل الأراضي العراقية العثمانية وعبر نهر الفرات[(٧)]. بينما ووصلت قوات ابن رشيد إلى قضاء سوق

---

(١) عبد العزيز الرشيد مصدر سابق، ص ١٦١

(٢) ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٨ Fredrick Anscombe,, op, cit, P172

(٣) بوندار يفكسي، مرجع سابق ص١٦٨؛ وقدرها بدويل بأضعاف هذا الرقم بأكثر من ست مرات بقوله بأنها حوالي عشرة آلاف مقاتل؛ وزاد محسن باشا والى البصرة على رقم بدويل بتقرير بأن عدد قوات ابن رشيد وصلت إلى خمسة عشرة آلاف مقاتل. ولعل هذا الأرقام مبالغاً فيها (القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٢؛ Bidwell, A.K. vol 1. Part11. P60).

(٤) خزعل، مرجع سابق ٢/ ٣٥؛ السعدون، المرجع السابق، ص٤٨؛ جبار عبيد، مرجع سابق ص١١٠؛ وندار يفكسي، مرجع سابق، ص١٦٨

(٥) يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٦٧؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٥؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٣٩، Bidwell. A.K. Vol1. Part11. P60

(٦) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦١؛ الحجي، مصدر سابق، ص ٦؛ البسام، المصدرالسابق، ص ٢٦٨؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/ ٣٥

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز خاص Y.A.HUS رقم ٤١١/١٣٤ بتاريخ ٢ و٥ رجب =

الشيوخ[١]. وانتقلت بعدها إلى موقع آخر ناحية الخميسية[٢]، بعد أن علم بأن السعدون أخفى ثروته من قطعان الإبل في هذا الموقع[٣].

حاصر الأمير ابن رشيد قوات سعدون في الخميسية[٤]، حتى طلب الأخير النجدة والنصرة من حليفه الشيخ مبارك، فلبى دعوته وتوجه بقواته إلى منطقة الخميسية[٥]، مع ترك قوة ترابط بالجهراء والصَبيَّة. يصل عدد هذه القوة إلى اثني عشر ألف مقاتل «٩٠٠٠ فارس، و٣٠٠٠ مشاة»[٦]. ولعل هناك مبالغة في هذا الرقم. ويتضح من هذا التقسيم للقوة المدافعة عن الكويت، بين الجهراء والصَبيَّة، هو تخوف مبارك من توجه قوات ابن رشيد إلى الكويت أثناء غيابه، وإمكانية استخدام أرض الصَبيَّة، معقل الشيخ يوسف آل إبراهيم السابق، مدخلاً للسيطرة على الكويت. وكادت المواجهة الكبرى تحصل في الأراضي العراقية. غير أن الدولة العثمانية مارست نفوذها على الطرفين لإنهاء الأزمة، وفعلاً نجحت عن طريق والي البصرة محسن باشا من السيطرة على الوضع، ومنع الاصطدام بين الطرفين[٧].

= ١٣١٨؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص١٨٩؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٨٦

(١) سوق الشيوخ: يقع قضاء سوق الشيوخ على الضفة اليمنى لنهر الفرات في جنوبي العراق وأسسه ثويني ال محمدجد الأسرة السعد ونية.وهي بلد زراعي ويزرع فيها الأرز (ألتمن) والذرة والحنطة والسمسم والشعير ويصنع أهلها حياكة الأعبية.(انظر القشعمي مرجع سابق ص٢٥١ وما بعدها)

(٢) الخميسية: ناحية تابعة لقضاء سوق الشيوخ وتقع في لواء المنتفق – في فترة هذا البحث – جنوب الفرات وسميت بهذا الاسم نسبة لعبد الله الخميس من أهالي القصيم، وأطلق عليهاالمؤرخ سليمان الدخيل لقب لؤلؤة البرية (انظر القشعمي، المرجع السابق، ص٢٤٥ وما بعدها).

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٦٨

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات خصوصية، Y.A.HUS برقم ٤١١/١٣٤ وتاريخ ٢ و٥ و١٢ و١٤ رجب ١٣١٨هـ؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٧؛ فيلبي، مرجع سابق، ص٢٧٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٣٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٢٣؛ يوسف، البسام، مرجع سابق، ص٢٨٦

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات خصوصية، Y.A.HUS برقم ٤١١/١٣٤ وتاريخ ٢ و٥ و١٢ و١٤ رجب ١٣١٨هـ؛ الريحاني، تاريخ نجد مصدر سابق ص١١٧؛ فيلبي، مرجع سابق ص٢٧٦؛ خزعل مرجع سابق ٢/ ٣٥؛ القاسمي، مرجع سابق ص١٢٣؛ يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٨٦؛ السعدون، العلاقات بين نجد؛ .مرجع سابق، ص ٤٨

(٦) الخترش، مرجع سابق، ص٥٥

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV برقم ١٠١/ ٢٣٤ وبتاريخ؛ الأرشيف =

أما ردود أفعال القوى العظمى، خلال هذه الأزمة وما سبقها من هجمات وغارات، فكانت في مجملها متفاوتة لا لشيء سوى تأزم الأوضاع في المنطقة، وتعقد الأمور وتداخلها. كان موقف الدولة العثمانية في هذه الفترة غير واضح المعالم، ولم يتخذ موقفاً رسمياً ثابتاً، إنما تركت لموظفيها، في ولايتي بغداد والبصرة، حرية التصرف لإنهاء الأزمة. وهناك ما يشير إلى أن الدولة العثمانية، حتى هذه الفترة، كانت حريصة على نشر الهدوء في المنطقة، وخصوصاً في الكويت، بعد ظهور البلبلة حول صحة معاهدة الحماية البريطانية عليها، والتي كانت إلى هذه الفترة سرية[١].

حاول الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف، أثناء الأزمة، كسب الموقف العثماني الرسمي لجانبهما. فقبيل تبادل الهجمات طلب الشيخ يوسف من والي البصرة الحصول على عفو عثماني سلطاني عنه، وقد توسط الأمير عبد العزيز بن رشيد لدى محسن باشا في ذلك الأمر. لكن، بحكم الصداقة التي كانت تربط محسن باشا بالشيخ مبارك، واتخاذه أيضاً موقفاً معادياً من الشيخ يوسف، تعذر قبول الطلب[٢]. فما كان من الشيخ يوسف إلا رفع طلبه إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مباشرة، يطلب الصفح والعفو عنه بواسطة الأمير عبد العزيز الرشيد[٣]. وفي الوقت نفسه قام الشيخ يوسف بمحاولة كسب موقف ولاية بغداد، لدعم موقفه وموقف حليفة الأمير ابن رشيد، فأرسل وفداً من قبله للتفاوض مع قائد الفيلق السادس ببغداد المشير أحمد فيضي باشا[٤]، محاولاً استمالته لصفهم في هذه الأزمة، وأن يسعى

= العثماني، اسطنبول، يلديز معروضات خصوصية Y.A.HUS برقم ٤١١/١٣٤ وتاريخ ١٤ رجب ١٣١٨هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٠؛ الحجي، مصدر سابق، ص٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٣٦، ؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٨؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣١٢؛ Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P60, Fredrick Anscombe,, op, cit, p173

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز متنوع .Y.MTV رقم ١٩٩/٣٧ بتاريخ ٣١/كانون الثاني ١٣١٥ رومي؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.MTV رقم ١٩٤/١١٤ بتاريخ ٢٦ جمادي الأولى ١٣١٧هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلديز همايوني Y.PRk.Bsk رقم ٢١٦/٤ بتاريخ ١/رمضان ١٣١٧هـ

(٢) القاسمي، مرجع سابق، ص١٢٢

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص١٢٧

(٤) أحمد فيضي باشا: عين لمنصب مشيرية الجيش السادس ببغداد خلفا للمشير رجب باشا الذي نقل =

بالخير لإقناع السلطان بالاستيلاء على الكويت. وقد وعده الشيخ يوسف في حالة إقناعه للباب العالي بهدية قدرها عشرة آلاف ليرة عثمانية[(١)].

وبعد تطور الأزمة، ووصول قوات ابن الرشيد إلى الخميسية، قررت السلطات العثمانية التدخل المباشر، فتحركت ومارست نفوذها على الطرفين فأرسلت قوة عثمانية بقيادة اللواء محمد الداغستاني[(٢)]، من قبل ولاية بغداد لتمنع اشتباك الطرفين[(٣)]. وأرسل محسن باشا والي البصرة بدوره مفوضي سلام من قبله لطرفي الصراع، فتوجه السيد أحمد النقيب[(٤)]أخو نقيب البصرة وطالب باشا بن رجب النقيب، وتمكنا من إقناع الأمير عبد العزيز الرشيد بوقف القتال، والعدول عن الاستمرار بالهجوم على خصومه[(٥)]. تراجع الأخير عن التوجه إلى السماوة، وبعث منها برقية إلى السلطان عبدالحميد في ٢٣ رجب ١٣١٨هـ/١٦ نوفمبر ١٩٠٠ أكد فيها طاعته وخضوعه وإلتزامه بالأوامر السلطانية، مع مطالبته بمعاقبة سعدون واسترداد ما سلبه من القبائل التابعة له.

وامتثالاً لأمر الدولة العلية، منع ابن الرشيد كلاً من الشيخ يوسف آل

= إلى قيادة فرقة طرابلس في شهر صفر ١٣١٦هـ وكان فيضي مشيراً للجيش السابع ووالي لليمن وتسلم مهام عمله في بغداد في ربيع الآخر من سنة ١٣١٦هـ. (العزاوي، مرجع سابق، ٨/ ١٣٠

(١) القاسمي، مرجع سابق، ص – ص ١٦٩ – ١٧٧؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٢٣٣؛ وذكر بوندار يفسكي أن اسم المشيرهو أحمد فوزي ولعله خطأ بالترجمة والصحيح أحمد فيضي باشا (بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٦٢)

(٢) اللواء محمد فاضل باشا الداغستاني: من قبائل الججن من داغستان هاجرت إلى مناطق العراق في عام ١٨٦٠ وقربهم مدحت باشا في عهد ولايته وأسند لهم مناصب في الجيش وأعطى محمد فاضل منصب مهماً في الجيش واشتهر محمد فاضل باشا بحروبه وعهدت إليه وكالة ولاية بغداد مرات عديدة، وكانت له شعبية لدى أهالي بغداد ووصل إلى رتبة فريق واستشهد في أحد المعارك الحربية ضد الإنجليز في ٦ جمادي الأولى ١٣٣٤ (انظر العزاوي، مرجع سابق، ٨/ ١٧ – ٢٩٧ – ٢٩٨).

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣؛ السعدون، العلاقات...؛ مرجع سابق، ص٥٠؛ الحجي، مصدر سابق، ص٦، Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P62

(٤) أحمد النقيب: ابن السيد محمد سعيد آل طالب وهو أحد أخوه رجب النقيب – نقيب البصرة – ولعب دور كبير في عهد أخيه رجب النقيب وخاصة في قضية مسألة أملاك آل صباح في ولاية البصرة، وكان من المقربين للشيخ مبارك (انظر الشلاة، مرجع سابق، ص٧٤ – وما بعدها

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣٩؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٥٠؛ الحجي، مصدر سابق، ص٦ Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P62

إبراهيم وخالد بن محمد الصباح وجاسم آل ثاني من التحرك ضد أعدائهم، حتى تنظر السلطات العثمانية في تحصيل حقوقهم. وأظهر عبد العزيز في رسالته إمكانياته وقدراته في القضاء على مبارك الصباح وسعدون المنتفق الرافضين للامتثال لأوامر الدولة العلية، متى ما سمحت له الدولة في ذلك(١)كذلك أمر السلطان عبد الحميد الثاني قريبه كاظم باشا(٢) بالتوجه إلى الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم، للتوسط لإنهاء الأزمة، وحينها تعهد له ابن الرشيد بالتوقف عن العمل الهجومي. بعدها عاد الأمير إلى نجد(٣). وإلى جانب ذلك كانت لكاظم باشا مهمة أخرى وهي التوسط بين مبارك وأبناء أخيه، وإنهاء مشكلة الإرث حول أملاك آل صباح في ولاية البصرة(٤).

وما يخص تحالف الشيخ مبارك، أقنع محسن باشا والي البصرة شيخ المنتفق سعدون بالاختفاء من مسرح الأحداث، حتى تهدأ الأوضاع(٥)، وأرسل إلى مبارك الصباح يطالبه بالتوقف والانسحاب إلى الكويت هو ومن معه من قوات، وطلب مقابلته بالقرب من الزبير(٦)، وتمكن الوالي من إقناع صديقه مبارك، خلال هذه المقابلة، بزيارة البصرة، وهي أول زيارة للولاية له منذ استيلائه على الحكم في الكويت(٧). وبهذه الزيارة أنهى محسن باشا كل الشكوك حول ولاء الشيخ مبارك للسلطان العثماني، حيث جدد الولاء في مقر

---

(١) القاسمي، مرجع سابق، ص ص١٢٥ – ١٢٦

(٢) كاظم باشا: صهر السلطان عبد الحميد الثاني، وقد قام السلطان عبد الحميد بإبعاده عن اسطنبول فعينه قائد للخيالة في الفيلق السادس ببغداد وكان يتولى الوكالة لبعض الولاة وله أملاك كثيرة في بغداد وقصور فخمة وذا ثروة طائلة (العزاوي، مرجع سابق، ٨/ ١٥١)

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص١٣٧؛ الحجي، مصدر سابق، ص ص٦ – ٧.

(٤) القاسمي، المرجع نفسه، ص١٢٧

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٠، ؛ سلدانيا، تاريخ لكويت السياسي، مرجع سابق، ص١١٣، Bidwell, A.K. Vol1. Part111. P4

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٥٤/ ٤١٤ بتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/ ١٥٤٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٣٦؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٥٠؛ البسام: يوسف، مرجع سابق، ص١٦٩؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٦؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص١١١

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y. A.HUS برقم ٥٤/ ٤٦٤وتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/ ١٥٤٠.

الوالي بالبصرة، وبهذا نال وساماً رفيعاً في شهر جمادى الثانية ١٣١٨/أكتوبر ١٩٠٠، وعاد بعدها إلى الكويت[١].

لقد دعمت هذه الزيارة السيادة العثمانية على الكويت، وبددت الشكوك في صحة معاهدة الحماية البريطانية. على اعتبار أنها إشاعة مغرضة من قبل خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم[٢]. وبنجاح مساعيه السليمة مع الشيخ مبارك، لإدخال الكويت تحت السيادة العثمانية المباشرة[٣]، رفع والي البصرة محسن باشا من مكانته لدى الباب العالي، من دون أن يترك دعم موقف مبارك واستمرار التشكيك في ولاء عدوه الشيخ يوسف، ومحاولاته لربط الجهود الدبلوماسية البريطانية، في هذا النزاع، بدعم موقف الأخير، الذي استقر فترة في بومباي، قبل قدومه إلى حائل، وصرح محسن باشا بأن يوسف مع الإنجليز بقلبه، ويستمع لنصيحتهم عن طيب خاطر[٤].

وهكذا، أتضح الموقف العثماني الرسمي حول الأزمة، والسعي لإنهائها بتخويل والي البصرة. وخلافاً لما تقدم، وردت روايات مفادها: أن الدولة العثمانية كانت تسعى للقضاء على سلطة الشيخ مبارك في الكويت، وذلك بتحريض الأمير عبد العزيز الرشيد وحليفه الشيخ يوسف آل إبراهيم لتحقيق هذه الغاية[٥].

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٥٤/٤١٤ بتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ؛ خزعل مرجع سابق ٢/٣٦؛ لوريمر، المصدر السابق ٣/١٥٤٠؛ السعدون، المرجع السابق، ص٥١؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص١١٢، Jacob Golderg, op, cit, p39

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٥٤/٤١٤ وتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/١٥٤٠ ا؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٦؛ سلدانيا تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق ص٢١١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٧٣

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلديز خصوصي معروضات Y.A.HUS برقم ٥٤/٤١٤ وتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٠؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٦؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق، ص٢١١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٧٣ Fo 371 / 149

(٤) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، السفارة في الإستانه، ملف ١٢٤٤، ورقة ٢٩٠ (نقلاً عن بوندار يفسكي مرجع سابق ص ص١٧٣ و١٧٤)

(٥) جمال قاسم، مرجع سابق ٢/٣٢٨؛ ديكسون، مصدر سابق، ص٣٠؛ فيلبي، مصدرسابق، ص٣٧٧؛ الريحاني، تاريخ نجد...، مصدر سابق، ص١١٧؛ موزل، مصدر سابق، ص٥٧٤؛ المختار، مرجع سابق ٢/٢٥؛ عسه، مرجع سابق ص٤٦؛ وهبة مصدر سابق ص٩٩

بعد التعرف على مساعي الدولة العثمانية، نجد في الموقف البريطاني ما يتواءم مع تلك المساعي للحيلولة دون تفاقم الأزمة، عندما بعثت الدولة البريطانية إلى الشيخ مبارك طالبةً وقف الهجوم على بلاد ابن رشيد، خشية من اندفاع الدولة العثمانية إلى التدخل في شؤون الكويت(١)، عندما قرر اللورد سالسبوري إيفاد المقيم البريطاني في بوشهر كمبول LT.COL.Charles Arnold Kemball (1900-1904) إلى الكويت لتقصي صحة المعلومات والأوضاع هناك، وتقديم النصح للشيخ مبارك(٢). وكاجراء احترازي قررت السلطات البريطانية في الهند إرسال سفينة بحرية لإيواء شيخ الكويت مبارك في حالة سيطرة قوات ابن رشيد على الكويت(٣)، إلى جانب تحذير القنصل البريطاني في البصرة راتسلو لابن الرشيد من مهاجمة الكويت(٤). غير أن الشيخ مبارك اعتذر من الامتثال لنصائح الجانب البريطاني، طالما بقي الشيخ يوسف في نجد، وقيامه بتحريض أميرها ضده(٥).

وعلى صعيد آخر، حاول راتسلو قنصل بريطانيا بالبصرة اغتنام فرصة وجود الشيخ مبارك فيها، ضمن مساعي محسن باشا لحل الأزمة، لعقد صلح بين مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم، تحت إشراف والي البصرة، لكن الأخير اعتذر لصعوبة إقناع الطرفين للصلح(٦). ويعتقد كرغلوف، قنصل روسيا في بغداد، بأن رفض محسن باشا لهذا الاقتراح لأنه كان موجهاً لتعزيز النفوذ البريطاني الداعم للشيخ يوسف. ويرى كرغلوف بأن هذا الدعم ليوسف بهدف ((الضغط على الشيخ مبارك ليستجير بهم، ويلقي نفسه في أحضانهم فور تعرضه لأية ضغوط من الأتراك أو ابن الرشيد(٧).

---

(١) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق ص١١٠؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/١٥٤١، Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P45

(٢) سلدانيا، المصدر السابق، ص١١٠؛ Fo371 / 149 وتقرير بريطاني مطول عن النشاط التركي في الكويت بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٠٥هـ، Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P47, Kumar, op, cit, p145

(٣) سلدانيا، المصدر السابق، ص١١٠.. Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P47, Kumar, op, cit, p55,

(٤) Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P55, Fo371 / 149

(٥) سلدانيا، المصدر السابق، ص١١٦، عبيد: جبار، مرجع سابق، ص١١٤ القاسمي، مرجع سابق، ص١٢٧، الخترش، مرجع سابق، ص٥٦؛ Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P63, Fo371 / 149

(٦) أرشيف السياسة للخارجية لروسيا ((السفارة في الإستانة)) الملف ١٢٤٤ ورقة ٢٨٨ (نقلاً عن بوندار يفسكي، مرجع سابق ص١٧٣)

(٧) المرجع نفسه

بيد أن واقع الحل، اختلف حيث أن الشيخ مبارك قد رمى نفسه في أحضان الإنجليز قبل هذه الأزمة، وأثناء وجود الشيخ يوسف آل إبراهيم في بومباي. لكن، كرغلوف يثبت لنا في تقريره بأن معاهدة الحماية البريطانية لا تزال في طور السرية. وما لا يخفى، أن هناك اعتقاداً روسياً آخر جاء مناقضاً ومعاكساً لكرغلوف، وأقرب إلى الواقع بحكم قربه من ساحة الأحداث، وهو ما صرح به أداموف قنصل روسيا في البصرة. ومفاده: أن لبريطانيا مصلحة في إضعاف عبد العزيز الرشيد، لذا كانت تشجع أعمال مبارك الهجومية ضده، بصورة مباشرة أو غير مباشرة[١].

ومما يرجح صحة الرأي الأخير، هي سياسة بريطانيا مع الشيخ مبارك في هذه الفترة، فقد قدمت له دعماً مادياً كبيراً وصل حدود خمسة عشر ألف ليرة في أواخر ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠[٢]. كان ذلك إلى جانب التسهيلات التي قدمتها له في عملية شراء الأسلحة لتجهيز قواته، وغضت الطرف عن عمليات تهريب الأسلحة للكويت[٣]. وأفاد لوريمر حول موضوع عملية تهريب الأسلحة، أنها لم تبدأ إلا في عهد الشيخ مبارك، ولم تسترع الانتباه إلا العام ١٣١٦/ ١٨٩٩. قائلاً إن كميات كبيرة من الأسلحة مرت من مسقط إلى الكويت[٤]. وكم يبدو موقف بريطانيا مناقضاً لسياستها المعلنة ضد تهريب الأسلحة في مياه الخليج[٥]. لم تغض بريطانيا الطرف عن عملية التهريب فقط بل أكد المؤرخ الكويتي الشملان أنها أمدت مبارك بالأسلحة خلال هذه الفترة[٦].

---

(١) فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٥٠.

(٢) Rush, Records...op, cit, p149, Bidwell, A.K. Vol1. Part11. P p29 - 30

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متنوع .Y.Mtv رقم ٢٢٦/٦١؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص١٤٦؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٤٣؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/ ٣٧٣٤.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/ ٣٧٣٤

(٥) جمال قاسم، مرجع سابق ٢/ ٣٢٩؛ ويلسون، مرجع سابق، ص – ص.٤٣٠ – ٤٣٦

(٦) واستشهد الشملان بقصيدة لشاعر الكويت حمود الناصر في هذا الأمر بقوله:

عده نصاك بكالنظام ادهارا ... بأمات نص خشاب أطوال وقصار
ومسيلقات الموزري صنع دارا ... ظرفات صنع اللندني دفع وقرار
وجنس يجينا من بلاد النصارى ... ما هن وراور واسمهن لولب النار

(الشملان من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٤٣)

وهكذا، نرى ما لهذه الأحداث من أهمية تاريخية في تطور النزاع المسلح بين الشيخ مبارك والأمير عبد العزيز الرشيد وحلفاء الأخير، وهي بلا شك مرحلة متقدمة من النزاع القائم على السلطة بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم. وبالتالي كانت بمثابة المرحلة التمهيدية للمعركة الكبرى في الصريف[١] وما لحقها من تطور لأحداث وتداعيات غيرت الخارطة السياسية للمنطقة.

معركة الصريف

بادئ ذي بدء، لأهمية هذا الحدث المفصلي في أحداث الجزيرة العربية، لابد لنا من إضفاء المعلومات حول الحدث، والتسلسل الزمني الذي سبق وأدى إلى هذه المعركة في (٢٦ ذي القعدة ١٣١٨/١٧ مارس ١٩٠١). تقع الصريف إلى الشمال الشرقي من برَيدة بخمسة عشر ميلاً، وتبعد عن حائل ١٦٠ ميلاً. تحيطها تلال من الحجر الصلد الأسود. أما موقع المعركة فهي أرض تمتد ما يُقارب العشرة أميال طولاً، ومثلها عرضاً، منبسطةً كراحة اليد، أو ملعب الكرة إن شئت، ليس فيها نتوء أو اعوجاج، صلبة لا تراب فيها. تبعد عن الكويت، التي هي على شمال شرقها، مسيرة عشرة أيام للرواحل. وكان اختيارها من قِبل الأمير عبد العزيز الرشيد تكتيكاً عسكرياً استعمل فيه واستغل قواته الراكبة للوصول إلى نصر حاسم وسريع، كما سنرى لاحقاً.

فعلى الرغم من الدور الكبير، الذي قامت به الدولة العثمانية لإنهاء الأزمة بين إطراف النزاع، بسيطرتها على الموقف، ومنع المواجهة بينهم، إلا أن ذلك لم يسفر إلا عن تغيير موقعها وتأجيل موعدها لبضعة أشهر، ليبدأ خلالها الطرفان الاستعداد لمرحلة جديدة يكون فيها اللقاء الحاسم. فبعد عودة الشيخ مبارك إلى الكويت في نهاية شهر رجب ١٣١٨هـ/نوفمبر ١٩٠٠ وقرر القضاء على الأمير عبدالعزيز الرشيد حليف خصمه الشيخ يوسف آل إبراهيم، ولذلك بادر بتسديد الضربة النهائية له في عقر داره، لشعوره بالخطر في كل لحظة[٢].

ومثلما حصل، عاد طرفا النزاع التوجه إلى القوى الإقليمية والجماعات القبلية في المنطقة، لجمع أكبر عدد من الحلفاء والمناصرين بكل الوسائل المتاحة.

---

(١) القناعي، مصدر سابق، ص٣٠.

(٢) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦١؛ ارمستروا، مرجع سابق، ص ٥٣

وبطبيعة الحال، أثرت العلاقات التاريخية تأثيراً مهماً في توجيه مواقف القوى الإقليمية والقبلية من هذا النزاع. وكان الشيخ مبارك حريصاً على جمع أكبر عدد من الحلفاء، فهو يدرك بأنه لا يملك قوة عسكرية كبيرة تحميه. فأهل الكويت، من عصبته، لا يميلون للمواجهة، لأنهم أهل تجارة ولا شأن لهم بالحروب، وكان أكثر الذين اشتركوا معه من أهل الكويت في معارك سابقة مكرهين[١].

فلأجل المواجهة الكبرى في الصريف قام الشيخ مبارك بعملية تشبه التجنيد الإجباري، وأمر رجاله وأشهرهم عبد الله الهاجري بالطواف داخل بلدة الكويت لجمع المقاتلين لحملته المزمعة. وخلال هذه العملية ضمت الحملة في صفوفها عدداً من المجندين من أتباع الشيخ يوسف آل إبراهيم، الذين فضلوا المشاركة في الحملة على الكشف عن تبعيتهم[٢]. إلى جانب ذلك دعا الشيخ مبارك أنصاره للإيفاء بالتزاماتهم المالية في هذه المهمة. كذلك لبى أهالي نجد، من اللاجئين في الكويت، النداء وعلى رأسهم الأمام عبد الرحمن آل سعود وابنه الأمير عبد العزيز[٣]، وصالح بن حسن آل مهنا ابن أمير برَيدة السابق[٤] وآل سليم أمراء عنيزة.

أظهر أهالي نجد عزماً وأقداماً لدعم الشيخ مبارك، والرفع من همته وتصميمه للإسراع في تنفيذ هذه الخطوة[٥]. وركز الإمام عبد الرحمن على

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٦٣؛ ارمسترا، مرجع سابق ص ٥٣؛ ، الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٧

(٢) يذكر عبدالله الحاتم بأن عبدالله الهاجري أثناء جمعه للمقاتلين شاهد بلال أحد عبيد الشيخ يوسف آل إبراهيم عند الساحل وهو يحاول السفر للهروب من الكويت فقبض عليه ولما سائله عن اسمه خاف أن يبوح بهويته وفضل المشاركة على الكشف عن هويته (الحاتم مرجع سابق ص ٢٥٧)

(٣) حسني، مصدر سابق، ص١٤٤؛ ، ارمسترونج، مرجع سابق، ص ٥٠؛ العثيمين، تارخ المملكة...، مرجع سابق، ٢/ ٣٨

(٤) صالح بن حسن المهنا: توفي والده حسن بسجنه في حائل وهرب أبنائه صالح وأخوته من سجن حائل ووصلوا إلى بلاد الشام وهناك التقوا بأهالي القصيم الفارين من نجد إلى بلاد الشام واتجه من الشام إلى الكويت سنة ١٣١٨هـ وبدأ صالح ال مهنا يحرض ابن صباح لمهاجمة ابن رشيد.
(الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ حسني، مصدر سابق، ص ١٤٤)

(٥) حسني، المصدر نفسه، ص ١٤٤؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق، ١/ ٧٦؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٦٩٦؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣١٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٠
Bidwell, A.k. Voll. Part 111. P24, Fredrick Anscombe,, op, cit, p 172

موقف أهالي نجد المؤيد عبر مراسلاتهم، بعد ما أدركوا أن حكامهم الشرعيين آل سعود بدءوا في التحرك لاستعادة ملكهم بغارات الإمام عبد الرحمن على نجد، وأظهروا لمبارك رسائل الدعم في حالة قدوم قواتهم لنجد[١].

ومن جانبه اتصل الشيخ مبارك بحليفه السابق سعدون شيخ المنتفق، طالباً منه الانضمام لهذا التحالف الجديد، ولم يتوان الأخير عن تلبية النداء[٢]. وعبثاً حاولت إمارة آل الرشيد إبعاد السعدون عن الإنظمام لجانب مبارك، وأخذ جانب الحياد، عندما رفض السعدون طلبها صراحة[٣]. وكان الأمر يتعلق بفرصة الأخير لرد الاعتبار لنفسه بعد هزيمته على يد ابن الرشيد، وفي عقر داره في أراضي المنتفق. سار ابن السعدون بقواته مع قبائله، وحلفائه من قبيلة الظفير، إلى جهة الكويت ملتحقاً بقوات الشيخ مبارك المرابطة في الجهراء غربي الكويت[٤].

ومن جانب آخر قام مبارك بالاتصال بحليفه، وصديقه الحميم، الشيخ خزعل شيخ المحمرة، والذي بارك هذه الخطوة بدوره، وقام بتقديم دعم مادي تمثل في إرساله مدفعين رشاشين[٥]. كذلك اتصل الشيخ مبارك بقبيلة العجمان التي تربطها به علاقات قديمة، توجها بالزواج من ابنة شيخ العجمان سعيدان بن حثلين[٦].إضافة إلى علاقة هذه القبيلة بالشيخ مبارك كانت تربطه علاقات جيدة مع حليفه الإمام عبد الرحمن بن سعود[٧]، وعلى النقيض من ذلك كانت للقبيلة عداوة مع إمارة آل رشيد، منذ عهد الأمير محمد بن الرشيد

---

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٨؛ الزركلي، شبه الجزيرة...، مصدر سابق ١/ ٧٦؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٦٩٦؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣١٦؛ الخترش، مرجع سابق ص ٢٥٦

Bidwell,A.K.Vol1.Part111,P24, Fredrick Anscombe, oP, cit, P 172

(٢) النبهاني، مصدر سابق، ص ٤٤٦؛ الفرحان، مرجع سابق، ص ٧١

(٣) أرسل الأمير عبدالعزيز بن رشيد سالم بن حمود العبيد الرشيد كموفد للتفاوض مع سعدون في هذه المهمة. (خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤١؛ Bidwell, A.K.Vol1. Part 111.P).

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٨؛ خزعل، المرجع السابق، ٢/ ٤١؛ ويذكر بدويل بأنه التقى به في منطقة الحفر (Bidwell. AK.Vol1. Part 111. PP 12-13).

(٥) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٢

(٦) Al Ghanim, oP, cit, P 63

(٧) الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ ابن حثلين، مرجع سابق، ص ٧٥؛ Bidwell, A.K. Vol1, Part 111. P12

١٢٨٥ – ١٣١٥هـ/ ١٨٦٩ – ١٨٩٧[١]. ولتقوية حلفه استغل الشيخ مبارك علاقاته الودية بقبيلة مطير، ليصبح شيخها سلطان بن فيصل الدويش من كبار القاده، فأطلق عليه حسن بن محمد الحجي لقب وزير مبارك في هذه الحملة[٢] كما توج الشيخ مبارك هذه الخطوه بزواجه من ابنة سلطان الدويش، أثناء زحفه لملاقاة ابن رشيد في نجد[٣]. وعلى النقيض من ذلك كانت هذه القبيلة تكن العداء لابن الرشيد فوجدت في هذه الحملة فرصة للنيل منه[٤].

واستفاد الشيخ مبارك أيضاً من نقمة الشيخ مطلق الدبدب، شيخ عشائر عنزة، على أمير نجد، فوجد الشيخ الدبدب بهذا التحالف فرصة للثأر من إمارة الرشيد، التي قامت بالهجوم على قبيلته في بداية حكم الأمير عبدالعزيز الرشيد[٥]. إلى جانب ذلك وظف الشيخ مبارك سوق الكويت لتوسيع عدد حلفائه، وهي من أهم الأسواق العربية في المنطقة، والتي تعتمد عليها أكثر القبائل القاطنة بين نجد والكويت[٦] للتزود منها بجميع احتياجاتهم، ومنها الأسلحة الإنجليزية، مثل بنادق المار تيني – هنري. فغدا سوق الكويت منذ استيلاء الشيخ مبارك على السلطة ١٣١٣هـ/١٨٩٦، نشطاً في تجارة الأسلحة بمباركة وتأييد الإنجليز[٧]. فأخذت هذه التجارة تدر دخلاً كبيراً انعش قدرة

---

(١) ابن حثلين، مرجع سابق ص ٧٤ – ٧٥؛ قام الأمير محمد بن رشيد بغزو قبيلة العجمان في جهات الكويت وحقق غنائم عديدة منهم في سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م فكانت بداية العلاقات العدائية مع أمارة الرشيد (العبيد، مصدر سابق، ورقة ٣١)

(٢) الحجي، مصدر سابق، ص ١٥

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ ويذكر بدويل انه تزوجها عند وصوله الرياض. (Bidwell, A.K.Vol1. Part?. PP 27-28)

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص ١٩٠؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ لوريمر، مصدر سابق، ١٥٤١/٣

(٥) تقطن قبيلة عنزة في شمال الجزيرة وهاجم الأمير عبد العزيزالرشيد هذه القبيلة وتمكن من هزيمتها وقتل منهم بحدود ٧٣ رجلا وسلب منهم غنائم كثيرة وكانت هذه أول هجمة لأمارة الرشيد في عهده (العبيد، مصدر سابق، ورقة رقم ٤١؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١١٨)

(٦) لوريمر، المصدر السابق ٦/ ٣٧٣٤؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٢٩
Fredrick Anscombe,, oP, cit, P 173,

(٧) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٦/ ٣٧٣٤؛ جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣١٥

الشيخ مبارك المالية[(١)]. فأضحى متمكناً من تمويل حملته التي تعد من أكبر الحملات في ذلك العصر على مستوى المنطقة[(٢)].

بهذه الجهود والأمكانيات استطاع الشيخ مبارك إضافة حلفاءً جدد من قبائل المنطقة، التي نشأت لها مصالح معه فانضمت نتيجة لذلك قبائل أخرى مثل: عتيبة، والمرة، وسبيع، والسهول[(٣)]، إلى جانب: العجمان، والمنتفق، والمطير، والظفير. مع القوة المكونة من أهالي الكويت[(٤)] والقبائل التابعة من عريب دار، والعوازم، وأهالي نجد اللاجئين، فعسكرت هذه الجموع في الجهراء غربي الكويت[(٥)] حيث تجمع لديه عشرة آلاف مقاتل[(٦)] فبدأ الشيخ مبارك تحركه وزحف بهم مزهوا بعددهم وعدتهم[(٧)]. وجعل ابنه الشيخ جابر نائباً عنه لإدارة شؤون الكويت[(٨)].

أما جانب ابن الرشيد فعلى النقيض من استعداد جبهة الشيخ مبارك الهائل. فقد تكون جيشه من قبيلة شمر "مرتكز قوته في حائل"، بالإضافة إلى قبائل المنطقة: قبيلة حرب، والرشايده. كما شاركت مجموعة من قبيلة

---

(١) لوريمر، المصدر السابق، ٦/ ٣٧٣٤؛ جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٩

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٨

(٣) جمال قاسم، المرجع السابق ٢/ ٣٢٩

(٤) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق ص ١٦١؛ وقد ذكر بن هذلول بأنها ١٢٠٠ مقاتل؛ وذكر لوريمر وأبو حاكمة بأنهم ١٠٠٠ مقاتل؛ وذكر بدويل وسلطان القاسمي بأنهم ١٠٠٠٠ مقاتل (بن هذلول، مرجع سابق ص ٥٤؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٩؛ أبو حاكمة، مرجع سابق ص ٣١٢؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٤٠؛ Bidwell.a.k.Vol1.Part 111.P15

(٥) الذكير، مصدر سابق ص ١٤٨؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤١.

(٦) كورشون، السعوديون...، مرجع سابق ص ٢٥٧؛ الذكير، مصدر سابق ص ١٤٨؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١١٨؛ المختار، مرجع سابق ٢/ ٢٦؛ ارمسترونج، مرجع سابق ص ٥٥؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٠؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣١٦؛ وذكر آخرون أعداد أكبر من هذا الرقم ومنهم قول سليمان الدخيل بأن عدد حملة مبارك ثلاثين ألف مقاتل؛ أما بدويل فقد ذكر بأن عدد الحملة ٦٤٠٠٠ مقاتل؛ وذكر سلطان القاسمي بأن مجموع قوات مبارك تصل إلى ٥٩ ٠٠٠ مقاتل.؛ وذكر بوندا ريفسكي أن مجموعة قوات مبارك تصل إلى ٤٥٠٠٠ مقاتل (الدخيل، القول السديد، مصدر سابق ص١٥١؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٨٣؛ Bidwell.A.K.Vol1.Part111.P15

(٧) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٣٨

(٨) خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٢؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٣٠؛ بوندا ريفسكي، مرجع سابق، ص ١٧٥؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدرسابق، ص ١١٧

قحطان وأهالي نجد[١]. كما قام الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم بالاتصال بحليفهم شيخ قطر الشيخ جاسم آل ثاني، ليقوم بالتزامه، فأكد الشيخ جاسم استمرار تحالفه، وفتح أسواقه لكل ما تطلب من احتياجات[٢]. إلا أن مبعوث ابن الرشيد إلى الشيخ آل ثاني وقع في أسر الشيخ مبارك، وهو يحمل رساله، يطلب منه الانضمام لقواته المحاربة القوات القادمة للكويت[٣].

كذلك دعا الأمير عبد العزيز الرشيد أهالي الزبير وشيخهم خالد باشا العون[٤]، للانضمام إلى حلفه، علماً أن الشيخ العون وأهالي الزبير كانوا من أشد المؤيدين لإمارة الرشيد والشيخ يوسف طوال فترة النزاع[٥]. وتلبية لنداء ابن الرشيد انضمت مجموعة من قبائل شمر، في العراق، بدافع الحمية[٦]. وانضم له قسم صغير من قبيلة الرولة بقيادة الشيخ فهد بن شعلان[٧]. كانوا في زيارة لحائل. ومشاركة الشيخ يوسف، ومبارك العذبي الصباح، وأبناء الشيخين محمد وجراح ومنهم الشيخ خالد بن محمد بعد أن

---

(١) الحجي، مصدر سابق، ص ١٤؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٥؛ الزعارير، مرجع سابق، ص ٩٠؛ الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٦٨؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص ٢٤٣؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٥ – ٤٨

(٢) الأرشيف العثماني، يلدز متنوع Y.MTV رقم ١٢٠/ ٢٣١ بتاريخ ١٤ يونيو ١٣١٨ رومي؛ بوندا ريفسكي، مرجع سابق، ص ١٨٢؛ Saldanha, oP, cit, P, 44.

(٣) القاسمي، مرجع سابق ص١٣٠؛ Bidwell, A.K Vol1.Part 11. PP27-15

(٤) هو خالد بن عبداللطيف العون ويرجع نسبه إلى عشيرة الحسنة من قبيلة عنزة، ويرجع منبت أسرته إلى بلدة حريملاء بنجد وهاجروا منها مع من هاجرمن أهالي تلك المنطقة أيام توحيد الدولة السعودية أواخر القرن الثاني عشر الهجري/بداية القرن السابع عشرالميلادي، واستقروا بالزبير عام ١١٩٦هـ، وحكم خالد باشا الزبير أواخر سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٧م بعد عبدالله الراشد، وقد وطد العلاقات بين الزبير وعرب البادية وكان حازما بمشيخته، وعمل على تقوية علاقته بأمارة الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم، وقد اغتيل في شوال ١٣٢٥هـ (انظر الصانع، مرجع سابق ١/ ١٠٠ – ١٠٢ – ١٠٤)

(٥) الأرشيف العثماني، يلدز متنوع Y.MTV رقم ١٤٢/ ١٦٣ بتاريخ٢٣صفر ١٣١٥هجري؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق٣/ ١٥٤٨؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٨٥؛ الحاتم، مرجع سابق ص ٢٨١

(٦) حسني، مصدر سابق ص ١٤٥؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٦

(٧) خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٧

التحقوا بها من الزبير، منضمين لصفوف قوات ابن الرشيد، وبمعيتهم بعض أنصارهم من الكويتيين[١]. فبلغت قوات ابن رشيد ٣٠٠٠ مقاتل[٢]. وكانت خطته تعتمد على التكتم والسرية خلال تلك الاستعدادات والتحركات وفي الوقت نفسه كان متابعاً سير حملة المهاجمين ومراقبتها.

أثناء سير الحملة في بلاد نجد بدأ الشيخ مبارك بشن حملة تمهيدية، لإظهار تفوق العدد والعدة بتطبيق أهداف الحملة المرتقبة للقضاء على ابن رشيد وإعادة الحكام الشرعيين لنجد. فطالب أهالي نجد، من خلال رسله، بالثورة ضد حكام حائل والانضمام لحملته[٣]. وفعلاً لاقت هذه المطالب مؤيدين كثر من أهالي نجد، وخصوصاً من أهالي القصيم، الذين انضموا للحملة عند اقترابها من مناطقهم[٤]. وبدأ عدد من علمائهم، وفي مقدمتهم الشيخ محمد السليم، بتحريض أهالي نجد للثورة ضد ابن الرشيد، والانضمام لقوة المهاجمة.

أخذت نداءات الشيخ السليم طابعاً دينياً، حيث اعتبر المشاركة إلى جانب قوات ابن صباح وحلفائه جهاداً ضد قوات ابن الرشيد، الذين اعتبرهم برأيه مشركين[٥]. إلا أن عدداً آخر من العلماء رفض هذا التوجه، وطلب من الأهالي المحافظة على ولائهم لحكامهم والبقاء على بيعتهم للأمير عبد العزيز الرشيد،

---

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٣١؛ الشملان، المرجع السابق، ص ١٤٥؛ الحاتم، مرجع سابق، ص ٢٥٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ١٣١؛ Bidwell.A.K.Vol1.Part.PP 29-67-68

(٢) وذكر سليمان الدخيل بأن عدد قوات ابن رشيد بحدود اثني عشر ألف مقاتل، أما سلطان القاسمي فذهب إلى أبعد من ذلك بقوله عن قوات ابن رشيد (التي تبلغ ضعف عدد قوة جيش مبارك)، وذكر أن جيش مبارك يبلغ لوحده "١٠٠٠٠" من أهالي الكويت، من إجمالي عدد الحملة البالغ "٥٩٠٠٠" مقاتل، أي ما يعني بأن جيش ابن رشيد يبلغ بحدود "٢٠٠٠٠" مقاتل وهو نفس الرقم الذي ذكره بوندار يفسكي، وهذا الرقم باعتقادي أنه بعيد عن الواقع.
(الدخيل، القول السديد...، مصدر سابق ص١٥٣؛ القاسمي، مرجع سابق ص ١٢٩؛ بوندار يفسكي، مرجع سابق ص ١٨٣)

(٣) الحجي، مصدر سابق ص ١٢؛ الريحاني، تاريخ نجد مصدر سابق ص ١١٨؛ ارمسترونج، مرجع سابق ص ٥٥؛ Bidwell.A.K.Vol1.Part 111.P24

(٤) موزل، مصدر سابق ص ٥٧٥؛ ارمسترونج، المرجع السابق ص ٥٥؛
Bidwell.A.KVol1.Part 111.PP 27 -28

(٥) وكان يركز بخطابه على الآية الكريمة التي نزلت لمقاتلة المشركين "أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم" الآية (العبيد، مصدر سابق، ورقة ٤١)

وقرروا مقاومة هذه الحملة. وهم من أمثال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ(١). كما التزم بهذا النهج، من علماء القصيم، الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام وآخرون(٢)، من الذين قاموا بمراسلة الأمير عبد العزيز الرشيد يخبرونه بالتطورات الجديدة، ويحثونه على مقاومة الغزاة(٣).

بعد وصول حملة الشيخ مبارك إلى موقع الشوكي في العرمة(٤)، بارحَ الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بقوة صغيرة الحملة، متجهاً لاسترداد الرياض(٥). بينما سارت الجموع باتجاه القصيم وعند اقترابها من بلدتي برَيدة وعنيزة استقبلها أكثر الأهالي بالتأييد والترحاب، وفتحوا أبواب البلدتين، فدخلت قوات مبارك وحلفائه بريَّده وعنيزه بسلام، مؤيدة من أغلب أهالي البلدتين(٦). فأرسل الشيخ مبارك إلى ابنه جابر في الكويت يخبره بانتصاراته، وما حققته الحملة من نجاح بدخولها القصيم. وبين في رسالته بأنه عين على شؤون بريَّده ناصر بن حسن المهنا أخ صالح المهنا. بينما أسند

---

(١) الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ال الشيخ: من كبار علماء الجزيرة العربية في عصره، ويذكر المؤرخ محمد علي العبيد بأن الشيخ عبدالله عمدة الرياض في عهد الأمير عبدالعزيز الرشيد. وقد أثنى الشاعر وكاتب الأمير عبدالعزيز الرشيد – محمد حسن الحجي – على موقف الشيخ عبد الله ال الشيخ من هذه الحملة بقوله:

وبلاد نجد أرجفت وتحيرت	بوسواس الشيطان والهذيان
إلا أناسا حافظين لعهدهم	ووفائهم والفضل للمنان
كالشيخ عبد الله من حفظ الوفا	فرعى الأمانة واتقى الرحمان

(العبيد، مصدر سابق ورقة ٤١؛ الحجي، مصدر سابق ص ١٢)

(٢) ومن بين العلماء والأهالي الذين أيدوا ابن الرشيد ووقفوا في وجه الحملة الشيخ صالح العمر والشيخ فهد عبدالرحمن البسام والشيخ ضمد البسام والشيخ جاسر وجلهم من أهالي بريدة. (خزعل، مرجع سابق، ٤٨/٢)

(٣) خزعل، مرجع سابق، ٤٨/٢؛ العبد المحسن مرجع سابق ٣٢٠/١

(٤) الشوكي: أحد أودية العرمة الشمالية في منطقة الصمان شرقي الدهناء وينحدر من قمتها مشرقاً ويصب في روضة التنهات (عبدالله بن محمد ابن خميس، معجم اليمامة، – ط ٢ – ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٣٩٨، ٦٣/٢)

(٥) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١١٨؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٨؛ فلبي مصدر سابق، ص ٣٧٣؛ وهناك من المؤرخين من ذكر بأنها منطقة العرمه تحديداً وليس الشوكي (عبدالله البسام، مصدر سابق ص ٣٨٣)

(٦) ابن عيسى، مصدر سابق ص ٩٠؛ العبيد، مصدر سابق ورقة ٤١؛ الحجي، مصدر سابق، ص ٧؛ الريحاني، المصدر السابق ص ١١٩؛ الدخيل، القول السديد، مصدر سابق ص ١٥٣.

شؤون إدارة عنيزة لعبد الله بن زامل أبا الخيل. وطلب من ابنه جابر إرسال إمدادات للحملة في أسرع وقت ممكن[١]. إلا أن رجال ابن رشيد تمكنوا من القبض على هذا الرسول[٢].

بعدها توجهت الحملة لغزو ابن رشيد في عقر داره وإلى عاصمته حائل. أثناء ذلك اكتشفت عيون الشيخ مبارك موقع وجود قوات ابن رشيد بعين ابن فهيد، فقرر اتخاذ الطرفية معسكراً[٣]. وبالمقابل تحركت قوات ابن رشيد واتخذت من ماء الصريف معسكراً لها، على مسافة عدة أميال من معسكر عدوها[٤]ولتقارب المسافة بين المعسكرين أطلق على هذه المعركة اسمين الصريف أو الطرفية[٥]. وفي هذا المكان التحم الجمعان، ودارت بينهما معركة حامية في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨هـ/١٧ مارس ١٩٠١[٦]. وهناك من المؤرخين من أشار خطأ بأنها حدثت في ١٧ ذي القعدة المصادف ٧ مارس من السنة ذاتها[٧].

في صباح ٢٦ ذي القعدة، عندما كان ابن الرشيد ينوي الهجوم في اليوم التالي، حيث لايفصل بين المعسكرين إلا تلال تحجب الرؤيا. إلا أن الشيخ مبارك العذبي الصباح عدو الشيخ مبارك، والذي كان مشهوراً بمهارته العسكرية، وبشخصيته المحاربة، نصح ابن الرشيد أن يبادر في الهجوم حالاً. وحسب رواية أحد المشتركين

---

(١) خزعل، مرجع سابق ٢/٤٥؛ كريم طلال الركابي، التطورات السياسية الداخلية في نجد، تقديم: عبد الله محمد المنيف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٨٦

(٢) خزعل، المرجع نفسه، ٢/٤٥

(٣) الدخيل، المصدر السابق ص ١٥٣؛ ضاري الرشيد، مصدر سابق، ص ١١٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٤٥

(٤) العبيد، مصدر سابق ورقة ٤١؛ ضاري الرشيد، المصدر نفسه ص ١١٧؛ خزعل، المرجع السابق ٢/٤٦

(٥) ضاري الرشيد، مصدر سابق ص ١١٧، ابن عيسى، مصدر سابق ص ١١٦، الذكير، مصدر سابق ص ١٤٩، الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ١١٨؛ النبهاني، مصدرسابق، ص ٤٤٦؛ الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق، ١/٧٦

(٦) الريحاني، المصدر السابق ص ١١٩؛ ابن عيسى، مصدر سابق، ص ٢٠١؛ الحجي، مصدر سابق ص ٩، حسني، مصدر سابق ص ١٤٥؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/٣١٨؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤١؛ أبو حاكمه، مرجع سابق ص ٣١٢
Saldanha, oP, cit, P44, Bidwell, A.K.Vol1.Part 111.PP.44-45

(٧) المختار، مرجع سابق ١/٢٧؛ الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق ١/٧٦؛ وذكر عبدالله البسام أنها وقعت في ٢٧ ذي القعدة ١٣١٨هـ؛ أما سلمان الدخيل فقد اختلف بتاريخه للمعركة بقوله بأنها وقعت في شهر محرم من سنة ١٣١٨هـ (البسام، مصدر سابق ص ٣٨٤، الدخيل، القول السديد، مصدر سابق، ص١٥٤)

في المعركة، وهو إدهام بن مثقال الظفيري، أن الشيخ مبارك العذبي قال لابن الرشيد: "إن مبارك اليوم ما له عز، لأن البارحة تاريخ قتله لإخوانه". كما حذر ابن الرشيد من هجوم العجمان ليلاً إذا لم يبادر في الهجوم. فتم ذلك فنشبت المعركة قُبيل الظهر، حيث هجمت خيالة ابن الرشيد بالرماح فقابلهم حملة البنادق من الجانب الثاني البواردية (أي هدافين). ولما تأكد ابن الرشيد من مواقعهم بدل خطته ليصبح الخيال يحمل رديفاً ببندقية، فأعادوا الكرة حينها اعتقد جيش مبارك بأن المهاجمين كرروا الخطة السابقة نفسها ولكن المهاجمين من جانب بن رشيد أنزلوا الردائف فأصلوهم بنيران البنادق، تسبقهم المسيوقة (الأبل المهاجمة) يقودها ابن الرشيد بنفسه وبعض أفراد أسرته، ومعهم عدد من المقربين، وخلفهم الخيالة والمُشاة. وكان عدد المسيوق أربعين ناقة بيضاء صخرية، لم يُعد منها إلا سبع فقط. ولم يثبت في المعركة، من جيش الشيخ مبارك، إلا الحضر من أهل الكويت، وكانوا راجلين، بينما تراجعت جموع أهل البادية الراكبة، وانتهت المعركة قُبيل العصر من اليوم نفسه بخسارة فادحة للشيخ مبارك وكان يوماً مشهوداً.

أصبح تاريخاً بارزاً، هناك البعض من المؤرخين قد أرخ للحدث بيوم تحرك القوات، بينما أرخ البعض الآخر بيوم إلتحام الجمعين. أما نتيجة المعركة فتتلخص أن الأمير عبد العزيز الرشيد قرر أخذ زمام المبادرة، بمباغتة خصمه على حين غره في منتصف النهار كما اسلفنا. ويذكر القناعي، نقلاً عن أحد آل صباح المشاركين في جيش ابن رشيد، بأن الشيخ مبارك العذبي الصباح هو من أشار على عبد العزيز الرشيد بمفاجأة ومناجزة الخصم. قال له: "إن بتَ هذه الليلة بهذا المحل هجم عليك العجمان لأنهم أهل براعة في هجوم الليل". فقبل مشورته(١). فانطلقت قوات ابن رشيد تسبقها المسيوقة (الإبل)(٢) كدرع

---

(١) القناعي، مصدر سابق، ص ٣١ – ٣٢؛ وأضاف الشملان معتمدا على رواية أحد المشاركين في جيش مبارك وهو دهام بن مثقال الظفيري أن مبارك العذبي أشار على ابن رشيد بعدم تأجيل الحرب للغد وحذره من العجمان سيهاجمونه إذا أمسى المساء وأكد له العذبي على أن مبارك اليوم ماله عز لأن البارحة تاريخ قتله لإخوانه. (الشملان المرجع السابق ص ١٤٣)

(٢) المسيوقة: وتسمى أيضا الصخريات نسبة لقبيلة بني صخر وهي مجموعة من الإبل تدرب على أصوات الأسلحة تساق أمام الجيش عند الهجوم على العدو كدرع واق للمهاجمين حتى يلتحموا بالخصم، وكان يتقدم المسيوقة مجموعة من الفرسان الأشاوس ويحضى القائم عليهامن الفرسان بمكانة ومنزلة اجتماعية عالية وكان في الغالب حظوظه في الرجوع سالما محدودة، وقد كان الأمير محمد الرشيد أول من استخدم المسيوقة كسلاح في أمارة الرشيد. وفي معركة الصريف تنافس =

واق لقواته، تقودها مجموعة من الفرسان حيث تقابلت مع الخصم، ودارت بين الطرفين معركة عظيمة، وصفها أمين الريحاني بأنها من أعظم وقائع العرب الحديثة[١]. انهزم الشيخ مبارك مع مَنْ بقي حياً من رجاله إلى جهة الكويت[٢]. وقد ذكر Whigham عن وضع مبارك ومعاونيه بعد الهزيمة بالقول: "لم ينقذهم من الفناء إلا الإسراع بالهرب، وعدم التوقف لدرجة أن كل ستة من رجال الشيخ مبارك امتطوا جملاً واحداً"[٣]. وكان يوماً دامياً سالت فيه دماء

= مجموعة من الفرسان لنيل شرف قيادة المسيوقة، وحظي بها مجموعة منهم كان على رأسهم الأمير عبدالعزيز الرشيد ومعه مجموعة من كبار قادته وفرسانه أمثال سالم ومهنا ولدي حمود العبيد، وعبد الله السبهان، وقد قتل سالم ومهنا الحمود في أثناء قيادتهم للمسيوقة. ويذكر الدخيل أنهم استخدموا ألف ناقة صخرية في هذا المعركة (الدخيل، مصدر سابق، ص ١٥٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٤٦/٢؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين....، مرجع سابق، ص ٣٥)

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص ١١٩

(٢) فلبي مصدر سابق ص ٣٧٣؛ الدخيل، المصدر السابق، ص ١٥٢؛ لوريمر المصدر السابق ١٦٩٨/٣؛ حسني، المصدر السابق ص ١٤٥؛ ابن عيسى المصدر السابق ص ١١٦؛ الحجي المصدر السابق ص ١٠؛ الذكير، المصدر السابق ص١٤٩؛ مقال بعنوان ((القلاقل في بلاد العرب وانتصارات ابن الرشيد)) جريدة اللواء الخميس ٦ محرم ١٣١٩هـ/ ٢٥ ابريل ١٩٠١م ص ٢، Saldanha, oP, cit, P44

(٣) Whigham oP, cit, P98
ونقل اداموف نص هذه المعلومة من المؤرخ المعاصر وجهام Whigham (اداموف، مصدر سابق ٢٧/٢)؛ ذكر لي الراوية الشيخ عبدالله المنيع – محافظ عفيف السابق – والراوية مفلح عماش العنيزان – نقلا عن والده الشيخ عماش العنيزان أحد المقربين لعبد العزيز بن رشيد والمشاركين بغزوة الصريف – أن الشيخ مبارك بعد هزيمته هرب إلى الزلفي وبعد أن فقد حصانه استجار برجل من أهل الزلفي يدعى – عبيد المجيدل – فأجاره على الرغم من إدراكه لصعوبة الوضع، خاصة وأن رجال ابن رشيد يبحثون عن الفارين من جيش الكويت في كل مكان، وبعد رفض مبارك واجب الضيافة العربي لخوفه من المطاردين – أعطاه ابن مجيدل ذلولا أصيلة مشهورة بالسرعة والتحمل، بجانب أناء "قدر" للطبخ مع عدد من االاغنام – فهرب على الذلول حتى دخل الكويت، فأنقذه ابن مجيدل بعمله البطولي وشهامته العربية، وعلى الرغم من ذلك فان ابن مجيدل كان يدرك خطورة ما أقدم عليه وأن أمره سيكتشفه ابن رشيد، وفعلا استدعاه الأمير عبدالعزيز، وبعد أن وبخه على ما اقترف من عمل متهماً إياه بالخيانة وتأييده للمهاجمين. وبعد محاضرة التوبيخ سأله عن مغزاه وهدفه من العمل؟ فأدرك لحظتها – ابن مجيدل – بأنه مقتول لا محالة فقال وهو مدرك مصيره بأن ما دفعه وراء هذا العمل إنما شيمته ونخوته عند استجارته به، وأضاف أنه لو انقلب الحال وأتاه الأمير عبدالعزيز بن رشيد – وليس مبارك – لقام بنفس العمل. فعفا عنه ابن رشيد لشهامته ونبله.
وقال له ابن رشيد إن من مثلك لا يستحق الموت بسبب فعله. وعند زيارتي للكويت سألت عن هذه الحادثة النبيلة لأبن مجيدل، فأكد لي صحة هذه القصة الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم وسرد لي هذه الحادثة عند سؤالي عنها، ((ولم أجد لهذه الحادثة ذكر في المراجع والمصادر الكويتية التي اطلعت =

كثيرة ولم يسلم حتى الأسرى الذين قتلهم الأمير ابن رشيد صبراً، ولم ينج منهم إلا القليل[١]. وربما كان لطبيعة أرض الصريف، حيث دارت المعركة، أثرها في فناء عدد كبير من جيش مبارك، فقد كانت عملية القبض على الفارين سهلة. كونها أرضاً منبسطة ومكشوفة خالية من أي ملاذ. ويصف دهام بن مثقال الظفيري، الذي شارك في المعركة هزيمة الشيخ مبارك قائلاً: "الفجر هجيّنا ومبارك ترك حصانه من الخوف، ولما فقده قال: لا أحد يرجع له، حيث أخذه رجال ابن الرشيد، والذي يروح يُقتل"[٢]. وبهذا لم ينفق حصان الشيخ مبارك، مثلما ورد في إحدى الروايات، بل تُركَ نتيجة للارتباك والانسحاب المشوش!

بعد هزيمة الشيخ مبارك النكراء اضطر حليفه الأمير عبد العزيز بن سعود إنهاء حصاره لمدينة الرياض، والانسحاب صوب الكويت[٣]. كما انهارت آمال الشيخ مبارك إلى الأبد في بناء دولته الكبرى، على حساب إمارة الرشيد في نجد[٤]. وأظهرت هذه المعركة جبروت الأمير عبد العزيز الرشيد، وأكدت أن قلبه لا يعرف الرحمة، فلم يغفر لأهالي نجد الذين وقفوا مع هذه الحملة،

=

عليها سوى مقولة حسين خزعل أن مبارك عاد إلى الكويت على ظهر ذلول)) وأكد لي الشيخ عبدالله المنيع أن "قدر" ابن مجيدل موجود في متحف الكويت ومكتوب عليه عبارة "قدر عبيد المجيدل يوم أكرم مبارك الصباح " (مقابلة مع الراوية الشيخ عبدالله المنيع - من أعيان الزلفى ومحافظ عفيف السابق بتاريخ ١٤٢٦/٢/١٠هـ؛ مقابلة مع الراوية مفلح عماش العنيزان بمنزله بقرية ضبيعة بمنطقة حائل بتاريخ ١٤٢٥/٨/١٥هـ؛ مقابلة مع الأستاذ يعقوب بن الشيخ يوسف آل إبراهيم بدولة الكويت بتاريخ ١٤٢٦/٢/٢٧هـ؛ خزعل مرجع سابق ٢/٥١).

(١) ذكر بعض المؤرخين قصصاً حول نجاة بعض الأسرى من سيف جلاد ابن رشيد وكان عدد الناجين قليلاً جدا (العبد المحسن مرجع سابق ١/٣١٩ - ٣٢٠؛ القناعي، مصدر سابق، ص٣٣؛ الحاتم، مرجع سابق، ص٢٥٧؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ص١٦٢ - ١٦٣

(٢) الشملان في "تاريخ الكويت" (ص ١٤٤ - ١٤٦. ويذكر الرواية عبد الحميد بن بدر بن خالد باشا العون بقوله: "إن الحصان قدمه ابن الرشيد إلى الشيخ يوسف بن إبراهيم قائلاً: هذا الحصان وإن شاء الله نجيب راعيه (صاحبه). بعدها أهدى الشيخ يوسف الحصان إلى خالد باشا العون، شيخ الزبير، أطلق عليه تسمية، ربما كانت من إحد الأسباب التي أدت إلى اغتيال خالد باشا في ١٤ ذي القعدة ١٣٢٥ في البصرة.

(٣) ابن عيسى، مصدر سابق، ص٩١؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٩؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٤٩؛ العبيد، مصدر سابق، ورقة ٤١

(٤) الرشيد، المصدر السابق ص١٦٦؛ أبو حاكمة، مرجع سابق ص٣١٢؛ العبد المحسن، المرجع السابق ١/٣٢٣؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٥١؛ Rush, AL Sabah, oP, cit, P102

وخصوصاً أهالي القصيم والعارض، فألزمهم بتسديد تكاليف المعركة، بفرض الضرائب عليهم. ومارس التنكيل بأكثر الأشخاص، من الذين وقفوا وساندوا الحملة. وبطبيعة الحال، ولدّ ذلك سخطاً من قبل الأهالي ضده، مما كان له أثر واضح على موقف أهالي نجد من الأحداث القادمة[١]. فالصريف مثلما وصفها الريحاني كانت فريدة في نتائجها وعواملها وتداعياتها. قال: "هي وقعة كان الظافر فيها مغلوباً، وكانت أول خطوة في سقوط ابن الرشيد عبدالعزيز"[٢].

ترجّح لدى الأمير عبد العزيز بن رشيد والشيخ يوسف أن خصمهما قد قُتل في الصريف، بآثار عثروا عليها هناك[٣]، مما عزز الأمل في الاستيلاء على الكويت. لكنهما تريثا في تنفيذ الهجوم، ريثما يعود مبعوثهما بالخبر اليقين عن حقيقة مقتل الشيخ مبارك. ولما عاد المبعوث يحمل خبر سلامته تركا أمر الهجوم إلى وقت آخر[٤]. وقد ظهر أثر القوى الكبرى واضحاً وجلياً من النزاع بعد معركة الصريف، وهذا ما سوف أن نحاول كشفه في الصفحات القادمة من هذا الفصل.

كان للصحف العربية والعالمية اهتماماً واضحاً وكبيراً بهذه المعركة، ومن أبرز الصحف، التي أعطت هذه المعركة حيزاً من الاهتمام، جريدة اللواء المصرية. حيث اعتبرت المعركة انتصاراً للدولة العثمانية والعرب على الإنجليز. وبينت وجهة النظر الأوروبية، والإنجليزية خصوصاً، حول نقلها المشوش لمجريات المعركة. فقالت: "وما كان من أمر الحرب المستعرة بين مبروك – مبارك – شيخ الكويت وابن الرشيد أمير نجد.. ونشدت بعد ذلك الجرائد التي تستقي أخبارها من المصادر الأوروبية أن مبروك – مبارك – تغلب على ابن الرشيد وزحزحه عن بلاده وانتزاعه تاجه..". واعتبرت هذه الجريدة هذا

---

(١) الدخيل، القول السديد، مصدر سابق ص١٥٤؛ الريحاني، المصدر سابق ص١١٩؛ الناصر، مصدر سابق، ص٥١، ؛ الذكير، مصدر سابق ص ١٤٩؛ العبيد الصدر نفسه ورقة ٤٥؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص١٢٥

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٩

(٣) الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٦؛ كورشون، العثمانيون وال سعود، مرجع سابق، ص٢٥٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥٠ – ٥١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٧٦٥؛ سلدانيا، تاريخ الكويت...، مصدر سابق، ص١٨، Bidwell.A.K.Vol1.Part 111 P4

(٤) الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٦؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥١

الانتصار لابن رشيد بأنه قضى على آمال الإنجليز. فعنه قالت: "ولو صح على ذلك الانتصار العظيم، ولا نخاله إلا كذلك. قضي على آمال كبار للإنجليز في تلك الأصقاع..." [١]

أما الصحف الإنجليزية فقد أبدت اهتماماً كبيراً بهذه المعركة، وألقت أغلب هذه الصحف مسؤولية الحرب كاملة على الأمير عبد العزيز بن الرشيد. فجاء في بعض مقالاتها، حسب ما أورده بونداريفسكي: "أن ابن رشيد كان يتظاهر بأنه يعمل لصالح شيخ الكويت المقتول... لقد رفع ابن رشيد السلاح في وجه مبارك انطلاقاً من رغبته في تنحيته عن الحكم، وتنصيب الابن الأكبر للشيخ محله" [٢].

ومما يُذكر حول التحضير لمعركة الصريف أنه حينما كان الشيخ مبارك على مشارف الأراضي النجدية، كان الأمير ابن الرشيد يجمع قواته، ومعداته في البادية العراقية، قُرب السماوة. فاستدرج بهذا التكتيك الشيخ مبارك إلى داخل أراضيه. وكان الأمير ابن الرشيد يخطط لوقوع المعركة في أرض الصريف المنبسطة، فنزل أولاً عند عين ابن فُهيَّد حينما كان الشيخ مبارك في برَيدة، وبقى فيها متربصاً. عندها انتقل الشيخ مبارك إلى الطرفيَّة في ٢٤ ذي القعدة فتحرك ابن الرشيد إلى موقعه المختار، وهو الصريف. وقد كان الميزان العددي، والعُددي لصالح الشيخ مبارك، فكان جيشه أكثر عدداً، وقد بلغ سبعين بيرقاً (راجع تحفة المشتاق لابن بسام، ص٤٤)، وهو ما يُعادل ثلاثين طابوراً، لذا أغرته الكثرة، وباختصار يمكننا أن نصف ذلك بأنه انتصار القابلية على الإمكانية.

لابد هنا من ذكر التسلسل الزمني لتأزم الأحداث فيمكننا إيجازه بالآتي:

- وصول الشيخ يوسف الإبراهيم وأبناء المقتوليَّن إلى حائل في ٢٨ ذي الحجة ١٣١٧/ ٣٠ أبريل ١٩٠٠.
- أعلن الشيخ مبارك النفير العام في الكويت، أغسطس ١٩٠٠. وقُطعت طُرق قوافل التجارة بين الكويت ونجد. وأرتفعت الأسعار بشكل غير مسبوق،

---

(١) جريدة اللواء مقال بعنوان ((القلاقل في جزيرة العرب وانتصارات ابن الرشيد)) مصدر سابق ص ٢

(٢) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٨٦

حتى أصبح سعر كيس الرز في الرياض بخمسة وعشرين ريالاً فرنسياً (دولار ماريا تريزا)، بعد أن كان سعره عشرة ريالات.

- تحرك المجندون الكويتيون من المدينة إلى الصحراء. وانتظموا مع القوات التي قادها مبارك بنفسه، وهي مكونةً من القبائل التالية: مُطَير، والعجمان، والمنتفق، والمُرة، وبني هاجر، وعدد من الضفير، والعوازم، وعرَّيب دار، و٨٠٠ من الراجلين من حضر الكويت. وألتحق بهم من أهالي النجد من اللاجئين في الكويت، وفي مقدمتهم الإمام عبد الرحمن الفيصل السعود، وآل سُليم، وآل مُهنا.
- إرسال قسم من القوات، بقيادة الشيخ حمود بن صباح، أخي مبارك، وسالم بن مبارك، للهجوم على شُمر في موقع الرخيمية، وذلك في جمادي الآخر ١٣١٨/سبتمبر ١٩٠٠.
- هجوم المجموعه نفسها على شُمر قُرب الحفر في ٢ رجب ١٣١٨/أكتوبر ١٩٠٠.
- هجوم ابن الرشيد على سعدون المنصور قُرب تل اللحم، كذلك في رجب ١٣١٨/أكتوبر ١٩٠٠.
- هاجم ابن الرشيد سعدون باشا المنصور في الخميسية، ثم انتقل إلى سوق الشيوخ وأرسل برقية من مركز التلغراف إلى والي البصرة محسن باشا يُطالبه بطرد سعدون من الأراضي العثمانية، واسترجاع الأموال التي نهبها من العشائر الموالية لابن الرشيد. ثم الاعتراف به وحده أميراً على نجد. وإرجاع الحقوق المشروعة لأبناء القتيلين محمد وجراح الصباح، وإن لم يتحقق ذلك فإنه سوف يهاجم الكويت.
- محاولة والي البصرة محسن باشا في تهدأة ابن الرشيد بارسال عفو سلطاني للشيخ يوسف الإبراهيم. وقد أستلم العفو شخصياً عن طريق السيد أحمد النقيب في حائل. كما أرسل السيد طالب النقيب إلى الكويت لاصطحاب الشيخ مبارك إلى البصرة لمقابلة الوالي، الذي طلب تعزيزاً للقوات العثمانية في البصرة بثلاثة طوابير مشاة، وطابورين مدفعية.
- وصل الشيخ مبارك إلى الزبير في ٢٤ رجب ١٣١٨/١٧ نوفمبر ١٩٠٠،

وأقام في قصر النقيب في الرافضية، وهي من ضواحي الزبير. قابل والي البصرة في اليوم التالي، وقد اصطحبه الوالي في عربته إلى البصرة، حيث أرسل رسائل طاعة وتطمين إلى الباب العالي. وصف القنصل البريطاني في البصرة راتسلو قابلية الشيخ مبارك هذه بالقول: "بأنه يركض مع الأرانب ويصيد مع السلق".

- عودة الشيخ مبارك إلى الكويت في ٢٨ رجب من السنة نفسها، الموافق ٢١ نوفمبر. وأرسل المُخبر المحلي البريطاني في الكويت حجي علي غلوم إلى بوشهر في نهاية نوفمبر محملاً برسالة يضع فيها اللائمة في كل ماحدث على الأمير ابن الرشيد والشيخ يوسف الإبراهيم. لكن، المخبر أعلمَ المقيم السياسي كامبل بأن الشيخ مبارك حينما كان في زيارته لوالي البصرة أنه وضع اللوم على سعدون المنصور والإمام عبد الرحمن الفيصل. وقد توقع أنه قدم رشوة للوالي، ولكن هذا لا يمنع أن الوالي قد أبلغ الباب العالي بكل ما يدور. وكان رد كمبول لرسالة مبارك في ١٠ ديسمبر ١٩٠٠ "يحذره من مغبة غزو نجد وأن لا يتوقع حماية بريطانية في حالة عجزه".
- وصول قائد الخيالة في الفيلق السادس في بغداد كاظم باشا، صهر السلطان عبد الحميد، ومعه محامي أبناء القتيلين عبد الله أفندي إلى حائل، ومن هناك أرسل رسالة تحذيرية إلى الشيخ مبارك، طالباً منه العودة إلى بلده، لأن قيامه بمثل هذا العمل هو خروج وتمرد على طاعة السلطان.
- وصول الشيخ مبارك على رأس جيشه إلى نجد في ١٢ فبراير ١٩٠١، وفي ١٧ فبراير ألتحق به سعدون المنصور. وبسبب ما حدث فلم يتمكن أحد في الكويت من الحج في ذلك العام عن طريق البر، وكثفت الحراسة الليلية في المدينة تحوطاً. ومع هذه الظروف الحرجة تزوج الشيخ مبارك بابنة سلطان الدويش.
- استسلمت المدن الرئيسية في القصيم: عنيزة وبَريدة والزلفي، وذلك في ١١مارس ١٩٠١.
- وقعت معركة الصريف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨/١٧ مارس ١٩٠١.

أسباب انتصار ابن الرشيد:

كان لانتصار الأمير عبد العزيز الرشيد في هذه المعركة عوامل عديدة أهمها:

- كانت نواة القوة العسكرية لإمارة آل الرشيد، واعتمادها على رجال المدن والواحات (وكأنها فرض من الخدمة العسكرية)، والعبيد (رجاجيل الشيوخ)، ومجموعة من المحاربين الأتراك والمصريين المستقرين في حائل من السابق. ويعكس هذا الانعطاف نحو استخدام الحضر في القوة العسكرية وتزايد بروز الإمارة لبناء قوة ثابتة متطوعة دائمة، ومستقلة عن العلاقات السياسية والتحالفات القبيلة المتغيرة، وهي لا تدين إلا للأمراء فقط. وكان المتطوعون الحضر متفوقين على أشقائهم البدو في الصمود وفن استخدام الأسلحة في المعارك.

كما كانت المشاركة الفعلية في الحروب لحمولة آل جعفر، ومنها بيت الإمارة الرشيدية، أساس عسكري قوي تلتف حوله العشائر الشمرية المختلفة، وخاصة عبده والأسلم وسنجارة والتومان. فساعدت هذه التشكيلات بتحول تدريجي في إيجاد قوة عسكرية دائمة متخصصة همشت دور البدو لدرجة ما، وزادت من هيمنة حائل وفئتها الحاكمة مع الاحتفاظ بالتلاحم القبلي، وعدم استعداء البدو.

ويُذكر في أواخر التسعينيات من القرن التاسع عشر أن الإمارة كان ترسل مبعوثين على إبل مبرقعة بقماش أسود إلى مضارب العشائر الشمرية في بادية نجد، والعراق، وسورية لاستنهاضها، وكان يُراد باللون الأسود، نقل صورة العار، الذي ستواجهه شمر القبيلة، إذا لم يُهرع لنجدة زعاماتها.

- مهارات الأمير العسكرية، التي اتفق عليها أغلب المؤرخين على أنه رجل حرب، وفارس مميز في أرض المعركة[1]. وقد أظهر في هذه المعركة شجاعة ألهبت حماس جنوده، بعدما صمم على أن يقود المعركة بنفسه، ولا يتقدم عليه أحد.

---

(١) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص ١١٢؛ حسني، مصدر سابق ص ١٤؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٤٦، ؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٤٨

وضرب أثناء المعركة أروع الأمثلة في فنون الشجاعة والأقدام(١). وكان لكلماته وقع السحر على جنوده، الذين استبسلوا أمام قوات أعدائهم(٢).

- السياسة الناجحة التي اتخذها الأمير عبد العزيز الرشيد بتأخير موعد اللقاء مع خصومه، أثناء تقدم قواتهم في بلاده، فكان لتوغل الحملة داخل نجد أثر سلبي على المهاجمين. فتحت الباب لمروجي الشائعات ليتكهنوا بضعف وعجز ابن الرشيد، وهروبه عن المواجهة، مما أوهم خصمه تحقيق الانتصار السهل، فانصرف عن تنظيم جيشه وتدبير أمره(٣). كذلك خدعت هذه السياسة الشيخ مبارك فاستهان بقوة خصمه في مواجهة جيشه الجرار، وتساهل بالرخصة لمن استأذن في التخلف عن مواصلة الزحف بعد دخوله القصيم، حتى انفصل عنه الكثيرون ورجعوا إلى أهليهم. إلى جانب ذلك كانت الجيش المهاجم مرهقاً من الأساس لقطعه كل تلك المسافة(٤).
- كان قتال جند الأمير عبد العزيز الرشيد دفاعاً، عن وطن وعرض ومال. كذلك كان انضمام المؤيدين لأمارته بدافع الحمية، كأفراد قبيلة شمر القادمين من منطقة الجزيرة شمال العراق، تلبية للنداء ونصرة إخوانهم. أو

---

(١) ويصف لنا حسين خزعل تهيأ عبدالعزيز الرشيد قبيل ابتداء المعركة بقوله ((... فاستل سيفه ووضعه على كتفه ثم لبس رداء احمرا واعم بعمامة حمراء حتى يتميز في القتال...) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٦ - ٤٧).

(٢) ذكر المؤرخ سيف الشملان شهادة أحد الكويتيين المشاركين ضمن القوات الكويتية في الصريف بأنه شاهد ابن رشيد يندب أهل لبدة لأنهم ابلوا بلاء حسنا في القتال بقوله من قصيدة:

يا حر قلبي هل اللبدة ... اللي على الموت دلاقي

(الشملان المرجع السابق ص ١٤٧)؛ وذكر لي مجموعة من الرواة في منطقة حائل دور الأمير عبد العزيز بن رشيد بتشجيعه وحثه لجنوده للوثوب على العدو في هذه الموقعة. وحول هذه القصيدة التي أثنى فيها عبد العزيز الرشيد على مقاتليه أكد هؤلاء الرواة على أن صحة البيت كما يلي:

يا حر قلبي ياهل لبده ... يلي على الموت دلاقه

المدح تستاهله عبده ... والأسلم حماية الساقة

(معلومات وضحها لي الراوية خلف بن شريده الحسيني؛ والراوية والإعلامي فواز بن يحيى الغسلان؛ والأستاذ محمد بن رابح الغيثي في شهر - ٥ من عام ١٤٢٥هـ بمنطقة حائل).

(٣) عبدالعزيز الرشيد، المصدر السابق ص ١٦٤؛ الذكير، المصدر السابق، ص ١٤٨؛ الفرحان، مرجع سابق، ص٧١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٤٥؛ وقد وصف مبارك في إحدى رسائله لابنه جابر بعد سيطرته على القصيم حالة خصمه بن رشيد(بأنه هارب من مقابلتنا ومعه عدد من قبيلة شمر الذين هربوا معه) (Bidwell, A.K.Vol1.Part111.PP28-29)

(٤) عبدالعزيز الرشيد، المصدر السابق ص١٦٤؛ الذكير، المصدر السابق، ص١٤٨

كانت مشاركتهم بدافع النخوة والشيمة كأفراد قبيلة الشعلان، الذين حلوا ضيوفاً بالصدفة على ابن رشيد قُبيل المعركة في الصريف، أو ممَنْ كانوا ينتظرون هذه المعركة بفارغ الصبر، كالمعارضين للشيخ مبارك من أهالي الكويت، مثل الشيخ يوسف وأبناء الشيخين القتيلين. وكل هذا كفيل لنشر روح التضحية والاستبسال[(١)]. وعلى العكس من ذلك كان معظم جند مبارك من رجال البادية، الذين دفعهم الطمع في المال للانضمام إلى هذه الحملة، فهم لا يقاتلون عن قناعة، ولا عن عقيدة راسخة تدفعهم لكي يستميتوا في سبيلها. هذا إلى جانب القوة الكويتية، التي كانت مجبرة على الانضمام لهذه الحملة[(٢)] ولم تكن راغبة للحرب.

- كان جيش مبارك مكوناً من مجموعة قبائل متباينة، ومختلفة مع بعضها، مما تسبب في مشاكل داخلية في اثناء الحملة[(٣)]، ومنها ما أوهن عزم المقاتلين. وعلى العكس من ذلك كان أكثر جيش ابن رشيد من قبيلة شمر، وحاضرة حائل، مما ساعد على ترسيخ وحدة الصف[(٤)].

- تميزت قوات ابن رشيد بحسن التنظيم والتدريب المتقن، فهي ذو خبرات واسعة وقدرات كبيرة في تنفيذ خطة قتال محددة، فرضتها عليهم طبيعة المعارك. وقد شهد الملك عبدالعزيز، رحمه الله، على قدرات قوات إمارة الرشيد بقوله: ((إن جنوده – أي ابن رشيد – مدربون على القتال، وهم قديمو العهد في الحروب))[(٥)]. وخلاف ذلك كان جيش مبارك غير منظم

---

(١) الرشيد، المصدر نفسه ص١٦٤؛ قاسم: جمال، مرجع سابق ٢/ ٣٣٠؛ الفرحان، مرجع سابق ص٧١؛ خزعل، مرجع سابق ٢/٤٦ – ٤٧

(٢) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ص ١٦٣ – ١٦٤؛ الشملان، المرجع نفسه ص٢٤٣؛ الفرحان، المرجع نفسه ص٧١؛ الحاتم، مرجع سابق ص٢٥٧

(٣) من المشاكل الداخلية في معسكر مبارك التناحر والتشابك الذي وقع بين قبيلتي المنتفق ومطير وحاولت القبيلتان تصفية حساب الماضي القديم خلال سير الحملة إلى نجد، وكذلك ما كانت تسببه قبيلة العجمان الثائرة ولمتمرده بطبعها ضد أي سلطة ونظام يحاول تقييدها وعلى الرغم من اعتراف هذه القبيلة بولائها للشيخ مبارك.(الذكير، مصدر سابق، ص١٤٩؛ فريز، مرجع سابق ص٢٩؛ قاسم، المرجع نفسه ٢/ ٣٣٠؛ الركابي، مرجع سابق ص١٨٨)

(٤) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص٢٦٨؛ الحجي، مصدر سابق، ص١٤؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٤٥

(٥) الريحاني، المصدر السابق ص٢٦٨؛ وقد ذكر مؤرخ الكويت عبدالعزيز الرشيد عن أسباب الهزيمة =

الصفوف، ولا يمتلك كفاءة حربية[(١)]. بل كان هدف مبارك جمع أكبر عدد من المجندين[(٢)]

- سحب الأمير عبدالعزيز الرشيد خصمه إلى الموقع الذي وجده[(٣)]يتناسب مع إمكانيات قواته، التي تفضل المواقع المفتوحة لسهولة التحرك، لا سيما كان جنوده متمرسين على القتال في مثل هذه البيئة منذ القدم[(٤)].
- تفوق التكتيك العسكري بالاستخدام ابن الرشيد للابل المهاجمه (المسيوقه)، كدرع هجومي واق، حمى قواته من مباغتة ومفاجأة الخصم وتقليل الإصابات، والخسائر بين الرجال[(٥)].
- وتبقى رواية التسليح متفاوتة من مؤرخ إلى آخر، فهناك مَنْ اعتبر التسليح الجيد واحد من أسباب انتصار ابن الرشيد، حيث امتلك الأسلحة الثقيلة، التي كان لها الأثر الايجابي لتفوقه على أعدائه[(٦)]، وهناك مَنْ أثبت أن قوات مبارك الصباح هي الأفضل تسليحاً. وقد ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك بقولهم إن قوات ابن رشيد لم تكن مسلحة بشكل جيد بل أكدوا رداءة التسليح[(٧)].
- إضافة إلى ما تقدم من أسباب انتصار ابن الرشيد أن هناك مَنْ قال بمشاركة قوات عثمانية بقيادة أحمد فيضي إلى جانبه[(٨)].

= قوله ((وإذا أضفنا إلى هذا كله تدريب صغيرهم وكبيرهم على الطعن والضرب منذ نشأتهم وتنظيمهم أيضا تلك الحملة؛ .))، (الرشيد، المصدر السابق، ص١٦٤)

(١) القناعي، مصدر سابق ص٣٢؛ ، الرشيد، المصدر نفسه، ص١٦٤

(٢) عبدالعزيز الرشيد، المصدر السابق، ص١٦٤؛ وذكر الحاتم عن طريقة تشكيل جيش مبارك في هذه الحملة ((بأنه أقر خادمه الشرس عبدالله الهاجري بجمع المقاتلين لحرب الصريف؛ . فكان يقول لمن يقول له لا أعرف الرمي: إذا ما تعرف ترمي هم يعرفون يرمونك))، (الحاتم، مرجع سابق، ص٢٥٧)

(٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٨

(٤) أرسل الملك عبدالعزيز – رحمه الله – رسالة لأبن شعلان ينصحه أثناء حربه مع إمارة الرشيد فيقول ((أنصح لك تتحصن في حصون الجوف؛ و لا تهجم على ابن الرشيد ولا تحاربه في الخارج فأن جنوده مدربون على القتال وهم قديمو العهد في الحروب وجنودك من البادية؛ .فلا يركن إليهم ولا هم في القتال أقران شمر))، (الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص٢٦٨)

(٥) الشملان، المرجع السابق، ص ٢٣٤

(٦) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٠؛ فريز، مرجع سابق ص٢٩؛ الركابي مرجع سابق ص١٨٨

(٧) الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق ص١٤٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٢٩

(٨) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٠؛ الصباح، مرجع سابق ص٩٩

الدورالبريطاني والعثماني

مثلما تقدم، حاولت بريطانيا ثني عزم الشيخ مبارك عن خوض هذا النزاع، ومحاولة إقناعه بعدم غزو نجد، خوفا من إيجاد الدولة العثمانية ذريعة للتدخل الفعلي في شؤون الكويت[١]. لكن الشيخ مبارك صارح حجي علي غلام رضا، الوكيل المحلي الإخباري، بأنه ليس من العقل أن يبقى جالساً مطمئناً في الكويت وعدوه الشيخ يوسف عند ابن رشيد في نجد، يحرضه ويؤلب القوى ضده. وبين أنه ما دام يوسف في نجد لابد له أن يتحرك للقضاء عليه، وعلى مسانديه ليحمي نفسه والكويت من هؤلاء[٢].

وقد اهتمت بريطانيا بمتابعة تطور الأحداث من خلال التقارير، التي يقدمها مخبريها المحليين في المنطقة، والذين حرصوا على تقديم تقارير مفصله لنشاط مبارك واستعداداته وتجهيزاته للحملة، وتحركات الحملة وسيرها إلى نجد. كذلك قدم أولئك المخبرون، بعض الاقتراحات، لإنهاء النزاع، ومنع هجوم مبارك وحلفائه على نجد، بطرق ودية عبر التفاوض مع ابن رشيد عن طريق وكيله في البصرة فهد البسام. مقابل إقناع مبارك في التخلي عن أي هجوم ينوي القيام به. وأوكلت مهمة كبح هذا الهجوم للمقيم البريطاني في بوشهر كمبول[٣].

وحينها طلب الشيخ مبارك من كيمبول، أثناء أعداده للحملة في شعبان ١٣١٨هـ/نوفمبر ١٩٠٠، تقديم المساعدة والعون بتزويده بالأسلحة الثقيلة، عبارة عن مدفعين، يمكن حملهما على ظهور الجمال بهدف الدفاع عن الكويت. لكن، بريطانيا رفضت تقديم الأسلحة بحجة خوفها من استخدامها في حملته المزمعة ضد نجد هذا من جهة، ومن جهة أخرى بينت بريطانيا أنها المسؤولة عن حماية الكويت من أي خطر يحدق بها من الخارج[٤]. غير أن لوريمر يثبت عكس ذلك، ويرى أن السياسة البريطانية كانت وراء دعم مبارك بالأسلحة،

---

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤١؛ جمالقاسم، مرجع سابق ٣٣١؛ القاسمي، مرجع سابق ٢/١٢٧ Bidwell, A.K Vol1, Part111.PP7-8

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٥٤٠ Bidwell, A.K.Vol1, Part 111.P12

(٣) Bidwell, A.K.Vol1.Part 111. PP1-8

(٤) Bidwell, A.K.Vol1.Part 111.P6

وغضها الطرف عن سوق الكويت، الذي أصبح، في هذه الفترة، رائجاً بتجارة الأسلحة، بموافقة ورضا إنجليزي تام[(١)].

ويكشف المتتبع لتاريخ الشيخ مبارك، منذ استيلائه على السلطة في الكويت إلى هذه الفترة، أنه كان يعتمد الإسلوب الدفاعي في سياسته أثناء النزاع الدائر بينه وبين الشيخ يوسف آل إبراهيم، ولم يقم بأي عمل هجومي إلا بعد أن ضمن الحماية البريطانية على الكويت. فبدأ يغير هذه السياسة بأخذه زمام المبادرة، والهجوم الوقائي للقضاء على أعدائه[(٢)].

وقد أبدى الرأي العام العربي، خلال تلك الفترة عبر وسائل الأعلام المحدودة، وجهة نظره حول هذا الحدث، متهماً بريطانيا بأنها وراء قيام هذه المعركة ذلك بتحريضها للشيخ مبارك، ودعمه في هذه الحرب. قالت جريدة "اللواء" المصرية: ((إن الذي يحرض على تلك الثورة، ويذكي نارها يد الدسائس الإنجليزية، التي أصبح شأنها في كل حادث سياسي يقع في الشرق، وعلى ذلك من الدلائل الماضية ما يؤيد المبدأ القائل في كل حادث حصل ابحث عن إنكلترا))[(٣)]. وأكملت الجريدة بكشف وتبيين ردة الفعل الانجليزية لهذه الهزيمة بقولها: "وحسبنا دليلاً على فشل الإنجليز وإحباط مسعاهم ما أوردته جريدة "أجيبسيان غازيت"، لسان حالهم في مصر، بعد أن روت ذلك الخبر بقولها: "إن الهزيمة التي حاقت بمبروك – مبارك – زعيم الكويت يمكن أن تجر الضرر العظيم لمصالحنا الجسيمة على ضفاف الخليج الفارسي – العربي – ولذا يؤمل من حكومة الهند أن تستيقظ لذلك الأمر الجلل قبل كل سلطة بريطانية، وتدبر الوسائل الضرورية لحماية تلك المصالح، الحماية الفعلية بمدينة الكويت"[(٤)].

ومن جانبها رمت الدولة الروسية باللائمة على بريطانيا، وأنها، وراء تلك الأحداث. لكن، برأي مغاير ومعاكس للرأي العربي ذكر المقيم الروسي في بغداد كرغلوف ما مفاده: تسعى بريطانيا لاستغلال الأحداث بدعمها لأنصارها

---

(١) لوريمر، دليل الخليج، مصدر سابق ٦/ ٣٧؛ وأيده في هذا التوجه جمال قاسم (جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٢٩)

(٢) جمال قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٢٩

(٣) جريدة اللواء، القلاقل.. مصدر سابق٢

(٤) جريدة اللواء، القلاقل.. مصدر سابق٢

بالسلاح. والمقصود بالأنصار، كما ذكر كرغلوف، هو الشيخ يوسف آل إبراهيم وأتباعه، عندما حاولت تقديم الأسلحة للأخير عن طريق ميناء قطر[١].

نعم، حصل الشيخ يوسف على الأسلحة، واستلمها وهو في حائل عن طريق ميناء قطر، وهي مرسلة من الهند، إلا أنها ليست من بريطانيا بل من الشيخ عبدالعزيز بن علي آل إبراهيم، مثلما ذكرنا في السابق. وهذا ما أكده أيضاً الشيخ مبارك، وهو يضع خصمه الشيخ يوسف نصب عينيه، لمعرفته بأن مصدر تلك الأسلحة هو عائلته في الهند، التي كانت وراء توفير الامدادات والاحتياجات والمستلزمات لهذه الحرب[٢]. ويرى أداموف، المقيم السياسي الروسي في البصرة والمهتم بأحداث تلك الفترة[٣]، أن لبريطانيا مصلحة في إضعاف الأمير عبد العزيز الرشيد، لذا كانت تشجع أعمال الشيخ مبارك الهجومية عليه بصورة مباشرة، أو غير مباشرة[٤]. وعلى أية حال، جاءت أخبار هزيمة الشيخ مبارك مدوية على الحكومة البريطانية، وهي تحمل معها نبأ إشاعة مقتل الشيخ مبارك في المعركة، ومن ساعتها قررت إرسال المقيم البريطاني في بوشهر للتأكد من صحة النبأ، الذي سيعصف بمعاهدة الحماية البريطانية على الكويت (١٣١٦هـ/ ١٨٩٩)[٥].

وأما موقف الدولة العثمانية، فبعد معرفتها بسير حملة الشيخ مبارك للهجوم على نجد، قامت بإرسال رسالة تحذيرية له، وأمرته بالتخلي عن فكرة الهجوم والعودة إلى دياره. فأعتذر الشيخ مبارك عبر رسالة أرسلها لوالي البصرة محسن باشا عن طريق ابنه جابر في الكويت، متعللا بأنه لن يهدأ له بال وعدوّاه: الأمير عبد العزيز بن الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم يفعلان ما يحلو لهما دون رادع[٦]. وفي الوقت نفسه أمرت الحكومة العثمانية كاظم

---

(١) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٨٢

(٢) رسالة باللغة العربية من مبارك الصباح إلى المقيم البريطاني في بوشهر – كامبل – (نقلا عن كتاب Rush, Records...oP, cit, P171).

(٣) اداموف، مرجع سابق، ٢/ ٢٠٢

(٤) فسيليف، مرجع سابق ١/ ٢٥٠

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٤١؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدر سابق ص١١٨؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٣٣

(٦) القاسمي، مرجع سابق، ص١٢٨؛ Bid will.A.K.Vol1. Part 111. P13

باشا صهر السلطان، وأحد قادة الفيلق السادس ببغداد، بالتوجه إلى بلاد نجد للتفاوض مع ابن الرشيد والشيخ يوسف لإقناعهما بالصلح مع الشيخ مبارك[١]. فكان وصول كاظم باشا إلى معسكر ابن رشيد في موضع عين بن فهيد قبيل المعركة بأيام، واجتمع مع الأمير والشيخ. إلا أن وصول حملة الشيخ مبارك إلى بلاد القصيم كانت كفيلة بإيقاف محاولة للصلح[٢].

وإثناء وجود كاظم باشا هناك قام بعقد عدة اجتماعات مع الشيخ يوسف، وقدم له فرمان العفو السلطاني، والسماح له بالعودة إلى العراق. بل طلب منه مرافقته إلى بغداد. ومن جانبه استبشر الشيخ يوسف كثيراً، لأن ذلك سيفتح قنوات جديدة له لمحاولة إقناع الحكومة العثمانية لتحقيق مبتغاه بالقضاء على الشيخ مبارك. مقدماً الامتنان لكاظم باشا لهذا المنحى الجديد، وأبدى موافقته لمرافقته إلى بغداد[٣].

ومن خلال قراءة الأحداث، لم نجد موقفاً واضحاً للدولة العثمانية تجاه أحد الطرفين. إلا أن محسن باشا والي البصرة، إثناء سير حملة الشيخ مبارك إلى نجد، أرسل قوة إلى الزبير تضم مئة من الخيالة، لاسكات تمرداً. وعند وصولها إلى مشارف المدينة منعها الأهالي من الدخول، ولم تدخل إلا بعد وساطة بعض وجهاء البلدة. كما طلب محسن باشا من خالد باشا العون، وبعض الأعيان الحضور إلى البصرة للتحقيق في ذلك التمرد. وقد وصلت هذه الانباء مسامع الشيخ مبارك، أثناء سير حملته إلى نجد من أحد أصدقائه بالزبير، ونقلها بدوره إلى ابنه جابر في الكويت[٤].

إن اهتمام الشيخ مبارك بشؤون الزبير وأحداثها الداخلية، وحرصه على نقل هذه الأخبار إلى ابنه جابر في الكويت يدعو للاستغراب، خصوصاً إذا ما علمنا أن الزبير مقفلة بالنسبة له وأحدى نقاط الدعم لخصمه الشيخ يوسف، وحليفه ومؤيده الأمير عبد العزيز الرشيد مقر إقامة أبناء القتيلين. فمن المعلوم

---

(١) الذكير، مرجع سابق، ص١٥٠؛ بوندرايفسكي، مرجع سابق، ص١٨١؛ ويذكر حسين حسني أن قدوم كاظم باشا كان بعد معركة الطرفية (حسني، مصدر سابق، ص١٤٦)

(٢) الذكير، مصدر سابق ص١٥٠

(٣) الذكير، المصدر نفسه، ص١٥٠؛ بوندرايفسكي، مرجع سابق، ص١٨١.

(٤) Bid will, A.K.Vol1. Part 111.PP27-28

أنه في الفترة اعتمد الطرفان على جمع الحلفاء والمؤيدين لكسب الجولة. ويبقى تفسير إشاعة والي البصرة لوجود تمرد بالزبير، أنه قام بهذا العمل لمنع الأهالي وشيخهم من المشاركة إلى جانب قوات ابن الرشيد، أو كي لا يعطي خصوم صاحبه الشيخ مبارك فرصة استغلال الزبير مركزاً لضرب الحملة من الخلف، أو ربما كان الأمر من تدبير الشيخ مبارك، حتى لا تستخدم طريقاً لمهاجمة الكويت أثناء غيابه. فدبر هذه المشكلة للزبير عن طريق أصدقائه هناك، ليتخذ منها محسن باشا ذريعة للتدخل.

كما أكد مؤرخون آخرون على الدعم العثماني للأمير عبدالعزيز الرشيد، بتقديم الأسلحة الثقيلة في حربه ضد الشيخ مبارك[١]، ولم يتوقف الدعم على الأسلحة فقط، على حد زعم هؤلاء، بل بالمشاركة الفعلية إلى جانب إمارة نجد بقوة مكونة من أربعمئة مقاتل بقيادة أحمد فيضي باشا. وكان لهذه القوة، على رأي هؤلاء المؤرخين، أثر في رجحان كفة ابن رشيد، مما أدى إلى انتصاره انتصاراً كاسحاً في الصريف[٢].

وفي الوقت الذي لا يستبعد فيه حصول ابن رشيد على أسلحة من قبل السلطات العثمانية، إلا أنه حصل فعلاً على أسلحة من الشيخ يوسف عن طريق ميناء قطر أيضاً، دارت الشكوك حولها أنها من الحكومة البريطانية. وعلى الرغم من كل هذا لكن المصادر أجمعت الى رجحان وأفضلية التسليح لجانب حملة الشيخ مبارك.

أما مقوله الاشتراك الدولة العثمانية الفعلي الى جانب ابن رشيد، فإن المطلع على الموقف العثماني، في هذه الفترة الحرجة وخصوصاً في ما يتعلق بمسألة الكويت، يدرك تماماً أن الدولة العثمانية كانت تسعى لنشر الهدوء والاستقرار في المنطقة، وذلك لعدم إعطاء فرصة للإنجليز، الذين يحاولون الاستفادة من هذا النزاع ليحصلوا على موطئ قدم في الكويت. ولو افترضنا أن الدولة العثمانية قررت دعم ابن رشيد، فلماذا لم ترسل قواتها عن طريق والي البصرة محسن باشا، مع أن تلك القوات كانت على أهبة الاستعداد، كما أن

---

(١) موزل، مصدر سابق، ص٥٧٥؛ زهرة فريث ديكسون، مرجع سابق، ص٢٩؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٣٠، ؛ الركابي، مرجع سابق، ص١٨٨؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٨١.

(٢) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٣٠؛ الصباح، مرجع سابق، ص٩٩

خروج الشيخ مبارك بحملته إلى نجد أوجد فراغًا وفرصة ذهبية للسيطرة الفعلية لاحتلال الكويت مثلاً. وأخيراً لم يستند أصحاب هذا الرأي، إلى مصدر تاريخي يؤكد ما ذهبوا إليه بل كانت مجرد إشاعة حرب نفسية.

موقف مبارك بعد الصريف

بدء الأمير عبد العزيز الرشيد، وحليفه الشيخ يوسف آل إبراهيم، في العمل للاستفادة من هذه الفرصة الثمينة، وعدم تفويتها لتحقيق هدفهما المشترك بالسيطرة على الكويت بعد انكسار الشيخ مبارك، الذي أصبح في وضع سيء نتيجة لهذه الخسارة الفادحة[١]. بدأ الحليفان في رسم الخطوط النهائية للاستيلاء على الكويت، وإزاحة الشيخ مبارك عن السلطة، وكانا على دراية وإدراك تامين بأن هذا الأمر لن يتحقق إلا بكسب موقف إحدى القوتين في المنطقة: بريطانيا والدولة العثمانية.

لذا سعى الأمير عبد العزيز بن رشيد وحليفه إلى كسب موقف الدولة العثمانية الرسمي لصالحهما، وسماحها لهما في المضي لتحقيق مرادهما[٢]. ولهذه الغاية توجه الشيخ يوسف بصحبة كاظم باشا – صهر السلطان – إلى بغداد في بداية ١٣١٩هـ/١٩٠١. واستضافه كاظم باشا في قصره[٣]. ومن هناك بدأ بشن حملته الإعلامية، مستخدماً كل ما أوتي من الطرق، من أجل كسب الموقف العثماني، باذلاً، في سبيل ذلك، الأموال الطائلة[٤]. وركز أمام المسؤولين العثمانيين على تحالف الشيخ مبارك مع الإنجليز، وخيانته للخليفة بصداقته لأعداء الخلافة الإسلامية، وعمله الدءوب لإدخال الكويت في محاور أجنبية[٥].

(١) الذكير، المصدر السابق، ص١٥١؛ ابن هذلول، مرجع سابق، ص٥٧

(٢) الذكير، المصدر نفسه، ص١٥١، العبد المحسن، مرجع سابق، ١/ ٣٢٤؛ ابن هذلول، مرجع سابق، ص٥٧

(٣) الذكير، المصدر السابق، ص١٥١؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٢٧؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ١٩٣

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص١٥١؛ ابن هذلول، مرجع سابق، ص٥٧؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١/ ٢٢٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٩٣

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص١٣٤؛ Bidwell, A.K.Vol1. Part 111. P135

صاحب تلك الجهود رفع أبناء الشيخين، محمد وجراح، الشكاوى للسلطات العثمانية ١٣١٩هـ/١٩٠١ ضد الشيخ مبارك، وطالبوا باسترداد حقوقهم المالية، التي سيطر عليها عمهم الشيخ مبارك بدون وجه حق. كذلك طالبوا باسترداد حقهم الشرعي في الحكم، الذي هو أساس مشروعيتهم[(١)]. ولم يكتف الشيخ يوسف بذلك بل قام بالطلب من أعوانه داخل الكويت رفع شكوى موقعة بأسمائهم، يشرحون الحالة الأمنية السيئة في الكويت، وانتشار الفوضى وعمليات النهب والسلب، لكثرة هجمات القبائل، وضعف الحاكم، وعجزه عن السيطرة على الأمن، والدفاع عنها من تعديات ابن رشيد، مما جعل بعض أهالي الكويت يفرون من الكويت ويستعطفون السلطان عبد الحميد الثاني لإنقاذهم من تردي الوضع، وإرسال قوات عثمانية لتحفظ أهالي الكويت، وإعادة الحالة الأمنية لبلدتهم[(٢)].

لقد لقيت سياسة الشيخ يوسف صدىً ومردوداً كبيرين لدى خاصة السلطان عبد الحميد، فشنوا بدورهم حملة إعلامية شرسة ضد الشيخ مبارك، وكل مَنْ يروج لسياسة الإنجليز[(٣)]. ولم يتأخر كبار موظفي الحكومة العثمانية، في ولايتي بغداد والبصرة، بما فيهم أحمد فيضي قائد الفيلق السادس ببغداد، الذي أغدق عليه الشيخ يوسف بالأموال والهدايا. ومن خلاله تمكن من رشوة كبار موظفي الباب العالي، وعن طريقهم مورست الضغوط على السلطان عبد الحميد الثاني لاتخاذ سياسة حازمة تجاه الشيخ مبارك في مسألة الكويت[(٤)].

---

(١) الذكير، المصدر نفسه، ص١٥١؛ الريحاني تاريخ نجد...، مصدر سابق، ص١٢٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٣٣؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١/ ٣٢٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٩٣

(٢) الأرشيف العثماني، يلدز متفرقة الكتابة الأولى في المابين Y.PYK.PSK.برقم ١٣/ ٥٣٠٤، تاريخ ١٨ رجب ١٣١٩هـ؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٥٣ – ٥٤

(٣) أنظر مجلة اللواء "شكوى إلى أمير المؤمنين"، ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ، مصدر سابق، ص٣١٧ وما بعدها؛ جريدة اللواء "القلاقل في جزيرة العرب" مصدر سابق ٢؛ وقد نشر سلطان القاسمي في كتابه بيان الكويت وثائق لشخصيات عديدة من مناطق مختلفة تحرض السلطان العثماني على الشيخ مبارك لتأييده الإنجليز، وقد بين أن تلك الرسائل أثارت غضب السلطان العثماني من الشيخ مبارك (انظر القاسمي مرجع سابق ص١٦٩ إلى ص١٧٤)

(٤) الأرشيف العثماني، استنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Husبرقم ٦٤/ ٤٢١، تاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ؛ الذكير، مصدر سابق ص١٥١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٢٢٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ص ١٦٩ – ١٧٧؛ قاسم: جمال، مرجع سابق، ٢/ ٢٣٣؛
Bidwell.A.K.Vol1.Part 111.P135,

وأخيراً وجدت هذه التحركات من قبل الشيخ يوسف وأنصاره، وتحركات الأمير عبدالعزيز الرشيد، أثراً واضحاً لدى السلطات العثمانية[١]، خصوصاً إنها كانت متخوفة في البداية من تمادي الأطماع البريطانية في المنطقة، بعد أن أضحت سفنها وبوارجها الحربية ترتاد شواطئ الكويت خلال هذه الفترة، وبشكل مكثف ودائم. وإلى جانب ذلك كانت علاقة مبارك ببريطانيا محط شك وارتياب لدى السلطان عبد الحميد الثاني[٢]. ومما يزيد الاهتمام العثماني درجة في شأن الكويت هو أن السلطان كان يواجه ضغوط مستمرة من قبل حكومتي ألمانيا وروسيا، لأجل إدخالها الكويت تحت السيادة العثمانية المباشرة، وهذا ما يضمن مصالح الدولتين، ويقطع الطريق على الأطماع البريطانية، بعد شيوع أخبار عقد معاهدة حماية بريطانية على الكويت[٣].

كان الموقف الألماني نتيجة لموقف الشيخ مبارك الرافض للتعاون مع ألمانيا، والسماح للبعثة الألمانية باتخاذ أرض كاظمة الكويتية نهاية لخط سكة حديد برلين بغداد[٤]. وإجمالاً، أدت تلك الضغوط إلى تحول الموقف العثماني الرسمي حول مسألة الكويت، خلال النصف الأول من العام ١٣١٩هـ/

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٨؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٥١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٩٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٣٤ Bidwell.A.K.Vol1.Part 111.P135

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus برقم ١٣٢/ ٤٨٤، تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٢هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدزمتفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.BSK.، برقم ١١/ ٣٦٦٤، تاريخ ١/ ٥/ ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء. MV. رقم BB/36 بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق؛ ص١٦٨؛ Fo371/242 مقال مطول في صحيفة التايمز اللندنية بعنوان ادعاء تركيا السيادة على الكويت ٢٨ يناير ١٩١١م.

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus، رقم ٨٨/ ٤٠٢، بتاريخ ٤ رمضان ١٤١٧هـ؛ عبدالعزيز الرشيد مصدر سابق ص١٦٩؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٢٢٥؛ الدوسري، مرجع سابق، ص١٣٥؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٣٧ – ١٥٣٨؛ فرج الله، مرجع سابق ص١٣٨؛ ارمستروا، مرجع سابق، ص٥٢؛ الاسدي، مرجع سابق، ص٢٢٦ (Fo37/1242) مقال طويل في صحيفة التايمز اللندنية يتحدث حول ادعاءات تركيا بالسيادة على الكويت بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩١١م

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.Hus برقم ٨٨/ ٤٠٢، بتاريخ ٤ رمضان ١٤١٧هـ؛ (Fo371/242) مقال طويل في صحيفة التايمز اللندنية يتحدث حول ادعاءات تركيا بالسيادة على الكويت بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩١١م؛ عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٦٩؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص٢٢٥؛ الدوسري، مرجع سابق ص١٣٥؛ لوريمر، دليل الخليج =

١٩٠١، عندها قررت السلطات العثمانية إنهاء هذه المسألة بالتراجع عن سياسة محسن باشا والي البصرة، التي تبناها الموقف العثماني الرسمي منذ أواخر عام ١٣١٧هـ/١٩٠٠، لتتخذ سياسة حازمة لفرض السيادة المباشرة على الكويت[١]. ومن إجراءاتها في هذا المجال، تكليف مشير الفيلق السادس أحمد فيضي بمهمة تقوية نفوذ الدولة في الكويت، وإدخالها تحت السلطة العثمانية المباشرة عسكرياً[٢].

لم يتردد أحمد فيضي، صاحب هذا التوجه نحو الكويت بتأثير الشيخ يوسف، في السعي لتنفيذ تلك المهمة، فقرر إرسال قوة من الفيلق السادس مكونة من ثمانية طوابير، بقيادة محمد باشا فاضل الداغستاني، الذي سار بقواته إلى ولاية البصرة[٣] بداية ١٣١٩هـ/منتصف ١٩٠١. وتزامناً مع هذا التحرك تم الاتصال بالأمير عبدالعزيز الرشيد الموجود في منطقة الحفر، فأوضح له أحمد فيضي باشا من خلال مبعوثه خطة الهجوم على الكويت، وإدخالها تحت السيادة العثمانية المباشرة[٤]. وسرعان ما أبدى الأمير عبدالعزيز التزامه بتنفيذ المهام المناطة به، وبدأ يعد العدة من موقعه بانتظار أوامر الهجوم على الكويت[٥].

غير أن محسن باشا والي البصرة أخذ يسعى لإحباط هذه الخطة، مبيناً عواقبها الوخيمة على المنطقة، ومحذراً من ردة فعل القوى العظمى ذات

= التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٣٧ - ١٥٣٨؛ فرج الله، مرجع سابق، ص١٣٨؛ ارمسترونا، مرجع سابق ص٥٢؛ الاسدي، مرجع سابق ص٢٢٦، (Fo37/1242)

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني .Y.PRK.BSK برقم١١/٣٦٧٤، بتاريخ ١/٥/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول ي.أخص .A.MKT.NZD برقم ٨٩/٤٢٦ بتاريخ ١٨/١٢/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلديز متفرقة الكتابة الأولى في المابين Y.PRK, BSK، رقم ١١/٣٦٧٤، تاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٣١٩هـ؛ Fo37/149 D11-12-1905

(٢) الذكير، مصدر سابق، ص١٥٠؛ عبدالعزيزالرشيد، مصدر سابق، ص؛ ١٦٧
Fredrick Anscombe,, oP, cit, P176

(٣) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص١٦٧، الذكير، المصدر نفسه، ص١٥٠؛
Bidwell.A.K.Vol1.Part 111.P 135. Fo371/149-D11-12-1905.

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص١٥٠، القاسمي، مرجع سابق، ص ١٨٠، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٩٢، الثنيان، مرجع سابق، ص١٩

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص ١٨٠؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٩٢؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/٣٣٣؛ الثنيان، مرجع سابق، ص٢١

المصالح بالمنطقة، خصوصاً بريطانيا، التي لن ترضى بتغيير الوضع الراهن. ومن جانب آخر، أخذ محسن باشا بتوضيح موقف الكويت وحاكمها والرافضين للهيمنة العثمانية المباشرة، وأن مثل هذا العمل سيجعل شيخ الكويت يرمي بنفسه في أحضان الأجانب[١]. وقد دافع عن الشيخ مبارك مؤكداً تفانيه في خدمة السلطان عبد الحميد الثاني، بدليل أعماله ومواقفه الايجابية مع السلطات العثمانية خلال السنوات الماضية. وأن كل ما يقال حول الشيخ مبارك ما هو إلا مجرد افتراءات يحيكها أعداؤه[٢].

وأضاف والي البصرة محسن باشا في تحذيراته، من أي عمل عسكري ضد الكويت، بأن مثل هذا الأمر لا يمكن حله إلا بالطرق السلمية، وأنه مستعد للقيام بمثل هذه المهمة، وإنهاء جميع الأمور التي أثيرت حول توجهات مبارك الأخيرة[٣]. وطالب بإيقاف جميع الترتيبات العسكرية من قبل الفيلق السادس، وكذلك الحال بالنسبة لتحرك ابن الرشيد، لأن ذلك سيزيد الوضع سوءاً خصوصاً وأن الشيخ مبارك متخوف من هذه التحركات، مما يجعل امكانية لجوئه للإنجليز أمراً محققاً في ظل هذا الضغط، وتهديد ابن الرشيد من جانب والإغراءات الإنجليزية من جانب آخر[٤]. وبعد أن تعهد محسن باشا بإقناع مبارك بقبول المطالب السلطانية بالطرق الودية[٥]، قررت الدولة العثمانية تكليفه بمهمة اقناع مبارك بقبول السيادة المباشرة للسلطة العثمانية على الكويت سلمياً[٦].

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.BSK، رقم ١٢/ ٣٦٩١، بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ، Bidwell.A.K.Vol1.Part111P81

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، .M.V، رقم BB/36تاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ الخترش، مرجع سابق، ص٦٠، السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ٥٩

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، .M.V، رقم BB/36تاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ؛ الخترش، مرجع سابق، ص٦٠؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٥٩

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، .M.V، رقم BB/36، تاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٥٦/ ٢١٤، تاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، .M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، استنبول، يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٥٦/ ٢١٤، تاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، .M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع Y.MTV، رقم ٥٦/ ٢١٤، تاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي

كان وراء هذا التراجع للسلطة العثمانية أسباب عدة، منها صعوبة نجاح خطة قائد الفيلق السادس أحمد فيضي، التي تحتاج إلى ميزانية خاصة في الوقت الذي تعاني فيه الدولة العثمانية من أزمة مالية شديدة[١]. كما أن هذا المشروع سيدخل الدولة العثمانية في وضع حرج مع القوى الأوروبية، خصوصاً بريطانيا، التي بدأت أساطيلها وسفنها الحربية تجوب مياه شمال الخليج، بعد اكتشافها تحركات الفيلق السادس وتوجهه صوب ولاية البصرة.

وعلى العموم، أدركت السلطة العثمانية بأن خطة فيضي باشا ستجر المنطقة لأمور لا تحمد عقباها[٢]. لذلك كلف السلطان عبدالحميد الثاني والي البصرة بالذهاب إلى الكويت وإنهاء جميع الشكاوى، والمشاكل المتعلقة بالكويت، وما يختص بشأن السيادة[٣]. وهكذا سجل محسن باشا نجاحاً جديداً بإقناعه السلطات العثمانية في حل مسألة الكويت بالطرق السلمية[٤]. وقام بزيارة الكويت في صفر ١٣١٩هـ/مايو ١٩٠١، وعاد بصحبة الشيخ مبارك إلى الفاو، وبتأكيد إخلاص الشيخ للدولة العلية، وتكذيبه للشائعات التي بثها وأذاعها (المفسدون والمزورون) ضده كما أسلفنا[٥].

ومن جانبه بعث الشيخ مبارك برسالة ولاء للسلطان عبد الحميد، وتبديد جميع الشائعات[٦]. ويذكر بعض المؤرخين أن ضباطاً من البحرية البريطانية

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق الكتابة الأولى في المابين Y.PRK.BSK، رقم ١٢/٣٦٩١، تاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ؛ Bidwell.A.K.Vol1.Part111P81

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، .M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٢؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٥٠، كورشون العثمانيون وال سعود، مرجع سابق، ص٢٨٤؛ Fo371/D 11-12-1905

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء، .M.V، رقم BB/36تاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٩٧

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٢؛ الذكير، المصدر نفسه، ص ١٥٠ Fredrick Anscombe, oPcit, P177

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع .Y.MTV برقم ٥٦/٢١٤ وتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧م؛ الذكير مصدر سابق ص١٥٠، الرشيد مصدر سابق ص١٦٧، خزعل مرجع سابق ٢/٥٢ – ٥٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق ص١٢١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/١٥٤٢

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع .Y.MTV برقم ٥٦/٢١٤ وتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧م؛ الذكير مصدر سابق ص١٥٠؛ عبدالعزيزالرشيد مصدر سابق ص١٦٧؛ خزعل، مرجع سابق، =

كانوا حاضرين أثناء زيارة محسن باشا الكويت في ١٩ مايو ١٩٠١م وسوف نأتي على تفاصيل هذا الحادث لاحقاً. كما قامت قطع بحرية بريطانية بمراقبة ومتابعة الشيخ مبارك أثناء ذهابه إلى الفاو[١]. وقد كشف محسن باشا لصديقه الشيخ مبارك قبل عودته إلى الكويت بأن من ضمن الأسباب التي دعت الدولة العثمانية للقيام بهذا الإجراءات هو تقديم مضابط موقعة من بعض أهالي الكويت، بعد حادثة الصريف، يحرضون فيها السلطات العثمانية على الاستيلاء على الكويت. وعندها أدرك الشيخ مبارك بأن عدوه الشيخ يوسف هو من حرض هؤلاء ضده[٢].

وعلى الرغم من الأوضاع المتردية، التي يمر بها الشيخ مبارك جراء الهزيمة وكسب خصومه مؤيدين جداً من موظفي الدولة العثمانية، إلا أنه استطاع أن يخرج نفسه من هذا المأزق بفضل إصرار صديقه محسن باشا والي البصرة لإنقاذه من عمل عسكري عثماني، وتوجيه مسار النزاع لصالحه، وبفضل حنكته، وقدرته على مجاراة أعدائه[٣]. وبالرغم من افتقاده للموقف العثماني المؤيد له بالكامل، فلم يبق لدى مبارك أصدقاء لهم ثقل في الساحة السياسية، وخصوصاً في العراق العثماني، سوى محسن باشا والي البصرة، وموأزرة بعض أشراف البصرة من عائلة النقيب أيما تقتضي الظروف. وعلى أية حال، تمكن في النهاية من كسب الجولة السياسية بالحوز على رضا السلطان عبدالحميد الثاني، بفضل والي البصرة، حتى لو كان بشكل مؤقت، أو على حساب مستقبل الوالي الوظيفي[٤].

ومثلما تقدم، قررت السلطات العثمانية إيقاف جميع التحركات التي رسمها الشيخ يوسف، وتبناها أصدقاؤه من موظفي الدولة العثمانية، كأحمد

= ٢/ ٥٢ - ٥٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدرسابق، ص١٢١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٢

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١٥٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٣٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥٣؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٨

(٢) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥٣ - ٥٤

(٣) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٢٠

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص١٥٠؛ العبد المحسن، مرجع سابق، ١/ ٣٢٤

فيضي باشا وكاظم باشا وغيرهما، واقتنع بها السلطان عبد الحميد، بعد أن هون لهم الشيخ يوسف مهمة السيطرة على الكويت لكثرة مؤيدي أبناء القتيلين فيها.

لقد أصاب هذا الموقف المهزوز والمتراجع للدولة العثمانية الأمير عبد العزيز الرشيد بالإحباط، من جهة حلفائه العثمانيين، الذين طالبوه بالتراجع والعودة إلى بلاده، وأن ينسى أمر الكويت، بعد محاولاته المضنية والشيخ يوسف لكسب الموقف العثماني لجانبها[١]، وتكبدهما الخسائر المالية، وخصوصاً الشيخ يوسف. أحبط الشيخ مبارك كل تلك الجهود برسالة واحدة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، مؤكداً فيها ولاءه لعرشه وللدولة العلية.

وبخطوة لاحقة، بدأ الأمير عبدالعزيز الرشيد في محاولة إقناع الحكومة البريطانية للسماح له بالاستيلاء على الكويت، ذلك بعد يأس من إقناع الحكومة العثمانية[٢]. طالباً من وكيله في البصرة فهد البسام، أثناء تواجده في الحفر ١٣١٩هـ/يونيو ١٩٠١، التفاوض مع المقيم السياسي البريطاني راتسلو Wratislaw لعقد معاهدة حماية بريطانية مع أمارة آل الرشيد، طبقاً لصورة المعاهدة مع مبارك شيخ الكويت. لكن، بشرط عزل الشيخ مبارك وتعيين صباح بن الشيخ محمد الصباح على مشيخة الكويت. وأعلن فهد البسام قدرة ابن الرشيد على تنفيذ هذا الأمر إذا ما سمحت له بريطانيا واتخذت جانب الحياد. مؤكداً عدم الاكتراث بالعثمانيين[٣]. وكذلك طلب تزويده بالسلاح

---

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٧٣٩؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص١٢٥؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص٩؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٥٧؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٢٠٧؛ جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٣٣؛ Kumar, oP, cit, P196

(٢) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٧٣٩؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت مرجع سابق ص١٢٥ الخترش، مرجع سابق ص٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص٩؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق ص٥٧، ؛ بونداريفسكي، مرجع سابق ص ٢٠٧؛ جمال قاسم، مرجع سابق ٢/ ٣٣٣؛ Kumar, oP, cit, P196

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، المصدر السابق ٣/ ١٧٤٠؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ص ١٢٥ – ١٢٦؛ جمال قاسم، المرجع السابق ٢/ ٣٣٤، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص ٢٠٣ – ٢٠٤؛ الخترش، مرجع سابق ص٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ص ٩ – ١٠؛ الزعارير، مرجع سابق، ص١٧٢؛ Kumar, oP, cit, P 196

اللازم، مقابل تعهد أمارة الرشيد بضمان سلامة سكة الحديد المزمع مدها عبر شمال الجزيرة العربية شمال نجد(١).

ومعنى هذا أن ابن رشيد عرف بأمر المعاهدة مع الكويت، على الرغم من سريتها التامة، وحرص الطرفين: بريطانيا والشيخ مبارك على التكتم عليها! ويعتقد أن السفير البريطاني في اسطنبول السير نيكولا أوكونر O'CONOR كشفها تحت وطأة ظروف معينة(٢)، أو أن الأمير عبد العزيز الرشيد قد عرف بأمرها عن طريق حليفه الشيخ يوسف. وما يجعل ترجيح الاحتمال الثاني هو أن تركيز الشيخ يوسف خلال حملته الإعلامية، ضد الشيخ مبارك، على علاقة الأخير المتينة ببريطانيا. وما يشير إلى قوة التحالف بين الأمير ابن الرشيد والشيخ يوسف، أنه إلى جانب طلب التحالف مع بريطانيا عبر معاهدة حماية، ركز ابن الرشيد على خلع مبارك، وتعيين صباح بن محمد حاكماً على الكويت.

يضاف إلى ذلك، أنه أراد اقتران معاهدة الحماية بعلاقات مستقبلية متينة مع الكويت، ليضمن بذلك الاستفادة من الكويت منفذاً بحرياً تعتمد عليه أمارته، وهذا لا يتم في ظل بقاء الشيخ مبارك حاكماً. ومن المحتمل أيضاً أنه أراد الضغط على الحكومة العثمانية، التي تجاهلت طلبه بالسماح له بالهجوم على الكويت، والقضاء على الشيخ مبارك.

أخذ القنصل البريطاني في البصرة طلب معاهدة الحماية مع نجد بجدية، فقام بإجراء اتصالات بلندن، فجاء الرد عبر سالسبوري Salisbury وزير الخارجية البريطاني أنه بالرغم من ترحيبه بصداقة ابن الرشيد، وتفهمه لبواعثه. إلا أنه غير مستعد لأجراء أي تغيير سياسي في الكويت. وصلت هذه الأنباء، على الفور، إلى الأمير عبد العزيز الرشيد(٣)وبعد فشل الأخير في الحصول على الحماية البريطانية غير المقرونة في الإطاحة بالشيخ مبارك، قرر الرجوع إلى حلفائه العثمانيين من جديد، استجابة للضغوط التي مورست عليه

---

(١) لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٧٤٠؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ص ١٢٥ – ١٢٦؛ قاسم، المرجع السابق، ٢/ ٣٣٤، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص ٢٠٣ – ٢٠٤؛ الخترش، مرجع سابق، ص٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص ص ٩ – ١٠؛ الزعارير، مرجع سابق، ص١٧٢؛ Kumar, oP, cit, P 196

(٢) الثنيان، مرجع سابق، ص٢٥

(٣) الخترش، مرجع سابق، ص٥٩؛ الثنيان، مرجع سابق، ص٣٩؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص١٥١؛ بوند اريفسكي، مرجع سابق، ص٢٠٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٤١

من قبلهم للبقاء على ولائه لهم، وثنيه عن الاتفاق مع الإنجليز، بعد علمهم بمفاوضاته معهم[١]. أتت هذه المستجدات سريعاً بعد فشل والي البصرة محسن باشا في مساعيه لصالح الشيخ مبارك، وتخلي الباب العالي عن سياسته السابقة، وشرعوا في النية بمهاجمة الكويت[٢].

سير العثمانيون الطراد زُحاف لهذه المهمة[٣] حاملاً رسالة باسم السلطان عبد الحميد الثاني، في جمادى الأول ١٣١٩هـ/أغسطس ١٩٠١[٤]. وعند اقتراب الطراد من شاطئ الكويت، ظهر الطراد البريطاني برسوس Perseus، الذي كان معداً لهذه المهمة، من قبل المقيم السياسي البريطاني في بوشهر كمبول لغرض حماية وعون الشيخ مبارك عند الضرورة، على شرط أن يظل على التزامه باتفاقية ١٣١٦هـ/١٨٩٩[٥]. حاول قبطان الطراد البريطاني إنذار الطراد العثماني بمغادرة ميناء الكويت، لكن القبطان العثماني لم يكترث لهذا التهديد، وواصل القيام بما عزم عليه. عندها قدم القبطان البريطاني تهديداً صريحاً في حالة إنزال الطراد العثماني جنوداً على أرض الكويت[٦]. ومن جانبه أعلن الشيخ مبارك رفض وجود الطراد العثماني، بتأييد وتحريض من قبل القبطان البريطاني، الذي أمر الطراد العثماني بسرعة

---

(١) الخترش، مرجع سابق ص٦؛ الثنيان، المرجع نفسه ص٤٧؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٥٨

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني .Y.PRK.BSK، رقم ١١/ ٣٦٧٤ بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول ي.أخص .A.MKT.NZD، رقم ٨٩/ ٤٢٦، تاريخ ١٨/ ١٢/ ١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٢

(٣) ولضمان تطبيق هذه السياسة ونجاحها قامت الحكومة العثمانية بإعداد قواتها في العراق بقيادة أحمد فيضي – قائد الفيلق السادس ببغداد – والذي أشرف على إعداد وحشد قواته وتجهيز السفن لنقل الجنود عبر نهر الفرات إلى جهة الكويت، وقد كانت هذه المهمة في ظاهرها للتهديد بالهجوم على الكويت والسيطرة عليها بالقوة العسكرية في حالة رفضه قبول الأوامر السلطانية بفرض السيادة العثمانية المباشرة على الكويت (الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK برقم ١١/ ٣٦٧٤ تاريخ ٢٢/ ٥/ ١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٤٢)

(٤) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني .Y.PRK.BSK، رقم١١/ ٣٦٧٤، تاريخ ٢٢/ ٥/ ١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٢ – ١٥٤٣؛ Fo371/149

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK برقم١١/ ٣٦٧٤ تاريخ ٢٢/ ٥/ ١٣١٩هـ؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/ ١٥٤٢

الخروج من الكويت. موضحاً حرص الحكومة البريطانية على الشيخ مبارك، وهو تحت الحماية البريطانية(١). وما كان من الطراد العثماني إلا مغادرة الميناء مهدداً ومتوعداً الشيخ مبارك(٢). بعدها سبب تصريح قبطان الطراد Perseus بأزمة سياسية دولية في المنطقة، فقدمت الدولة العثمانية احتجاجاً ضد بريطانيا(٣)، وكذلك فعلت ألمانيا وروسيا(٤).

بعد أن علم الأمير عبدالعزيز الرشيد بإرسال الدولة العثمانية قوة عسكرية إلى لكويت، لفرض سيادتها الفعلية عليها، بدأ يعد العدة للهجوم على الكويت والاستيلاء عليها. وقد أوضح خالد السعدون في كتابه "العلاقات الكويتية النجدية" معللاً عودة ابن رشيد للتحرك نحو الكويت بالقول: ((يبدو

---

(١) الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه ٣/١٥٤٢ – ١٥٤٣؛ خزعل مرجع سابق ٢/٥٨ Fo371/149

(٢) لوريمر، المصدر نفسه ٣/١٥٤٣ Fo371/149

(٣) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.BRK.BSK برقم ١٩/ ٧٦١٤ بتاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول. يلدز متفرق همايوني Y.BRK.BSK برقم ١٨/ ٧٤٦٧ بتاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول. يلدز متفرق همايوني Y.BRK.BSK برقم ٢٠/ ٧٨٧٧ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ

(٤) وتمخضت بنهاية الأزمة عدة اجتماعات وتصريحات من قبل الطرفين أبرزها الاجتماع الذي عقده السفير البريطاني في اسطنبول – أكونور – مع ناظر الخارجية العثمانية – توفيق باشا – في ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/٦ سبتمبر ١٩٠١م أكد فيه السفير البريطاني بأن حكومته ليس في نيتها ولم تفكر احتلال الكويت وفرض حماية عليها، ما دام أن الدولة العثمانية لا تقوم بإرسال قوات عسكرية إلى هناك، وأنها تحافظ على الوضع القائم في الكويت. وأكد ناظر الخارجية العثمانية بأن حكومته لن تقوم بإرسال قوات عسكرية إلى هناك وسوف تحافظ على الوضع القائم هناك بشرط عدم قيام الحكومة البريطانية باحتلال الكويت أو تفرض حمايتها عليها وطلب الممثل العثماني من السفير البريطاني الحصول على تأكيد من وزارة الخارجية البريطانية بشأن هذا الاتفاق، وجاء الضمان البريطاني لتأكيد هذا الاتفاق برسالة بعثتها وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٣١٩هـ/١١ سبتمبر ١٩٠١م وبعد الاعتداءات والغارات التي كان يشنها الأمير عبد العزيز الرشيد على الكويت طلبت بريطانيا من الدولة العثمانية إيقاف ابن رشيد ومنعه من الهجوم على الكويت في ٢ جمادى الثانية ١٣١٩هـ/١٥ سبتمبر ١٩٠١م. وأكدت الحكومة العثمانية بأن ما يقوم به ابن رشيد مخالف للأوامر وعليه ستقوم الحكومة بإرسال قوة لتمنعه من مهاجمة الكويت (الأرشيف العثماني، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK برقم١١/ ٣٦٧٤، بتاريخ ٢٢/٥/ ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٥/٣/١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات .Y.A.Hus، رقم ٦٤/ ٤٢١، تاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ، خزعل، مرجع سابق، ٢/٥٨؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/١٥٤٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٧٧؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٢٣٩)

أن ابن رشيد يأس من موقف حلفائه فقرر أن يعتمد على قوته الذاتية، أو أن حلفاءه أوحوا له من طرف خفي بأن يفعل ما يحلو له مع الكويت، ولذلك عاد للتحرك نحوها))[١]. ولعل السعدون قصد بالطرف الخفي هو الشيخ يوسف، الذي استطاع إقناع حلفائه العثمانيين بأن يغضوا الطرف عن ابن الرشيد، ليفعل ما يحلو له في الكويت، خصوصاً بعد عودته للمشاركة مع ابن رشيد في هذا الهجوم، قادماً من بغداد.

كان للجفاء بين الحكومة العثمانية وابن الرشيد، لما تقدم من أسباب، أثر واضح في تخلي الدولة العثمانية عن قرارها، ومنعه من مهاجمة الكويت[٢]. إلا أنه بعد فترة وجيزة عاود الأمير عبدالعزيز الرشيد وحليفه الشيخ يوسف[٣]مهاجمة الكويت وأطرافها في منتصف السنة ١٣١٩هـ/١٩٠١. فقام الشيخ مبارك بالاتصال بحليفه سعدون شيخ المنتفق[٤]، واتصل بالمقيم البريطاني في بوشهر يخبره بتحركات ابن رشيد، واتضح الموقف البريطاني جلياً عندما تجاوبت السلطات البريطانية وأرسلت على وجه السرعة ثلاثاً من سفنها الحربية للتصدي المباشر لهجمة ابن رشيد المتوقعة على الكويت، ودُعمت هذه القوة ليصل مجموعها إلى حدود سبع سفن حربية[٥].

وتم إنزال الجنود البريطانيين في الكويت بمدافعهم تحسباً لأي هجوم مرتقب. وعمدوا إلى تحصين الكويت بحفر خنادق تحيط بالمدينة، واشترك قسم من أهالي الكويت في حفر تلك الخنادق إلى جانب الجنود الإنجليز. وما لزم الخنادق هو ضعف أسوار الكويت بل لم يكن هناك أسوارا لحمايتها أنذاك

(١) السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص٥٩

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، مجلس الوكلاء M.V برقم BB/36 بتاريخ ١٣١٩/٣/١٥هـ؛ السعدون، العلاقات؛ . مرجع سابق، ص٥٩؛ الخترش، المرجع نفسه، ص ٦٠

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٣٢٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥٤

(٤) الرشيد: عبدالعزيز، مصدر سابق ص١٦٩؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٥٤؛ السعدون مرجع سابق ص٥٩

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع .Y.MTV رقم ١٨٦/ ٢٢٠ بتاريخ ٢٨ و٢٩/أغسطس ١٣١٧رومي؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/، ١٥٤٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص٢٢٦. Whigham.oP.cit.P96 السفن الحربية البريطانية: سنفكس، مارثون، بيرسوس، أشيا، بومونا، أنفستجيتر، وسفينة القيادة هاي فلاير تحت قيادة الأدميرال بوزن – جيت، وسفينة مستشفى.

(بني السور الثالث أبان حكم الشيخ سالم بن مبارك ١٩٢٠م)[١]. وبالنتيجة، لم يستطع ابن رشيد، إزاء هذه التحصينات والاستعدادات، مهاجمة الكويت، مكتفياً بمحاصرتها اقتصادياً بقطع جميع الطرق المؤدية إليها من نجد، والإغارة على القبائل التابعة للشيخ مبارك، ومصادرة جميع القوافل التجارية المتجهة إلى الكويت والخارجة منها[٢]. ويُعزز ذلك ما جاء في رسالة كمبول إلى الشيخ مبارك: "كما ترون فأن حكومتي مستعدة لحمايتكم، ولن نسمح للقوات العثمانية وحلفائها أو لسفنها بأي هجوم على الكويت" (أكتوبر ١٩٠١).

أصبحت حشود الاسطول البحري البريطاني مكونةً من سفينة القيادة هاي فلاير High Flyer، وسفينة مستشفى تحت قيادة الادميرال بوزن – جيت Bosen-Gate قائد اسطول الهند الشرقية. والطرادت: بومون Pomone، مارثوان Marathon، برسوس Persous، سفنكس Sphinx، آساي Assaye، ريد بريست Red Brest، انفستكيتر Investigator (كما ذكر ذلك ويكهم Whigham).

وأعتبر البريطانيون ممارسات ابن الرشيد تحدياً سافراً لهم، فقرروا الاحتجاج لدى السلطة العثمانية لخطورتها. واتهموا الدولة العثمانية بالتواطؤ مع ابن رشيد، وما يحصل ماهو إلا إخلال بالمحافظة على الوضع القائم المتفق عليه في ٢٨ جمادى الأولى١٣١٩/ ١٥ أغسطس ١٩٠١[٣]. وبالتالي طلبت الدولة العثمانية من ابن رشيد التراجع، فانسحب وقواته من حدود الكويت، وانتقل إلى منطقة الحفر على حدود الكويت وولاية البصرة، ينتظر ما ستسفر عنه الأحداث القادمة[٤].

وبالمقابل طلب العثمانيون من بريطانيا الانسحاب من أرض الكويت، فبعد مراسلات بين رجالات الدولة العثمانية والباب العالي تقرر تقديم احتجاج شديد اللهجة، على تصرف السلطات البريطانية بإنزالها المدافع والجنود، في منطقة تعتبر من الممالك العثمانية. واعتبرت ما حصل خرقاً لاتفاق المحافظة على

---

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٤؛ الرشيد، المصدر السابق، ص١٦٩؛ خزعل، مرجع سابق ٢/ ٥٤، Whigham.oP.cit.P96

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٥٤٤؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٥٤

(٣) السعدون، مرجع سابق ص٦٠ Bidwell.A.K.Vol1.Part111.P.109

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٨

الوضع القائم المتفق عليه، وشددت على سحب الجنود والمدافع التي البريطانية من الكويت. واعتبار أن ما حدث من تهديدات من قبل ابن رشيد للشيخ مبارك – حسب الادعاء البريطاني – يجب تصفيته عن طريقها. لأن هذا الأمر عائد إلى الدولة العثمانية التي يتبعانها فقط(١).

لابد لنا هنا أن نستعرض ونجرد أجندة الاحداث بعد معركة الصريف ١٧ مارس ١٩٠١م:

- وصول رسالة إلى المقيم البريطاني في بوشهر تخبر عن هزيمة الشيخ مبارك، ومقتله وذلك في ٢٨ مارس.
- وصول الشيخ مبارك بعد هزيمته متخفياً إلى الكويت في ٣٠ مارس مع مجموعة صغيرة، وفي ١٥ أبريل التحق به الإمام عبد الرحمن الفيصل وسعدون المنصور.
- وصول اثنين من الجنود الأتراك في منتصف إبريل، يحملان رسالة إلى الشيخ مبارك من والي البصرة للاطمئنان عن عدم صحة إشاعة خبر مقتله. كما وصل رؤوف بيك للإطلاع على صحته وأخباره.
- وفي أبريل أيضاً وصل فهد السبهان البصرة مندوباً عن الأمير ابن الرشيد لمقابلة كاظم باشا والقنصل البريطاني والشيخ خزعل في المحمرة.
- رسالة السفير البريطاني في طهران إلى وزير الخارجية البريطاني تخبره بأن صحف الهند ذكرت عن معركة الشيخ مبارك والأمير ابن الرشيد.
- أُبلغت في ٢٩ أبريل ١٩٠١ رسالة واضحة إلى وزير الخارجية العثماني من السفير البريطاني في اسطنبول بأن الأمور في الكويت يجب أن لاتتغير، مع وصول حماية مكثفة من قطع الأسطول البريطاني بلغت ست سفن حربية.
- انسحبت القوات العثمانية القادمة من بغداد إلى العِمارة نتيجة ظهور مرض الطاعون بالبصرة، وذلك في ١١ مايو ١٩٠١. ومغادرة سفن الغوص الكويتية في موعدها الموسمي.
- وفي ١٩ مايو وصل والي البصرة محسن باشا إلى الكويت براً ولم يقدم

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق الباب العالي، B.E.o، رقم ١٣٠٠٢٠، تاريخ ٢ رجب ١٣١٩هـ؛ الرشيد عبدالعزيز، مصدر سابق، ص١٦٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٦٨؛ السعدون، مرجع سابق، ص٦٠؛ Bidwell.A.K.Vol1.Part111.P109

بحراً لأن الطراد "زحاف" كان معطلاً وكان معه حراسة مكونه من ٨٠ جندياً وعدد من المدنيين لغرض فرض الحماية للشيخ مبارك الذي رفض ذلك بشكل قاطع، وكان في استقباله في الجهراء الشيخ جابر المبارك يصحبه أربعمئة خيال. وقد صادفت زيارة قبطان الطراد سفنكس الكوماندر فيليبس وجود والي البصرة في الكويت الذي غادرها في ٢٣ مايو، بصحبه الشيخ مبارك إلى الفاو، وأرسل منها برقيات طاعة للسلطان عبد الحميد الثاني. إلا أنه عند رجوعه من توديع والي البصرة طلب من الكوماندر فيلبس إبلاغ السلطات البريطانية بنية دخوله تحت الحماية البريطانية بأسرع وقت ممكن. ويمكن إعتبار ذلك التاريخ بداية تفعيل الحماية الفعلية. وبعدها بمدة قليلة نحي محسن باشا من منصبه وعين محله الفريق مصطفى نوري باشا والي أمن البصرة.

- وصل الطراد العثماني زُحاف، في ٢٣ أغسطس ١٩٠١، إلى الكويت وقد تصدى له الطراد البريطاني "برسوس"، حيث أنذر قبطانها بيرس Piers بأنه في حالة إنزال جنود عثمانيين فأنه سوف يقوم بقصفها. وفي اليوم التالي قابل قائد الطراد "زحاف" الشيخ مبارك، في محاولة لإرضائه، وحينما تعذر ذلك ابتدأ بتهديده. وقد غادر "زحاف" الكويت بعد يومين من وصوله.
- وساطة القنصل البريطاني في البصرة راتسلو الى بن رشيد في ٢٩ سبتمبر ١٩٠١م ورده ٢٢ أكتوبر ١٩٠١م.
- في بداية أكتوبر ١٩٠١م تقاطرت قطع الاسطول البريطاني الى الكويت لحمايتها.وبلغ عدد الجنود البريطانيين خلالها حوالي ٦٣٦ عسكرياً.
- إقالة محسن باشا والي البصرة في ٥ أكتوبر ١٩٠١ وعين في منصبه الفريق مصطفى نوري باشا من قادة الفيلق السادس محله.
- انسحبت القوة العثمانية المرابطه بقيادة فيضي باشا الى العمارة في ١٠ أكتوبر نتيجة وقوع إصابات لمرض الكوليرا في البصرة.
- نتيجة الى أنباء دخول الشيخ مبارك تحت حماية البريطانية منذ نهاية مايو ١٩٠١ اشتدت حملة الانتقادات الصحفية في أوروبا وخصوصاً الصحف الالمانية في خريف تلك السنة.

يمكننا القول ونتيجة الى ما سبق ظهور تطوراً ومنحاً جديداً في السياسة

العثمانية تجاه الشيخ مبارك مما حدا بأن يصدر السلطان عبدالحميد الثاني في ٢٩ أكتوبر ١٩٠١ إرادة سنية بأيفاد السيد رجب نقيب البصرة الى الكويت لتقديم النصح لشيخ مبارك بالاستجابة والرضوخ والابتعاد عن التدخل البريطاني في شؤون الكويت فأذا لم ينفع فالتهديد بالاستدعاء الى الاسطنبول ليقيم فيها، فتم سفره في بداية ولاية مصطفى نوري باشا والذي استدعى شقيقه الاميرلاي نجيب بك وهو ضابط كبير وصاحب تجربة في أحوال المنطقة التي قضى في الخدمة فيها أكثر من ٣٠ سنة، ١٥ سنة منها في البصرة ونجد. وقد تضامن مع ارسال الوفد وضع خطة عسكرية: «لتسيير خمس طوابير مشاة وطابور خياله وبطارية مدفعية على أن تتحرك من البصرة لتصل الزبير بعد ساعتين ونصف ومنها الى صفوان بعد خمس ساعات وهي مرحلة واحدة يتم المبيت فيها. ومن ثم مواصل المسير الى الجهراء والتي تستغرق عادة ١٢ ساعة، ولكن عدم توفر المياه في الطريق فقد يتعذر الوصول للجهراء الا بعد يومين حيث تقطع المسافة على مرحلتين نتيجة حمل كمية من الماء اما المدة من الجهراء الى الكويت ٦ ساعات. كان التصور العسكري هو ان مياه شواطئ الكويت الضحلة يجعل السفن البريطانية غير قادرة على اطلاق مدافعها الا على بعد ٣ أميال، وهذا المدى سوف لن يؤدي الى اصابات بالغه للقطعات الزاحفه. كما انه لا توجد قوة كافية في الكويت بل شرذمة ممكن اسكاتها خاصة وان معظم الاهالي لا يؤيدون سياسة الشيخ مبارك. مما يسهل الامر».

بعدها غادر السيد رجب وبمعيته الاميرلاي نجيب بك البصرة في ٢٩ نوفمبر فوصلها يوم ١ ديسمبر على ظهر الطراد العثماني زحاف وقد سبق للسيد رجب النقيب ان قام بنفس المهمة في بداية شهر نوفمبر حيث قابل الشيخ مبارك في ١٠ منه وخلال تلك المهمة فقد تواجدت ٣ سفن حربية بريطانية في مياه الكويت. أما أبن رشيد فكان وقتها على مقربة ٦ ساعات من الكويت. وصل الطراد زحاف ظهر يوم الاحد ١ ديسمبر وفي اليوم التالي المصادف ٢ ديسمبر "عيد صاحبة الجلالة البريطانية الملكة فكتوريا". أرسل النقيب والذي كان يقيم في بيته في الكويت في حي القبلة رسالة السلطان مشفوعاً برسالة والي البصرة. وعندما استلم الشيخ مبارك الرسائل والتي ارسلها بدوره الى المقيم السياسي في بوشهر مع رسالة ويقول فيها "الحماية

لنفسي ولاطفالي وراعايانا وأعواني وكل بلدي جميعاً وقد وضعنا انفسنا تحت مسؤليتكم". وانه يطلب التوجيهات خلال يومين والا فأنه سوف يكون مضطر للخضوع للاتراك. وكان حينها قد طلب من النقيب ونجيب بك مهلة ٣ أيام للرد "بحجة التشاور مع شعبه". وكان الاميرلاي نجيب قد أخبر الشيخ مبارك أن الدولة سوف ترسل قوة عسكرية لتقيم في الكويت تحت أمرة الشيخ مبارك وفي حالة عدم قبوله أزاحته من الكويت.

في ٤ ديسمبر قابل الوفد الشيخ مبارك طالبأ رد سريع مما حدا بالشيخ مبارك الاجتماع بقبطان الطراد سفنكس مخبر أياه ان المطلوب منه رداً سريع. فقام القبطان فيلبس بتبليغ النقيب ان الشيخ مبارك ليس في محل الرد على طلب السلطان وان الدولة العثمانية خرقت اتفاق التوازن مع بريطانيا المبرم في اسطنبول في سبتمبر المنصرم وهددت الشيخ مبارك، فأن لبريطانيا الحق من حمايته من اي تهديد. (وكان استناد بريطانيا على الاتفاق في مضمونه المحافظة على الوضع القائم في الكويت وعدم ارسال قوة عسكرية تركية لتقيم فيها).

ونتيجة لذلك غادر النقيب والاميرلاي نجيب بك الكويت في اليوم التالي ٥ ديسمبر وهم يجرون اذيال الهزيمة. وقد نقل قبطان الطراد ريد بريست رسالة إلى الشيخ مبارك من المعتمد البريطاني في بوشهر يقول فيها: "أن حكومتي لا ترغب في ان تراك مبعداً عن الكويت بل ترغب في بقاءك، وتأكد أن حكومة صاحبة الجلاله سوف تسعى لازالة كل ما يضايقك أو يسبب لك ازعاج".

في ٥ ديسمبر قدمت السفارة البريطانية في اسطنبول احتجاجها على تهديد نقيب البصرة للشيخ مبارك وطلبة الايعاز الى النقيب بالكف عن هذه الامور والرجوع الى البصرة على ان يتحمل الباب العالي المسؤولية كاملة خلاف ذلك.

في ٨ ديسمبر وصل النقيب والاميرلاي الى البصرة بعد سفرة استغرقت ١١ يوما منها ٤ ايام مدة السفر من البصرة الى الكويت (كانت الرحلة بواسطة زورق من البصرة الى الفاو ثم الطراد زحاف الى الكويت).

ويذكر تقرير نجيب بك: "كيف أن القبطان البريطاني انزل العلم العثماني ورفع العلم البريطاني محله وانه كان المفوض بالجواب وسيحرق الكويت اذا اعطى الشيخ مبارك جواباً لنا، وانه سوف يبقى الليلة عند الشيخ مبارك. عدنا

الى بيت النقيب وجمعنا اغراضنا وركبنا قارب الى السفينة الهمايونيه زحاف وبتنا ليلنا فيها وغادرنا الكويت في الصباح الباكر".

أما تقريرالنقيب فيقول فيه: "ان مبارك سأم الكويت وانه ينوي الاقامة في مقاطعته في الفاو أو الزين".

كان الكابتن سايمون قبطان الطراد "بيمون" هو الذي قام بالرد على النقيب ونجيب بك على ضوءما ذكرته التقارير فأرسلت قطع من الاسطول كما قامت السلطات بأنزال مدافع وحفرت الخنادق أثناء تواجد تلك القطع.

وفي ١٨ ديسمبر وصل الامير بن رشيد صفوان من الحفر ومعه عشرة الاف مقاتل وفي ٢٠ منه وصل على بعد ٥ ساعات من البصرة ومعه قائدا تركي كبير و٢٠ فردا من الخيالة فأمرت السلطات العثمانية بإيقاف توريد الاغذية من البصرة الى الكويت. كما وصلت معلومات في ٢٤ ديسمبر عن مشاهدة بن رشيد على بعد ٣ ساعات من الكويت وتحركت كتيبة تركية الى صفوان.

في ٢٨ ديسمبر كانت القوات البريطانية قد استعدت بتطبيق خطة الكابتن فيلد لحماية الكويت وكانت تلك الخطة قد اعدت في ٢٨ سبتمبر من نفس السنة. وقد اثمرت الضغوط البريطانية في اسطنبول، حيث ارسلت برقية في ٢٧ ديسمبر من الصدر الاعظم الى والي البصرة يأمر فيها ان ينسحب فيها الامير ابن رشيد من موقعه في الكويت الى البرجسيه قرب الزبير. على مقربة من قيادة قائد الفيلق السادس فيضي باشا. على ان تدفع ارزاق له بلغت ١٠٠ الف قرش وقد غادر على اثرها الزبير في اول يناير ١٩٠٢ عائدا الى حائل، وفي ١٢ يناير انسحبت السفن البريطانية معلنة انتهاء الازمة التي كادت تعصف بحكم الشيخ مبارك.

إلا أن بريطانيا صممت على موقفها، متعللة أن ابن رشيد يشكل خطراً على أمن الكويت، وأخذت القوات البريطانية الموجودة على أرض الكويت تمارس تواجدها بحرية تامة، من خلال مزاولة الجنود لأعمالهم ولهواياتهم وأنشطتهم العادية(١). فكانوا يمارسون رياضة كرة القدم، والكركيت بحضور الشيخ

---

(١) Whigham.oP.cit.P96

مبارك، وبعض من أهالي الكويت مع عدم الاكتراث بالتحديات العثمانية خلال السنة ١٣٢٠/١٩٠٢(١).

لم يقف الشيخ مبارك أمام هذا الوضع الصعب مكتوف الأيدي، بل سعى لإضعاف موقف خصومه، الذين يحاصرونه ويهددونه. تقدم بشكوى للحكومة العثمانية، ممثلة في والي البصرة الجديد مصطفى نوري باشا(٢)ضد تحركات ابن رشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم(٣)وتقدم بالطلب أيضاً إلى الحكومة البريطانية لإضعاف موقف خصومه، مبيناً خطورة الدعم الذي يحصل الشيخ يوسف والأمير عبد العزيز، من تموين وخصوصاً الأسلحة عن طريق الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في الهند، وطالب بمنعه من مساعدتهم والضغط عليه ليجب الشيخ يوسف من الخروج من نجد والاستقرار بالهند(٤).

كذلك قام بتأييد ودعم حركة الأمير عبد العزيز آل سعود، لاسترداد حكم آل سعود، وكان هدفه من وراء هذا التأييد والدعم المحدود استثمار نشاط آل سعود، في تحريك القبائل النجدية لإشغال ابن رشيد عن مسألة الكويت(٥).

---

(١) Whigham.oP.cit.P96
وعلى ما يبدو أن هذه أول ممارسة لكرة القدم في أرض الخليج العربي، وقد أبدى الشيخ مبارك إعجابه بهذه الرياضة وخاصة لعبة الكركيت

(٢) مصطفى نوري باشا: مصطفى نوري باشا: من كبار ضباط الفيلق السادس ببغداد، ومن الذين استمالهم الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى جانبه في صراعه مع الشيخ مبارك بعد عودته للعراق، وكان له أثر كبير في عزل محسن باشا، فكان من أشد المعارضين لسياسته المتعلقة بالمسألة الكويتية، وحوّل ملف المسألة الكويتية إليه فكانت من أبرز المهام المناطة به، وأثبت مقدرة فائقة على مصارعة المتاعب الداخلية لولاية البصرة في عهد ولايته – رجب ١٣١٩هـ/أكتوبر١٩٠١م – م. (لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٤/٢٢١٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص٢٤١)

(٣) لوريمر؛ دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٤؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٥٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ص١٧٥–١٧٦.

(٤) وبين مبارك برسالة لكمبيل – المقيم البريطاني في بوشهر بان يوسف يمون ابن رشيد في هذه الحرب وان من يمول يوسف ويوفر له مطالبه ابن عمه عبد العزيز بن علي آل إبراهيم المستقر في الهند، وإذا ماتم إيقاف عبدالعزيز سيخسر الإمدادات التي يحصل عليها من يوسف عن طريق عبد العزيز بن علي. (رسالة بالعربية من مبارك إلى كمبيل بتاريخ ٢٩/٥/١٣١٩هجري نشرة في كتاب Rush, Records..., op, cit, p171).

(٥) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع.Y.MTV رقم ٢٢٦/٦١بتاريخ ١٥/١١/١٣١٩، الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متنوع.Y.MTV، رقم ٢٢٥/١٢٠، تاريخ ٩يناير ١٣١٧؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول، أوراق الباب العالي B.E.O، رقم، ١٢٩١٨٠، تاريخ ٩/٦/١٣١٩، =

ولم يولي الأمير عبد العزيز الرشيد أمر تحركات الأمير عبد العزيز آل سعود في البداية اهتماماً، بقدر اهتمامه بمسألة الكويت، ولم يكترث بأمره حتى بعد استرداده الرياض في ٥شوال ١٣١٩/١٥يناير ١٩٠٢[(١)]. إلا أنه استمر بمحاصرة الكويت اقتصادياً، والسعي مع حليفه الشيخ يوسف للقضاء على مبارك[(٢)]. لكن، تبين له بعد حين خطأه الجسيم بإهماله أمر الأمير عبد العزيز آل سعود وتركيزه على شؤون الكويت تاركاً أمور نجد في مهب رياح التغيير فكانت الكويت "كعب أخيله" وموقع ضعفه، والذي استطاع تثبيت أقدامه في حاضرة نجد الرياض، وبدأت معها موازين القوى تصب في صالح الشيخ مبارك، حيث انصرف خصمه اللدود عنه لمقاومة السلطة السعودية المتنامية، مما أبعد الخطر عنه إلى حد بعيد[(٣)].

تحركات الشيخ يوسف

عندما تأكد للدولة العثمانية أن الشيخ مبارك قد عقد اتفاق حماية مع بريطانيا، وقفت موقفاً معادياً منه، وبعد أن سعت بكل الطرق لثنيه عن هذا التوجه. لكنها فشلت، وقررت الضغط عليه بطرق مختلفة. ومن هذه الطرق والأساليب تأييد الشيخ يوسف، وذلك بالتغاضي عن نشاطه ضده بعد السماح له بالعودة إلى ولاية البصرة. ويذكر جمال زكريا قاسم في كتابه "تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر"ص٢٣٧ خطأً وبدون إسناد، قرار تعيين الشيخ يوسف حاكماً رسمياً للدورة. والمعروف إن ((دورة ابن إبراهيم)) هي

= ورقم ١٣٠٠٢٠بتاريخ ٢/ ٧ ١٣١٩؛ السبيعي، التصدي السعودي...، مرجع سابق، ص١٣٦؛ القشعمي، مرجع سابق، ص٧١

(١) الأرشيف العثماني اسطنبول، أوراق الباب العالي B.E.O برقم ١٣٤٠٦١، تاريخ٢٧شوال١٣١٩؛ ابن عيسى، مصدر سابق، ص٢٠١؛ الذكير، مصدر سابق، ص٢٠١؛ الزركلي، شبه الجزيرة، مصدر سابق ١/ ٩٠ – ٩٦؛ عبد الله البسام، مصدر سابق، ص٣٨٦، القشعمي، مرجع سابق، ص١٣٥

(٢) فيلبي، مرجع سابق، ص٢٧٩؛ محمد بن عبدالله العبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، وزارة المعارف، الرياض١٩٦٠، ، ١/ ١٩٨؛ فسيليف، مرجع سابق، ١/ ٢٥٩؛ الرشيد، مصدر سابق، ص١٧٤؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص٢٦١ – ٣٢٢

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.HUS؛ رقم ١١/ ٤٣٤، بتاريخ ٤/٦/ ١٣٢٠هجري؛ فيلبي، مرجع سابق، ص٢٩٧، ال عبدالقادر، مرجع سابق، ١/ ٢٥٩، الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٧٥

مجرد مقاطعات لبساتين نخيل أشتراها الشيخ عبدالله بن عيسى آل إبراهيم (والد الشيخ يوسف) من تركة والي البصرة العثماني عبدالله آغا في بداية القرن التاسع عشر فلا يمكن اعتبارها تنظيماً سياسياً وإدارياً يحتاج الى منصب حاكم أو شيخ. وإطلاق مثل هذا اللقب كان ذريعة لابعاد الشيخ يوسف عن خصوصية الكويت.

عاود الشيخ يوسف مضايقاته للشيخ مبارك من البصرة من جديد، وتشديد الخناق عليه بجهود مكثفة، وأساليب متنوعة شهدها العام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢. ركز في البداية على محاولة إنهاك الشيخ مبارك اقتصادياً، وأكمل الدور الذي بدأه حلفاؤه العثمانيون وابن رشيد، بعد أن أُجبر أولئك على التوقف نتيجة للضغوط البريطانية لإنهاء الحصار على الكويت(١) ذلك الحصار الذي سبب أزمة حادة في الكويت، من نقص المؤن وشحة المياه(٢). كذلك رضخ الأمير عبد العزيز الرشيد للأوامر العثمانية للتراجع عن الكويت، لكن حصاره عليها، مثلما تقدم، استمر وكان له أثره السلبي على تجارة الكويت(٣).

كان أول إجراء اتخذه الشيخ يوسف بأن تقدم بشكوى للسلطات العثمانية في البصرة، يتهم فيها الشيخ مبارك بالسطو على أحد مراكبه التجارية في شط العرب، واستيلائه على الحمولة التجارية بالكامل. وأنه قام بأسر رجاله المتواجدين على ظهر ذلك المركب، وطالب بتعويض مالي لقيمة البضاعة المستولى عليها، وفك أسر رجاله. واتخذت السلطات العثمانية الإجراءات الرسمية التي طالبت مبارك بإعادة الأموال المسلوبة، وإطلاق رجال الشيخ يوسف، والتعهد بعدم التعرض له(٤).

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم ٧٠٤٢/١٦، تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول.ي. أ. خص. A.MKTNZD، رقم ٤٢٦/٨٩، تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ.

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم ٧٠٤٢/١٦، تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ.

(٣) الأرشيف العثماني اسطنبول، يلدز خصوصي معروضات Y.A.HUS؛ رقم ٤٣٤/١١، بتاريخ ١٣٢٠/٦/٤هجري؛ فيلبي، مصدر سابق، ص٢٩٧؛ ، ال عبدالقادر، مرجع سابق، ٢٥٩/١؛ عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص ١٧٥

(٤) كان المركب محملا بالتمور التي تصل كمبتها إلى ١٥٠٠ جوال (قلال) من التمر والجوال هو وحدة خاصة لوزن التمور، وقد بين يوسف بشكواه أن مبارك صار نصيبه ثلثي الحمولة وأرسله للهند =

إلى جانب ذلك استخدم الشيخ يوسف أسلوب الغارات السريعة، كأحد الأساليب لخطته الهادفة لأضعاف خصمه وزعزعة اقتصاده، وتشتيت فكره. بدأ بتحريض أنصاره من أهل الزبير بقيادة شيخهم خالد باشا العون. فخرج الأخير بقوة صغيرة من الفرسان ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ فارس أغاروا في صفر ١٣٢٠هـ/مايو ١٩٠٢ على إحدى القبائل النازلة في سفوان[(١)] والمحالفة لشيخ مبارك، وسلبوا عدداً كبيراً من الابل[(٢)] وعادوا بها إلى الزبير[(٣)]. ولعل المهاجمين كان لهم مآرب أخرى كتخويف أصدقاء الشيخ مبارك، من أمثال السيد رجب، نقيب الإشراف بالبصرة، الذي له بيتاً ومنتجع في سفوان[(٤)]. وقد تعمدت السلطات العثمانية غض الطرف عن تلك الهجمات والغارات. وبالجملة لم تعترض على تحركات الشيخ يوسف على أطراف الكويت[(٥)].

ومن جانبه قدم الشيخ مبارك شكوى ضد الشيخ يوسف لوالي البصرة مصطفى نوري باشا، عن طريق وكيله هناك عبد العزيز السالم. لكن الوالي لم يكترث وتجاهل الرد عليها[(٦)]. وقد حاول مبارك بطرق شتى التخفيف من عداء والي البصرة وكسبه إلى جانبه، فقدم له رشوة مالية كبيرة، قيل أنها كانت

= يبيعه، والثلث الأخير قسمة بين رجاله الذين سطوا على المركب (الأرشيف العثماني، اسطنبول، محاضر مجلس الوكلاء .M.V رقم ١٠٣/٥٣ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ص٢٠٩ – ٢١٠، السبيعي، اقتصاد الإحساء...، مرجع سابق، ص٨٤)

(١) سفوان: قرية جنوب العراق وفيها مزارع نخيل وقصر يعود لنقيب البصرة – رجب النقيب – وكانت مورد ماء معروف عند العرب، تقع في الجهة الشمالية الغربية من أم قصر جنوب الزبير بـ "١٧ ميلا"، ويعتبر الآن مركز الحدود العراقية مع الكويت، (لوريمر دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق ٢٠٨٣/٦، الشملان، تاريخ الغوص، مرجع سابق ٢٢٤/١)

(٢) يذكر مبارك في رسالته إلى كمبيل – المقيم السياسي في بوشهر – أن ما سلبه المهاجمون يصل إلى ٨٦٠ رأس من الضأن .(Bidwell.A.K.Vol2.Part 1v.P39) نوقشت أحداث هذه الغارة في مجلس العموم، وهي أول مرة يأتي ذِكر الأغنام فيها.

(٣) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٨٠، لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٨/٣؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٤١؛ Bidwell.A.K.Vol2.Part 1V.PP39-40

(٤) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، المصدر نفسه ٢٠٨٣/٦

(٥) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٨/٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٥٣؛ أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣١٣.

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.Mtv، رقم ٢٣٧/١٠٧، تاريخ بداية شهر رمضان ١٣٢٠؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١٥٤٩/٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٦٦/٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٥٤؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٦٢

بحدود ١٠،٠٠٠ ليرة عثمانية، في أواخر ١٣٢٠هـ/مارس١٩٠٣[(١)]. إلا أن مصطفى نوري باشا رفض العرض، وبقي على موقفه المعادي للشيخ مبارك والمؤيد للشيخ يوسف[(٢)]. فعاد مبارك رافعاً شكواه إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، موضحاً الخسائر التي تكبدها جراء هذه الغارة، موكداً بأن عدم الرد على هذه الغارة أو السماح لحلفائة بذلك أيضاً، تقيداً بالتعليمات التي أصدرتها حكومة بريطانيا[(٣)].

قام الشيخ يوسف، بمساندة خالد باشا العون وآل طوالة، بغارة أخرى على الصَبيَّة، معقله السابق، واسترد منها بعض أمواله من جمال وماشية[(٤)]. ثم قام أنصاره، تساندهم قوة من أهل الزبير، بهجوم مفاجئ على الصبيحية، فغنمت منها غنائمَ كثيرة[(٥)]. ومنها أغاروا على الجهراء. لكن، قوات الشيخ مبارك تمكنت من صد هذه الغارة، واستعادت ما غنمه الشيخ يوسف في إغارته السابقة على الصبيحية[(٦)]. وأصيب في هذه الغارة الشيخ مبارك العذبي الصباح[(٧)]. وظلت قوات الشيخ مبارك مرابطة قرب الزبير لبعض الوقت. ثم قامت بمهاجمة نواحي الزبير، فغنموا منها غنائم كثيرة[(٨)].

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٨٠؛ لوريمر، المصدر نفسه ٣/ ١٥٥٥؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص١٩٧؛ ؛ رسالة من راتسلو – القنصل بالبصرة إلى أكونور – السفير بالأستانة بتاريخ ١٩٠٢/٣/٣١ (نقلا عن الدائرة، مرجع سابق، ١١٤)؛ وذكرت الخترش بان المبلغ ١٠,٠٠٠ جنيه إسترليني) الخترش، مرجع سابق، ص٧١)

(٢) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٨٠، ؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/ ١٥٥٥؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مرجع سابق ص١٩٧؛ الخترش، مرجع سابق، ص٧١ L/P&S/19

(٣) القاسمي، مرجع سابق ص٢٤١ Bidwell.A.K.Vol2.part 1V.P39

(٤) الذكي، مصدر سابق، ص١٦٢؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/ ١٥٤٨؛ أبو حاكمه، مرجع سابق، ص٣١٣؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٥٢؛ Bidwell.A.K.Vol2.Part 1V.P40

(٥) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٦.

(٦) الأرشيف العثماني، اسطنبول ن يلدز متنوع Y.Mtv برقم ١٤/ ٢٣٧ بتاريخ ١١ رمضان ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV رقم ١٠٧/ ٢٣٧ تاريخ بداية رمضان ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع. .Y.MTV رقم ١٠١/ ٢٣٤ تاريخ ١٣ سبتمبر ١٣١٨هـ؛ الذكير مرجع سابق ص ١٦٢؛ القاسمي، مرجع سابق ص٢٥٤؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٦؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/ ١٥٤٩؛

(٧) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع Y.Mtv، رقم ٣/ ٢٣٨، تاريخ ٤ شوال ١٣٢٠ه؛ الذكير، مصدر سابق، ص ١٦٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٤٨

(٨) لوريمر، المصدر نفسه، ٣/ ١٥٤٩؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٤٣؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٣٤٤

كان موقف السلطات العثمانية حازماً هذه المرة، فلم تسكت على تحرك الشيخ مبارك، فبدأت التقارير والمراسلات بين البصرة وبغداد واسطنبول تتحدث عن هذا الهجوم، واتهمته بزعزعة الأمن وإثارة المشاكل(١). ومن جانبه عاود الأمير عبد العزيز الرشيد نشاطه بالإغارة على أطراف الكويت، وهاجم القبائل الموالية للشيخ مبارك. فكان هذا الهجوم رداً على محاولة الشيخ مبارك محاصرة الزبير، وإنذارالشيخ مبارك بأن لا يعتدي على حلفائه(٢). بعدها طلب الشيخ مبارك من المقيم البريطاني في بوشهر المساعدة ضد الأمير عبدالعزيز الرشيد. ولم يتردد كمبول في تلبية طلبه، فتقدمت حكومته باحتجاج إلى السلطات العثمانية، مطالبة بإبعاد ابن رشيد عن حدود الكويت. تفهمت الدولة العثمانية الوضع، وطلبت من ابن الرشيد ثانية العودة إلى بلاده، فنفذ أمرها ورجع لدياره نجد(٣).

كان لهذه الغارات أثر واضح على اقتصاد الشيخ مبارك، لكثرة الغنائم التي سُلبت منه(٤). ومعلوم أن خطة الشيخ يوسف تركزت على إضعاف الجانب الاقتصادي لخصمه. فعمل على إضعاف هذا الجانب بشتى الطرق(٥)، وفي مقدمتها تشديد الغارات. كذلك جدد الشكوى باسم أبناء الشيخين محمد وجراح للسلطات العثمانية، ممثلة في ولاية البصرة يطالب فيها بحقوقهم المغتصبة من قبل الشيخ مبارك(٦). وقد سبق لشيخ يوسف وأبناء الشيخين

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV، رقم ٢٣٧/١٠٧، تاريخ بداية رمضان ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV رقم ١٠١/ ٢٣٤ تاريخ ١٣/جماد الثاني ١٣٢٠هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV، رقم ٢٣٧/١٤، تاريخ ١١ رمضان ١٣٢٠هـ

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV، رقم ٢٣٨/٣، تاريخ ٤ شوال ١٣٢٠هـ، القاسمي، مرجع سابق، ص٢٤٨ ((L/P&S/7/142 (2) ترجمة الى اللغة الانجليزية لرسالة من الشيخ مبارك الى كمبيل – المقيم في ابو شهر – بتاريخ ١٩٠٢/٢/٢

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٤٨

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ١١٥٤٨/٣؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق ص ٦٢

(٥) لوريمر، المصدر نفسه، ١٥٤٨/٣؛ القاسمي مرجع سابق ص – ص ٢٥٢ – ٢٥٣

(٦) الذكير، المصدر نفسه، ص١٥١؛ الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١٢٠؛ القاسمي، مرجع سابق، ص١٣٣؛ العبد المحسن، مرجع سابق ١/ ٣٢٤، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص١٩٣، لوريمر، المصدر نفسه ١٥٤٨/٣، السعدون، أحداث في تاريخ الخليج، مرجع سابق، ص ١٠١

تقديم الشكاوى منذ أوائل العام ١٨٩٦/١٣١٤ بعد قدومهم للبصرة. لكن، الشيخ مبارك استطاع خلال تلك السنوات ١٣١٤ - ١٣١٩هـ/١٨٩٦ - ١٩٠١ تأجيل البت في الشكاوى ضده، ذلك بفضل أصدقائه من موظفي الدولة العثمانية[١]. وفي الوقت نفسه التي كانت تشاطره التوجه حتى تنتهي من المسألة الكويتية[٢]. ولكن بعد كشف الغطاء عن علاقة الشيخ مبارك ببريطانيا، في أواخر ١٣١٩هـ بداية ١٩٠٢، أخذت الدولة العثمانية تنظر في الشكاوى، المقدمة في محاكم البصرة، وتحت إشراف الوالي مباشرة[٣].

وبطبيعة الحال، لم يقف الشيخ مبارك مكتوف الأيدي أمام هذا التطور الخطير في قضية الأملاك، التي سيحصل عليها خصومه إذا ما صعد الامر، فأوكل مسانديه، كالعادة، لضمان سير القضية لصالحه[٤]. وتم فعلا أعطاء الحكومة البريطانية الأمر حيزاً من الاهتمام، وبدأ صانعوا القرار من كبار موظفيها في الخليج والهند ولندن يتباحثون في القضية والسبل الكفيلة لإخراج الشيخ مبارك من هذا المأزق، الذي زجه خصومه فيه[٥]. خاصة بعد طلب والي البصرة لمناقشة الشكاوى والدعاوى المقدمة ضده، من قِبل أبناء أشقائه، والبت في قضية أملاك آل صباح.

حاولت بريطانيا ممثلة بقنصلها بالبصرة، راتسلو، إنهاء القضية بتسوية بين الطرفين، خارج المحكمة ومن دون الحاجة لحضور الشيخ مبارك إلى البصرة، والمثول أمام المحكمة. لكن، تلك المحاولات باءت بالفشل[٦]. ولما رفض الشيخ مبارك المثول أمام المحكمة، اتخذت الأخيرة قراراً بتسليم بساتين كوت الزين

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق همايوني Y.PRK.BSK، رقم/ ١٩٤٠، تاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ؛ الأرشيف العثماني، اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV، رقم ٥٥/ ٢٠٤، تاريخ ١١/ربيع الأول هـ؛ لوريمر، المصدر نفسه، ٣/ ١٥٤٨؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٣٣٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٣٥

(٢) الأرشيف العثماني، اسطنبول، يلدز متفرق المعروضات والأخبار A Z J.0 Y.PRK رقم ٣٠/ ٣٧ تاريخ ١٤٢٦/٢٧ (نقلا عن القاسمي، مرجع سابق، ص ٣٥٣)؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٢٣٩

(٣) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٧٤؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٤٨؛ السعدون، أحداث في تاريخ الخليج، مرجع سابق، ص ١٠١

(٤) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٧٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص٢٤٠

(٥) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٧٤ بونداريفسكي مرجع سابق ص٢٤٠

لأبناء الشيخين القتيلين – محمد وجراح – مما سبب للشيخ مبارك عجزاً مادياً، وتأثرت خزينته التي تعول كثيراً على عائدات تلك الأملاك بالبصرة(١).

لم تتوقف تحركات الشيخ يوسف في تضييق الخناق على خصمه، فقرر ضرب أعوانه وممثليه وخاصة البارزين منهم. فألقي القبض، في ١٨ صفر ١٣٢٠هـ/٢٨ مايو ١٩٠٢، على عبدالعزيز السالم البدر، وكيل الشيخ مبارك في البصرة والقائم بالإشراف على أملاك آل صباح بولاية البصرة، والرجل الذي يعوّل عليه كثيراً في المهام الخاصة(٢)، بعد وشاية به لدى والي البصرة مصطفى نوري باشا، فأصدر الأخير قراراً بالقبض عليه في منزله، وصودرت كل الأوراق والمستندات الموجودة بحوزته: صكوك تتعلق بأملاك آل الصباح الزراعية، ووثائق تدين الشيخ مبارك(٣)، تلك التي تتعلق بجريدة "الخلافة" الصادرة بلندن باللغة العربية، وتعارض الدولة العثمانية(٤). فثبت أن البدر كان مشتركاً في هذه الجريدة، وحكم عليه بالسجن مدة عشر سنوات(٥).

ربما كان الشيخ يوسف آل إبراهيم وراء تلك النكاية بهدف إضعاف موقفالشيخ مبارك، وفعلا أثار هذا الأمر غضب رجالات الدولة العثمانية، والباب العالي خاصة عندما كشفت تلك الأوراق الصلة الوثيقة بين الشيخ مبارك وبريطانيا(٦). وكان الشيخ يوسف يقدر قيمة البدر وإخلاصه وتفانيه في

---

(٦) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ١٧٤؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص٢٤٠؛ ((L/P&S/20/FO12(1)) رسالة من كمبيل المقيم في ابو شهر الى حكومة الهند بتاريخ ٧/٢/١٩٠٢

(١) لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق ٣/١٥٤٨؛ سلدانيا، مرجع سابق ص ١٧٤؛ القاسمي مرجع سابق ص – ص ٢٤٨ – ٢٤٩؛ بونداريفسكي مرجع سابق ص٢٤٠؛ السعدون أحداث... مرجع سابق ص ١٠٢؛ L/P&S/20/FO12(1)

(٢) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق ص١٨١.

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٩؛ القاسمي، مرجع سابق ص٢٤٣؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٣٤٥؛ سلدانيا، تاريخ الكويت السياسي، مصدرسابق، ص١٩٩.

(٤) الرشيد، المصدر نفسه، ص ص١٨٠ – ١٨١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٤٩؛ و بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٣٤٥

(٥) الرشيد، المصدر نفسه، ص١٨١؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٤٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٤٣، ؛ بونداريفسكي مرجع سابق، ص٣٤٥؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٦٢

(٦) الرشيد، المصدر، نفسه ص١٨١؛ لوريمر، مصدر سابق، ٣/١٥٤٩؛ القاسمي، مرجع سابق، ص٢٤٣، بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٣٤٥؛

خدمة الشيخ مبارك، لذا عرض عليه إخراجه من السجن بشرط التخلي عن الشيخ مبارك والعمل لحسابه. لكن، البدر رفض الإغراء وأصر ألا يخون عهدا قطعه[١]!

بعدها سافر الشيخ يوسف الى الهند، وخلال غيابه اتفق الشيخ سعود بن محمد الصباح مع أبناء حميدي[٢]، السنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢، على اغتيال الشيخ مبارك وابنيه جابر وسالم. ولما عاد الشيخ يوسف أطلعه الشيخ سعود على الاتفاق، فتسلم زمام الأمر شخصياً[٣]. رسم الأخير خطة الاغتيال بدهائه المعهود، وجاءت في غاية الغرابة، تفاصيلها: شحن سفينة، معروفة لدى أهل الكويت بأنها ملك لآل إبراهيم[٤]، بالسلع والبضائع، وطلب من أبناء حميدي أن يدّعوا أمام الشيخ مبارك بأنهم قتلوا مَنْ فيها من رجال الشيخ يوسف، وأتوا بما فيها له[٥]، وأنهم عملوا ذلك خدمة له، ويطلبون اللجوء إليه[٦].

لقد نجحت الخطة، وانخدع الشيخ مبارك بتلك القصة[٧]، ولم يسعفه دهاؤه في كشف المؤامرة. فقرب أبناء حميدي إليه، واصطفاهم لخدمته، وألحقهم بحرسه الخاص[٨]. فما لبثوا في قصره مدة حتى عزموا على تنفيذ الخطوة الأخيرة من المؤامرة بمساعدة اثنين من المقربين من خدم الشيخ مبارك. الذان أظهرا التعاون وأبديا الموافقه على التنفيذ، ولكنهما أفشوا إلى

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص١٨١

(٢) أبناء حميدي: وهم (عبدالله وعذبي وعبدالرضا مويلح وصويلح) من قبائل البوفرحان من بني كعب من قبائل عر بستان وهم معروفون بالقرصنة البحرية، لهم في شواطئ البصرة عشائر وجماعات يخشى بأسهم (الرشيد، عبدالعزيز، مصدر سابق ص١٧٦؛ خزعل مصدر سابق ٢/٦٥)

(٣) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٧٨؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/٦٥؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٣

(٤) ذكر الريحاني أن هذه السفينة تعود ملكيتها إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم؛ أما الشملان فذكر أنها تعود إلى عبد اللطيف ال إبراهيم؛ وأما عبدالعزيز الرشيد فذكر أنها تعود إلى أحد أقرباء الشيخ يوسف آل إبراهيم (الريحاني ملوك العرب مصدر سابق ٢/٦٦٢؛ الرشيد، ، مصدر سابق ص١٤٩؛ الشملان، المرجع السابق، ص٢٩٣)

(٥) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٤٩، خزعل، المرجع نفسه، ٢/٦٥

(٦) خزعل، المرجع نفسه، ٢/٦٥

(٧) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه ص ص١٧٦ - ١٧٧، خزعل، المرجع نفسه، ٢/٦٥، الريحاني، المصدر نفسه، ٢/٦٦٢

(٨) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص١٧٧؛ الريحاني، المصدر نفسه، ٢/٦٦٠

والدهما بالمهمة، الذي بدوره توجه إلى الشيخ مبارك مفشياً الأمر. وبذلك انكشفت الخطة فانتهت بالفشل، وسجن المتآمرين[١].

حملة الشيخ يوسف البحرية الثانية

لم تكن التحركات، التي أشرنا إليها في الصفحات السابقة، من هجمات على أطراف الكويت، وعمليات السلب والنهب، ومحاولة اغتيال الشيخ مبارك ذات أهمية مقارنة بتلك الهجمة المفاجئة، التي جهزها الشيخ يوسف عن طريق البحر. وتفاصيل ذلك، أن أرسل الشيخ يوسف إلى القنصل البريطاني بالبصرة – راتسلو – طالباً منه أن يكون رسول سلام بينه وبين الشيخ مبارك، في الوقت الذي كان يعد لهجوم جديد، وفعلا أخذ القنصل الأمر على محمل الجد[٢]! وباشر بالوساطة.

كيف لا، وأن القنصل البريطاني سبق أن عرض فكرة الصلح بين الأمير عبد العزيز الرشيد والشيخ مبارك، وكان يعول على الشيخ يوسف أن يتولى أمر الوساطة بينهما[٣]، ففي حالة إنهاء الصراع بين مبارك ويوسف يباشر بالصلح بين ابن رشيد والشيخ مبارك. فباشر راتسلو وساطته بالاتصال أولاً بالسفير البريطاني في اسطانبول السر نيكولاس أوكونر[٤]. لكننا الشيخ يوسف فكان هدفه، مثلما تقدم، إبعاد الأنظار عما يهدف له. فإثناء ذلك أرسل إلى والي البصرة مصطفى نوري باشا معبراً عن خشيته من هجوم محتمل يشنه الشيخ مبارك ضده في الدورة[٥]. ولعله بهذا التحرك أراد طمأنة خصمه.

في جمادى الثاني ١٣٢٠هـ/١٩٠٢ جهز الشيخ يوسف، وأبناء الشيخين – محمد وجراح – الحملة البحرية[٦]، مجهزة بالسلالم وآلة الهدم، لمهاجمة

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه، ص١٧٧؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٥

(٢) بونداريفسكي، مرجع سابق ص٣٤٨؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مرجع سابق ص٢١٥، Bidwell.A.K.Vol1v.Part1.P39

(٣) رسالة مؤرخة في ٦ نوفمبر ١٩٠١ من راتسلو إلى القنصل الإنجليزي في البصرة إلى أكونور السفير بريطانيا بالآستانة (نقلا عن القاسمي، مرجع سابق، ص ١٦٦ – ١٦٧)

(٤) Bidwell.A.K.Vol1v.Part1.P39

(٥) القاسمي، مرجع سابق ص٢٤٣، Bidwell.A.K.Vol1v.Part1.P39

(٦) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق ص؛ ١٧٧؛ الشملان، من تاريخ الكويت، مرجع سابق، ص٢٩٣؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٦٢

الشيخ مبارك في الكويت[١]، واغتياله[٢]. حيث اتفق مع أعوانه له داخل الكويت مهاجمة الشيخ مبارك واغتياله تزامناً مع الهجوم البحري والبري. وحصل الاتفاق مع عشرين شخصاً لتنفيذ[٣]. وقد أكد القنصل البريطاني في البصرة راتسلو هذه الاتصالات والاتفاقات[٤]. وهي المرة الأولى التي أشار فيها تقرير بريطاني إلى اتصال بين الشيخ يوسف وخصوم الشيخ مبارك داخل الكويت[٥].وإن عملية التنفيذ اونيطت الى النوخذة محمد بن أحمد العسعوسي وهو من رجال الشيخ يوسف المقربين.

ضمت الحملة رجال الشيخ يوسف في الدورة، ومن أهل الكويت المؤيدين، وبعض المتعاونين من قبيلة الشريفات[٦]. وربما بارك والي البصرة مصطفى نوري باشا الحملة، ولم يبد أي معارضة[٧]. وفي منتصف العام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢ أصدر الشيخ يوسف أوامره لجماعة من عرب الشريفات، للتحرك برئاسة الشيخ عذبي بن محمد الصباح، وابن عمه الشيخ حمود بن جراح الصباح، بعد تسليحهم، ونقلهم في سفن الى الدورة[٨].

وما أن تحركت الحملة من الدورة، خلال شهر جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ الثالث من سبتمبر ١٩٠٢ حتى وصل خبرها الى الكويت. عندما كشفت من قِبل الشيخ جابر بن صباح أثناء وجوده بالفاو، فأرسل مَنْ يحذر أخاه[٩].

---

(١) عبدالعزيز الرشيد، المصدر نفسه ص١٧٧؛ خزعل مرجع سابق ٢/ ٦٣

(٢) الشملان، من تاريخ الكويت؛ مرجع سابق، ص٢٩٣؛ أبو حاكمة، مرجع سابق ص٣١٣؛ لوريمر الدليل التاريخي، مصدر سابق ٣/ ١٥٠٠

(٣) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، الأرشيف السياسي، رقم ١٧٦٦ تاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٠٢(نقلا عن بونداريفسكي، مرجع سابق ص٤٨١)

(٤) بونداريفسكي، المرجع نفسه، ص٣٥٢

(٥) بونداريفسكي، المرجع نفسه، ص٣٥٢

(٦) بونداريفسكي، المرجع نفسه ص – ص ٣٥٢ – ٣٥١، الشريفات: قبيلة عربية، أصلها من تميم، يستقر قسم منها في الهنديان والجراحي في منطقة عربستان، وتنقسم إلى قسمين الرجيبات وبنو رشيد، ويلقب زعماء الشريفات "مير" وتدّعي القبيلة أنهم من سلالة الأشراف ولكن يعتقد لوريمر أنهم من بني تميم، واشتهروا بالقرصنة في شط العرب. (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٦/ ٢٢٧٤)

(٧) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٣

(٨) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣١٣؛ لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٥٠؛ ديكسون، مصدر سابق، ص١٧٣

(٩) الذكير، مصدر سابق، ص١٦٢

فأستعد الشيخ مبارك لمواجهة الهجوم[١]، وكان قائد الطراد البريطاني لابوينغ[٢]، الراسي بالقرب من الفاو على علم فقام برصد حركة الحملة، فأسرع إلى الكويت، ليجدها على أهبة الاستعداد لصد هذا الهجوم[٣].

ومن جانبهم شعرَ المهاجمون بانكشاف أمرهم، ذلك عندما وجدوا الطراد البريطاني بانتظارهم[٤]، ولتأخر الرجلين اللذان أرسلتهما الحملة، وكان أحدهما هو النوخذة أحمد بن محمد العسعوسي كما أسلفنا، والذي كَتبت عنه المصادر البريطانية الكثير، لاستنفار جماعته في الكويت واعلامهم فتأخر عن الرجوع في الموعد المتفق عليه. مما اجهض الخطة وادى الى تراجع المهاجمين ليلاً[٥].

انسحبت الحملة عن شواطئ الكويت حتى اختفت سفنها في خور عبدالله[٦]، لكن الطراد البريطاني عثر عليها بعد يومين من المطاردة، في الخامس من سبتمبر ١٩٠٢[٧]. لجأت سفن الحملة بعدها إلى شاطئ القصبة[٨] في الجانب الايراني من شط العرب، وانسحب رجالها بعد تبادل إطلاق النار مع الطراد البريطاني، فأسفر عن ذلك مقتل ضابط بريطاني[٩]،

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٣

(٢) لابوينغ: هي سفينة صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا وهي سفينة حربية وكان قائدها في هذه الحادثة الكابتن أرمسترونج، (لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٥٠)

(٣) أبو حاكمة، مرجع سابق ص٣١٣؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٣

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٥٠؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٣

(٥) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ خزعل مرجع سابق، ٢/ ٦٣. كذلك راجع Bidwill شؤون الكويت، الجزء ٢ تقرير ٢٣٦ ص١٣٠ – ١٣١، ١٥٢.

(٦) خور عبدالله: خور على الخليج العربي وسمي نسبة لشيخ الكويت عبدالله الأول ال صباح المتوفى سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٩م يمتد في اتجاه الشمال الغربي من رأس الخليج إلى جزيرة وربه بين مصب شط العرب وجزيرة بوبيان، (الشملان، تاريخ الغوص؛ .مرجع سابق ١/ ٢٢٢؛ لوريمر دليل الخليج الجغرافي مصدر سابق ١/ ٢٠)

(٧) أبو حاكمة، مرجع سابق، ص٣١٣؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٥٠

(٨) شاطئ القصبة: تقع على شط العرب في طرف جزيرة عبادان الشرقي مقابل الفاو وبه أملاك خزعل باشا ويسمى القصبة أو قصبة النصار لكثرة النصار أحد قبائل بني كعب الذين يسكنون بها وبجانبهم هناك مجموعة من قبيلة عيدان (الحيدري، مصدر سابق، ص٦٠؛ لوريمر دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ١/ ١٠)

(٩) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص١٥١؛ الذكير، مصدر سابق، ص١٦٣. كان أحدهم النوخذة أحمد بن محمد العسعوسي. كتبت عنه المصادر البريطانية الكثير. راجع: THE AFFAIR OF KWAIT BIDWELL VOL 2 تقرير ٢٣٦ ص ١٣٠ – ١٥٢.

وإصابة آخرين بجروح. وتم تدمير سفينتين بعد التأكد من أن إحداهما كانت ملكاً خاصاً للشيخ يوسف[(١)]. ويبدو إن خيار الحملة في اللجوء إلى القصبة وجود جماعة مؤيدة من قبيلة عيدان العاملين بالدورة[(٢)].

بعدها أخذ الشيخ مبارك بتتبع آثار خصمه، فطلب من حليفه الشيخ خزعل، حاكم المحمرة، بالعمل على مداهمة الشيخ يوسف ورجاله، المتواجدين هناك. لكن، الشيخ خزعل لم يبذل أي مجهود يذكر لتحقيق تلك المهمة. وتعلل المصادر الروسية السبب في تماهل حاكم المحمرة هو لعلاقته بالشيخ يوسف، فقد كان مديناً له بمبلغ يصل إلى ١٥٠،٠٠٠ روبية[(٣)]. ولعل الشيخ خزعل، الذي كان يعاني من مشاكل مع حكومتي الإيرانية والعثمانية في تلك الفترة، فضّل عدم التدخل في النزاع، لأنه بذلك سيفتح مشاكل هو في غنى عنها.

حققت سلطات ولاية البصرة في أمر تجهيز الحملة، فأشارت أصبع الاتهام إلى مسببيها، فأنكر الشيخ يوسف، وكذا أبناء الشيخين محمد وجراح أن يكونوا على صلة. كما أنكر الوالي علمه بتجهيزها أو تحركها[(٤)]. إلا أن السفير البريطاني في اسطنبول أوكونر قدم احتجاجاً لدى السلطان مطالباً بمعاقبة الشيخ يوسف، لأنه كان وراء تلك الهجمة، ومسؤول عن مقتل الضابط البريطاني. وبعد استفسار اسطنبول عن ذلك من والي البصرة رفض الأخير توجيه الاتهام إلى الشيخ يوسف، فهو لا يملك دليلاً على صحة الادعاء البريطاني[(٥)].

بطبيعة الحال، استمرت الضغوط البريطانية على السلطات العثمانية، بل اتهمتها بالتستر على أعمال الشيخ يوسف، وزادت من مطالبتها بالقبض عليه،

---

(١) الذكير، مصدر سابق، ص١٦٣. DALI دالي.

(٢) لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق ١/ ١٠. العيدان فخذ من سبيع.

(٣) بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ٤٧٩. "أعترف خزعل أن وجود يوسف في الدورة يجعل السيطرة على شط العرب وتخومه مهمة صعبة بل مستحيلة، فلم يضغط على المقبوض عليهم خوفاً من غضب الوالي والشيخ يوسف" (رسالة نائب القنصل ماكداول في ١٣ سبتمبر ١٩٠٢) وراجع أيضاً) Bidwill ص ١٤٨).

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٤

(٥) الذكير، مصدر سابق، ص١٦٣؛ لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مرجع سابق، ٣/ ١٥٥١؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص ص ٢٦١ – ٢٦٢

وإنزال أشد عقوبة به. وعلى صعيد آخر اتهمت والي البصرة مصطفى نوري باشا شخصياً بالتستر على أعمال الشيخ يوسف وتأييده، وطالبت بإقالته. ولم يجد العثمانيون أمام هذه الضغوط إلا أن يصدروا أمراً بإبعاد الشيخ يوسف من ولاية البصرة[١]. فغادرها مرة أخرى في نهاية رمضان من سنة ١٣٢٠هـ/بداية ١٩٠٣ متجها إلى حائل[٢]. وتعتبر هذه المحاولة آخر المحاولات التي بذلها الشيخ يوسف بمعرفة الدولة العثمانية ومن أراضيها[٣].

عودة الشيخ يوسف إلى حائل

صاحب الشيخ يوسف في خروجه من ولاية البصرة الشيخ مبارك العذبي الصباح، وبعض أبناء الشيخين محمد وجراح واستقروا جميعاً في حائل[٤]. واستمر نشاطهم هناك بدرجة أخف كثيراً عن السابق، نتيجة لاحتدام الصراع الرشيدي – السعودي في نجد، وانشغال الأمير عبدالعزيز الرشيد بهذا الصراع[٥]. ومع هذا فقد استمر دعم الشيخ يوسف لإمارة الرشيد وتموينها بالأسلحة وغيرها[٦]. بل ذكرت المصادر الإنجليزية أنه شارك إلى جانب ابن الرشيد في حروبه ضد آل سعود[٧] ولم تذكر المصادر المحلية ذلك. وعلى الجانب الآخر استمر الشيخ مبارك في دعم آل سعود بتسهيل شراء الأسلحة عن طريق ميناء الكويت، واستمر هذا الدعم حتى ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥ تقريبا[٨].

---

(١) الذكير مصدر سابق ص١٦٣؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص٢١٨؛ بونداريفسكي، مرجع سابق، ص٣٦١

(٢) الذكير، مصدر سابق، ص١٦٣.

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٥١؛ خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٤

(٤) الذكير، مصدر سابق، ص١٦٣

(٥) الارشيف العثماني اسطنبول أوراق الباب العالي .B.E.O رقم ١٢٩١٨٠ تاريخ ٩جماد الأخر ١٣١٩؛ الأرشيف العثماني اسطنبول يلدز متنوع .Y.MTV رقم ١١٧/ ٢٦٠ تاريخ ٢٣جماد الاخر ١٣٢٢.

(٦) رسالة من الشيخ جاسم ال ثاني إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١/صفر ١٣٢٣هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)؛ سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص٢٥٠؛ القاسمي، مرجع سابق ص٢٩٤ (V/23/81C57) نقلا عن الدائرة، مرجع سابق، ص١٣٢

(٧) سلدانيا، المصدر السابق، ص٢٤٩؛ السعدون العلاقات...، مرجع سابق، ص ص٩٤ – ٩٥

(٨) (L/P&S/20/F031) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص٢١٧؛ نشر القاسمي وثائق عديدة عثمانية وإنجليزية تؤكد دعم مبارك لأل سعود بالأسلحة (انظر القاسمي، مرجع سابق، ص٢٧٨–٢٨٣)

لم يغفل الشيخ مبارك عن نشاط خصمه، فقد سلط الضوء عليه وقام بمتابعة تحركاته أولا بأول. لأنه مازال يعتبر خصمه مصدر تهديد وخطر حتى بعد خروجه من البصرة، وانشغال الأمير عبدالعزيز الرشيد عن مسئلة الكويت[١]. وكان الشيخ مبارك ينسب للشيخ يوسف التهم، لأي مشكلة تحصل له. ففي بداية ١٣٢١هـ منتصف ١٩٠٣ وقعت عملية سطو مسلح على أحد المراكب التجارية، العائد لأحد تجار الكويت في شط العرب، فما كان من الشيخ مبارك إلا رمي مسؤولية الحادث على رجال الشيخ يوسف وبتحريض منه[٢].

وأكد الشيخ مبارك في اتهاماته على وجود الشيخ يوسف متخفياً في الدورة، في هذه الفترة ١٣٢١هـ/١٩٠٣، التي تم بها السطو على المركب التجاري. وقد أخذت السلطات البريطانية هذا الأمر بجدية، وطالبت والي البصرة مصطفى نوري باشا بالقبض على الشيخ يوسف، وحذرته من العواقب الوخيمة[٣]. وبعد التحقيقات من قبل السلطات العثمانية والبريطانية في البصرة اكتشفوا قدوم الشيخ يوسف إلى الدورة عن طريق الزبير، وأنه مكث فيها عدة أيام، وقام خلالها بمراسلة أعوانه ومؤيديه داخل الكويت[٤]. لكن لم يكتشف الطرفان هذا الأمر إلا بعد خروج الشيخ يوسف من البصرة، التي دخلها وخرج منها وهو متخفٍ بلباس تركي العام ١٣٢١/منتصف ١٩٠٣[٥].

واصل الشيخ يوسف من حائل حربه الإعلامية ضد الشيخ مبارك، مراسلاً الجرائد والمجلات، مظهراً لها جهود الشيخ مبارك لتقوية موقف الإنجليز في بلاد العرب، والتحريض ضده لدى السلطات العثمانية، التي كانت في وضع صعب خلال تلك الفترة. وقد ظهر للشيخ يوسف من نتيجة حملته

---

(١) القاسمي، مرجع سابق، ص ص ٢٦٢ - ؛ ٢٦٣ (R/15/1/476C4) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص ص ١٢٩ - ١٣٠

(٢) القاسمي، مرجع سابق، ص ص٢٦٣ - ٢٦٤

(٣) القاسمي، مرجع سابق، ص٦٤

(٤) القاسمي، مرجع سابق، ص٦٤

(٥) القاسمي، مرجع سابق، ص٦٤

الإعلامية مؤيدون قاموا بشن حملة ضد الشيخ مبارك الصباح، وضد المؤيدين لسياسته بالتقارب مع الإنجليز، من أمثال طالب النقيب[١]. وأبرز الذين قادوا هذه الحملة شريف مكة الشريف عون الرفيق بن محمد[٢]، الذي كان صديقاً لإمارة الرشيد في تلك الفترة[٣].

وبالمقابل كان الشيخ مبارك حريصاً على عقد الصلح، وإنهاء حالة النزاع مع الشيخ يوسف أثناء وجوده في حائل كالسابق كما كان يصر في مناسبات عدة. ووافق على طلب الشيخ جاسم آل ثاني شيخ قطر، بالسعي للمصالحة بينه ولانهاء حالة النزاع[٤]. ومن مجريات الاحداث وتطوراتها إن الشيخ جاسم آل ثاني أضحى مسانداً لآل سعود، بعد استرجاع الأمير عبدالعزيز آل سعود عاصمة حكمه الرياض، كما تحسنت العلاقة بينه وبين الشيخ مبارك[٥].

قام الشيخ جاسم آل ثاني بمراسلة الشيخ يوسف في ١ صفر ١٣٢٣/ ١٩٠٤، ناصحاً بإنهاء النزاع مع الشيخ مبارك. شارحاً له وجوب تهدئة الامور بين آل رشيد وآل سعود ووقف الاقتتال وأراقة دماء المسلمين في نجد[٦]. وفي ختام رسالته، تمنى الشيخ جاسم على الشيخ يوسف، بأن إذا لم

(١) من رسالة من مبارك الى كامبل في ١/١٢/١٣٢١هـ يقول فيها (أن المفسدين من أتباع ابن رشيد وأتباع الشيخ يوسف آل إبراهيم يقومون منذ مدة بكتابة المقالات وإرسالها الى أرباب الصحف، وهي مقالات تحوي عبارات غير مرضية ومخالفة للحق. وأغلبها ينشر في صحيفة ((اللواء)) المصرية (R/15/1/476) نقلا عن الدائرة، مرجع سابق، ص١٣٥

(٢) الشريف عون الرفيق بن محمد: من أمراء مكة وولد فيها وناب في أمارتها عن أخاه الشريف حسين وتوفي في أواخر سنة ١٣٢٣(الزركلي، الأعلام، مرجع سابق٥/٩٧)

(٣) (R/15/1/477) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص ص ١٨٥–١٨٦

(٤) رسالة من الشيخ مبارك الى الشيخ جاسم ال ثاني بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٢٢هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)؛ رسالة من الشيخ جاسم ال ثاني الى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١ صفر ١٣٢٣(مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)

(٥) رسالة من الشيخ جاسم ال ثاني الى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١/صفر ١٣٢٣هـ؛ المنصور، التطور...، مرجع سابق ص٢٩؛ العناني، أحمد، وثائق التاريخ القطري، المطبعة الأهلية، الدوحة ١٣٩٩/١٩٧٩م ص١٨٧، (L/P&S/20/F031) نقلا عن الدائرة مرجع سابق ص ص٢١٦ – ٢١٧

(٦) ذكر الشيخ جاسم خلال رسالته حول هذه النقطة قوله ((..وتدرجت الأمور بين السعود وبن رشيد فحنا نحسب أن قلبك ونيتك مع السعود وهم كذلك يعدون جميلك ومعترفين بمعروفك ومتأسفين عليك على مداخلتك في الأمور إلي يلحقك نقصها دين ودنيا؛ .)) (رسالة من جاسم ال ثاني الى الشيخ =

يرض بهذا الصلح، مرحباً به في قطر، عزيزاً كريماً[(١)]. ولكن، لم يُكتب لهذه المحاولة والتوسط النجاح.

سعى الشيخ مبارك لاسترضاء الأمير عبدالعزيز الرشيد، الذي كان يمر بظروف صعبة جداً نتيجة الهزائم الأخيرة التي تلقاها من الأمير عبد العزيز آل سعود، وطلب من خالد باشا العون شيخ الزبير ليكون وسيطاً. وبالفعل تحققت مساعي الشيخ مبارك أخيراً بعقد الصلح مع الأمير عبدالعزيز الرشيد أواخر سنة ١٣٢٣هـ/بداية ١٩٠٥[(٢)]. وأكد أمين الريحاني أن هدف الشيخ مبارك الرئيسي من هذا الصلح، هو إضعاف موقف خصمه الشيخ يوسف، وبمنع أي هجوم منه بدعم من الأمير بن الرشيد[(٣)].

غير أن هذا الصلح لم يفتت من عضد الشيخ يوسف تجاه القضية مع الشيخ مبارك، حتى بعد شروع الاخير بتصفية المشاكل المالية بينه وبين أبناء أخويه[(٤)]. وبعزيمة لا تلين سعى الشيخ يوسف إلى الاتصال بالشريف عون الرفيق بن محمد شريف مكة، بهدف نصرته. فكان اختيار الشريف عون نابعاً من توجهه الموالي للدولة العثمانية، ومحاربته لكل مَنْ ينادي أو يؤيد الإنجليز ضدها. لكن، هذا المسعى لم يتحقق فقد وافته المنية – رحمه الله – وهو في طريقه، بين حائل والمدينة المنورة، إلى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج[(٥)].

أثر وفاة الشيخ يوسف

انتقل الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى رحمة الله في ٥ ذي القعدة

= يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١ صفر ١٣٢٣هـ(مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)

(١) رسالة من جاسم ال ثاني الى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١ صفر ١٣٢٣هـ(مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها)

(٢) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق ص١٥١؛ السعدون، العلاقات...، مرجع سابق، ص ١١٣

(٣) الريحاني، المصدر نفسه، ص١٥١.

(٤) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٥٢؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٦٥، بونداريفسكي مرجع سابق، ص ٣٦٥

(٥) القناعي، مصدر سابق، ص٢٩؛ عبدالله البسام، مصدر سابق، ص٣٩٧؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٦٢؛ القاسمي مرجع سابق ص٣٠٦؛ وذكر خزعل بأنه توفى في ٤ – ١٢ – ١٣٢٤هـ/ ٢٥ – ١ – ١٩٠٧م؛ Rush, AL-Sabah.oP, cit.P102

١٣٢٣هـ/ ١٢ مارس ١٩٠٦، وهو في الطريق بين حائل والمدينة المنورة، عن عمر يناهز الثانية والستين سنةً، وبهذا الحدث تنفس الشيخ مبارك الصباح الصعداء، وانسدلتً بذلك الستارة على نزاع مرير دام عقداً من الزمان:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت من مرادها الاجسام

لم يذق مبارك خلاله طعم الراحة وهدوء البال، إذ كان يزعزع حكمه مرة بعد مرة. قال لما سمع بنبأ وفاة خصمه اللدود: "الحمد لله، هذا الذي أقلق راحتي وأراد أن يزعزعني عن الحكم، لكن حظي تغلب على حظه"[١]. لم يعد للشيخ مبارك بعد ذلك خصوم بهذه المنزلة والخطورة، حينها أصبح السيد المطاع في بلاده[٢].

أغلقت وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم ملفات كثيرة، كانت تؤرق الشيخ مبارك كثيراً، ومن تلك الملفات نزاعه مع أبناء شقيقيه الشيخ محمد وجراح. ولما خلى له الجو، قام بترتيب بيت آل صباح، والعمل على لم شملهم وإعادتهم إلى الكويت، وإنهاء النزاع معهم. أعاد لهم جميع حقوقهم المتعلقة ببساتين النخيل، التي كانوا يطالبون بها، وبدأ، وأبناء الشيخ محمد بن صباح الكبار صباح وسعود، بالتحكيم إلى لجنة مكونه من أعيان البصرة[٣]، لإنهاء قضية الأملاك هناك.

وكان المحكمون، من قبل، أصدروا قرار توزيع الأملاك بين الطرفين الشيخ مبارك من جهة، والشيخ صباح بن محمد ممثل أبناء الشيخين محمد وجراح، وبقية العائلة من جهة أخرى. ما عدا الشيخ سعود بن محمد الصباح الذي فضل أن يمثل نفسه في المحكمة[٤]. وفي ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ تمت الاتفاقية

---

(١) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ٦٧.

(٢) وهبة، مصدر سابق، ص٨٦؛ لفرحان، مرجع سابق، ص٨٩؛ ، الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/ ٦٦٢.

(٣) كانت اللجنة مكونة من السيد أحمد النقيب – شقيق رجب النقيب – رئيساً وعضوية كل من الحاج منصور السلمان والسيد محمود باشا العبدالواحد وهم من أعيان البصرة وكبار ملاك بساتين النخيل بالبصرة وابتدأ فتح القضية ١٣٢١هـ/منتصف سنة ١٩٠٣ (سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ القاسمي، مرجع سابق، ص ٣١٠؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص٤٩).

(٤) سلدانيا، التاريخ السياسي للكويت، مصدر سابق، ص٢٣٥.

التي صدرت بحكم محكمة البصرة، ونالت موافقة الطرفين، واعتمدها والي البصرة والقنصل البريطاني. وخلاصتها، حسب لوريمر: أن يصبح الفاو ملكية خاصة لمبارك، ويمتلك الطرف الآخر الأملاك في كردلان والعجيراوية، وكوت الزين والصوفية، وتعويض مالي قدره ٧٢٩٦ ليرة عثمانية، أما أملاك الكويت فلم يحل إشكالها(١). بعدها تقدم الشيخ مبارك بطلب قرض من الحكومة البريطانية، قيمته مائه ألف روبية، ليتمكن من تنفيذ نصوص الاتفاقية المذكورة، وكان له ذلك(٢).

وبعد وفاة الشيخ يوسف سعى الشيخ مبارك لتقريب أبناء شقيقه إليه، وإعادة توحيد الأسرة(٣)، وإنهاء المشاكل العالقة في قضية الأملاك، مع بقية أبناء آل صباح، الذين لم يحضوا بالأتفاقية، أوالمعارضين لها. بدأ الاتصالات بابن أخيه الشيخ حمود بن جراح، وتقابل معه وقام بترضيته، كما قدم في سبيل ذلك معه جزءاً من أراضي مزارع الفاو.وطلب عودة أبناء الشيخين محمد وجراح إلى الكويت، لكنهم رفضوا(٤). وكان الشيخ مبارك مدركاً بأن الأوضاع مع أبناء شقيقيه لن تنتهي بهذه السرعة، فتقرب إليهم وبدأ يظهر لهم لين الجانب والعطف عليهم، ومساعدتهم متى ما وجدهم في حاجة للمساعدة. فقام بتقديم معونة مالية وصلت بحدود عشر آلاف ليرة نتيجة لتعرض أملاكهم بالبصرة جراء عاصفة قوية، أضرت بمحاصيلها، وخصوصاً ببساتين كوت الزين في ١٣٢٤هـ/١٩٠٦، والتي تعود ملكيتها لشيخ سعود بن محمد(٥).

تحسنت علاقته بأبناء شقيقيه عدا الشيخ سعود بن محمد، الذي كانت علاقته بعمه الشيخ مبارك غير ودية، حسب ما ذكر "بدويل"، واتضحت بعد

---

(١) وذكر بعض المؤرخين نتيجة التقسيم وفيه بعض الاختلاف عن تقسيم لوريمر. (لوريمر دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق ٣/١٥٥٧ – ١٥٥٨، سلدانيا، المصدر السابق، ص ص٢٣٤ – ٢٣٦، يعقوب آل إبراهيم، المرجع السابق، ص ص٤٩ – ٥٤، القاسمي، مرجع سابق، ص ص٢٦٥ – ٢٦٧).

(٢) لوريمر، المصدر نفسه، ٣/١٥٥٨؛ سلدانيا، المصدر السابق، ص٢٥٧.

(٣) بوندار يفسكي، مرجع سابق، ص٣٦٤، Rush, Al-Sabah, op, cit, p102

(٤) يوسف البسام، مرجع سابق، ص٢٨٦.

(٥) يوسف البسام، مرجع سابق، ٢٦٨، Bidwell, A.K.Fot2.Partiv, p155

لقائهما في الفيلية[١]، فكانت تلك المقابلة مشحونة بالتوتر[٢]وقد قام الشيخ مبارك أيضاً، من أجل أن يضمن استقرار الوضع مع أبناء الشيخين محمد وجراح، بترتيب عدة زيجات مع بقية عائلة الصباح. ونجح بالفعل ذلك الزواج السياسي في إغلاق ملف النزاع نهائياً[٣].ومنه إقتران أبنته شريفة بالشيخ سعود[٤]، وبعد وفاتها زوجه بابنته الأخرى مريم، والأخيرة هي أم أبنائه[٥]

عاش الشيخ سعود معظم حياته في الاهتمام بأملاكه بكوت الزين بالبصرة، وكان يتردد على الكويت، لحين وفاته السنة ١٣٥٢/١٩٣٣[٦]. وعلى الرغم من تحسن العلاقات بين الشيخ مبارك وأبناء شقيقيه إلا أنهم لم يعودوا نهائياً للكويت، بل اتخذوا من الزبير سكناً لهم، ومعهم الشيخ مبارك العذبي الصباح، الذي اختار البقاء بمحلة الرشيدية بقربهم. كما امتدت بينهم وبين بعض العوائل الزبيرية مصاهرات، ومنها زواج الشيخين خالد وعذبي ابني محمد الصباح[٧]. وقد توفي في الزبير كل من: الشيوخ مبارك العذبي الصباح عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١، وصباح بن محمد عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٤ وخالد عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١. وفي نفس العام قُتل الشيخ عذبي بن محمد الصباح وابنه الشيخ خليفة، على يد ابن أخيه الشيخ محمد بن خالد بن محمد الصباح لخلاف مالي، فحكم على الأخير ونُفذت فيه عقوبة الإعدام في البصرة

---

(١) الفيلية: إحدى البساتين التابعة لشيخ المحمرة وتقع جنوب عربستان على الضفة اليسرى لشط العرب وفيها كانت قصور الأنس لخزعل (لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ٢/ ٦٦٤)

(٢) Bidwell, A.K.Fot2.Partiv, p155

(٣) يعقوب ال إبراهيم، التبيين؛ مرجع سابق، ص١٤، Rush, Al Sabah, op, cit, p102

(٤) من تدوينات خان بهادر عبد الله العبد الإله القناعي: "وفي ليلة الأثنين الموافق الثاني من شعبان العام ١٣٢٨هـ ١٩١٠ تزوج سعود بن محمد الصباح على البيبي (شريفة) بنت مبارك الصباح. وجاء في موضع آخر: "في ٩ربيع آخر ١٣٢٦هـ ١٩٠٨ يوم الأحد وصل صباح بن الشيخ محمد إلى الكويت مع خزعل المرداو ويوسف (باشا) المنديل، وأغا جعفر والريس مال المحمرة (حجي رئيس بمنصب الوزير الأول لدى الشيخ خزعل لأجل زواج حمد بن مبارك على ابنة صباح المحمد حصة". كذلك استقدمت فرقة موسيقية اعضاؤها من يهود البصرة لإحياء حفلة الزواج.

(٥) وقد أنجت له مريم أبنائه عبد العزيز وناصر وبدرية ويوسف وفيصل (يعقوب ال إبراهيم، المرجع نفسه، ص١٥).

(٦) يعقوب آل إبراهيم، المرجع نفسه، ص١٥؛ ويذكريوسف البسام أنه عاد إلى الكويت وتوفي فيها (يوسف البسام المرجع نفسه ص٣١٦)

(٧) البسام المرجع نفسه ص٢٦٥.

١٣٧٠هـ/١٩٥١. فرجع بعدها الأحفاد جميعاً إلى الكويت ليلتم شمل أفراد أسرة آل صباح بعد فراق استمر نحو ستين عاماً[(١)]. وكان الشيخ حمود بن جراح الصباح قد عاد إلى الكويت قبل أبناء عمه بفترة وتوفي فيها[(٢)].

أما بالنسبة لعائلة الشيخ يوسف آل إبراهيم، التي خرجت بدورها من الكويت نتيجة عملية الاغتيال وما تلاها من تطورات للأحداث فاستقروا أولاً بالدورة ثم انتقلوا إلى قطر وبعدها الى جزيرة قيس ومنها الى مكة المكرمة وبعضهم استقر في حائل ثم عادوا إلى دورة ابن إبراهيم بعد وفاة الشيخ يوسف، أما الفرع المقيم في الهند منذ النصف الاول للقرن التاسع عشر فقد بقى هناك على استقراره الى نهاية الخمسينيات ووفاة الشيخ جاسم آل إبراهيم[(٣)].

لم يبدر من الشيخ مبارك تذمراً من أسرة آل إبراهيم، أو يتهمها بدعمها الصريح للشيخ يوسف خلال نزاعه معه. وأكد خلاف ذلك، في مراسلاته مع بعض الشخصيات العربية أو عند حديثه مع أعيان الكويت، على الروابط الأسرية القوية مع آل إبراهيم، ومواقفهم المشرفة والمتميزة والحميمة مع آل صباح وأهل الكويت عموماً[(٤)]. ويأتي هذا خلافاً لما جاء في مراسلاته مع السلطات العثمانية والبريطانية في بداية النزاع، عندما كان يتهم آل إبراهيم بدعم خصمه ومؤازرته، ويطالب باتخاذ موقف حازم معها لمنعها من تقديم العون لشيخ يوسف[(٥)]. وبدأت مظاهر الشقاق تنجلي وعادت المياه لمجاريها والامور لسابق عهدها، فأصبحت هناك رغبة مشتركة ومتبادلة لإغلاق ملف

---

(١) يوسف البسام المرجع نفسه ص٢٦٥؛ معلومات زودني بها خطياً الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم بتاريخ ٥/٥/٢٠٠٥م.

(٢) يوسف البسام المرجع نفسه ص٢٦٥.

(٣) مقابلة مع الراوية الأستاذ محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت، بتاريخ ٢٠/٦/١٤٢٣هـ؛ الزعبي، عائلة آل إبراهيم الكويتية، مرجع سابق، ص٨٥.

(٤) وكتب الشيخ مبارك برسالته المرسلة إلى جاسم آل ثاني عن أسرة آل إبراهيم قوله ((وإلا هذه الحمولة حنا وياهم من دون الناس جماعة ولا عندنا أمر يخالف أمرهم نقرب ما يقربون ونوخر ما يوخروه؛ . ولا بيننا وبينهم عداوة متقدمة ولا خلت قلوبنا من محبتهم؛ .)) (رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى جاسم ال ثاني بتاريخ ٢٨/١١/١٣٢٢هـ) مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها.

(٥) الأرشيف العثماني، استنبول إرادة خارجية .He.MTV، رقم ٤٨/٧١٩ بتاريخ ١٤/٨/١٨٩٦ (وثيقة منشورة في كتاب بيان الكويت، القاسمي مرجع سابق ص٣٣٩) Rush, Records, op, cit, p171

النزاع بالاتصال والتواصل. فقامت عائلة آل إبراهيم من جهتها بالتآزر مع الشيخ مبارك لوأد الشر والعداء، لإدراكها أن دواعي الخلاف قد انتهت بوفاة الشيخ يوسف، ولتأم شمل آل صباح، فأضحى من مصلحة الجميع أن تكون العلاقة طبيعية لامور شتى، ليسهل التعامل بحرية أكثر مع الكويت، كما أنهم في النهاية لابد أن يعودوا إلي ديارهم وأملاكهم التي ابتعدوا عنها لسنوات عديدة.

قابل الشيخ مبارك ذلك بالتقرب أكثر مع عائلة آل إبراهيم، فهو السياسي المحنك والعارف ببواطن الأمور، ويدرك ما لهذا التقارب من نتائج ايجابية عائدة عليه وعلى الكويت بالدرجة الأولى، وما لهذه العائلة من مكانة اجتماعية، وما لها من تأثير على اقتصاد وازدهار بلدته لمكانتها التجارية، حيث تعتبر أكبر البيوتات التجارية بالكويت[(١)]، واحتكارها لتجارة اللؤلؤ ذائعة الصيت في الهند وحتى انهيار سوقه بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي وقت كانت الكويت، ومعها بلدان الخليج تعتاش على تلك التجارة[(٢)]. فقد حرص الشيخ مبارك على استغلال هذه الفرصة الثمينة ليطوي صفحة النزاع مع هذه العائلة الى الابد.

بدأ في مراسلة برسالة مؤرخة في ١شوال١٣٢٥ وجهها إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم، وضح فيها موقفه من العائلة أثناء صراعه مع الشيخ يوسف. ومما جاء فيها: "إذا يصير طاري يوسف في محضر رجال أكابر أقول مساوية معي، يفسدها محسنات أبوه ومحسنات علي وأبو علي محمد مع جابر وصباح. وهنالك يا أخي جرى المقدر... وأنتم منا ولا لنا منكم براءة"[(٣)]. ومن نتائج التقارب مع آل إبراهيم، استرد الشيخ مبارك الوديعة الموجودة عندهم في بومبي، والتي طالب فيها طوال فترة النزاع، فلم يترددوا في ذلك، فقد قام الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم بتسليم عبد الرزاق الخالد الخضير، مبعوث الشيخ مبارك، المبلغ كاملاً والبالغ ٧٦٨٥٥ روبية[(٤)]. وعندها

---

(١) كاتلوف، مرجع سابق، ص١٧٥.

(٢) ضاري الرشيد، مصدر سابق ص ٢٧؛ بالجريف، مصدر سابق، ص ١/ ٦٦

(٣) رسالة من الشيخ مبارك بن صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في الهند بتاريخ ١/شوال/ ١٣٢٥ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن)؛ يعقوب آل إبراهيم، التبيين، مرجع سابق، ص ص٢٥ – ٢٦.

(٤) وثيقة سند بخط عبد الرزاق الخالد الخضير باستلامه المبلغ كاملاً بواسطة الشيخ عبد العزيز بن =

حرر الشيخ مبارك سنداً بهذا المبلغ بتاريخ٣ محرم ١٣٢٥هـ، الذي شمل جميع مستحقات آل صباح[١].

ولتأكيد حُسن النوايا، قامت عائلة آل إبراهيم بتقديم المساعدات والهدايا للشيخ مبارك، وأبرزها تموينه عام ١٣٢٥/١٩٠٨ بشحنة أسلحة بلغت ٨٠٠ بندقية مارتيني – هنري، مساندةً في حفظ أمن الكويت، وشحنة من الأطعمة، تمثلت بـ٣٥٠٠ كيس من الأرز. قام بإرسالها الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم من بومباي[٢]. ولم ينس الشيخ مبارك – ، الذي حرص على تقوية هذه العلاقة، وتقديراً لتلك المواقف – .أن أمر بإقامة صلاة الغائب في جميع مساجد الكويت[٣]حينما وصل نبأ وفاة الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي عام ١٣٢٨هـ[٤].استمرت عائلة آل إبراهيم مع آل الصباح تتمتع بعلاقات متينة، ممثلة بالشيخ جاسم بن محمد بن علي آل إبراهيم فقد بلغت قمة مداها وأفاقاً غير مسبوقة بتودد غير عادي لم يحدث قبله.ولنقرأ معاً ما كتبه شاهد عيان "كاتب الوكيل السياسي البريطاني" عبدالله العبدالاله

= علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٣٢٥هـ (مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها).

(١) سند محرر باسم الشيخ مبارك عن جميع المبالغ للشيخ محمد الصباح لدى الشيخ يوسف آل إبراهيم وعبد العزيز بن علي آل إبراهيم، جاء فيه ((وجه تحرير السند، هوان بتاريخه أدناه أقول أنا يا مبارك الصباح حولت عبد الرزاق الخالد الخضير على الأخ الشيخ عبد العزيز بن المرحوم الوالد علي ال إبراهيم في بومباي بأن يقبض المبلغ من بعد كل حساب بين المرحومين محمد الصباح والشيخ يوسف آل إبراهيم وكذا الباقي بين محمد الصباح وعبد العزيز ال إبراهيم وإيصال ما يتبقى من الدراهم؛ ؛ ولا بقي لي بذمة الأخ عبد العزيز بن المرحوم علي ال إبراهيم ولا بذمة عموم آل إبراهيم أدنى حساب وقد أبرأت ذمته وحدده هذا السند؛ ؛. ٣ محرم ٣٢٥، ختم مبارك)) وثيقة سند من الشيخ مبارك عن جميع مستحقات آل صباح لدى آل إبراهيم التي تبلغ ((٧٦٨٥٥ روبية)) وحرر السند بتاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ((مكتبة يعقوب ال إبراهيم الخاصة، لندن، وقد زود الباحث بنسخة منها).

(٢) معلومات زودني بها الراوية محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله في الفنطاس بتاريخ ٢٥/٦/ ١٤٢٥هـ.

(٣) وذكر الحاتم أنه توفي سنة ١٣٢٤هـ والصحيح ما ذكرناه (الحاتم، مرجع سابق، ص٦).

(٤) في تدوينات خان بهادر الصادرة من مركز البحوث والدراسات الكويتية، رسالة الكويت السنة الرابعة، العدد ١٥ جمادي الآخر ١٤٢٧ يونيو ٢٠٠٦ ص ٥.(في ٢٥ جمادي الآخرة ١٣٢٨هـ الخميس جانا خبر تلغراف من بمبي (مومباي) إلى الشيخ مبارك عن وفاة الشيخ عبد العزيز بن علي بن محمد الإبراهيم، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة في المساجد من أمر مبارك الصباح، رحمه اله وعفا عنه).

القناعي في تدويناته ويومياته عن قدوم الشيخ جاسم آل إبراهيم للكويت: "وصل الشيخ جاسم بن الشيخ محمد بن إبراهيم إلى الكويت من بمبي في مركب الشيخ مبارك.وصل ليلة الجمعة الساعة الثالثة من الليل الموافق ١٩ صفر ١٣٣٢هـ المصادف ١٨ يناير ١٩١٤م. نزل عند الشيخ مبارك، وفي إقبالته على الكويت رموا له أربعة أطواب من المركب.وبعد هذا أول وصله الى الكويت بعد خروجه منها سابق.رحت أسلم عليه بعد صلاة الجمعة، وفي حالة السلام بارك لي في الرتبة، التي حصلت عليها من الدولة القيصرية الانجليزية، قبل أن أخذ الخبر من القنصل الذي عندنا. وسافر من الكويت في مركب الشيخ مبارك لمواجهة خزعل المرداو، وذلك يوم الجمعة ٢٧ صفر الساعة التاسعة ونصف بصحبة الشيخ جابر والطواويش. صحبته السلامة بالسفر والاقامة". وكان قد قدم هدية للشيخ مبارك قبل ذلك التاريخ في عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م هي أول سيارة في الكويت والجزيرة العربية لينفتح الناس في الكويت على الجديد والحديث ومواكبة العصر.[١].

كذلك أسهم الشيخ جاسم والشيخ عبدالرحمن آل إبراهيم بالنصيب الأكبر في تأسيس المدرسة المباركية، وهي أول مدرسة نظامية في الكويت بنسبة تصل إلى ٧٥٪ من تكاليف إنشائها العام ١٣٣٠هـ/١٩١٢، ليكون لها الدور القيادي في وثبة النهضة العلمية في الكويت، في دعمهما الغير محدود لتطوير المعرفة[٢]. وهكذا استمرت العائلة تدعم نهضة الكويت لسنوات عديدة. ومنها تأسيس شركة المراكب العربية المتحدة التي ساهم فيها الشيخ مبارك وأبناءه عام ١٩١١م.

ومن جانبه أثبت الشيخ مبارك حسن نيته لهذه العائلة، عندما تأثر الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز آل إبراهيم بنكسة اقتصادية، خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/العشرين ميلادي، أعلن بسببها إفلاسه. وما كان من الشيخ مبارك إلا إعلان تأييده ومؤازرته، فعقد اجتماعاً مع آل إبراهيم

---

(١) سيارة من نوع ((Manirva)) الحاتم مرجع سابق ص١٤٠؛ يحيى الربيعان، بين المشافهة والتدوين والعزف عن المعروف، جريدة الطليعة الكويت العدد ١٢٧٤ بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩٩٧ ص٩.

(٢) القناعي، مصدر سابق، ص٤٤؛ الربيعان؛ المرجع نفسه، ص٧؛ محسنون من بلدي، مرجع سابق، ١٢٢/١.

وكبار تجار الؤلؤ للخروج من هذا المأزق فتم ذلك بنجاح وأجتازت البلاد أزمة مالية خطيرة، فالكويت بحكمة رجالها تسبح ولاتغرق[١].

وإثناء الاحتراب بين الشيخ مبارك وسعدون باشا المنصور شيخ المنتفق طلب الشيخ مبارك من آل إبراهيم تجييش أتباعهم من سكان الدورة لمحاربة المنتفق ١٣٢٨/ ١٩١٠، ولم يترددوا في تلبية الطلب هذا[٢].وعلى الرغم من سياسة التقارب والتعاون والتلاحم في المحن، التي طويت معها صفحات الخلاف بوفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم، إلا إننا نجد هذه الأسرة لم تعمل للعودة إلى الكويت طوال عصر الشيخ مبارك، بل بقيت بالدورة والهند، ولم يمنع من قيامهم بزيارة الكويت لقضاء بعض أمورهم، وملتزماتهم حتى بعد وفاة الشيخ مبارك الصباح عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٩[٣]. وخلال فترة حُكم ابنه الشيخ جابر الصباح القصيرة. وكأنها أجلت العودة إلى عهد الشيخ سالم بن مبارك الصباح ١٣٣٥ - ١٣٣٩هـ/ ١٩١٧ - ١٩٢١.

بدأت أسرة آل إبراهيم بالعودة النهائية إلى الكويت بعد إلحاح شديد من قبل الشيخ سالم، فكان أول العائدين الشيخ صالح آل إبراهيم، الذي كانت تربطه بالشيخ مبارك علاقة جيدة وحميمة مع الشيخ سالم. فشيد الشيخ صالح منزلاً مقابل قصر الشيخ مبارك، قصر السيف بحي (فريج) آل إبراهيم[٤] في بهيتة. ثم لحق به الشيخ سليمان بن عبد اللطيف آل إبراهيم. وتوالى بعدها رجوع العائلة تباعاً وعلى فترات متفاوتة[٥].

وبالعودة إلى أحوال الشيخ مبارك السياسية فقد تغيرت كثيراً عما كانت عليه في العقد الأول من حكمه، أثناء النزاع مع الشيخ يوسف آل إبراهيم، حيث

---

(١) يعقوب آل إبراهيم، نفائس الخبايا من تاريخ الكويت، جريدة القبس، الكويت، العدد ٩٧٠٧ الخميس ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢ ص٣٥

(٢) السعدون أحداث...، مرجع سابق ص١٠٨؛ يعقوب ال إبراهيم، التبيين...، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٣) يعقوب آل إبراهيم، نفائس الخبايا...، مرجع سابق، ص٣٥ مقابلة مع الراوية الأستاذ/ محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنطاس بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٤٢٣هـ.

(٤) مقابلة مع الراوية الأستاذ/ محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنطاس بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٤٢٣هـ؛ الزعبي عائلة آل إبراهيم مرجع سابق ص٨٤.

(٥) مقابلة مع الراوية الأستاذ/ محمد بن صالح آل إبراهيم بمنزله بالفنطاس بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٤٢٣هـ؛ الزعبي عائلة آل إبراهيم مرجع سابق ص٨٤.

كان دائم اليقظة من مباغتات خصمه، وميال إلى محاولات الصلح، والتعامل مع رعيته بشعور الحاجة لهم. وبعد ذلك اطمئن من أي خطر يحدوا، تغيرت سياسته الداخلية، فمال إلى المظالم والتسلط والاستبداد في السلطة[١]. واستمر على هذه الحالة الجائرة، التي أصبحت تزداد من فترة لأخرى فارضاً على شعبه سياسته الجديدة بالقوة، لدرجة منعهم من استخدام الخيول في انتقالاتهم داخل الكويت.

ووصف ماليري، المعاصر لهذه الفترة، سياسة مبارك في مذكراته، بالقول: "وقد حكم مبارك الكويت بيد حديدية، وكانت كلمته قانوناً، ولم يكن يسمح لأي من رعاياه بالاحتفاظ بعربة أو حتى بجواد للركوب. أما المسنون أو المقعدون فكانوا يركبون حميراً متواضعة. وكان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة نقيب البصرة السيد رجب"[٢]. وقام بفرض الضرائب على جميع الصادرات إلى الكويت والواردات منها، حتى أصبحت الضرائب الباهضة خلال العقد الثاني من حكمه هي السمة السائدة للإدارة[٣].

ولم يكن التغيير فقط في سياسته ضد أهالي الكويت، بل شمل سلوكه الشخصي، واعتزل الناس، وحدد اختلاطه بالأهالي[٤]. وأخذ بالتفرغ لحياة اللهو والترفيه عن النفس في قصور خزعل بالمحمرة[٥]. وأصبح يغيب لفترات طويلة عن الكويت في بلاد خزعل[٦]. وقام بشراء مركب بخاري ذاع صيته يتنقل به خلال العام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ من دون خوف من عدو يتربص به، وبذلك ترك أسلوب تحركاته السرية، التي اعتاد عليها في السنوات الماضية. ويعلل لوريمر هذا التغيير في سياسة مبارك، بفرضه الضرائب العالية على أهل الكويت رغم الازدهار والرخاء التي عاشتها الكويت خلال العقد الثاني من حكمه، بشراء الشيخ مبارك مركب بخاري بمبلغ مالي كبير يصل إلى مائه ألف

---

(١) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص٩١؛ الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ٢/٦٥٦؛ القناعي، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢) ماليري، مصدر سابق ص ص٤٩ – ٥٠.

(٣) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٥١.

(٥) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٠.

(٦) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٠، لوريمر دليل الخليج التاريخي مصدر سابق، ٣/١٦٦٥.

روبية. وكان ثمن هذا اليخت ناهيك من نفقات صيانته أحد أسباب الأزمة المالية للكويت[١]. ومن المحتمل أن تكون تكاليف اليخت الباهضة هي أحد الأسباب للأزمة المالية. لكن لوريمر ذكر أن التجارة بالكويت كانت مزدهرة[٢] وفي تزايد عظيم في هذه الفترة.

ويعلل المؤرخ الكويتي يوسف بن عيسى القناعي سبب تغير سياسة الشيخ مبارك، خلال العقد الثاني من حكمه، نتيجة صداقته مع شيخ خزعل حاكم المحمرة، وتأثره بشخصية الأخير لدرجة تقليده في جميع الأمور[٣]. غير أن هذه الصداقة لم تكن خلال العقد الثاني من حكمه، فهي حسب ما نعلم قديمة وتعود إلى قبل توليهما الحكم[٤]. لذا يصعب الاطمئنان لمثل هذا التعليل، فلو كان ذلك فعلاً لتأثر مبارك به منذ البداية.

يقول مؤرخ الكويت: «أن مبارك التصق بخزعل بعد أن استتب الحكم له وقد بنى خزعل له قصراً في الفيلية واشترى يختاً ينتقل به إلى هناك بسرعة وبدون عناء».

ومن الطريف ما يروى عن هذه العلاقة وكثرة غياب الشيخ مبارك عن الكويت أن بدوياً سرق حلاله (إبله) فقصد مباركاً للشكوى فقيل له أن الشيخ عند خزعل وطال الانتظار على غير العادة. والبدو عامة يملون ذلك ويريدون ما يطلبونه سريعاً. فقرر صاحبنا أن يشد الرحال إلى الفيلية وهو لا يدري أين تقع فقطع أرض ونخيلاً وركب سفناً وعبر أنهاراً إلى أن وصل مقصده. فأخذه الحراس إلى الشيخ مبارك فبدأ يقص متاعب رحلته وانتظاره وكان الشيخ خزعل حاضراً وبعد أن انتهى من سرد ما لاقاه، بادره الشيخ خزعل بلهجته الأهوازية البصرية: «لعد اكلت فشقي» وهي كنية تعني عندهم أقصى التعب والانزعاج. فأجابه البدوي وهو لا يعرف معنى فشقي: «يا طويل العمر، الفشقي اكلكم يالحكام وين يحصله فقير مسكين مثلي». ولم يدر أن الفشقي هو فضلات الخيل باللغة التركية.

---

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/١٥٦٧.

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ٣/١٥٦٦.

(٣) القناعي، مصدر سابق، ص٧.

(٤) الريحاني، تاريخ نجد، مصدر سابق، ص١١٠.

وكان بالماضي وعلى الرغم من مرور الكويت بأزمات مادية واقتصادية حادة خلال عامي ١٣١٩ - ١٣٢٠هـ/١٩٠١ - ١٩٠٢ نتيجة لحصار العثمانيين وحلفائهم ابن الرشيد والشيخ يوسف آل إبراهيم. لم يحاول مبارك الضغط على الأهالي بتحميلهم ضرائب جديدة، بل نجده يبحث عن وسائل أخرى لسد النقص والعجز، مثل ما مر بنا عند طلبه من الإنجليز مبالغ مالية لسد المتطلبات. وبالمطلق، نعتقد أنه كان وراء تبدل سياسة مبارك هو وفاة خصمه الشيخ يوسف، فحينها لم يجد الشيخ مبارك معارضاُ أو منافس. وبوفاة الشيخ يوسف انزاح عنه الستار لتظهر سياسته الحقيقية الاستبدادية، القائمة على القوة والتسلط، وبنى في بلاده قصور اللهو والترفيه، وأصبح يجاهر بها من دون اكتراث(١).

وعلى حقيقة علاقته مع شيوخ البادية، فإن هذه الرواية تكشف كنهها نسوقها مثالاً لا حصراً. يقول الراوية المعروف محمد بن علي العبيد وجرت حوادثها عام ١٣٢١هـ(٢).

وقد أفادني رجل من أهل عنيزة المحبوسين يدعى عبدالله بن محمد الربع. قال: بينما كنا في حبس ابن صباح إذ دخل علينا الشيخ جعيلان بن سويط شيخ الظفير محبوساً معنا. فاستكبرنا ذلك لأنه رئيس كبير وهانت عندنا مصيبتنا. فالتففنا حوله تسلم عليه ونسأله عن السبب الذي دخل الحبس من أجله فقال من فوره مجيباً: «هذا أبو السمك يعني (الشيخ مبارك) يقول أن صالح البسي من أهل بريدة يشتري من بيوتكم إبل للبسام وقد كمل مشتراه ثمان رعايا أبيها تجيني هي وصاحبها الذي اشتراها. فكان يبينا نسلم له ضيفنا الذي بوسط بيوتنا وهو ما درى أننا ذبحنا ولدنا عند جارنا وقصته مشهورة في عموم الجزيرة وما ولاها.

كذلك القت وفاة الشيخ يوسف ظل آخر على سياسة الشيخ مبارك الخارجية، في العقد الثاني من حكمه، في علاقاته بالقوى الإقليمية، حيث اتسمت بالتحول وعدم الثبات مع حليفه ابن سعود ومع عدوه ابن الرشيد(٣)، فأخذ

---

(١) القناعي، مصدر سابق، ص٢٧.

(٢) كتاب أخبار الملك عبدالعزيز في مذكرات المؤرخ محمد العلي العبيد تحقيق فائز بن موسى البدراني الحربي، الطبعة الأولى - الكويت ٢٠٠٢م.

(٣) جمال قاسم، مرجع سابق، ٢/ ٣٤٤؛ جبار عبيد، مرجع سابق، ص١٢٧.

يميل إلى التعاطف مع إمارة الرشيد[١]، وظهور الطموح التوسعي في بلاد نجد، اتضح ذلك في عرضه على حلفائه الإنجليز خطة لحل الأزمة في المنطقة بتقسيم نجد بين ابن الرشيد وابن سعود، وبضم المناطق الممتدة إلى القصيم وسدير لإمارته[٢]. لكنه سرعان ما تراجع عن هذه الخطة، بعد أن وجد نفسه الوحيد المؤمن بها[٣]ويذكر حسين خزعل: "أن سياستة ذات الوجهين كانت سمة علاقته بين أبن سعود وأبن رشيد" حتى يستمرا بالنزاع ويضعفا معاً، فيكون بذلك هو المستفيد الوحيد من ذلك[٤].

وهنا، يتضح لنا أثر وثقل الشيخ يوسف على سياسة الشيخ مبارك قبل وفاة الأول أو بعدها، حيث ظهر خلال هاتين الفترتين بشخصيتين متناقضتين ومتباعدتين كل البعد. وعند خاتمة حياة الشيخ يوسف الإبراهيم لابد أن يُطرح السؤال: ماهي علاقة الشيخ يوسف بالأحداث ليلعب هذا الدور المفصلي في المشهد السياسي؟ هنا لابد من الإشارة إلى ما أغفله معظم الكُتاب لما ورثه الشيخ يوسف عن آبائه وأجداده، لذا جاء ذكرهم له مقطوعاً عن ذلك الإرث في الحياة السياسية في المنطقة. فمنهم مَنْ اعتبره مجرد مستشار، ومنهم مَنْ اعتبره الصديق المقرب من الحاكم. وهؤلاء لم يجهدوا أنفسهم بالرجوع إلى ماكتبه عنه معاصريه من المؤرخين، مثل القناعي والرشيد وغيرهما. ويبدو أن عدم العمق في الدراسات جاء لسببين: الأول، أن دراسات مَنْ اختصر تأثيره ودوره بوظيفة المستشار أو المُقرب لم تكن بحوثاً تاريخية موثقة. والثاني للابتعاد عن الحساسية، وهذا طامة كبرى على البحث التاريخي. ولا ننفي قلة المصادر المتوفرة حول شخصية الشيخ يوسف وأسلافه، وذلك أن السلطات التي لم تكن على توافق معه عملت جهدها لاخفاء وتدمير ما كُتب عنه. مثال ذلك مصادرت السلطات البريطانية في البصرة عام ١٩١٥ مسودة مصدر تاريخي هام، كالذي كتبه ماجد بن سلطان بن فهد. واتلاف ما كتبه الشيخ أحمد بن رابح، وكانا من المعاصرين للحدث. يضاف إلى ذلك عدم توافر النية

(١) لوريمر، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ٣/ ١٥٦١.

(٢) لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٧١٧؛ السعدون العلاقات...، مرجع سابق، ص١١٤.

(٣) لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ١٧١٧؛ السعدون العلاقات...، مرجع سابق، ص١١٤.

(٤) خزعل، مرجع سابق، ٢/ ١٨٧

لجرد الأراشيف العثمانية، والفرنسية، والروسية، وحتى البريطانية، وما احتفظت فيه من وثائق. ولا بد من ذكر حقيقة أخرى تتعلق بما كُتب عن أسباب النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، وما كُتب عن الأخير نفسه، ألا وهي أن التاريخ يكتبه المنتصرون!

فعسى ان نكون قد وفقنا في بحثنا هذا القاء الضوء، وتحديد الملامح، وكشف مطامير التاريخ، وكسر الحاجز النفسي، و المستقبل كفيلٌ لكشف ما خفا وخبا.

الخاتمة

امتدت جذور النزاع بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف آل إبراهيم في أعماق تاريخ الكويت، منذ نشأتها باختيار عتوب الكويت صباح حاكماً عليهم بطريقة شورية، ليكون مكلفاً بالنظر في شؤون بلدته، وأن لا يقدم على أمر مهم قبل استشارة أعيان بلدته، ما يعني أن سلطة الحاكم كانت محدودة، غير مطلقة، مما أفسح المجال لبعض الشخصيات الكويتية من غير آل صباح لاكتساب صلاحيات تبرز من خلالها سلطتهم التي تفوق أحياناً سلطة الحاكم نفسه، وكان أغلب هؤلاء من التجار. يوم كانت التجارة في الكويت تمثل عصب الحياة، وأساس التقدم والازدهار، والسبب الأقوى في استمرار حكم آل صباح، حيث مثلت أنشطتها المتنوعة قوة اقتصادية تدعم وجودها السياسي إقليمياً، وتعمل على توجيه دفة السياسة الداخلية. وبالمحصلة يمكن إيجاز النتائج التي وقف عليها البحث بالآتي:

- كان الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ يوسف، وتطوراته في المراحل المختلفة، نتيجة النزاع حول السلطة بشقيه السياسي والمالي، فبينما كان الشيخ يوسف يمثل النفوذ الاقتصادي، كان الشيخ مبارك يمثل النفوذ السياسي، وأن وصول هاتين الشخصيتين الطامحتين على رأس القوتين كان لا بد من أن ينجم عنه تصادم بينهما.
- إن دواعي الشقاق وأسباب الخلاف، التي أدت إلى الصراع بين مبارك وأخويه، الشيخين محمد وجراح، تعود أساساً إلى التفاوت في المبادئ، والتباين في الميول، والاختلاف في الطبائع والأخلاق، مما جعل هوة الخلاف بينهم تزداد اتساعاً.
- تمثلت أسباب النزاع، بين الشيخ مبارك الصباح والشيخ يوسف، في التصادم بين طموح الأول في السلطة، وصلاحيات الثاني المطلقة بما يملكه من نفوذ اقتصادي، مع الضيق من الحصار المالي الذي مُورس معه من قِبل أخويه: الشيخ محمد وجراح الصباح، والشيخ يوسف آل إبراهيم. وبطبيعة الحال، أدى ذلك إلى نزاع بين الطرفين، واجهه الشيخ مبارك باغتياله أخويه، لتدخل الكويت في مرحلة من النزاع الحاد امتدت عشر سنوات من تاريخه.

- تعتبر عملية اغتيال الشيخ مبارك لأخويه حالة نادرة في تاريخ الكويت، فهو أول اعتلاء للسلطة عن طريق إراقة الدماء، وكان هذا الحدث غير مسبوق لبشاعته، فأهل الكويت ميالون بطبعهم إلى الدعة والاستكانة، لذا خلق هذا الوضع ردود أفعال مختلفة، في الداخل والخارج. تمثلت في معارضة رموز من المجتمع الكويتي وتزعم الشيخ يوسف قيادة هذه المعارضة، وما يعلق بهذا من ردود أفعال الدولة الكبرى والمراكز الإقليمية.

- بدء الشيخ يوسف نشاطه ضد الشيخ مبارك من البصرة، وأخذ يُضيق الخناق على خصمه، ولم يملك الأخير سوى تلقي الضربات المتلاحقة من جميع الاتجاهات بمهارة شتت قواه، حتى تحولت الكويت من جراء ذلك إلى بؤرة للصراع الدولي على أوسع نطاق. واستمر الحال حتى وفاة الشيخ يوسف.

- جعل الشيخ يوسف القضاء على الشيخ مبارك قضيته الأولى والأخيرة، معتمداً في ذلك على علاقاته وموارده الشخصية. وشهد عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ تحركاً نشطاً وهجمات مكثفة، وخطط متنوعة. وقد استطاع الشيخ مبارك التعامل معها وإحباطها بكل الوسائل الممكنة.

- جذب النزاع بين الشيخ يوسف والشيخ مبارك قوى إقليمية مختلفة، كان لكل قوة مبرراتها، التي دعتها إلى الدخول في معترك هذا النزاع. دخلت إمارة قطر نتيجة العلاقة العدائية بين الشيخ مبارك والشيخ جاسم آل ثاني، دون التقليل من دور الصداقة القديمة بين الشيخ يوسف والشيخ جاسم، إلى جانب أسباب أخرى أدت إلى تعاونهما ضد الشيخ مبارك. وكان طموح إمارة الرشيد فقد السيطرة على ميناء في الخليج العربي، لسد احتياجات الإمارة، فجاء طلب الشيخ يوسف بنصرتها موافقاً لأهوائها السياسية، بالإضافة لاتخاذ الأسرة السعودية الكويت مقراً لها. مما جعل إمارة الرشيد تقرر الدخول في مجريات النزاع، الذي كانت نتائجه عكسية عليها مع استرداد سلطة آل سعود على نجد. مما جعل ابن الرشيد، في نهاية المطاف، ينصرف عن الكويت لمقاومة السلطة السعودية المتنامية. وبالتالي أدى النزاع الإقليمي إلى تغير خارطة المنطقة بعودة آل سعود من جديد إلى مواقعهم في نجد، وتقهقر إمارة الرشيد بتأسيس الدولة السعودية الثالثة.

- تميزت علاقات الكويت بالقوى الإقليمية، قبل عهد الشيخ مبارك، بالحياد والسلم، وكانت جل حروبها دفاعية، بغض النظر عن مشاركتها في الحملات العثمانية. أما في عهد الشيخ مبارك فقد تغيرت سياستها الخارجية، حيث أصبحت تمارس العداء والتعدي والمغامرة مع من حولها.
- كذلك تميزت الكويت بعلاقة فريدة مع الدولة العثمانية، فهي على الرغم من قرب المسافة من العراق العثمانية، إلا أن الدولة العثمانية اكتفت بتبعية الكويت الاسمية، ولم تعمل بشكل جدي لفرض نفوذها المباشر على الكويت، فأعطت هذه العلاقة الكويت استقلال ذاتي ساعد على حرية التقارب مع القوى الكبرى الأخرى المنافسة للدولة العثمانية، وخصوصاً بريطانيا في الخليج العربي.
- لفتت محاور النزاع أنظار القوى الكبرى الغربية إلى المنطقة، ونتج عنه حرص الشيخ مبارك على طلب الحماية البريطانية من درءاً للاخطار التي تحدق به، بعد أن أخذ الشيخ يوسف تأليب القوى الإقليمية في جزيرة العرب، ورجالات الدولة العثمانية ضده. وبأثرها لجأ الشيخ مبارك إلى بريطانيا. وينم ذلك عن انتباه مبكر لأهمية الوجود البريطاني في المنطقة، وبهذه المعاهدة مهد الطريق أمام أمراء الكويت من بعده، في أتباع سياسة الالتجاء للدول الكبرى، كلما لاحت في الأفق بوادر الخطر على الساحتين الإقليمية والدولية والداخلية. وقد نتج عن هذه الحماية فصل الكويت عن العراق العثماني.
- ومما يستحق الذكر والإشادة ولم يتطرق له من كتبوا، أن الشيخ يوسف الإبراهيم كان يتنقل بحرية كاملة في كل البلدان المحيطة بالكويت. فقد سافر إلى البحرين وحل في قطر وأقام فترة في بومبي وبعدها انتقل إلى مدن نجد فنزل بريدة وأحل في حائل وجاور في مكة المكرمة بالإضافة إلى إقامته في ولاية البصرة وأملاكه في الدورة وسفراتة إلى بغداد. ولم يعترضه إلا السلطات العثمانية مرتين الأولى قبيل معركة الصريف في مايو عام ١٩٠١م حيث أجبر على مغادرة الأراضي العثمانية ثم أزيل الحضر وبعدها بُعيد حملته البحرية الثانية في سبتمبر ١٩٠٢م حينما تدخلت السلطات البريطانية لدى الباب العالي فانتقل إلى حائل. وتلك المحاولتين تدحض

وتسقط وجهة النظر القائلة بأن السلطات العثمانية كانت الداعمة لمحاولات الشيخ يوسف الإبراهيم ضد الشيخ مبارك.

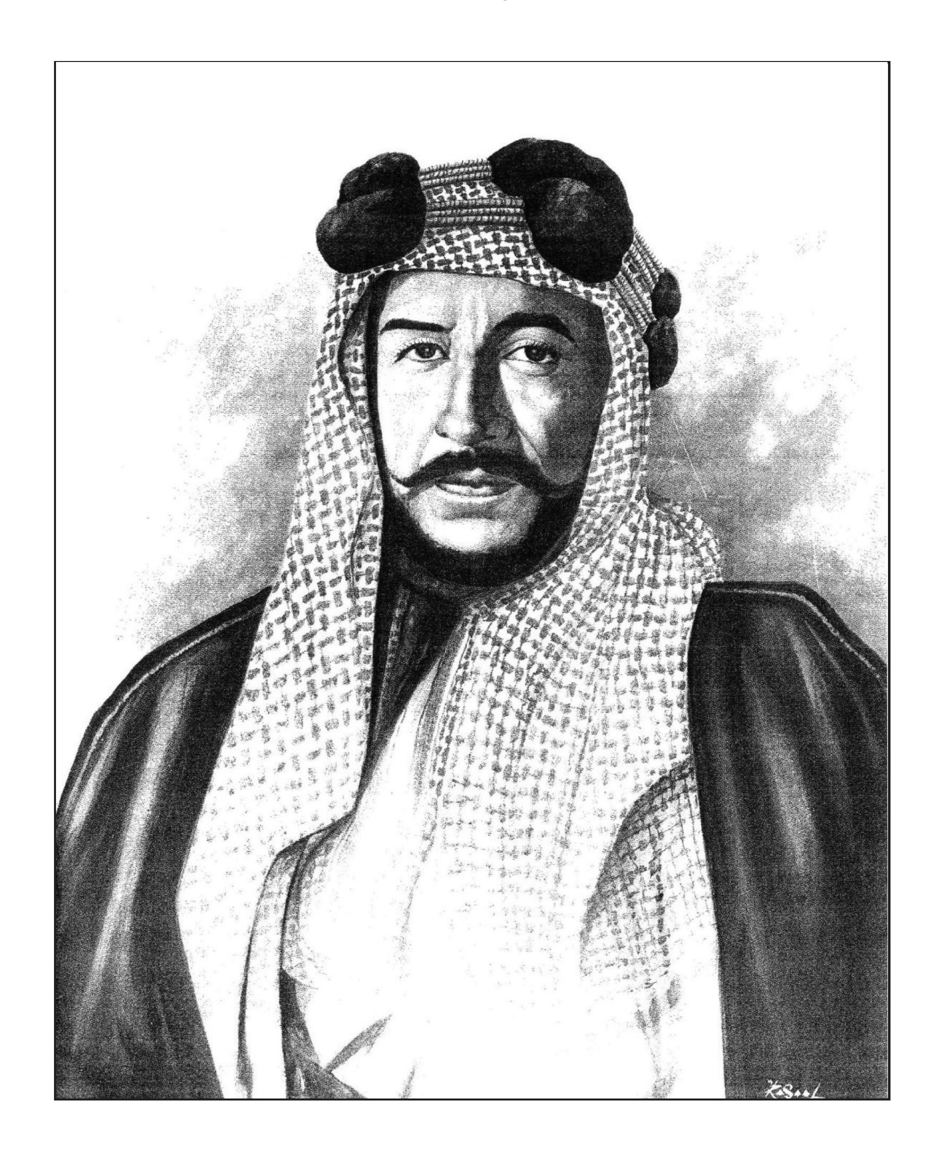
- تميز الشيخ مبارك بالدهاء السياسي، حيث المحافظة على حكمه، وحكم ذريته في الكويت، والنجاة بها بين القوى الإقليمية والدولية المحيطة بها.
- كان لتذبذب مواقف رجالات الدولة العثمانية، خصوصاً في البصرة وبغداد، أثراً سلبياً على موقفها من الكويت، مما سهل مهمة بريطانيا في بسط نفوذها عليها، وكان هذا التذبذب راجعاً للمصالح الشخصية لهؤلاء الولاة والموظفين، الناتجة عن الضعف والفساد الإداري المستشري في جسد الدولة العثمانية.
- كانت نهاية التنافس الأوروبي على الكويت لصالح بريطانيا بعقد معاهدة الحماية مع الشيخ مبارك، وفي الوقت نفسه خرجت ألمانيا وروسيا من ميدان التنافس الفعلي، وذلك لمواقفها ضد كل من يعترض سبيل مصلحتهما. لذا تضاربت المصالح مما أدى لخروجهما من هذا الميدان، إلى جانب أنهما لم يتخذا موقفاً دبلوماسياً مرناً من النزاع، الذي أفرز التنافس الدولي على الكويت.
- بمجرد وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم أغلق الشيخ مبارك ملف النزاع نهائياً، فأتجه إلى أبناء أخيه واستطاع أن ينهي الخلاف معهم بإعطائهم جميع حقوقهم المالية، مع ترتيب زيجات، سياسية بجوهرها، مع أبناء شقيقيه، ضمنت له جنحهم للسلم، ومن طرف آخر عمل على التقارب مع أفراد أسرة آل إبراهيم ليأمن جانبهم، وفعلاً تحقق له ما أراد.
- لعب النزاع دوراً في تغير نمط الحكم في الكويت، فقد أعطى الشيخ مبارك فرصةً لتقوية سلطة الحاكم، على حساب البداية الشورية في الكويت، فمن يومها بدأ الشيخ مبارك يعمل لتحقيق أهدافه بتغيير نمط الحكم، وأتاح له تكريس سلطته. وعلى الرغم من استخدام مبارك، أثناء النزاع، سياسة داخلية قائمةً على العدل والمساواة بين الرعية، وبأخذ الرأي والمشورة من أعيان الكويت، إلا أنه خلال العقد الثاني من حكمه عمل على تكريس سلطته المطلقة الاستبدادية.

الملاحق

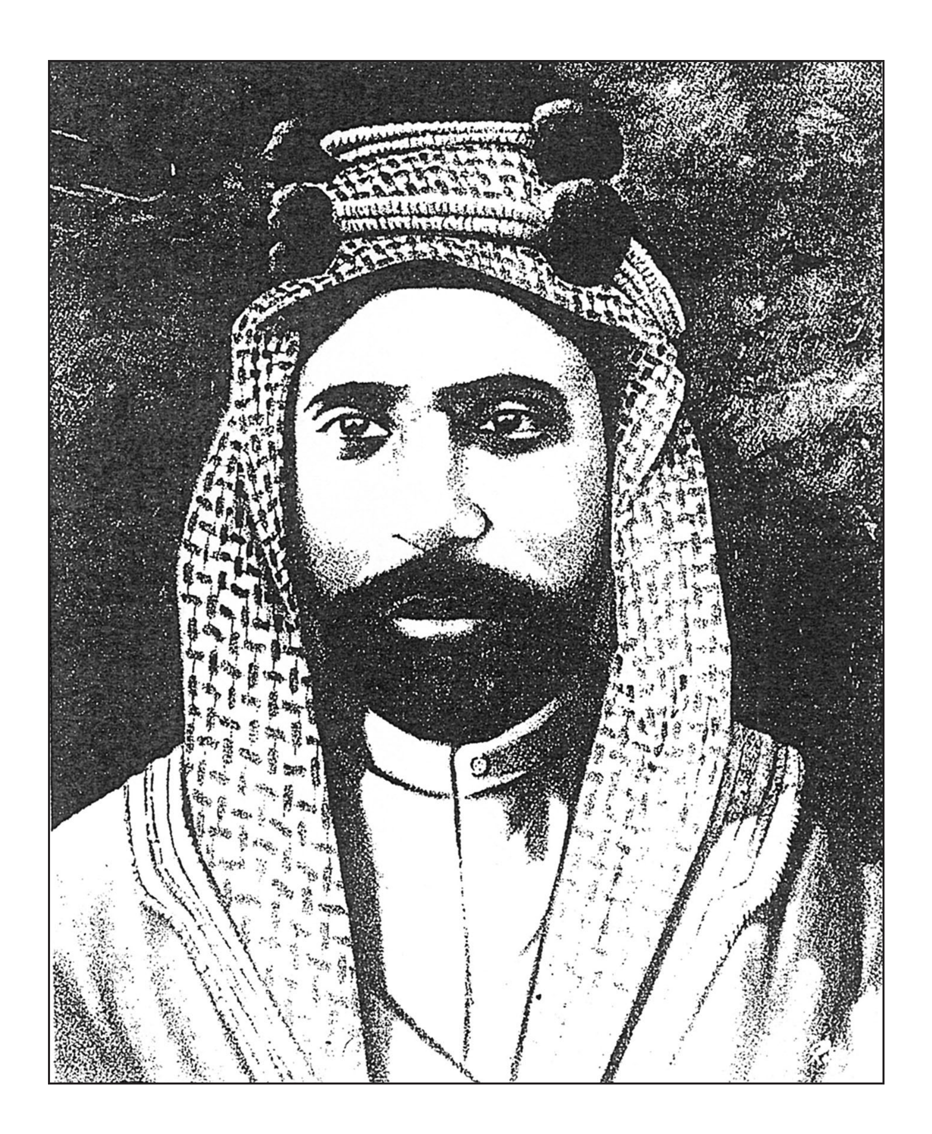
ملحق رقم (١)

رسالة والي البصرة علي باشا إلى الباب العالي يعرض وضع استقرار العتوب في جنوب البصرة (المخراق) ١١١٣هـ.

ملحق رقم (٢)
صورة الشيخ مبارك آل صباح.



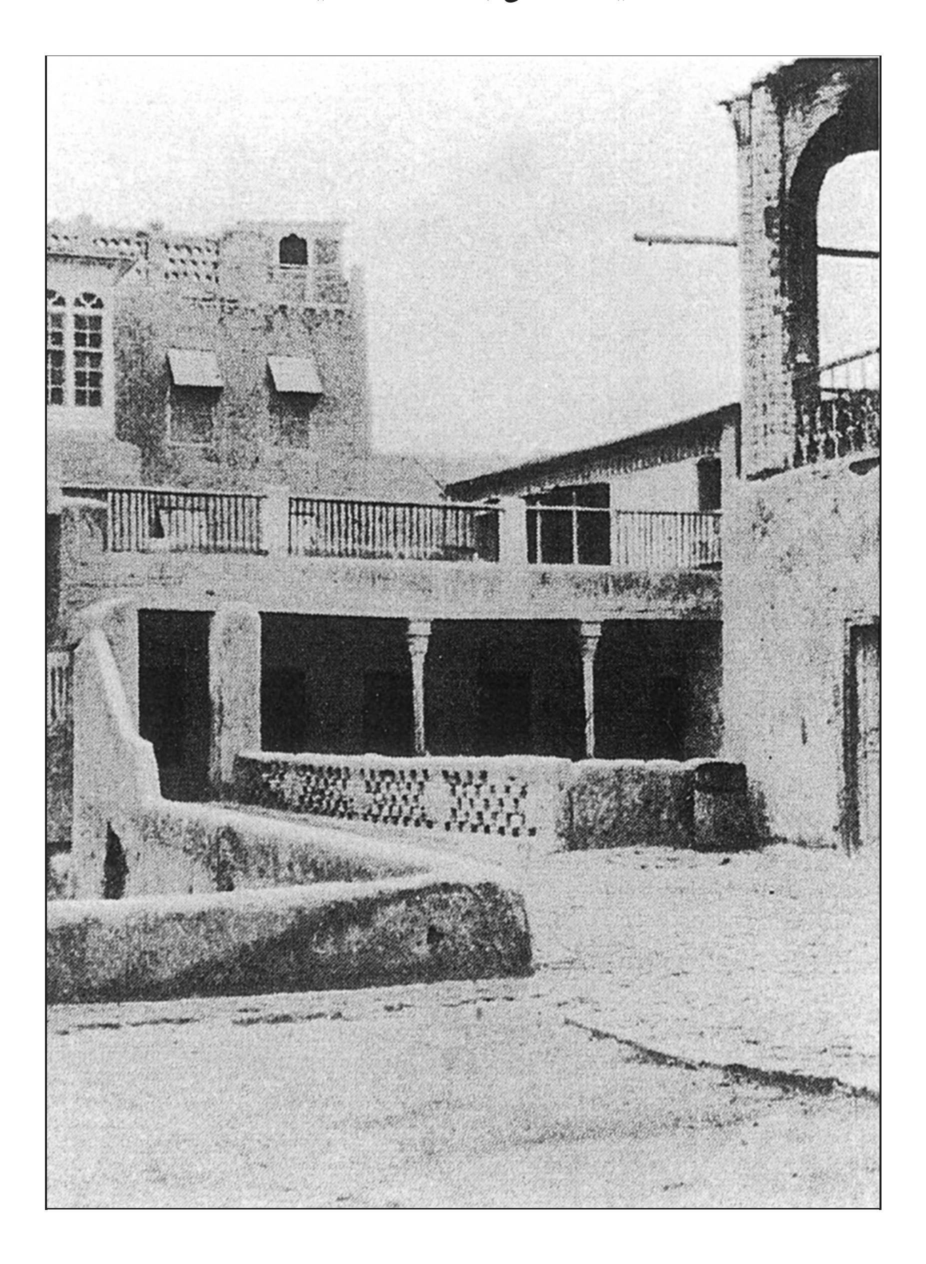
ملحق رقم (٣)
صورة الشيخ يوسف آل إبراهيم.



ملحق رقم (٤)
لوحة محفورة على مدخل ديوان آل بن إبراهيم في بهيتة
يعود تاريخها إلى عام ١٢٩٢هـ.



ملحق رقم (٥)
بيت آل بن إبراهيم في بهيتة مقابل قصر السيف حالياً، أقام فيه الشيخ مبارك من عام ١٩٠١ إلى عام ١٩٠٧م حينما انتهى بناء قصر السيف.



ملحق رقم (٦)
قصر آل بن إبراهيم في ضاحية كولابا - بومبي - الهند.



ملحق رقم (٧)

شكوى الشيخ خالد بن محمد الصباح الى السلطان عبدالحميد الثاني

Y. PRK. A.Z... 37/30 1316. S. 27

بسم الله الرحمن الرحيم

آمين

الى حضرة ملجأنا وملاذنا حامي حوزة الدين وخليفة رسول رب العالمين امير المؤمنين خلد الله ملكه وادام سلطنته واعلا شوكته
اعرض لحضرتكم وانا عبدكم ومملوككم رقكم خالد بن محمد باشا الصباح ان والدي المذكور قد حاز باسباب خدماته الى الدولة
العلية لقب الباشوية وشملته العناية الملوكية حتى انه نال امارة الكويت بالارادة السنية ولازال قايماً في مأموريته
بحسبما فيه رضى السلطنة العلية والراحة والامنية والسكون للاهالي والبادية في القطر الذي يليه ومسايراً الكل من له
حق بالسيرة الحسنة فسبقت الشقاوة الى مبارك الصباح اخيه وشقيقه فهجم عليه وعلى اخيهما وشقيقهما جراح والمذكور
[illegible] والدي في عشر السبعين وجراح في عشر الستين وهو الاوسط منهم فوجد [illegible] عند طلوع الفجر من يوم الجمعة الموافق
لاربعة وعشرين يوماً خلون من شهر ذالقعدة [illegible] وقتلهم وهم نيام في مضاجعهم وانا في هذا الفعل الفضيع الذي
لا اله [illegible] يرضى به ولا مراحم امير المؤمنين [illegible] وكل مسلم ذو جاه خطير [illegible] ولا افراد المسلمين واستحق عقوبة الله
[illegible] ثم استحق حقوق امير المؤمنين اذ هو اعني والدي من الذوات الحايزين فضل خدمات الدولت العلية و[illegible] في شئون
اهل الايمان وفي ضجة عامة المسلمين طمعاً في اموالهم وفي هوا نفسه بحسب ما هو مضمر من سوء النية الا كانت ما حلت
له نفسه من حب التعلي على عباد الله ونهب اموال المسلمين وبعد ان قتلهم ونهب جميع اموالهم من نقود ودفاتر وسندات ذممات
وحلي واثاث وعقارات ودواب وجميع ما كانت تحتوي عليه بجموعة الكويت وما قاربها من الفلوات [illegible] فقط واستيلاءه عليه
بدون معلوم الحكومت الجليلة وبعد استيلاءه على ذلك المذكور قصدنا ونحن اولاد المقتولين [illegible] الشرير والامر الخطير
اراد قتلنا مما ذكر شكونا عليه عند الحكومة من قبل الاملاك النخيل التي كائنتاً في المقاطعات الملحقة للبصرة ولا يمكنه قبض ثمارها
الا باطلاع ورضى الحكومت الجليلة فانقذنا الله من شره وذلك لنا فهربنا الى البصرة في ايام حمدي باشا والياً على محكمة البصرة
وقد تحقق هذه الواقعة بموجب ما جرى على حسب ما ذكرها اعلاه وقد تحقق ذلك بالاخبار الصحيحة وبعد وصولنا
الى البصرة اشتكينا حالنا عند الحكومت الجليلة شفاهاً والى دار السعادة تلغرافياً شكايات متعدده ولا زلنا نراه ونسمع انه ترد
الاوامر بالارادة السنية في اعطائنا حقوقنا تلغرافياً ومع كثرة ما نراه ونسمع من الاوامر لم نرا فايدة ولا نراها حقيقة عملاً
بها ولا نعلم سبب ذلك هل هي الاوامر غير حقيقية او ان الحكومة الجليلة لاجل اغراضها الشخصية [illegible] اجراؤها على سبيل
الحقانية ولا زالت الحكومات الجليلة لاجل التماهل تماطل في تركنا [illegible] حقوقنا ونقنع ببعضه ونجعل الحكم صلحاً ونحن بسبب حسن
املنا في العدل والانصاف من جانب امير المؤمنين نطلب حقوقنا بحسب الحقانية بمجرد ما تقتضيه الاحكام الشرعية
والنظامية وذلك لا يحصل الا بحضور الخصمين ولا زالت الحكومت الجليلة تطلب حضور مبارك الصباح الى دوائر المحاكم
وهو يمتنع تخوفاً من سوء افعاله فتارتاً ياتي بالاعذار الباردة وتارتاً يظهر العصيان ولا يحصل عليه من الحكومت تلزيم
ومضت كل هذه المدة بهذه الحالة وهو يتمتع في حقوقنا واموالنا وينفقها في اعدام حالنا واذهاب حقوقنا ونحن محرومين
منه في حاجة وفاقة ننظر الى الاحسان علينا والحكومت توعدنا بالانصاف ولا تفعل شي [illegible]
وعلى الخصوص مما بنا من الاكدار وقلة الانصاف [illegible] لاجل الصلح [illegible] بما يابا الله لنا به الا الركون
والتنقل الى الامصار الاجنبية وان كانت اوجد حكما بل تنقلنا الى [illegible] والبلاد الاسلامية [illegible]
السلف الصالح والاقربين ان من كان مع الله كان الله معه وبقي اخواننا الكبار صباح [illegible] على حقوقنا وسعود
في البصرة [illegible] ولا يستطيعون الانتقال الا مسافة عشرة اميال [illegible] مخافت شر مبارك [illegible]
في نفس البصرة وفي زعام الدولت العلية [illegible] بافعاله [illegible] انتقلنا من البصرة الى اي طرف نوجه [illegible]
فيه التشويش [illegible] لكي يبلغ [illegible] الاستيلاء علينا وهو لم يزل [illegible] الحكومة عنه ومعاونته
بعض المامورين له [illegible] من اهل البادية الذين [illegible] النهب والسلب لاموال المسلمين وعلى الخصوص عشيرة العجمان
ومن يليهم [illegible] ولا زالوا يشنون الغارات ويسلبون العباد وينهبون اموال الناس [illegible]
مطلبهم الخفي ويلذب على الحكومت الجليلة [illegible] عليهم الكلام ويأتي بالاعذار التي ليست [illegible] وبعض المامورين لمصالحهم
المستخدمين [illegible] على الصحة ولا [illegible] الحق في خفية فلم يرتب لنفسي امانا منه واتباعه الان اتقاما
في البصرة [illegible] البارين والقفار والفضل الى حضرة الامير عبد العزيز آل سعود [illegible] نعلم منه من حسن الخير والطوية
في البصرة [illegible] الطرق ونقل الخواهل من الى الاطراف كان بالراحت والامن والامان [illegible] اهل
والخدمات المشهورة في جميع العالم من امنية [illegible] وما هو مقبل عليه من راحت واطعام كلمن ياوي [illegible] ولا حاجة الى تبيان ذلك
البادية عنهم ولا [illegible] الشاهانة [illegible] بحول [illegible] ملتجئين في ذرا [illegible]
الى حضرة الشاهانة اعلمهم من جميع العالم فلعمري ماذا يقصدون به اهل الاغراض [illegible] الحالة التي [illegible]
امير المؤمنين هل يحصل لنا الراحة على انفسنا ونتخلص انا نكون عذر وغرض لاهل الاغراض [illegible] السبل ويشوش [illegible]
الصباح والعجمان حالاً [illegible] الامنية في جميع طرقاتها وعالم نجد باسره ويقطع السبل [illegible] علينا بما هو حقنا
انا لا نكون هدفاً لهذه الاسباب [illegible] ومنتظرين الا لعطفاته ومراحم ظل الله الظليل في الارض ان يمن علينا بما هو حقنا
بمجرد الشرع والنظام والانصاف من الخصم الظالم وبالعدم [illegible] على اداء حقوقنا والانصاف من خصمنا ونحن لا نزال نبتدي
الدعوات الخيرية في دبر كل صلاة بدوام وتخليد سلطنتكم وطول اعماركم وبقاكم والامر لله ثم لكم [illegible]

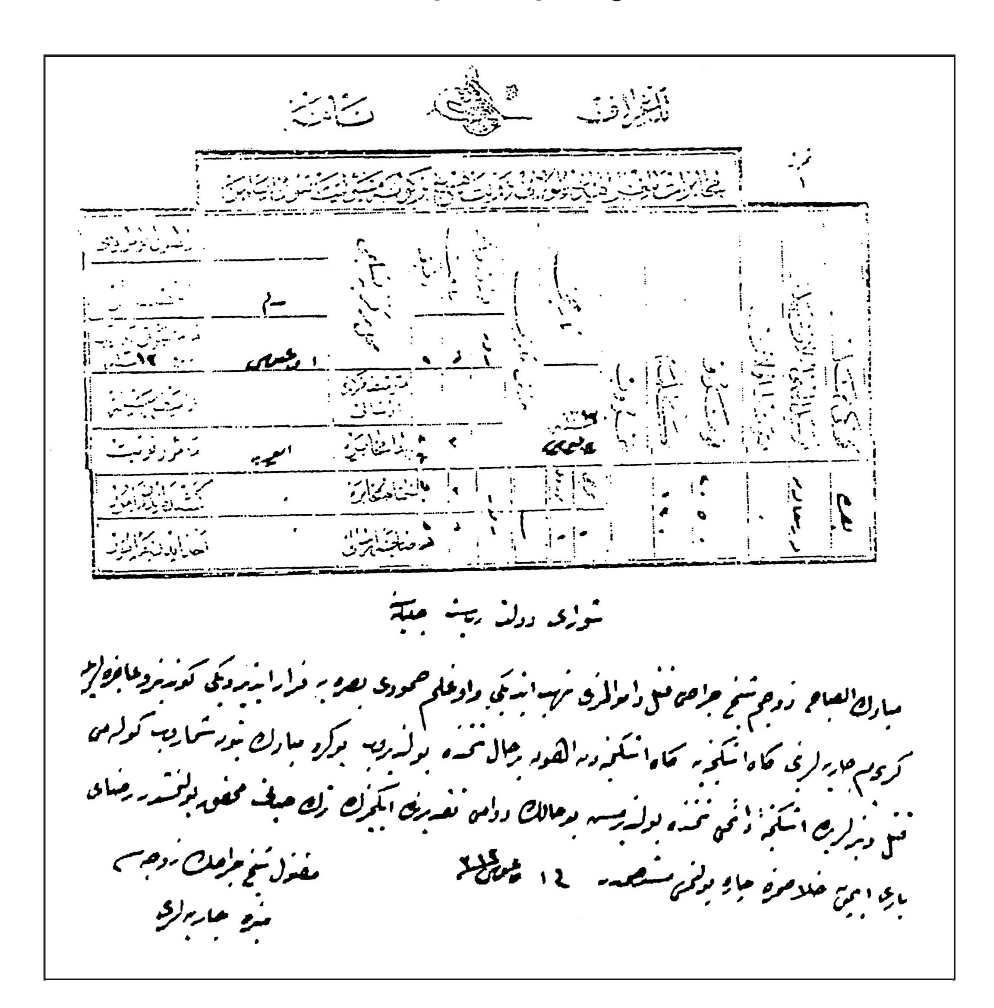
١٣١٦

٢٧

عبدكم خالد بن محمد
باشا آل صباح

ملحق رقم (٨)

شكوى الشيخة منيرة بنت علي بن جابر الصباح زوجة الشيخ جراح الصباح لشورى الدولة.



ملحق رقم (٩)

برقية باللغة العربية من أهالي الكويت إلى ناظر الداخلية في اسطنبول، للتظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا.

I. D. 1314/46

الأرشيف العثماني أستنبول، أرادة داخلية I.DAH،
رقم ٤٦/ ١٣١٤، بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ

ملحق رقم (١٠)

برقية باللغة العربية من أهالي الكويت إلى ناظر الداخلية في اسطنبول، للتظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا.

I. D. 1314/46

I. D. 1314/46

الأرشيف العثماني أستنبول، أرادة داخلية I.DAH،
رقم ٤٦ / ١٣١٤، بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ

ملحق رقم (١١)

برقية باللغة العربية من أهالي الكويت إلى ناظر الداخلية في اسطنبول، للتظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا.

I. D. 1314/46

الأرشيف العثماني أستنبول، أرادة داخلية I.DAH،
رقم ٤٦/١٣١٤، بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ

ملحق رقم (١٢)

برقية باللغة العربية من مبارك الصباح إلى رئيس مجلس الشورى للتظلم والشكوى من والي البصرة حمدي باشا.

تلغراف نامه

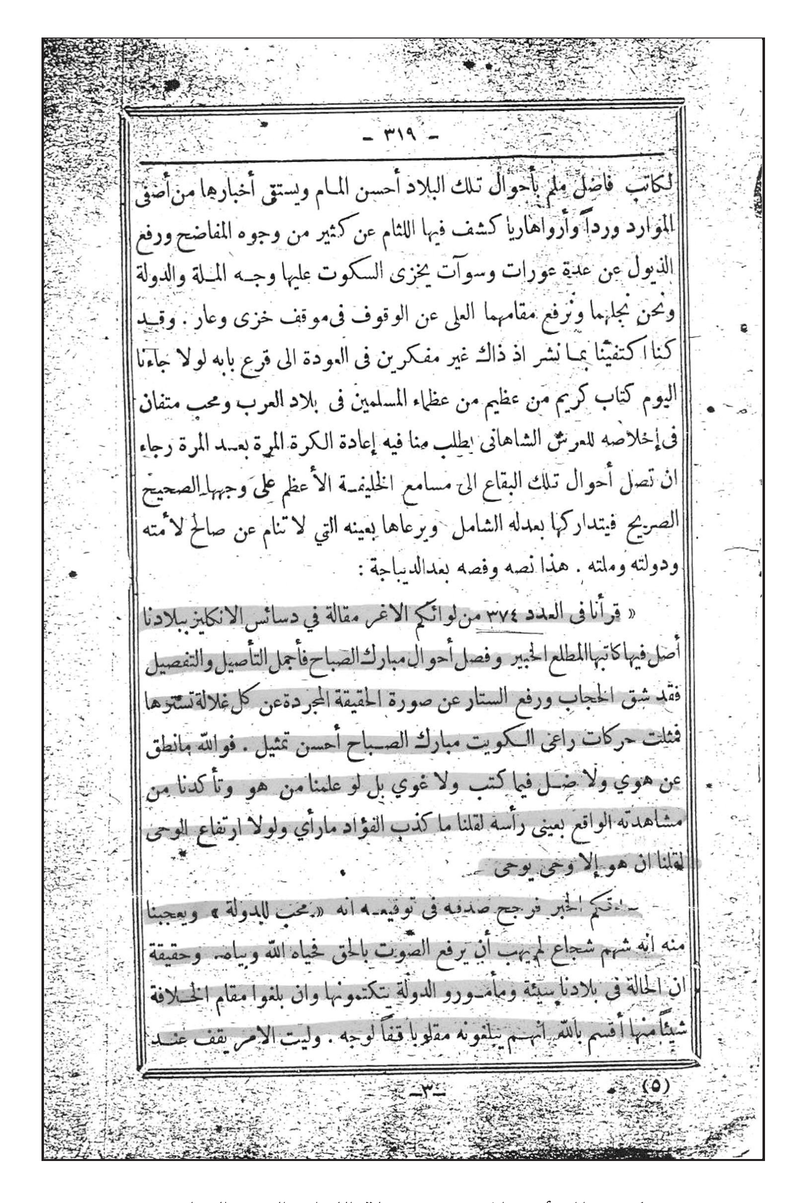
حضرة رئيس مجلس الشورى الجليل

مبارك الصباح

I. D. 1314/46

الأرشيف العثماني أستنبول، أرادة داخلية I.DAH، رقم ٤٦ / ١٣١٤، بتاريخ ١٩ محرم.

ملحق رقم (١٣)
صورة من مجلة اللواء.



لكاتب فاضل ملم بأحوال تلك البلاد أحسن المام ويستق أخبارها من أصفى الموارد ورداً وأرواها رياً كشف فيها اللثام عن كثير من وجوه المفاضح ورفع الذيول عن عدة عورات وسوآت يخزى السكوت عليها وجه الملة والدولة ونحن نجلهما ونرفع مقامهما العلى عن الوقوف فى موقف خزى وعار . وقد كنا اكتفينا بما نشر اذ ذاك غير مفكرين فى العودة الى قرع بابه لولا جاءنا اليوم كتاب كريم من عظيم من عظماء المسلمين فى بلاد العرب ومحب متفان فى إخلاصه للعرش الشاهانى يطلب منا فيه إعادة الكرة المرة بعد المرة رجاء ان تصل أحوال تلك البقاع الى مسامع الخليفة الأعظم على وجهها الصحيح الصريح فيتداركها بعدله الشامل ويرعاها بعينه التي لا تنام عن صالح لأمته ودولته وملته . هذا نصه وفصه بعد الديباجة :

« قرأنا فى العدد ٣٧٤ من لوائكم الاغر مقالة في دسائس الانكليز ببلادنا أصل فيها كاتبها المطلع الخبير وفصل أحوال مبارك الصباح فأجمل التأصيل والتفصيل فقد شق الحجاب ورفع الستار عن صورة الحقيقة المجردة عن كل غلالة تسترها فمثلت حركات راعى الكويت مبارك الصباح أحسن تمثيل . فوالله ما نطق عن هوي ولا ضل فيما كتب ولا غوي بل لو علمنا من هو وتأكدنا من مشاهدته الواقع بعيني رأسه لقلنا ما كذب الفؤاد ما رأي ولولا ارتفاع الوحى لقلنا ان هو إلا وحى يوحى .

... تكم الخبر فرجح صدقه فى توقيعه انه «محب للدولة» ويعجبنا منه انه شهم شجاع لم يهب أن يرفع الصوت بالحق فحياه الله وبياه . وحقيقة ان الحالة فى بلادنا سيئة ومأمورو الدولة يكتمونها وان بلغوا مقام الخلافة شيئاً منها أقسم بالله انهم يبلغونه مقلوبا قفاً لوجه . وليت الامر يقف عند

شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، العدد الخامس،
الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠٠م القاهرة

ملحق رقم (١٤)
صورة من مجلة اللواء.

- ٣٢٠ -

هذا ويسعون هم فى الاصلاح بغير تبليغ ان كان فى البلاغ ضرار ولكنهم وربى وربكم مساعدون لمبارك الصباح فى جميع مفاسده . وعلى اللبيب ماتخفى علة المساعدة

يسعى هذا الراعى ويجتهد فى جلب الاسلحة من ثلاثة البنادر التى هى مسقط وأبو شهر والبحرين . وجميع أهل البادية من العرب يأخذون أسلحتهم من الكويت وأما اتحاده مع الاجانب فأشهر من نار على علم ولكن ولاة الامور يغمضون الجفون على القذي ولا تتأذي عيونهم ويطوون الجوانح على الردي ولا تتألم قلوبهم ويكتمون أمره وهم يعلمون وليست للدولة عيون تراعى بها غيرهم وهم يبصرون ويتعامون ولا حول ولا قوة إلا بالله

وله عضد قوي فى الاستانة قائم برد الشبه اذا فشت ورتق الخرق اذا اتسع ويدافع عنه فى جميع الامور . وأهل البصرة مايقدرون ان يكاشفوا الدولة بصورة الواقع يحاذرون من ولاة الامور فيها ومالهم من ولى ولا نصير .

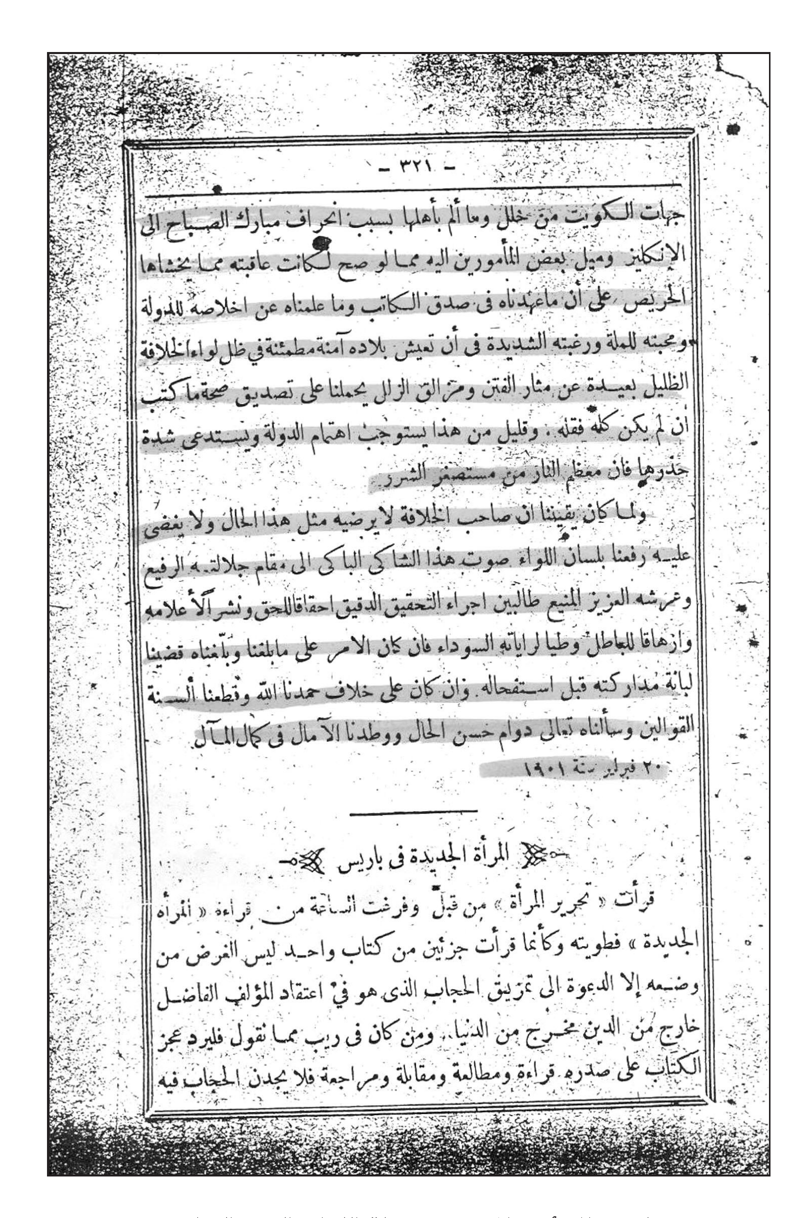
ولم يتول البصرة من ولاة الدولة الامناء المخلصين الطاهرة قلوبهم من رجس الغرض فى مدة سبع سنين سوى حمدى باشا . فانه وذمة العرب الرجل الناصح للدولة الصادق في خدمة الملة . وقد أخبر السلطنة بجميع مفاسد مبارك الصباح وهداها الى عوراته وسيئاته أحسن الهدى ولكن سوء الطالع قضى أن تحرم بلادنا من مثل هذا الرجل الهمام

وان من الامور مايضيق به الصدر ولا ينطلق اللسان فيكفي هذا اشارة . رجاؤنا من فضلكم البناء عليه فى طلب الاصلاح فان عاقبة هذا الحال وخيمة . أصلح الله أموركم وأموركم وداركنا برحمته وإياكم انه الرفيق بعباده

هذا ما كتب به الينا ذلك العظيم ومن خلال سطوره يتبين مقدار ما أصاب

شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، العدد الخامس،
الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠٠م القاهرة

ملحق رقم (١٥)
صورة من مجلة اللواء.



- ٣٢١ -

جهات الكويت من خلل وما ألم بأهلها بسبب انحراف مبارك الصباح الى الإنكليز وميل بعض المأمورين اليه مما لو صح لكانت عاقبته مما يخشاها الحريص على أن ماعهدناه فى صدق الكاتب وما علمناه عن اخلاصه للدولة ومحبته للملة ورغبته الشديدة فى أن تعيش بلاده آمنة مطمئنة في ظل لواء الخلافة الظليل بعيدة عن مثار الفتن ومزالق الزلل يحملنا على تصديق صحة ما كتب ان لم يكن كله فقله . وقليل من هذا يستوجب اهتمام الدولة ويستدعى شدة حذرها فان معظم النار من مستصغر الشرر

ولما كان يقيننا ان صاحب الخلافة لا يرضيه مثل هذا الحال ولا يغضى عليه رفعنا بلسان اللواء صوت هذا الشاكى الباكى الى مقام جلالته الرفيع وعرشه العزيز المنيع طالبين اجراء التحقيق الدقيق احقاقا للحق ونشرا لأعلامه وازهاقا للباطل وطيا لراياته السوداء فان كان الامر على مابلغنا وبلغناه قضينا لبانة مداركته قبل استفحاله . وان كان على خلاف حمدنا الله وقطعنا ألسنة القوالين وسألناه تعالى دوام حسن الحال ووطدنا الآمال فى كمال المآل

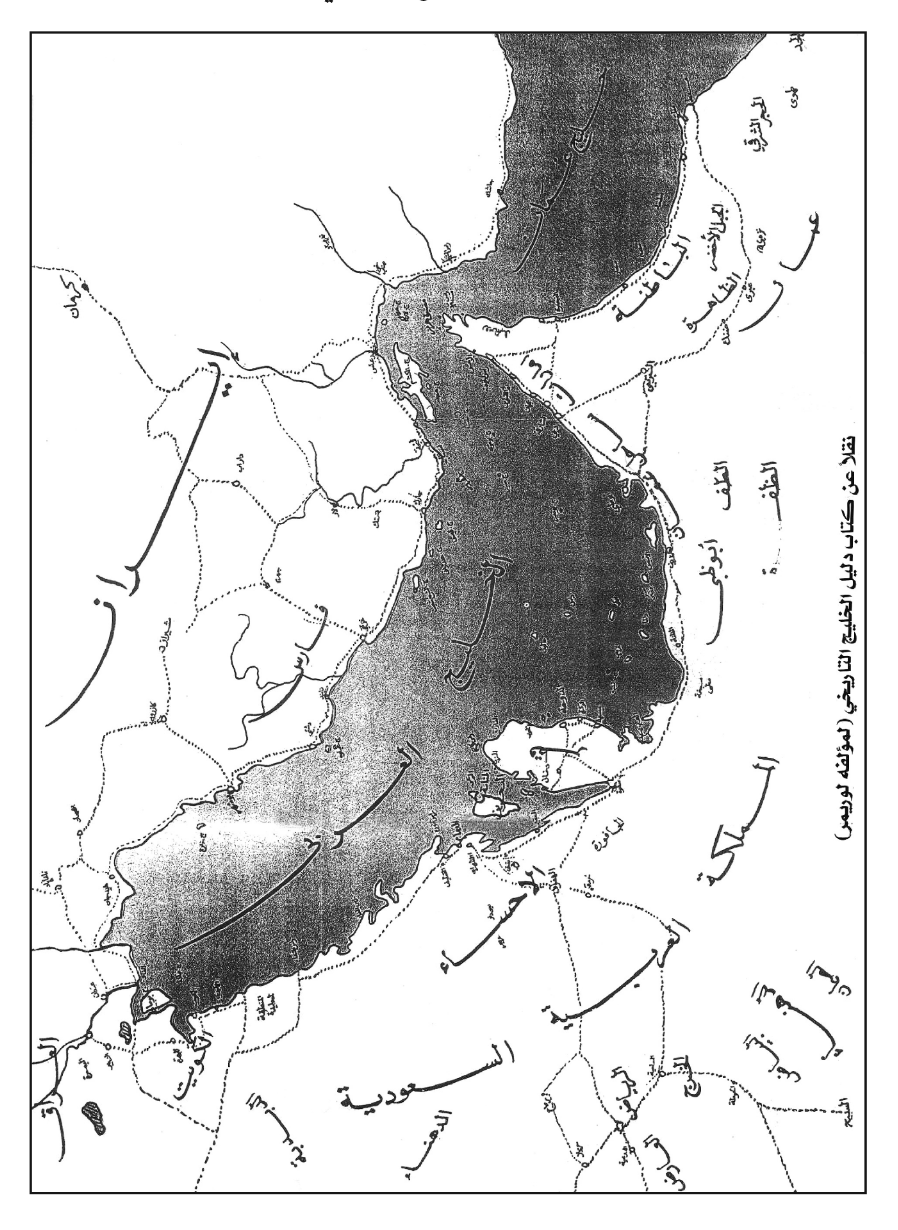
٢٠ فبراير سنة ١٩٠١

المرأة الجديدة فى باريس

قرأت « تحرير المرأة » من قبل وفرغت الساعة من قراءة « المرأة الجديدة » فطويته وكأنما قرأت جزئين من كتاب واحد ليس الغرض من وضعه إلا الدعوة الى تمزيق الحجاب الذى هو في اعتقاد المؤلف الفاضل خارج من الدين مخرج من الدنيا . ومن كان فى ريب مما نقول فليرد عجز الكتاب على صدره قراءة ومطالعة ومقابلة ومراجعة فلا يجدن الحجاب فيه

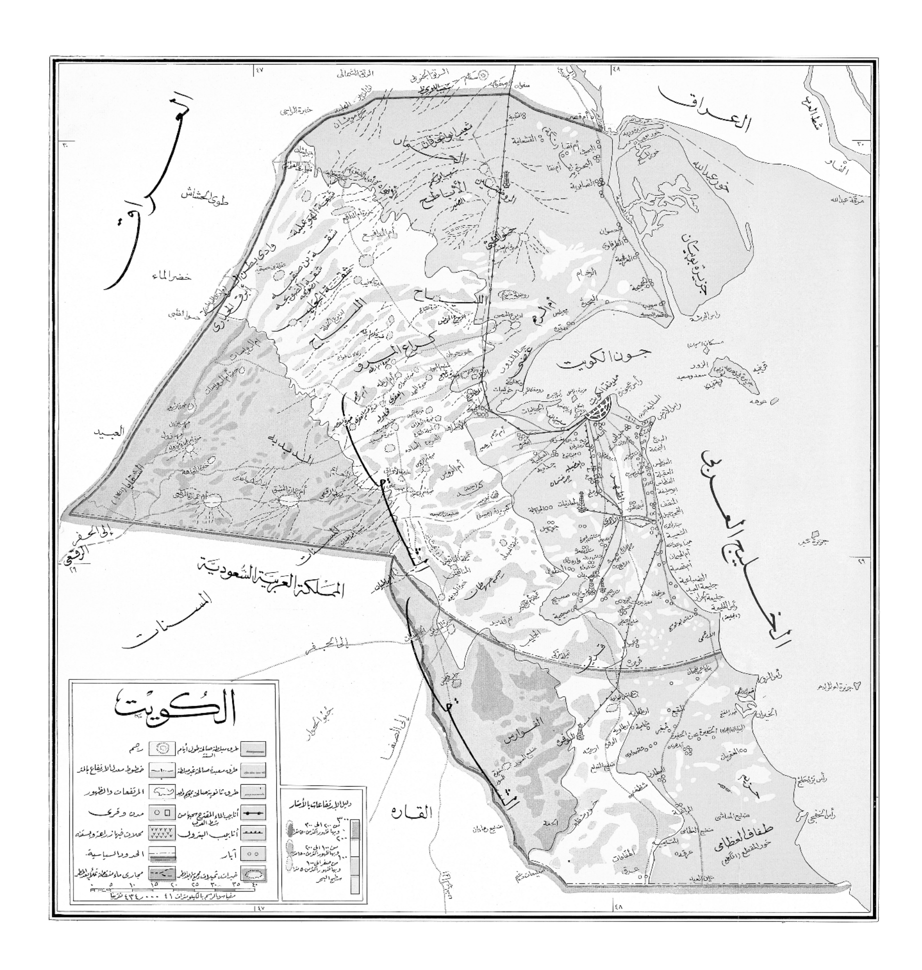
شكوى إلى أمير المؤمنين، مجلة اللواء، العدد الخامس،
الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠٠م القاهرة

ملحق رقم (١٦)
خريطة الخليج العربي.

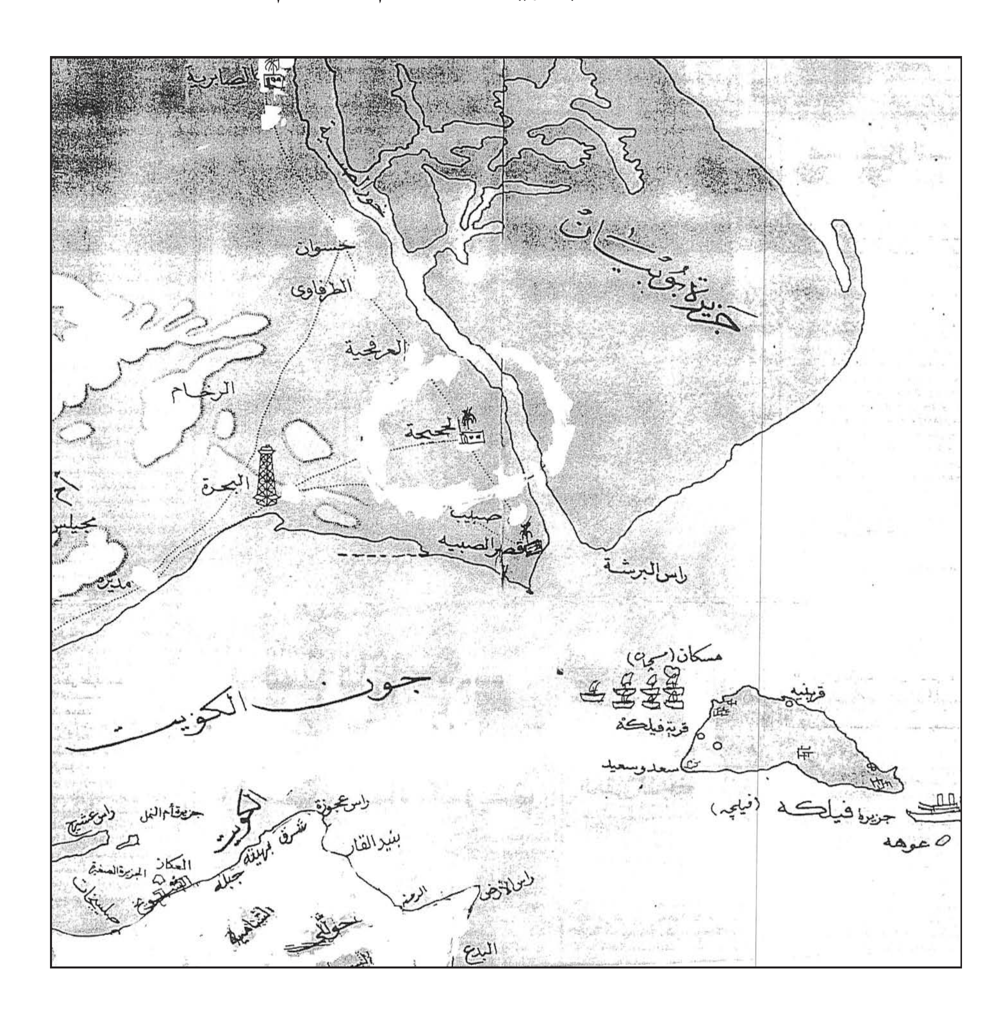


لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، الجزء السابع.

ملحق رقم (١٧)
خريطة دولة الكويت.



ملحق رقم (١٨)
خريطة توضح مواقع مهمة،
منها الحملة البحرية الأولى عام ١٨٩٨م.



ملحق رقم (١٩)
تصوير فضائي لمنطقة الصبية وجزيرة بوبيان.



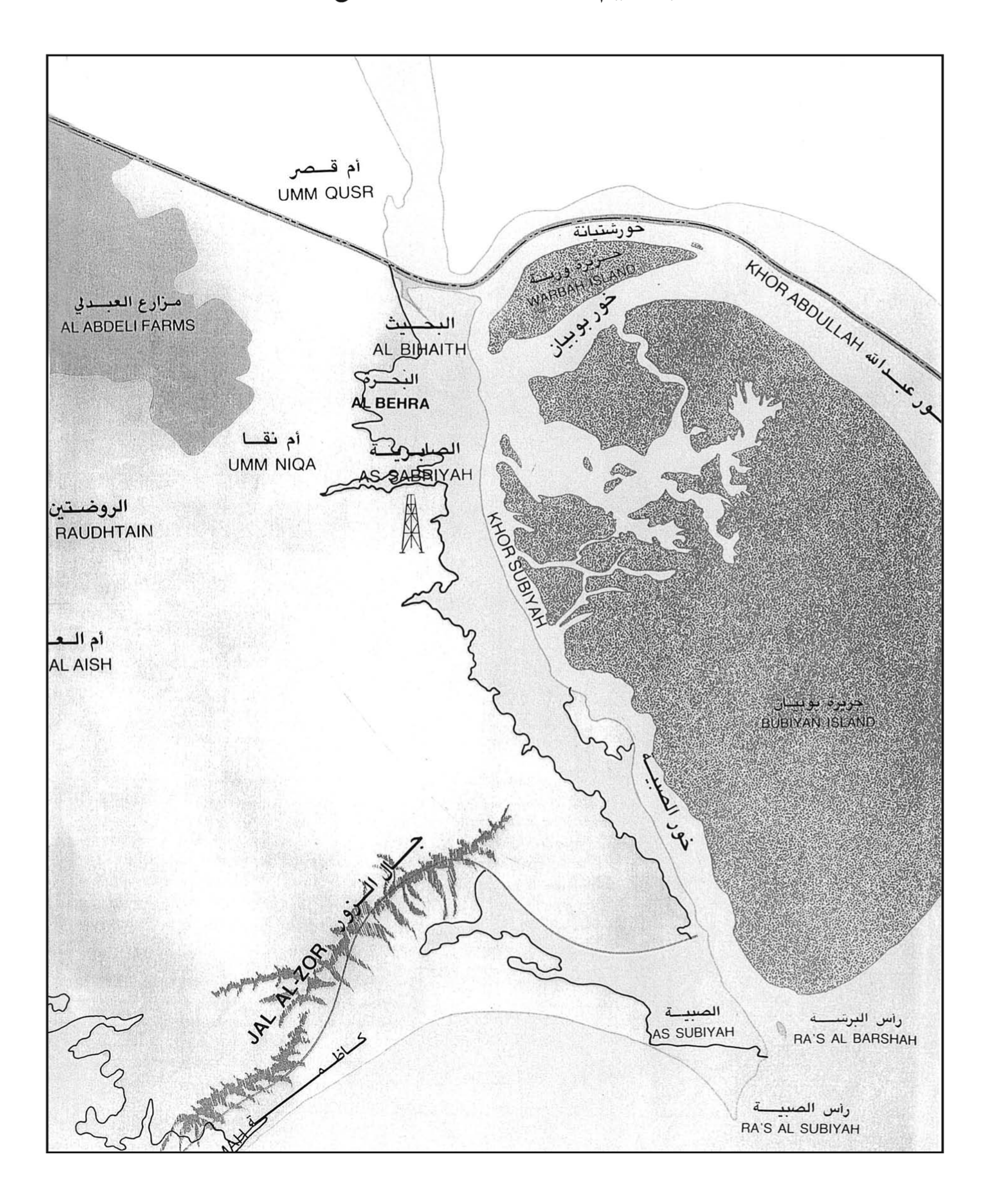
ملحق رقم (٢٠)

بقايا قصر الصبية، منتجع الشيخ يوسف آل إبراهيم بعد تدميره عام ١٩٠١ عقب موقعة الصريف.

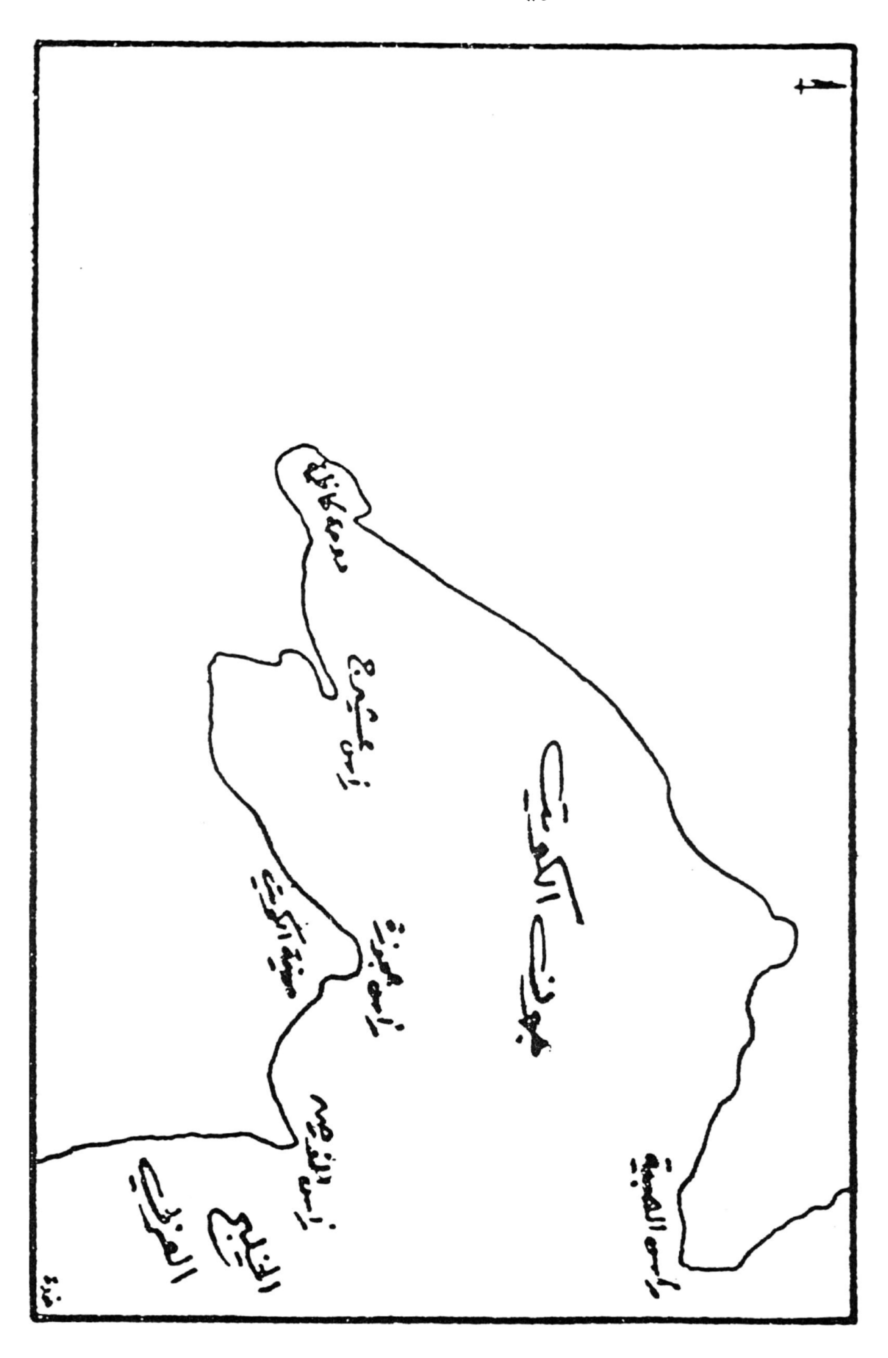


ملحق رقم (٢١)

خريطة لمواقع الصبية والصابرية والحجيجة وكانت فيها قصور ونخيل لآل إبراهيم منتصف القرن التاسع عشر.

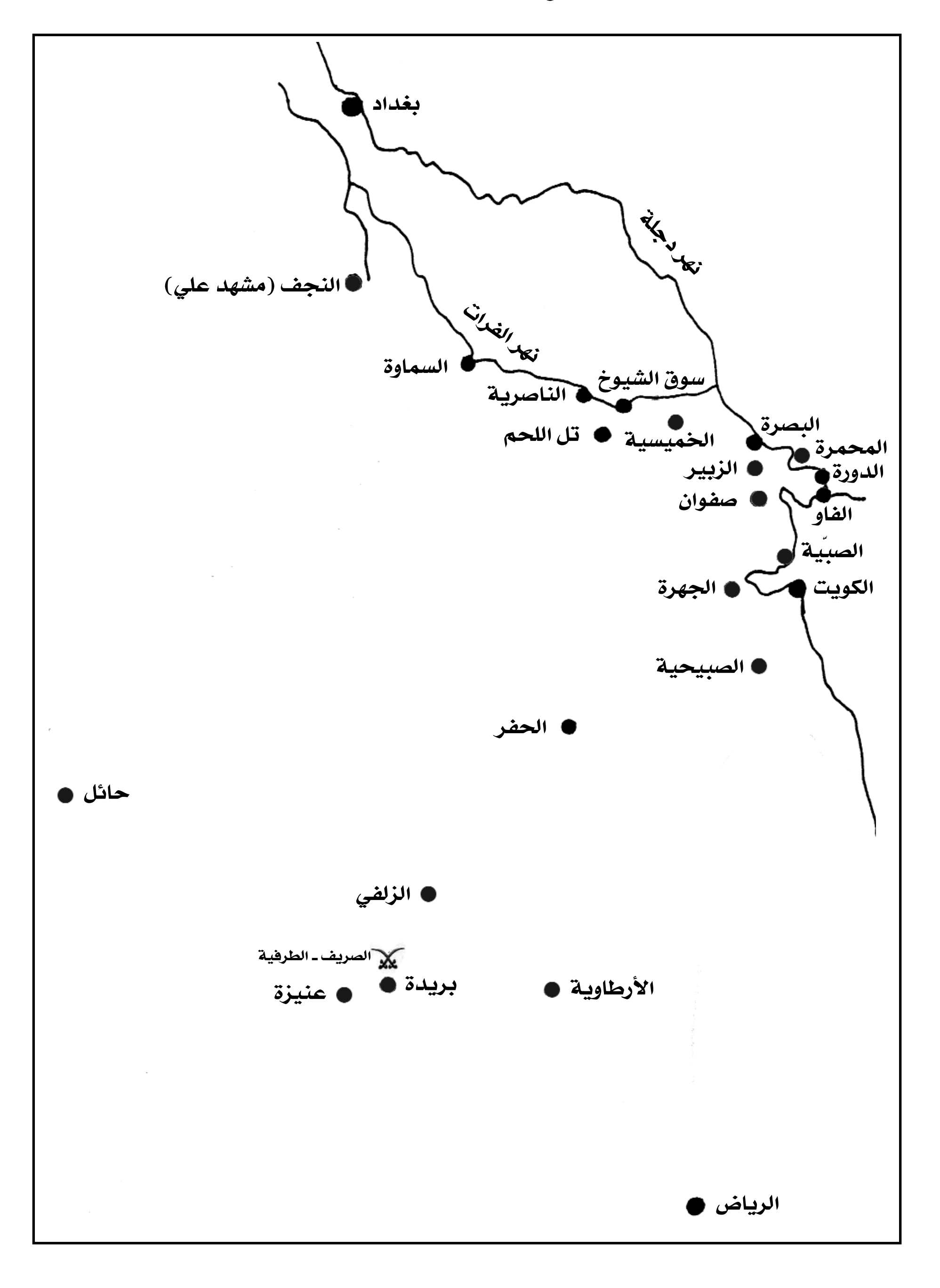


ملحق رقم (٢٢)
خريطة جون الكويت.



ملحق رقم (٢٣)

خريطة تبين موقع معركة الصريف ـ الطرفية ومواقع أخرى تناولها الكتاب



ملحق رقم (٢٤)

رسالة باللغة العربية بختم الشيخ مبارك آل صباح.

رسالة من الشيخ مبارك الصباح إلى الشيخ قاسم آل ثاني
يطلب منه وساطة للصلح مع الشيخ يوسف الإبراهيم

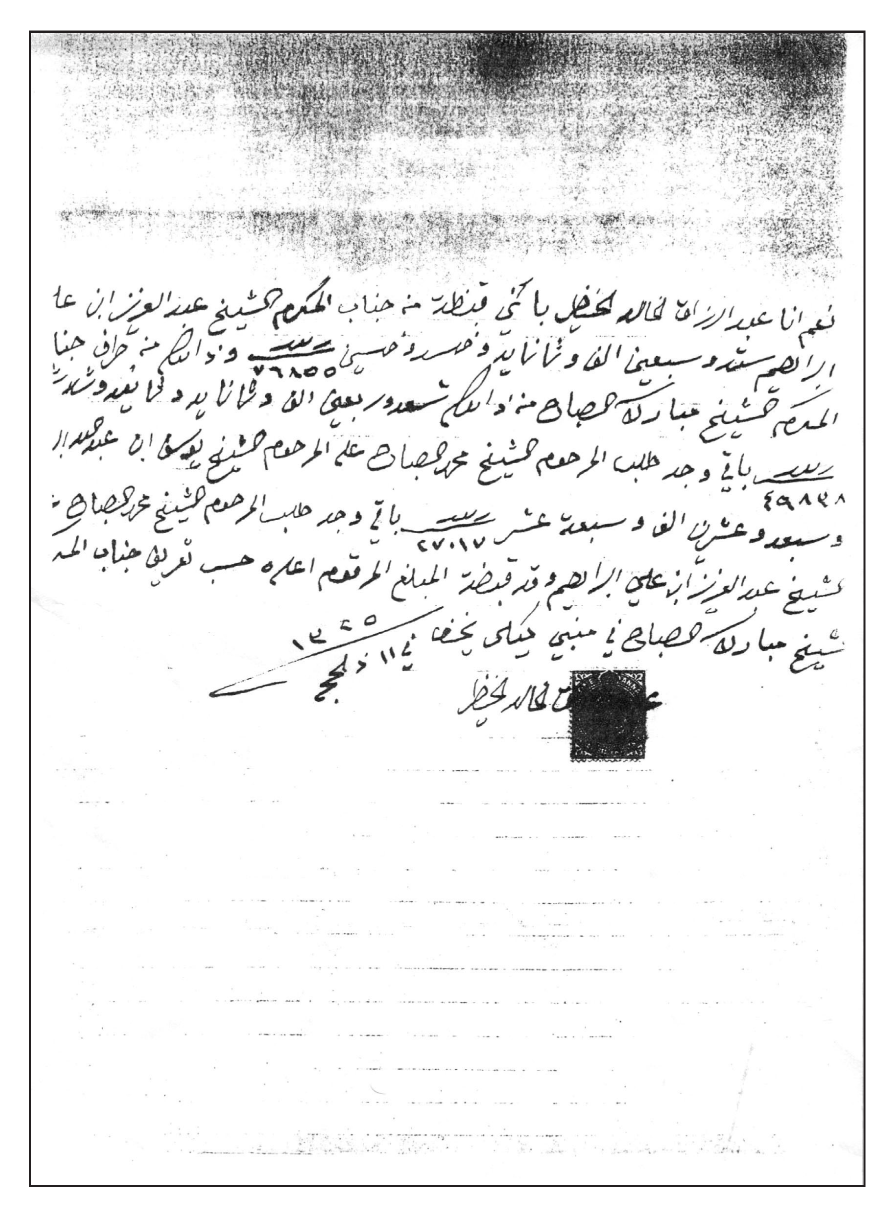
ملحق رقم (٢٥)

رسالة باللغة العربية بختم الشيخ مبارك آل صباح.

إيصال ومخالصة وإبراء ذمة موقعة من الشيخ مبارك الصباح
إلى الشيخ عبدالعزيز العلي الإبراهيم

ملحق رقم (٢٦)

وثيقة باللغة العربية بختم عبد الرزاق خالد الخضير.



نعم انا عبد الرزاق خالد الخضير باني قبضت من جناب المكرم الشيخ عبد العزيز ابن علي
ال ابراهيم ستة وسبعين الف وثمانماية وخمسة وخمسين ربية ٧٦٨٥٥ وذلك من طرف جناب
المكرم الشيخ مبارك الصباح من ذلك ستة واربعين الف وثمانماية وثمانية واربعين
ربية ٤٦٨٤٨ باقي وجه طلب المرحوم الشيخ محمد الصباح على المرحوم الشيخ يوسف ابن عبد الله ال [illegible]
وسبعة وعشرين الف وسبعة عشر ربية ٢٧٠١٧ باقي وجه طلب المرحوم الشيخ محمد الصباح على
الشيخ عبد العزيز ابن علي ال ابراهيم وقد قبضت المبلغ المرقوم اعلاه حسب [illegible] جناب المكرم
الشيخ مبارك الصباح في [illegible] تحريرا في ١١ ذي الحجة ١٣٢٥

عبد الرزاق خالد الخضير

إيصال باستلام مبالغ نقدية من قبل السيد عبدالرزاق خالد الخضير
نيابة عن الشيخ مبارك الصباح

ملحق رقم (٢٧)

رد على رسالة تعزية بوفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم مرسلة من قبل الحاج شملان بن علي بن سيف، ورد الشيخ عبدالعزيز آل إبراهيم عام ١٣٢٤هـ.

بسم الله [illegible] ١٠ محرم ١٣٢٤

إلى جناب الجليل الأكرم الأخ المكرم الحاج شملان بن علي بن سيف المحترم

سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ليعلم

مشرفكم الوارد ب ٢٨ ذي الحج وعلم تعزيتنا في المرحوم الأخ يوسف

نسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جنته ويجزاكم عنا

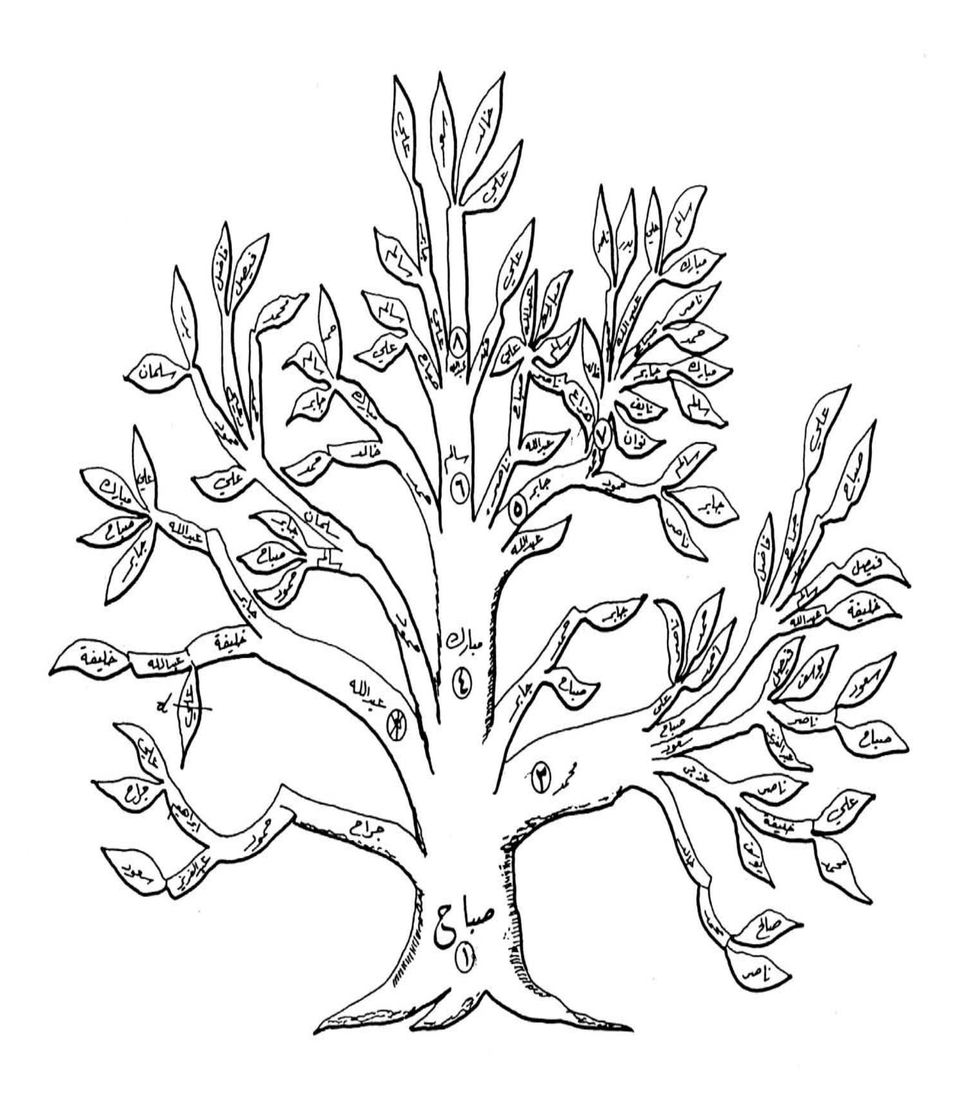
أفضل الجزاء ولا أبعد منا وجودكم ولا باليد سوى التسليم لأمر العزيز

الحكيم وقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله

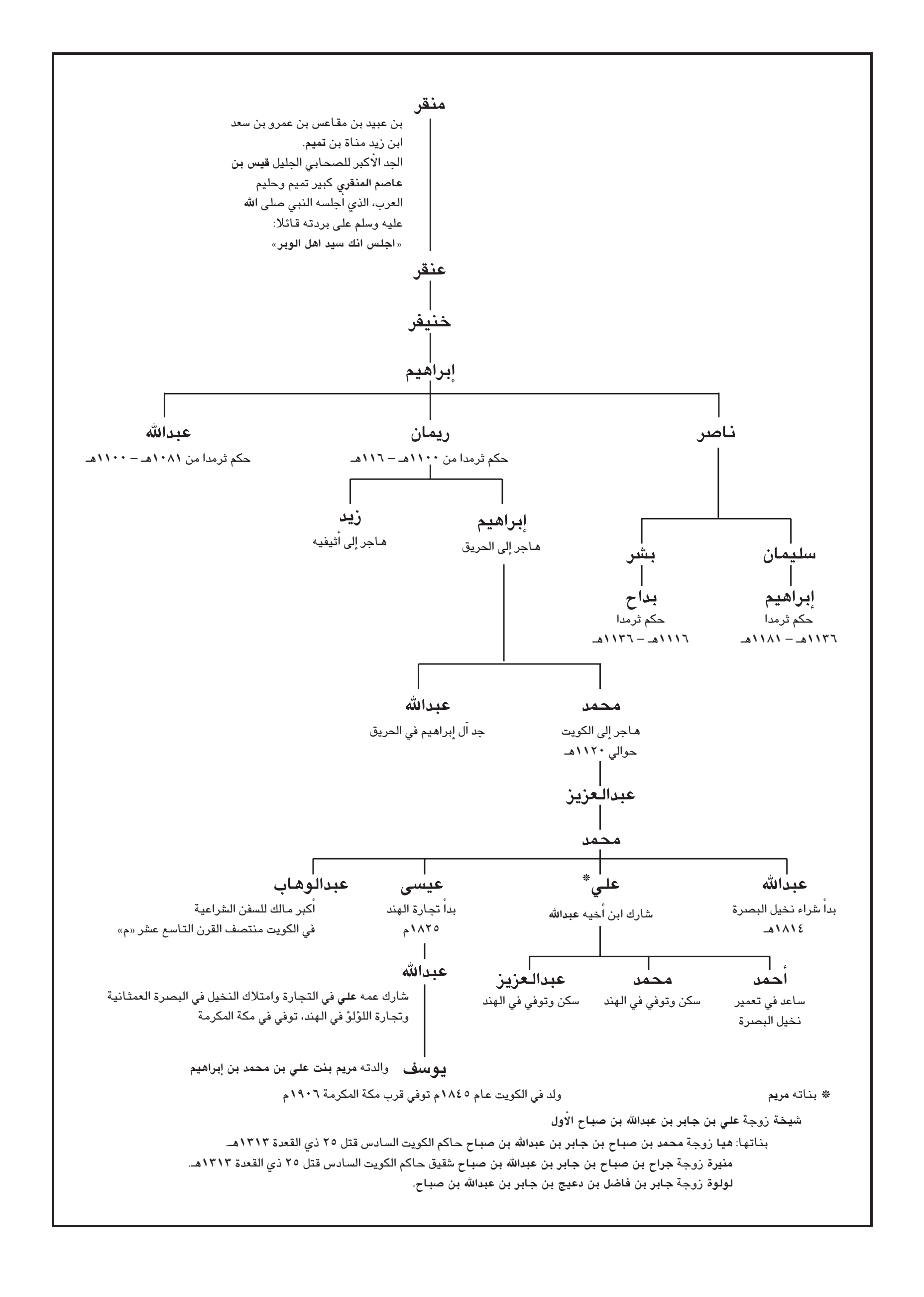
وإنا إليه راجعون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبدالعزيز بن علي
آل ابراهيم

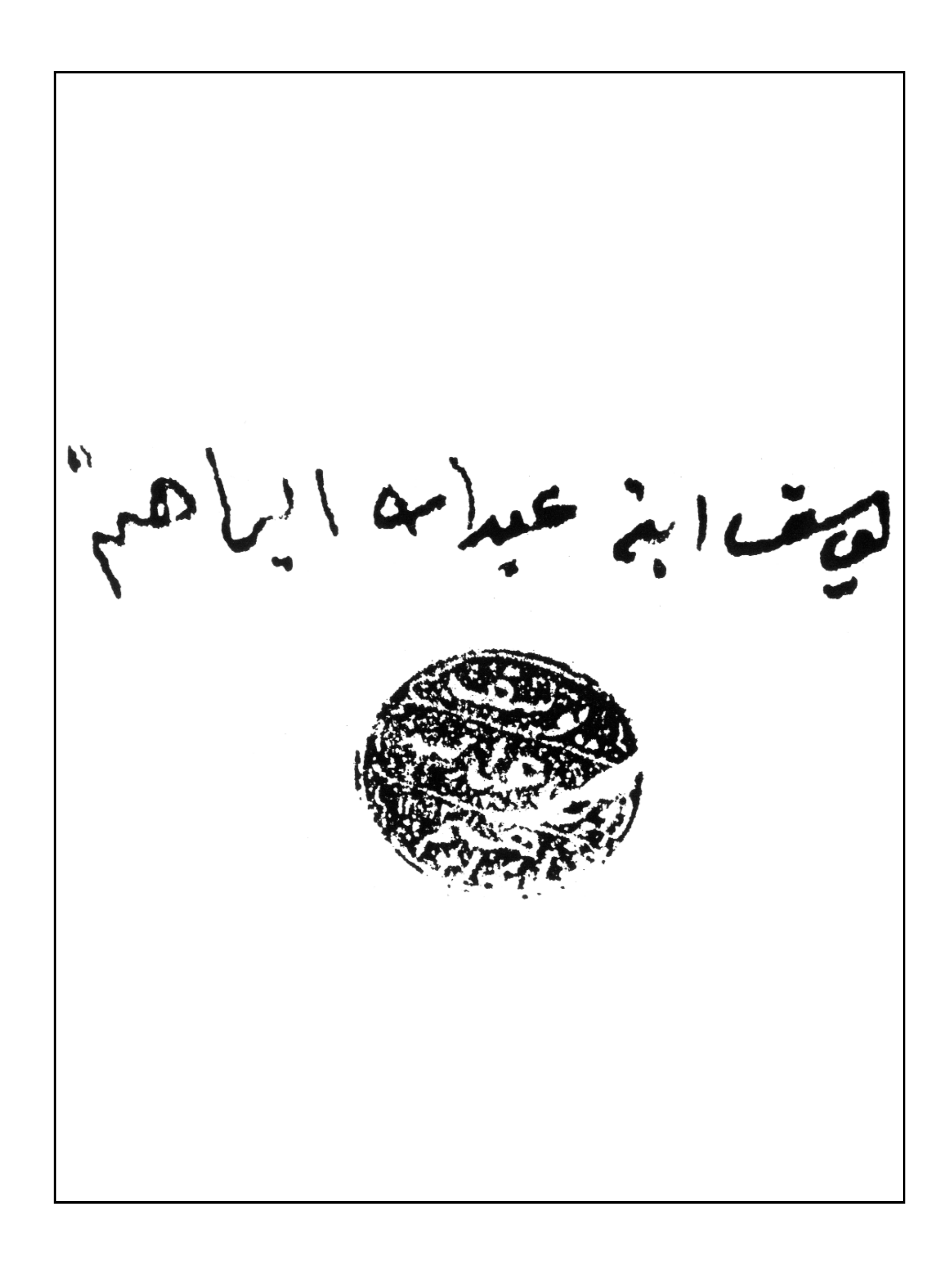
ملحق رقم (٢٨)
شجرة أسرة آل صباح.



ملحق رقم (٢٩)
سلالة الشيخ يوسف بن عبدالله بن عيسى بن محمد ابن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم بن ريمان العنقري.



ملحق رقم (٣٠)
ختم وخط يد الشيخ يوسف بن عبدالله ال ابراهيم



المصادر والمراجع

أولاً - الوثائق الغير منشورة:

اعتمد الباحث على مجموعة من الوثائق المختلفة وهي من المصادر التالية:

أ - الوثائق العربية وحصل عليها الباحث من مكتبة يعقوب آل إبراهيم الخاصة في لندن :

- رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ جاسم آل ثاني بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٢٢هـ.
- رسالة من الشيخ جاسم آل ثاني إلى الشيخ يوسف آل إبراهيم بتاريخ ١/صفر ١٣٢٣هـ.
- رسالة من الشيخ مبارك آل صباح إلى الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١شوال١٣٢٥هـ
- وثيقة بتوقيع مبارك الصباح عن قيمة أموال الصباح التي كانت عهده عند الشيخ يوسف آل إبراهيم في بومباي في تاريخ ٣ محرم ١٣٢٥هـ
- وثيقة سند بخط عبد الرزاق الخالد الخضير باستلامه المبلغ كاملاً بواسطة الشيخ عبد العزيز بن علي آل إبراهيم في بومباي بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٣٢٥هـ.

ب - الوثائق العثمانية: والمحفوظة بإرشيف رئاسة مجلس الوزراء في اسطنبول:

١ - الإرادات: .I

- أرادة داخلية: I.DAH
  - رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ١٩ محرم ١٣١٤هـ.
  - رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ٢٦ صفر ١٣١٤هـ
  - رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٤هـ
  - رقم ٤٦/ ١٣١٤ بتاريخ ١١ صفر ١٣١٤هـ
  - رقم ١٦٦٧، تاريخ ٣ محرم ١٢٨٨

- رقم ٩٦/ ٤٤ تاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ
- أرادة مجلس مخصوص: I.M.M
- رقم ١/ ٧٨ بتاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ..
- رقم ٥/ ٧٨ بتاريخ ٧محرم ١٣١٨هـ
- رقم ٢٥٥٠/ ١٦٦٧، بتاريخ ٣/محرم١٢٨٨هـ
- أرادة خصوصية: I.HUS
- رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ.
- أرادة مالية: I.MA
- رقم ٥/ ٢٤٠بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ..

٢ - أوراق الباب العالي: B.E.O
- رقم ١٣٠٠٢٠ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٩هـ
- رقم ٤٤٢٣٠ بتاريخ ٢٨جمادى الأولى ١٢٨٨هـ
- رقم٤٤١٩٦، بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٢٨٨هـ
- رقم ٤٤٠٠٢ بتاريخ ٨ربيع الأول ١٢٨٨هـ
- رقم ١٢٩١٨٠ بتاريخ ٩جماد الأخر ١٣١٩
- رقم ١٣٤٠٦١بتاريخ٢٧شوال١٣١٩

٣ - محاضر مجلس الوكلاء: M.V
- رقم ٥/ ٩٨ تاريخ ٣ محرم ١٣١٧ه
- رقم ٧/ ٩٨ بتاريخ ٣ محرم ١٣١٧هـ..
- بدون رقم تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ
- رقم ١١٨٧ بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٣١٩هـ
- رقم BB/36 بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٣١٩هـ
- ٣٥/ ١٠٣ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ،

٤ - دفاتر العينات: Ayniyat
- رقم ٨٥٩ تاريخ ٢/محرم١٢٨٤هـ

٥ - الصدارة - قلم مكتوبي - النظارات ووالدوائر: A.MKT.NZD
- رقم ٨٩/ ٤٢٦ بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ

٦ - قصر يلدز: Y

- يلدز متنوع: Y.MTV

- رقم ٥٥/ ٢٠٤ بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٣١٨هـ
- رقم ٥٦/ ٢١٤ بتاريخ رجب ١٣١٤هـ
- قم ٢٨/ ١٤٤، بتاريخ ٥ صفر ١٣١٤هـ
- رقم ٤٨/ ١٧٠ بتاريخ ٧ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ٨٣/١٩٧ بتاريخ ٨ شعبان ١٣١٧هـ
- رقم ٩١/ ٢٠بتاريخ ١٣شعبان١٣٠٨هـ
- رقم ١٠١/ ٢٣٤ بتاريخ ١٣/جماد الثاني ١٣٢٠هـ
- رقم ٥٦/ ٢١٤ بتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي
- رقم ١٨٦/ ٢٢٠ بتاريخ ٢٩/١١/١٣١٧هـ
- رقم ٣٧/ ١٩٩ بتاريخ ٣١/كانون الثاني ١٣١٥ رومي
- رقم ١١٤/ ١٩٤ بتاريخ ٢٦ جمادي الأولى ١٣١٧هـ
- رقم ١٤/٢٣٧ بتاريخ ١١ رمضان ١٣٢٠هـ
- رقم ١٠٧/٢٣٧ بتاريخ بداية رمضان ١٣٢٠هـ
- رقم ٣/٢٣٨ بتاريخ ٤ شوال ١٣٢٠هـ
- رقم ١١٧/ ٢٦٠ بتاريخ ٢٣جماد الأخر ١٣٢٢هـ
- رقم ٦١/٢٢٦بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٣١٩
- رقم ١٢٠/ ٢٢٥بتاريخ ٩يناير ١٣١٧.
- رقم ١٤٢/١٦٣ تاريخ ٢٣ صفر ١٣١٥هـ
- رقم ١٨/ ١٧١٩بتاريخ صفر ١٣١٥هـ
- رقم ٥٩/ ١٦٩ بتاريخ ١٧ جمادي الآخرة ١٣١٥هـ
- رقم ٧٠/ ٧٢٠ بتاريخ ١٧ مارس ١٣١٣رومي
- رقم ٤٨/ ٧١٩ بتاريخ ١٤ أغسطس ١٨٩٦م
- رقم ٤/ ١٧٠ بتاريخ ٢ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ٥٦/ ٢١٤ بتاريخ ١٢ مايو ١٣١٧ رومي
- رقم ٤٧/ ٤٩بتاريخ١٦رجب ١٣٠٨هجري
- رقم ١٢٠/ ٢٣١ بتاريخ ١٤ يونيو ١٣١٨ رومي

- يلدز متفرق الكتابة الأولى في المابين: Y.PRK.PSK
  - رقم ٤/٢١٦ بتاريخ ١/رمضان ١٣١٧هـ
  - رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ
  - رقم ٤٧٨٣ بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٣١٥هـ
  - رقم ١٩٤٠ بتاريخ ٩ رجب ١٣١٥هـ
  - رقم ١٩٥١ بتاريخ ١٠ رجب ١٣١٥هـ
  - رقم ٤٨١٨ تاريخ ٣ شباط ١٣١٥ومي؛
  - رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ
  - رقم ٤٥٧١ بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٣١٥هـ
  - رقم ١١/ ٣٦٦٤ بتاريخ ١/ ٥/ ١٣١٩هـ
  - رقم ٣/ ٦٢٢٩ تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ
  - رقم ٢/ ٧٢١٦ تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ
  - رقم ٥/ ٣٦٧٤ تاريخ ٢٢ جمادي الأول ١٣١٩هـ
  - رقم ٨/ ٢٢٦٦ تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ
  - رقم ٦/ ٤٤٦٦ تاريخ ٢٦ جمادي الأول ١٣١٨هـ
  - رقم ٢/ ٤١٦٦ تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧
  - رقم ١٣٢/ ٤٨٤ تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٠هـ
  - رقم ٩٥/ ٢٢٣ تاريخ ٢٥ نوفمبر ١٣١٧ رومي
  - رقم ٣/ ٦٢٢٩ تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ
  - رقم ٢/ ٧٢١٦ تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ
  - رقم ٥/ ٣٦٧٤ تاريخ ٢٢ جمادي الأول ١٣١٩هـ
  - رقم ٨/ ٢٢٦٦ تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ
  - رقم ٤١٦٦ تاريخ ٦ جمادي الأولى ١٣١٧هـ
  - رقم ٢٧٥٦ بتاريخ ٩ شوال ١٣١٥هـ
  - رقم ١١/ ٣٦٦٤ بتاريخ ١/ ٥/ ١٣١٩هـ..
  - رقم ١١/ ٣٦٧٤ بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٣١٩هـ
  - رقم ١٦/ ٧٠٤٢ بتاريخ ١٧ رمضان ١٣١٧هـ..
  - رقم ١٦/ ٧٠٤٢ بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ

- رقم ١٣/ ٥٣٠٤ بتاريخ ١٨ رجب ١٣١٩هـ
- رقم ١١/ ٣٦٧٤ بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٣١٩هـ
- رقم ١٢/ ٣٦٩١، بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٣١٩هـ
- برقم ١٩/ ٧٦١٤ بتاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ..
- برقم ١٨/ ٧٤٦٧ بتاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ..
- برقم ٢٠/ ٧٨٧٧ بتاريخ ١٦ شوال ١٣١٩هـ
- يلدز خصوصي معروضات: Y.A.HUS
- رقم ٤٨/ ٢٥٣بتاريخ ٧ربيع الثاني ١٣٠٩هجري
- رقم ٥٤/ ٤١٤ بتاريخ ١٨ جمادي الثانية ١٣١٨هـ
- رقم ٦٤/ ٤٢١ بتاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ
- برقم ١٣٢/ ٤٨٤
- رقم ٦٤/ ٤٢١ بتاريخ ١٨ رجب ١٣١٨هـ
- رقم ١١/ ٤٣٤، بتاريخ٤/ ٦/ ١٣٢٠هجري
- رقم ١٣٤/ ٤١١ بتاريخ ٢ و٥ و١٢ و١٤ رجب ١٣١٨هـ
- يلدز رسمي معروضات Y.A.RES
- رقم ٦٢/ ١٤ بتاريخ ٢٤ رجب ١٣١٥هـ
- رقم ٣٠/ ١٠٤ بتاريخ ١٢ صفر ١٣١٥
- رقم ٣٠/ ١٠٤ بتاريخ ١٣ جماد الأول ١٣١٧
- رقم ٤٦/ ١١٤ بتاريخ ٢٧ جماد الأول ١٣١٩
- يلدز متفرقات المعروضات والإخباريات: Y.PRK.AZJ
- رقم ٣٠/ ٣٧ بتاريخ ٢٧ صفر ١٣١٦هـ

ب - الوثائق البريطانية ومصدرها أرشيف وزارة الخارجية، لندن(FO)

- FO 371/242
- FO 371/149
- L/P&S/7/142
- L/P&S/20/FO12

ثانياً – الوثائق المنشورة:

الوثائق البريطانية المنشورة:

- Bid well: Robin, THE AFFAIRS OF KUWAIT 1896-1905, VOL 1, PART II, printed in Great Britain by Stephen Austin and sons Limited, Hertford.
- Rush, A de L, Records Of Kuwait Internal Affaires 1899-1921(Selecte-dAndEditedVolume1, ARCHIVE EDITION 1989.)
- Saldanha: J, Historical Memorandum on the Relations of the Wahabi Amirs and Ibn Saud with Eastern Arabia and the British Government, 1800-1934
- الصويان: سعد العبد الله وآخرون، الملك عبد العزيز آل سعود (سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية)، ج١، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

ثالثاً – المخطوطات:

- ابن ناصر: عبد الرحمن، عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد مكتبة أرامكو الظهران برقم NAS ٨، ٩٥٣.
- الذكير: مقبل بن عبد العزيز، مخطوطة العقود الدرية في تاريخ نجد وآل سعود، مكتبة جامعة بغداد رقم ٥٧٠.
- العبيد: محمد العلي، مخطوطة النجم اللامع للنوادر جامع، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
- حسني: حسين، الأوضاع العامة في نجد (في العهد العثماني) ترجمة سهيل صابان مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض رقم ١١٤٠٤٢.

رابعاً – الكتب العربية:

- ابن بشر: عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق محمد الشثري، دار الحبيب الرياض، ١٤٢٠/ ١٩٩٩.
- ابن عيسي: إبراهيم، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مائة عام علي توحيد المملكة الرياض ١٤١٩/ ١٩٩٩م.

- ابن عيسى: إبراهيم بن صالح، بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ) (ط١) دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ابن غنام: حسين، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، حرره وحققه: ناصر الدين الأسدي، ط٣، شركة الصفحات الذهبية الرياض، ١٤٠٣هـ.
- اداموف: الكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم التكريتي، مركز دراسات الخليج، البصرة ١٩٨٩م.
- الالوسي: محمد، تاريخ نجد تحقيق محمد الأثري مكتبة مدبولي، القاهرة (د – ت).
- البسام: عبد الله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي شركة المختلف الكويت ٢٠٠٠م.
- البنعلي: راشد بن فاضل، مجموعة الفضائل في فن النسب وتاريخ القبائل تحقيق حسن آل ثاني الدوحة، قطر ٢٠٠١م.
- الحجي: حسن، صدى الحرب "فظفر الأمير بن رشيد بالنجاح على الخائن للدين والدولة مبارك بن صباح"، مطبعة اللواء، القاهرة، ١٣٢٠هـ.
- الحموي: ياقوت، معجم الأدباء، إرشاد الأدباء إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، (ط١) دار العرب الإسلامي بيروت ١٩٩٣م.
- الحيدري: إبراهيم البغدادي، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، مكتبة مدبولي، القاهرة، "ط ٢ " ١٩٩٩م.
- الدخيل: سليمان بن صالح، القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- الدخيل: سليمان صالح، تحفة الالباء في تاريخ نجد والإحساء، (ط٢) الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- الرشيد: عبد العزيز، تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد، دار مكتبة الحياة، بيروت١٩٨٧، م.
- الرشيد، ضاري، نبذه تاريخية عن نجد، كتبها وديع البستاني، دار اليمامة الرياض ١٩٦٦م

- الريحاني: أمين، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت(د – ت)
- الريحاني: أمين، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت (د – ت)
- الزركلي: خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، (ط ٧)، دار العلمين، بيروت، ١٩٩١م
- الزركلي: خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، (ط٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الجزء الأول.
- السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١ – ١٩٠٨م، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- العبد المحسن: إبراهيم بن عبيد، تذكره أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، مطابع النور الرياض، (د – ت).
- القناعي: عيسى، صفحات من تاريخ الكويت، – ط٣ – (د – ن) الكويت ١٩٦٠م.
- النبهاني: محمد بن خليفة، التحفه النبهانيه في تاريخ الجزيرة العربية دار إحياء العلوم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الهلالي: محمد تقي، الدعوة إلى الله، دار الصحافة، الشارقة، (د ت).
- بالجريف: وليم جيفور، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة صبري محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠١م.
- بيلي: لويس، رحلة إلى الرياض، ترجمها وحققها وقدم لها عبد الرحمن الشيخ وعويضه الجهني عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض (د – ت).
- حمزة: فؤاد، قلب جزيرة العرب، (ط ٢)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ. ترجمه وقدم له عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت (د – ت).
- دكسون: هـ، ب، الكويت وجاراتها، ترجمة فتوح الخترش ذات السلاسل الكويت ١٩٩٥م.
- ريزفان: ي، سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩ – ١٩٠٣ وضع مقدمته ف – فاؤومكين، ترجمة سليم دوما، دار التقديم، الإتحاد السوفيتي، ١٩٩٠م.
- سلدانيا: ج. ج، التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك (دراسة وثائقية

مقارنة بالمؤرخين المحليين) ترجمة: فتوح الخترش، دن، الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- سلدانيا: جى.اى، الشئون القطرية من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩٠٤م، تعريب أحمد العناني، مطابع علي بن علي، الدوحة ١٩٨٩م.
- فريز: زهرة ديكسون، الكويت كانت منزلي، ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش، ذات السلاسل الكويت، (د ت).
- فيلبي: سنت جون، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفية) "ط٢" تعريب: عمر الديسراوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- لوريمر: ج.ج، دليل الخليج التاريخي، ترجمة مكتب أمير قطر، مطابع علي ابن علي، الدوحة، (د.ت).
- لوريمر: ج.ج، دليل الخليج الجغرافي، ترجمة مكتب أمير قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، (د.ت).
- لوشر: أ، مع النجمة والهلال، ترجمة ك عبد الله الصانع (د – ت) الكويت، ١٩٥٨م.
- ماليري: ستانلي ج، الكويت قبل النفط " مذكرات ستانلي ج ماليري الطبيب في البحرين والكويت ١٩٠٧ – ١٩٤٧م، ترجمة وتقديم محمد غانم الرميحي، "ط٢" دار قرطاس للنشر، الكويت ١٩٩٧م.
- الغملاس: تاريخ الزبير والبصرة وأخبارً عن الكويت والاحساء، تحقيق د. عماد عبدالسلام رؤوف، عمان ٢٠٠٦ م.
- ويلسون: ارنولدت، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الازمنة حتى أوائل القرن العشرين،
- العبدالاله القناعي: تدوينات عبدالله بن عبدالاله القناعي، الكويت ٢٠٠٥م.

المراجع

أولاً: الرسائل الجامعية:

- الجابري: مستور علاقة آل سعود بالدولة العثمانية ١٣٠٩ – ١٣٣٧/ ١٨٩١ – ١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية اللغة العربية قسم التاريخ في القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الشتيوي: ودادخضير، موقف الدولة العثمانية من آل سعود – ١٨٩١ـ ١٩١٤، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة البصرة، البصرة ١٤١٠، ه/ ١٩٨٩م.

ثانياً – الكتب:

أ – العربية:

- آل إبراهيم: يعقوب يوسف، التبيين رد ورأي علي بيان الكويت. قيد النشر.
- آل إبراهيم: يعقوب يوسف، شركة المراكب العربية، من الشراع إلى البخار، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت ٢٠٠٠، م.
- آل إبراهيم: يعقوب يوسف، العلاقات الكويتية الفرنسية، كتاب القبس ٢٠٠٦م.
- كور شون: زكريا، العثمانيون في قطر، ترجمة محمد موسى القرني، مراجعة: عبد اللطيف الحميدان. قيد النشر.
- سلسلة محسنون من بلدي، أصدر بيت الزكاة، الكويت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م " قيد النشر.
- ابن حثلين: سلطان، وزكريا كورشون تاريخ قبيلة العجمان دراسة وثائقية، (ط٢) ذات السلاسل الكويت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- ابن خميس: عبدالله بن محمد، معجم اليمامة، – ط ٢ – مطابع الفرزدق، الرياض، ١٣٩٨هـ.
- أبو حاكمة: أحمد، تاريخ الكويت الحديث – ١٧٥٠ – ١٩٦٥م ذات السلاسل الكويت ١٩٨٤م.
- أحمد: إبراهيم، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ – ١٩١٦ – مطابع جامعة الموصل، الموصل ١٤٠٣هـ.
- أرمسترنج: هـ.س.، عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم يوسف عوض، مطابع الأهرام، مصر، (د ت).
- إبراهيم الراشد: حسن علي، الكويت دراسة سياسية، (ط٣)مؤسسة دار العلوم – الكويت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- الأسدي: رياض، النشاط الألماني في الخليج العربي ١٩٠٠ – ١٩١٤، مراكز دراسات الخليج العربي، البصرة، (د ت).
- ألأعظمي: وليد حمدي، الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢، ١٩٦٠، مطابع الريس، لندن (د ت).
- البدر: بدر خالد، رحله مع قافلة الحياة، الناشر المؤلف، الكويت، ١٤٠٨/١٩٨٧.
- البسام: يوسف، الزبير قبل خمسين عاما مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، المطبعة العصرية، الكويت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- التويجري: عبدالعزيز بن عبد المحسن، لسراة الليل هتف الصباح (الملك عبد العزيز دراسة وثائقية (ط ٣)، رياض الريس، بيروت ١٩٨٨.
- الثنيان: محمد بن ثنيان، عبد العزيز بن رشيد والحماية البريطانية، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، ١٤٢٠/١٩٩٩.
- الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية والمنطقة الشرقية(البحرين قديماً)، دار اليمامة، الرياض ١٤٠٠/ ١٩٨٠.
- الجاسر: حمد، جمهره إنسان الأسر المتحضرة في نجد دار اليمامة، الرياض ١٤٠١/١٩٨١م.
- الحاتم: عبد الله، من هنا بدأ الكويت "ط ٢" دار القبس، الكويت ١٤٠٠/١٩٨٠.
- الخترش: فتوح، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ – ١٩٢١م " ط٢ "، ذات السلاسل الكويت، ١٩٨٤م.
- الخصوصي: بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م.
- الدوسري: نادية وليد، محاولات التدخل الروسي في الخليج من ١٢٩٧ – ١٣٢٥هـ، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- الركابي: كريم طلال، التطورات السياسية الداخلية في نجد، تقديم:

عبد الله محمد المنيف، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- الزعارير: محمد عبد الله، إمارة آل رشيد في حائل، بيسان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧م.
- السبيعي: عبد الله، اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ – ١٣٣١هـ/ ١٨٧١ – ١٩١٣م (دراسة وثائقية) مطبعة الجمعة الالكترونية، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩م.
- السبيعي: عبد الله، الحملة العسكرية العثمانية على الإحساء والقطيف، دراسة وثائقية، مطابع الجمعة، الرياض ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- السبيعي: عبدالله، الأمن الداخلي في الإحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ – ١٣٣١/ ١٨٧١ – ١٩١٣م (دراسة وثائقية) مطبعة جمعة الخالد الرياض ١٤٢٠/ ١٩٩٩م.
- السبيعي: عبد الله بن ناصر، التصدي السعودي للحكم العثماني للإحساء والقطيف ١٢٨٨ – ١٣٣١هـ/ ١٨٧١ – ١٩١٣م " دراسة وثائقية ". مطابع الجمعة الإلكترونية، الرياض ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- السعدون: خالد محمود، أحداث في تاريخ الخليج العربي، المكتبة الجامعية – الإسكندرية، ٢٠٠١م.
- السعدون: خالد محمود، العلاقات بين نجد والكويت، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣م.
- السعيدان: حمد محمد، الموسوعة الكويتية المختصرة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٢م.
- الشرباصي: أحمد، أيام الكويت، (ط١)، دار الكتاب العربي – القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.
- الشلاة: حسين هادي، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث (ط١) الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٤م.

- الشملان: سيف بن مرزوق، من تاريخ الكويت (ط٢) ذات السلاسل ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الشملان: سيف مرزوق، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥م.
- الشناوي: عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٠م.
- الشيخ ممدوح، اعترافات حافظ نجيب، مغامرات جريئة مدهشه وقعت في نصف قرن، (ط١) دار الحسام، بيروت ٢٠٠٣م.
- الصالح: نوريه محمد، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦ - ١٩٠٢م، ذات السلاسل، الكويت ١٩٧٧، م.
- الصانع: عبد الرزاق، وعبد العزيز العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٣٤٢هـ، "ط١" مطابع المقهوي، الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الصباح: ميمونة، الكويت حضارة وتاريخ، الناشر المؤلف، الكويت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الضيقة: حسن، الدولة العثمانية والثقافة.. المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٧٧م.
- الظفيري: عبد الله علي، تنوير المستنير عن تاريخ الظفير، دراسة تفصيلية لقبيلة الظفير من عام ٦١٢هـ إلى ١٣٥٠م (ط٢) الناشر المؤلف، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩، هـ/ ١٩٩٩م
- العبد القادر: محمد بن عبدالله، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مائة عام علي توحيد المملكة الرياض ١٤١٩/ ١٩٩٩م.

- العبد القادر محمد عبد الله الحدود الكويتية العراقية دراسة في الجغرافيا السياسية/مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٠م.
- العبودي: محمد ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – بلاد القصيم – ،دار اليمامة، الرياض ، ١٣٩٩/ ١٩٧٩.
- العثيمين: عبدالله، تاريخ المملكة العربية السعودية، "ط٤ "العبيكان، الرياض ١٤١٩/١٩٩٨م.
- العثيمين: عبدالله، العلاقات بين الدولة السعودية اللأولى والكويت، "ط ٢ " العبيكان، الرياض١٤١٢، هـ.
- العزاوي: عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م. الجزء ٧ – ٨
- العناني: أحمد، وثائق التاريخ القطري، المطبعة الأهلية، الدوحة ١٣٩٩/ ١٩٧٩م.
- العيدروس: محمد حسن، تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، دار العيدروس للكتاب، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م/١٤٢٢هـ.
- الفرحان: راشد، مختصر تاريخ الكويت وعلاقاتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، راجعه عبد الله زكريا الأنصاري، دار العروبة، القاهرة١٣٨٠، هـ/ ١٩٦٠م.
- القاسمي: سلطان بن محمد، بيان الكويت (سيرة حياة الشيخ مبارك بن صباح)، د م، الشارقة، ٢٠٠٤م.
- القشعمي: محمد، "سليمان بن صالح الدخيل (١٢٩٠ – ١٣٦٤هـ/ ١٨٧٥ – ١٩٤٤م صحفياً ومفكراً ومؤرخاً " (ط١)النادي الأدبي، الرياض ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- الكندري: فيصل، الحملة العثمانية علي الإحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م من خلال الوثائق العثمانية، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت ٢٠٠٣م.
- المارك: فهد، من شيم العرب "ط٤" مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٩٨٨م. الجزء ٤

- المانع: محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الله العثيمين ط " ١ "، ١٩٨٢م (د – ن).
- المختار: صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ن)(د ت).
- المزيني: أحمد عبد العزيز، أنساب الأسر والقبائل في الكويت، ط – ١ – ، ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- المنصور: عبد العزيز، الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦ – ١٩١٥م، (ط٢) ذات السلاسل الكويت ١٩٨٠م.
- المنصور: عبد العزيز، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ – ١٩١٦م، ط٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- الموسوعة العربية العالمية الناشر الموسوعة الرياض ١٤١٦/ ١٩٩٦.
- الموصلي: منذر، الأسرة، الدولة، دور الكويت وآل صباح في الخليج العربي، رياض الريس، لبنان ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- النجار: مصطفى، التاريخ السياسي لعلاقة العراق بالخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، البصرة ١٩٧٤م.
- النوري: عبد الله، خالدون في تاريخ الكويت "ط١" ذات السلاسل الكويت ١٩٨٨م.
- النوري، عبد الله، قصة التعليم في الكويت في نصف قرن "ط١" ذات السلاسل، الكويت، (د – ت).
- ا– بن هذلول: سعود، تاريخ ملوك آل سعود، قدم له وأشرف عليه: محمد العبودي، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
- بوند آريفسكي: غيور غي، الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة ماهر سلامة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٤م.
- حتاته: يوسف، وآخرون مدحت باشا، حياته مذكراته محاكمته، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٢/ ١٤٢٤هـ.

- حسون: علي، تاريخ الدولة العثمانية، "ط٣"، المكتب الإسلامي، بيروت١٤١٥، هـ/ ١٩٩٤م.
- خزعل: حسين خلف، تاريخ الكويت السياسي، ج١، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٢م.
- ستانتون: هوب، الهارب إلى الله (قصة الحاج عبد الله وليا مسن) تقديم: رضوان مولوي، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٤م.
- سلطان: غانم وآخرون جغرافية الكويت، دراسة في الظروف الطبيعية والسكان (ط٢) دار المعرفة الإسكندرية ١٩٩٧م.
- سلوت: ب - ج نشأة الكويت: ترجمة مركز البحوث والدراسات الكويتية، قدم له عبد الله الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٣م.
- صابان: سهيل، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- عبيد: جبار، التاريخ السياسي لإمارة حائل، تقديم عبدالله المنيف، الدار العربية للموسوعات الرياض، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.
- عطار: أحمد عبد الغفور، صقر الجزيرة - ط٢ - المؤسسة العربية، جدة (د - ت).
- فرج الله: سمعان، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين (ط٢) مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٠م.
- قاسم، جمال زكريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر... (١٨٤٠ - ١٩١٤)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧/ ١٩٩٧.
- كحالة: عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط - ٥ -، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- كوتلوف: سرجي، تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي منتصف القرن التاسع عشر إلى ١٩٠٨م، ترجمة سعيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨١م.

- كورشون: زكريا، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (د ت).
- كيلي: جون. ب، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٧٠م، ج٢، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، (د ت).
- لينهاردت: بيتز، سلطة الشيوخ في الخليج لعربي، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة ١٩٨٠م.
- محمود: سليمان، الكويت ماضيها وحاضرها، المكتبة الأهلية (د.ن) (د ت).
- منسي: عبد الله سراج، المواجهة العثمانية البريطانية في الخليج العربي ١٨٦٩ – ١٩١٤م، (دن) ١٩٩٤م.
- نخلة: محمد عرابي، تاريخ الإحساء السياسي ١٨١٨ – ١٩١٣، ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ينوا ميشان، عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتاح ياسين، دار الكتاب العربي، بيروت (د – ت).
- نوفل، سيد، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، (ط٢)، دار المعرفة،القاهرة.

ج – الأجنبية:

- Whigham: H. J, the Persian Problem, Isbister and Company. London 1903
- Rush Alan, Al Sabah, History Genealogy Of Kuwait's Ruling, Family 1752-1987, Ithaca Press, London, 1987.
- AL Ghanim Salwa, The Reign of Mubarak Al-Sabah Sheikh of Kuwait I.B.Tauris Publishers', London. New York, 1896-1915
- Goldberg Jacob, The FOREIGN Policy Of Saudi Arabia, The Formative Years, 1902-1918 Harvard University press Cambridge Massachusetts, and London England 1986
- Anscombe Fredrick, The Ottoman Gulf and the Creation of Kuwait, Saudi Arabia and Qatar, 1817-1914, Princeton University, 1994
- Kucukl Cevdet, Kuveyt uzeerinde Osmanli- Ingiliz Mucaadelesi, Istanbul, 1989
- Kumar Ram Nadan, India and the Persian Gulf Region, Bombay, 1965.

ثالثاً: المقالات والابحاث:

- آل إبراهيم: يعقوب، نفائس الخبايا من تاريخ الكويت، جريدة القبس الكويت العدد ٩٧٠٧ الخميس ٢٠٠٢/٦/٢٩.
- آل إبراهيم: يعقوب، هذه القصة الكاملة للحاج وليمسون، المجلة العربية، الرياض، ٢٥ربيع الآخر ١٤٢١هـ يوليو ٢٠٠١ العدد٢٧٩.
- آل إبراهيم: يعقوب، المعلم ماجد بن سلطان بن فهد، جريدة القبس، الكويت، مارس ٢٠٠٧.
- أبا حسين: علي عبد الرحمن، برقيه شفريه نادرة حول طلب الإمام عبد الرحمن آل سعود الإقامة في الزبير أو الكويت، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد٣٧، رمضان ١٤٢٠.
- الحميدي: ناصر، صورة الملك عبد العزيز في كتاب، مجلة الحرس الوطني، الرياض العدد ٢١٥ السنة الحادية والعشرين، صفر ١٤٢١هـ/مايو ٢٠٠٠م.
- الربيعان: يحيى، عندما تلتقي المعرفة بالحقيقة، جريدة الطليعة، الكويت، العدد ١٢٧٠، الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٩٧م.
- الربيعان: يحيى بين المشافهة والتدوين والعزف عن المعروف، جريدة الطليعة الكويت العدد ١٢٧٤ بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩٩٧.
- الربيعان: يحيى، عطاء الرواد بين المحذور والميسور، جريدة الطليعة، الكويت، الأربعاء ٥مارس ١٩٩٧م، العدد ١٢٦٧.
- الزعبي، فادية، الشيخ جاسم آل إبراهيم ودعم حركات التحرر والتنمية العربية، الرأي العام الكويتية، الخميس ٢٨، سبتمبر، العدد ١٢١٥٢.
- الزعبي: فاديه، عائلة آل إبراهيم الكويتية "مقابله مع السيد محمد بن صالح آل إبراهيم " مجلة الرجل لندن يناير ٢٠٠٥م.
- الشملان، سيف، الغوص على اللؤلؤ في قطر، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة، مارس ١٩٧٦.
- الصالح: علي، رسالة عن تاريخ حائل، مجلة العرب ملحق الجزء السادس السنة الثالثة ذي الحجة ١٣٨٨هـ/آذار (مارس ١٩٦٩م.
- العقاد: صلاح، حملة مدحت في شبه الجزيرة العربية سنة ١٢٣٢هـ/

١٨١٧م وصداها في منطقة الخليج، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ٢١ – ٢٨ مارس ١٩٧٦.
- المبارك: أحمد، وصاحبني إلى العراق إنجليزي أعلن إسلامه، المجلة العربية الرياض شوال ١٤٢٠هـ.
- المحارب: عبد الله، الملك عبد العزيز وعشر سنوات في الكويت مقتطفات من منهج شبابه وقصة زواجه، جريدة الشرق الأوسط، لندن، الخميس ١٨/ ٢/ ١٩٩٩م.
- المنصور: عبد العزيز، الشيخ يوسف آل إبراهيم عشر سنوات من عمر الكويت، مجلة البيان، الإمارات العربية المتحدة، السبت ١/٧/١٩٩٦ العدد ٣٢٥٣.
- ريان: محمد رجائي، الاقتطاعات العسكري في العصرين المملوكي والعثماني مجلة الدارة العدد ٨ السنة ١٤ العام ١٤١٨هـ.
- صفوة: نجدة، الشيخ يوسف آل إبراهيم من أبرز رجالات الكويت مجله ثقافة، الدوحة السبت ١٥/ ١/ ١٩٩٧م العدد ٦٦٣٣ ١٩٧٨.
- مقال "شكوى إلى أمير المؤمنين" مجلة اللواء الجمعة ٢٤ ذي القعدة ١٣١٨هـ/ ١٥ مارس ١٩٠٠م السنة الأولى العدد الخامس القاهرة.
- مقال بعنوان ((القلاقل في بلاد العرب وانتصارات ابن الرشيد)) جريدة اللواء الخميس ٦ محرم ١٣١٩هـ/ ٢٥ ابريل ١٩٠١ القاهرة.
- موزل: ألويس، تاريخ بيت الرشيد، مجلة العرب، المجلد العاشر (من رجب ١٣٩٥هـ إلى جمادى الآخر ١٣٩٦هـ.
- النويصر: محمد بن عبدالله، حياة الملك عبدالعزيز في الكويت وأثرها على اتساع مداركه السياسية والاجتماعية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، العدد التاني، السنة الأولى ربيع الأول ١٤٢١هـ/يوليو٢٠٠٠م.

الروايات الشفهية

- مقابلة مع الراوية الشيخ مفلح عماش العنيزان بمنزله بقرية ضبيعة في منطقة حائل
- مقابله مع الراوية السيد محمد بن صالح آل إبراهيم في منزله بالفنطاس بدولة الكويت.

- مقابلة مع الأستاذ عبد الرحمن الصالح الجار الله في مكتبة الصالح بحائل.
- مقابلة مع الأستاذ يعقوب بن يوسف آل إبراهيم بدولة الكويت.
- مقابلة مع الراوية خلف بن شريدة الحسيني بقرية ضبيعة في منطقة حائل.
- مقابله مع الأستاذ عبد الرزاق بن إبراهيم بن صالح آل إبراهيم في منتجعه على ساحل العقيلة.
- مقابلة مع الأستاذ عبد الله بن حمد بن صالح آل إبراهيم في مكتبه بمنطقة بهيته.
- مقابلة مع الراوية الشيخ عبدالله المنيع من أعيان الزلفى ومحافظ عفيف السابق.
- مقابلة مع المرحوم الشيخ ناصر بن حمد آل زرعه - رحمه الله - بمنزله بمدينة الإحساء.
- مقابلة مع الراوية والإعلامي الأستاذ بن فواز يحيى الغسلان بمحافظة بقعاء.
- مقابلة مع الأستاذ محمد بن رابح الغيثي بمحافظة بقعاء.
- مقابلة مع الدكتور عبد اللطيف الحميدان بمدينة الرياض.
- المرشدي: عبد الرحمن بن سعود، من تاريخ وقصص الآباء والأجداد، تسجيلات الاستقامة، الرياض، المجموعة الثانية، شريط رقم ٧ و٨.

